



٩

أدب الطبيب

لإسحاق بن علي الرهاوي
المتوفى في الربع الأول من القرن الرابع الهجري تقديرًا

تحقيق

الدكتور مريزن سعيد مريزن عسيري

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
٩

أدب الطبيب

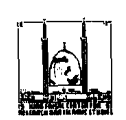
لإسحاق بن علي الرهاوي
المتوفى في الربع الأول من القرن الرابع الهجري تقديرًا

تحقيق

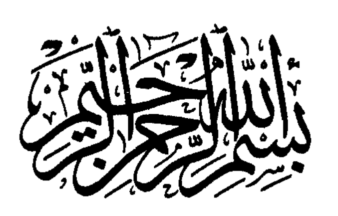
الدكتور مريزن سعيد مريزن عسيري

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣



مطبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الاسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين.

يقـدم مركـز الملك فيصل كتاب أدب الطبيب لمؤلفه إسحاق بن علي الرهاوي إلى القراء الكرام إسهاما منه في نشر كنوز التراث التي من أهدافه القيام بنشرهـا. وقد حقق الكتاب الدكتور مريزن سعيد عسيري، وبذل جهدا مشكوراً في تحقيقه، **وقام المركز بمراجعة النص المحقق ومقابلته على المخطوطة وإضافة بعض الهوامش المناسبة وتعديل هوامش أخرى وقد كتبت جميعها بالخط المائل لتمييزها عن هوامش المحقق. وأعدّ المركز كشافات بأسماء الأعلام والقبائل والأماكن والبلدان والمصطلحات الواردة في النص في ترتيب هجائي ييسر على القارىء الوصول إليها على النحو الموضح في مقدمة الكشاف.**

هذا والكتاب يتناول أخلاق مهنة الطب وما ينبغي أن يكون عليه الطبيب في عمله من تجرد وإخلاص لرسالته وغير ذلك من موضوعات لا تزال من كبريات المسائل الخلقية في مهنة الطب التي لا تخلو ـ كغيرها من المهن ـ من المستغلين والمتهاونين والمشعوذين.

والحديث عن الأخلاق المهنية لا يزال يشغل بال كل متخصص سواء في الطب أو العلوم التجريبية أو النظرية، لأن المقاييس التي تضبط الممارسة المهنية اشتدت الحاجة إليها في ظل الانفجار المعرفي الحالي الذي لابّد له من ضوابط ومقاييس لئلا ينقلب وبالا على الإنسان نفسه.

وقد سبق للمركز أن نشر كتابا آخر في الطب وهو كتاب «نور العيون وجـامع الفنون» لصلاح الدين بن يوسف الكحال الحموي (المتوفى حوالي ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م). والغرض من ذلك هو التعريف بالتراث الإسلامي في العلوم من أجل ربط حاضر أمة الإسلام بماضيها، وبيان جهود المسلمين

ومن عاش في كنفهم في نهضة العلوم وتطوير كثير من نظرياتها ومفهوماتها. وهذه من القضايا التي يحاول أعدا الإسلام ومن يدعى فهمه أن ينسوها أو يتناسوها، حتى إنهم كثيرا ما يقفزون من الإغريق إلى الحضارة الأوربية الحديثة في مؤلفاتهم ووثائقهم كأن لم يعش بين هاتين الحضارتين حضارة أسهمت في العلوم إبداعا ونقدا وتطويرا ونقلا. بل يذهب بعضهم إلى انتقاص الحضارة الإسلامية بالباطل، ويتهمها بالتضييق على غير المسلمين، أو يدعي أن هؤلاء قد أجبروا على الدخول في الإسلام. والتاريخ هو أكبر داحض لهذه الشبه؛ إذ إن المسلمين لم ينطلقوا في معاملتهم لغيرهم إلا من تشريع رباني حدد علاقتهم بأصحاب الأديان الأخرى، ولم يكن مرتكزهم الأهواء الشخصية. ومن ثم وجد أهل الكتاب من الأمان في دار الإسلام ما لم يجدوه في ديار تنتسب إلى أديانهم ولعل هذا الكتاب ومؤلفه يهودي عاش في كنف الإسلام أحد الشواهد على ذلك.

ونعوذ بالله أن نتعصب لحضارة الإسلام بغير حق ـ كما تعصب أولئك ضدها ـ فندعي لها ما ليس منها أو فيها، ولذا نرى أن من الخير نشرَ إسهامات أهلها وتقديمها للقراء ليحكموا على ذلك التراث بأنفسهم بدلا من نقل مقولات هذا أو ذاك، والانشغال بالرد على الجاحد وترديد لفظ المعترف بالفضل.

وما نشره المركز ينبغي ضمه إلى ما نشر في السنوات الأخيرة في جهات أخر من العالم الإسلامي من مخطوطات الطب والعلوم لكي تكتمل الصورة ويمكن الحكم، مع وجوب مراعاة عنصر الزمن. كما أننا نرجو أن يؤدي الاطلاع على تلك المكنونات إلى عود المسلمين إلى الأخذ الجاد بأسباب البحث العلمي الذي دأب عليه جمع كبير من أسلافهم. ونحسب أن نشر هذه المخطوطات سوف يسهم ـ بإذن الله ـ في إنماء المعرفة، ويمد المتخصصين بمصطلحات دقيقة لا تزال صالحة للاستعمال إلى يومنا هذا.

هذا، ونسأل الله تعالى التوفيق والهداية. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأمين العام

د. زيد بن عبدالمحسن آل حسين

توطئـــة

ان الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، فقد يضيق بعض المثقفين العرب ذرعاً بالبحث في بطون الماضي كشفاً عن كنوزنا المغمورة وتحقيقاً لمخطوطاتنا المجهولة، وقد يرى هؤلاء أن التركيز على ما يُمكِّن للعلم في حاضره ويمهد لازدهاره وتطوره أجدى على هذه الأمة من أن تضيع أوقات علمائها بالبحث و التحقيق. غير أن استقراء تاريخ الأمم، يشهد أن هذه الأمم، حينما تشرع في النهوض والتيقظ بعد سبات، تعود إلى ماضيها وتعمل على إحيائه بشتى الصور، بل وتثبت المضيء من ماضيها على صفحات الكتب المدرسية والجامعية أحياناً. ولا نحسب أن أحداً من المثقفين العلميين، الأطباء منهم أو المهندسين أو التجريبيين، يجهل كم قرأت في الكتب العلمية أسماء أولئك العلماء الذين كان لهم سبق في اكتشـاف ظاهـرة علمية. وهل يخلو كتاب من الكتب العلمية من أسماء ديكـارت وهـارفي وروجـر باكون وكوبرنيكوس ونيوتن ولافوازييه وأفوغادرو ودالتون وبروست وبارزيليوس وباستور... وغيرهم وغيرهم؟

وليس أحسن للشباب ـ وعلى أكتافه تقوم نهضات الأمم ـ من أن يجد بين يديه تراثاً علمياً يزخر بحقائق العلم والمعرفة، ويموج بالكنوز الثمينة في مجالات شتى للعلم، ليس أحسن لشبـاب أمـة محمـد «عليه الصلاة والسلام» من أن يقف على تراث طالما انكب الأسلاف على تدوينه وإعداده، وأوقدوا السرج وأفنوا الليالي زاهدين في الدنيا وزخرفها حتى خلدوه .تراثا ضخماً، ملأ ـ فيما مضى، بل ولا يزال يملأ ـ جنبات مكتبات أوروبا وكان

نبراس نهضتها؛ نقل بعضه إلى اللاتينية وانتفع منه في التدريس والبحث في الجامعات الأوروبية حتى القرن السابع عشر الميلادي، فكان القبس الذي أضاء ظلمات الجهل في أوروبا، وكان السبب الرئيس في النهضة العلمية العارمة التي اجتاحت بلدان الغرب في القرنين الماضيين. فالوقوف على مثل هذا التراث يشحذ الهمم ويثير الاعتزاز ويعيد للنفوس المكلومة تفاؤلها ونشاطها ويساعد على استئناف السير. علاوة على ذلك، فإن تحقيق المخطوطات العلمية سيوفر للأجيال الناشئة أسباباً للبذل والعطاء وبخاصة حينما يتبين لهم ـ فعلا ـ أن أسلافهم كانوا رواد هذه النهضة حقاً، وأن كثيراً من هذه الاكتشافات التي تنسب إلى رجال من الغرب، ترجع في حقيقتها إما إلى عالم مسلم أو إلى عالم عاش حياته في دار الإسلام؛ فاكتشاف الدورة الدموية الصغرى الذي بقي ردحاً من الزمان ينسب إلى سرفيتوس الإيطالي (وقد أحرق عام ١٥٥٣م) وهارفي الإنجليزي (المتوفى عام ١٩٥٧م) جاءت البحوث والدراسات لتؤكد أن هذا الاكتشاف يعود إلى ابن النفيس الدمشقي[1] (المتوفى نحو عام ٦٨٨/ ١٢٨٨م) الذي سبقهما بثلاثة قرون ونيف. كذلك هناك من الباحثين من يذهب إلى القول أن قانون ديكارت في الضوء يرجع إلى ابن الهيثم، كما أن من العلماء من يؤكد أن قانون الجاذبية الذي ينسب إلى نيوتن إنما يعود إلى أحد أفراد العالم الإسلامي، وذلك قبل مولد نيوتن بزمن.

ولا تقتصر فائدة تحقيق المخطوطات العلمية العربية على ما سبق بل إنه سيزيد اللغة العربية غنى بالمفردات والمصطلحات العلمية التي يحتاج إليها القائمون على تدريس العلوم. ولطالما رفع المنهزمون عقيرتهم واتهموا اللغة العربية بالعجز والقصور عن الأداء الوافي في قاعات محاضرات الطب والهندسة ومختبرات العلوم التجريبية. فحسب القارىء المنصف أن يقرأ فصلاً من أي كتاب من كتب التراث في هذه العلوم ليخرج مبهوراً بالأسلوب

١) انظر: ابن النفيس بقلم الدكتور بول غليونجي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، أعلام العرب ٥٧.

الواضح البين الذي صيغت به هذه العلوم وبما توافر فيه من مصطلحات علمية محكمة.

وإذا استخدم العلماء المسلمون الأوائل أو من عاش بين ظهرانيهم من غير المسلمين بعض المصطلحات التي لا تعود في أصلها إلى اللغة العربية، فهذا لعمر الحق ليس غريباً على اللغات الأخرى، فها هي اللغة الإنجليزية ـ وهي أوسع اللغات انتشاراً في الوقت الحاضر بحكم ميزان القوى ـ مليئة بالمفردات والمصطلحات ذات الجذور والأصول المختلفة.

ومما يدعو للأسف الشديد أننا نجد بين المثقفين العرب من يعزف عن استخدام اللغة العربية في التدريس الجامعي ويرى أن تدرس علوم الطب والهندسة والعلوم التجريبية باللغة الأجنبية، مع أن رواد النهضة الأوربية العلمية وبناتها كانوا يصرون على تعلم اللغة العربية ليتمكن أحدهم من فهم العلوم آنئذ، من ذلك مثلاً قول روجر باكون الإنجليزي «المتوفى عام **١٢٩٤م**) وهو يُعد في الأوساط العلمية الغربية رائد العلم التجريبي: «أعجب ممن يريد أن يبحث في الفلسفة وهو لا يعرف اللغة العربية»[١]!

وقبل نحو ستين عاماً توفي العالم الفيزيائي الألماني فيدمان Wiedemann الذي رأس قسم الفيزياء في جامعة ارلنجن Erlangen لمدة طويلة، بعد أن سلخ ثلثي عمره (نحو خمسين عاماً) في تعلم اللغة العربية، ثم في نقل النصوص العلمية المتعلقة بالفيزياء والكيمياء والميكانيك والنبات والجيولوجيا[٢]... من المخطوطات العربية إلى اللغة الألمانية، حتى بلغ عدد المقالات التي نشرها نيفاً ومائتي مقالة. وما كان لفيدمان أن يقضي ثلثي عمره في البحث والتحقيق والدراسة في هذه الأمور لو لم تكن تعود على العلم والعلماء بجدوى ذات أهمية كبيرة. وما قلناه في فيدمان يقال في غيره من أصحاب الاختصاص والسمعة العلمية الواسعة.

ومن هنا فإني أعتقد أن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

---

١) تاريخ العلوم عند العرب للدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٠م ط ٣ ص ٤١٤.
٢) Aufsaetze zur arabischen Wissenschaftsgeschichte, by E, Wiedemann Verlag Georg Olms, 1970

يستحق الثناء كل الثناء لما يقوم به من جهود في سبيل إحياء ما يملك إحياءه من التراث الإسلامي العظيم في شتى مجالاته. ونشر هذا الكتاب الذي نقدم له ـ وهو كتاب أدب الطبيب ـ مع تحقيقه يمثل نموذجا من النموذجات العديدة التي قام ويقوم بها هذا المركز. فللقائمين عليه جزيل الشكر مع الدعاء إلى الله أن يثيبهم على ذلك خير ثواب وأن يجعل في أعمالهم الخير والبركة.

ويعكس كتاب أدب الطبيب هذا، لصاحبه إسحاق بن علي الرهاوي اليهودي المتوفى في الربع الاول من القرن الرابع الهجري ـ وقد حققه لنا الدكتور مريزن عسيري ـ المستوى العلمي الرفيع والتفكير المنطقي السليم الذي وصل إليه الإنسان في ظل الإسلام العظيم. فلقد انتفع المؤلف من سماحة الإسلام الذي أضاء بنوره البلاد التي دانت به وعم أهلها بخيره. هذا وكان للغة العربية، وهي سيدة اللغات ولغة العلم والحكم في ذاك الزمان، أثرها العظيم في أسلوب المؤلف، ناهيك عن تأثير أخلاق الإسلام في المؤلف أيضا حتى لكأنك تقرأ لمسلم ملتزم حينما يدعوا صاحب الكتاب في كل فصل من فصوله إلى الإيمان بالله الواحد الأحد وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدعو بإلحاح إلى الفضيلة والالتزام بها، وإلى الإخلاص في مهنة الطب، وإلى ضرورة أن يسعى الطبيب جاهداً في زيادة تحصيله والاطلاع على الكتب المعتمدة فيه، وهو يدعو كذلك إلى الصدق في القول والعمل، متهجماً على المشعوذين الدجالين أدعياء الطب.

وهو لا يفتأ يكرر الدعوة إلى العناية بالطب، وبالمريض وخدمته، وبالأطباء المخلصين عناية فائقة معتبراً ذلك واجباً مقدساً.

وتتجلى من خلال النظر في هذا الكتاب، وبخاصة أن صاحبه يهودي الملة، تلك المنزلة الرفيعة التي خص الإسلام بها العلوم التي تبحث في نواميس الكون، كما يتجلى بوضوح فائق سمو هذا الدين وسماحته تجاه كل من يعمل في اكتشاف الحقائق الغامضة، فلقد وفر الإسلام للإنسان حرية فكرية ما كان له أن يحظى بها في غير داره؛ فاكتشاف حقائق الكون ونواميسه

أمر يحث عليه الإسلام، بل إنه يحمل الإنسان مسؤولياته العقلية في التفكير وطلب المعرفة واستيعاب ثمراتها. فالتفكير في ملكوت السماوات والأرض والبحث في عوالم هذا الكون الفسيح وفي جسم الإنسان وتركيب الكائنات الملموسة مطلب من مطالب هذا الدين لأن مآل ذلك إلى الإيمان بخالق الكون والإنسان ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون * وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلاً لعلكم تهتدون * وعلامات وبالنجم هم يهتدون * أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ النحل ١٢ ـ ١٧. ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وسخر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ الجاثية ١٢ ـ ١٣. ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ الذاريات ٢١.

بل إن القرآن الكريم لينكر أشد النكير على الذين يكذبون بلا علم ويعدهم من الظالمين ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عقبة الظالمين﴾ يونس ٣٩.

ولا غرو بعد ذلك أن يتساءل فرانسيس غايلز Francis Chiles في مقالته التي نشرها في مجلة Nature (١٩٨٣م) فيقول: «ما الذي أنضب رفد المسلمين الهائل للحضارة الإنسانية في ميدان العلم ولا سيما الطب والرياضيات.. يوم كان حكامهم في أوج حضارتهم في بغداد والأندلس يحيطون أنفسهم بالعلماء والأدباء... ويوم وفَّروا جواً من الحرية سمح للمسلمين والنصارى واليهود أن يعملوا جنباً إلى جنب في إغناء هذه الحضارة... لم يبق من ذلك كله اليوم إلا ذكريات».

وبعد فإني أود أن أنوه بالجهد الكبير الذي قام به المحقق الدكتور مريزن عسيري، فقائمة المصادر والمراجع التي استعان بها ووضع أسماءها في نهاية

الكتـاب، تشـير إلى العمـل المضني الـذي بذلـه في تحقيق كتاب «أدب الطبيب»، ولا سيما أن دراسة موضوع من هذا القبيل وتحقيقه ليس بالأمر اليسير؛ فكثيراً ما يتطلب ذلك من الباحث قراءة مكثفة في مصادر متعددة، تبحث في ميادين الطب المختلفة، لعله يعثر هنا أو هناك على ما له علاقة بآداب الأطباء وسلوكهم المهني، وبخاصة أن المصادر التي خصصت لدراسة أدب الطبيب عند المسلمين تعد نادرة.

عوداً على بدء فإن موضـــوع أدب الـطبيب والسلوك الشخصي والمهني للطبيب، يعد جانباً من الجوانب ذات الأهمية البالغة في الدراسات الطبية ذات الصلة بتاريخ العلوم عند المسلمين. والبحث في هذا الموضوع، وإن كان صعب الممارسة، شديد الطلب وعر الملتمس، بعيد المرام، عزيز المنال، إلا أنه يعود بأحسن النتائج على الأجيال الآتية ولا سيما أن المسلم المتخصص في علم من العلوم الكـــونية والـــطبيعية، كالـرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولـوجيا والميكـانيك والنبـات والحيوان والطب. . . الخ يكاد يصاب بالإحباط حينما يطلع على أمهات الكتب العلمية التي تتناول هذه الفروع من العلوم ويجد أن جل القوانين والمعادلات والنظريات بما فيها من الاكتشافات الطبية، تنسب إلى أعلام من الغرب النصراني. والأنكى من ذلـك الأمـر، أن معـظم هؤلاء الأعلام الغربيين، عاشوا في القرون المتأخرة، أي بعد نقل كتب التراث العربي إلى اللغة اللاتينية وتدريس بعضها في جامعاتهم. الأمر الذي أدى إلى ترسيخ الفكرة الظالمة الأثيمة في أذهان أجيال من أبناء المسلمين، ومفادها أن المسلمين كانوا مقلدين جامدين ولم يكونوا أبداً مبدعين حركيين. فضعف ـ على مدى عقود من الزمان ـ الوازع إلى دراسة كتب التراث العلمية وتحقيقها، فضلاً عن ترجمتها إلى لغات أجنبية وخبت الرغبة في العودة إلى المخطوطات واكتشاف ما كتبه المسلمون في العلوم الطبيعية والطبية والكونية، وهي العلوم التي يتوهم معظم أبناء المسلمين في الوقت الحاضر ـ وأسفاه ـ أنها من نتاج الغرب النصراني وأنه ليس للمسلمين فيها ناقة ولا جمل.

ولن تنتزع ـ باعتقادي ـ هذه الفكرة الظالمة، من أذهان أبناء المسلمين، إلا إذا قدم للأجيال الناشئة الدليل البين على أن ما وصل إليه الغرب، إنما هو امتداد لما قدمه المسلمون في عصورهم المضيئة. ولعل نشر هذا الكتاب[1]، يدل ويبين بجلاء التفكير العلمي الرصين الذي وصل إليه الأطباء والعلماء إبان حكم الإسلام، ومدى المشاركة الإيجابية والفعالة للمسلمين التي أدت، فيما بعد، إلى النهضة العلمية التي نشهد ذروتها في وقتنا الحاضر، ويبين كذلك مدى حرص هذا الدين الكريم على حياة الإنسان وكرامته.

الدكتور عبدالله بن عبدالله حجازي
الأستاذ في قسم الكيمياء بجامعة الملك سعود
كلية العلوم

١) وكذلك ترجمة مقالات فيدمان، المشار إليها آنفا، إلى اللغة العربية ثانية.

مقدمـــة

الحمـد لله رب العـالمـين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى أصحابه الكرام، وعلى من اتبع سنته واهتدى بهديه. وبعد:

فإن البحث في تاريخ العلوم عنـد المسلمـين متعـة لا ينضب معينها، لأن البـاحث في هذا الميدان سيتعامل مع ذوي العلم وحملته، وأولي العرفان وحضنته، وأهل التحصيل وأرباب الاجتهاد، والمبدعين والمحققين.

ولقد كان لي اهتمام بالبحث في أدب الطب وأخلاق الطبيب وصفاته عند المسلمين. وأثناء مطالعتي في كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة، لاحظت أن المؤلف يذكر مراراً قوله: «قال الرهاوي في كتابه أدب الطبيب» ، فاستهواني عنوان هذا الكتاب، وقلت لنفسي: لا شك أنه سيفيدني جدا في بحثي.

وبدأت في البحث عنه في فهارس المخطوطات المختلفة، وبقيت أياماً أتابع البحث، وكلما فقدت الأمل ازداد إلحاحي وإصراري في الحصول عليه، لا سيما وأن «حاجي خليفة» ذكره في كتابه[1]، وبعد البحث الطويل أيقنت بفقدانه، وأنه لا أمل في الحصول عليه، و تركت البحث عنه.

وبعد شهرين تقريبا أرشدني الله إليه بمحض مصادفة بعد فقدان أمل، ففرحت كثيرا، وبعد الاطلاع والقراءة عرفت أنني وقعت على كتاب نفيس في بابه، جليل، جامع، غزير المادة، كثير المباحث، جم الفوائد، سديد المنهج، مُطَّرد التنسيق، وأنه فيما أعلم لم يصنف مثله في بابه في الإسلام، لا قبله ولا بعده.

(١) كشف الظنون ج ١ ص ٤٦.

ورأيت من واجبي أن أحققه وأنشره، ليكون في متناول أيدي الباحثين وطلبة العلم، للاستفادة منه، والاستعانة به في بابه، لا سيما أن موضوع أدب الطب والسلوك الشخصي والمهني للأطباء المسلمين لا يزال من أهم جوانب الدراسات الطبية في تاريخ العلوم عند المسلمين، تلك التي لم تجد ما تستحقه من اهتمام الباحثين والدارسين، ولعل السبب في ذلك يعود الى صعوبة طرق هذا النوع من الدراسات، تلك الصعوبة التي نجدها متمثلة في ناحيتين:

الأولى : أن دراسة مثل هذا الموضوع تتطلب من الباحث قراءة جميع المصادر التي عنيت بتراجم الأطباء قراءة مستوفاة، سواء أكانت تلك المصادر المتخصصة بتراجمهم، أم العامة منها، التي تترجم للفلاسفة والحكماء والأدباء. . . الخ، بحكم الموسوعية التي اتسم بها الكثير من كبار الأطباء في الإسلام.

الثانية : ندرة المصادر التي خصصت لدراسة أدب الطب عند المسلمين، وظني أنها لا تزيد ـ إن كثرت على عشرة مصادر، ويبدو من خلال قراءتها أن مصنفيها قد اطلعوا على كتاب «أدب الطبيب» للرهاوي اطلاعاً واسعاً.

ومن هنا كان لزاماً على من يبحث في أدب الطب عند الأطباء العرب والمسلمين، الاطلاع على الكثير من المصنفات والمصادر التي تبحث في ميادين الطب المختلفة، لعله يجد فيها ما له علاقة بآداب الأطباء وسلوكهم المهني.

فإذا استطاع الباحث في أدب الطب عند المسلمين، أن يتجاوز هاتين الصعوبتين، وأن يستوفي جميع المصادر المختلفة تلك، فإنه سيخرج بدراسة وافية وجديدة في هذا الموضوع، وهو حقيقة عمل شاق يحتاج إلى الوقت والجهد.

ولقد قسمت هذا المبحث قسمين:

اشتمل القسم الأول على الحديث عن مؤلف الكتاب علي بن إسحاق الرهاوي: **حياته، وعصره، وثقافته، ومصنفاته.**

كما تناول الحديث في هذا القسم التعريف بكتابه «أدب الطبيب» وأهميته بين الكتب التي بحثت في ميدانه، وبواعث المصنف على تصنيفه، بالإضافة إلى استعراض مصادر معلوماته فيه.

وختمت هذا القسم بالمنهج الذي اتبعناه في تحقيقنا لهذا الكتاب.

أما القسم الثاني فقد خصص للنص والتحقيق.

وبعد، فهذا كتاب «أدب الطبيب» للرهاوي، أقدمه للعلماء والباحثين وطلاب العلم. واذا كان يقيني بأن العمل العلمي الرصين أمر صعب الممارسة، شديد المطلب، وعر الملتمس، بعيد المرام، عزيز المنال، فإن عذري أن كلَّ ابنِ آدم خَطّاء، والكمال لله وحده.

وكلي أمل أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه، من بذل الجهد، وشدة العناية، راجيا التجاوز عما يكون قد تسرب إليه من أخطاء، سائلا المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم. والله من وراء القصد، عليه توكلي، وهو حسبي ونعم الوكيل.

د/ مريزن عسيري
مكة المكرمة
٢٧/٤/١٤٠٩ هـ

القسم الاول

الدراسة

أولا : التعريف بالرهاوي :

- حياته .
- عصره .
- ثقافته .
- مصنفاته .

ثانيا : التعريف بكتاب «أدب الطبيب» للرهاوي .

ثالثا : منهج التحقيق .

القسم الاول - الدراسة

أولا: التعريف بالرهاوي: حياته، عصره، ثقافته، ومصنفاته.

حياته:

إن كل ما نعرفه عن حياة هذا المؤلف هو ما ذكره ابن أبي أصيبعة عن اسمه، واسم أبيه، ولقبه فقط، بالإضافة إلى بعض كلمات المديح له، دون أن يوضح لنا شيئا عن حياته الشخصية، وأين عاش، ومتى ولد وتوفي. ولم يذكر شيئا عن حياته العلمية ولا عن أساتذته وتلاميذه.

قال ابن أبي أصيبعة هو « إسحاق بن علي الرهاوي»[1]، وكان طبيبًا متميزا عالما بكلام جالينوس، وله أعمال جيدة في صناعة الطب «[2]، كما ورد على صفحة عنوان الكتاب» «كتاب أدب الطبيب» وتحت العنوان مباشرة كتب بخط دقيق غير حسن «تصنيف إسحاق بن على اليهودي الخيبري الرهاوي» ثم كتب أيضا تحت اسمه هذا مباشرة «إسحاق بن على الرهاوي».

ويبدو لنا من هذا، استنادًا إلى ابن أبي أصيبعة، وإلى صفحة عنوان الكتاب، أن أسمه «إسحاق بن علي الرهاوي».

وعليه يبدو أن الرهاوي كان يهودي النحلة، ولعله دخل الإسلام فيما بعد، لا سيما وأنه يلاحظ في كتابه هذا:

---

(١) الرها: مدينة مشهورة تقع بالجزيرة شمالي حلب، خرج منها مجموعة كبيرة من مشاهير العلماء في فنون مختلفة (ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ١٠٦)، ويبدو أن أصل مؤلفنا من هذه المدينة، بل لعله ولد فيها ثم انتقل بعد ذلك عنها.

(٢) عيون الأنباء: ص ٣٤٢.

ـ أنه يدعو إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر[1].
ـ أن الله سبحانه وتعالى هو خالق البشر، وهو المدبر لكافة أحوالهم ومعاشهم والمقدر لأمورهم[2].
ـ أنه ينكر على الخارج على الشرائع، وعلى من أظهر التدهر والزندقة[3].
ـ أنه جعل الإيمان بذلك من أصول الأمانات التي ينبغي أن يتصف بها الطبيب الصالح[4].

وإن لم يكن لدينا ما يثبت أن الرهاوي دخل الإسلام، فإنه يعد واحداً من أهل الذمه اليهود الذين تمتعوا بكامل حريتهم، وبهذه المكانة الرفيعة تحت ظل الإسلام وحضارته في مشرق العالم الإسلامي، أما في مغربه في بلاد الأندلس على وجه الخصوص، فقد وجدوا من سماحة الإسلام وعدالته ما مكنهم من تولي مناصب مهمة هناك، مثل أبي يوسف حسداي بن إسحاق بن عزرا بن شبروط (٣٣٣هـ/٩٤٥م - ٣٥٩هـ/٩٧٠م) الذي تولى الوزارة في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر[5]، وكذلك إسماعيل بن النغريلة(ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) الذي تولى الوزارة في عهد باديس بن حبوس (ت ٤٦٥هـ/١٠٧٢م) ملك غرناطه[6]، ثم خلفه على الوزارة ابنه إسماعيل بن النغريلة (ت ٤٥٩هـ/١٠٦٦م)[7].

وبإلقاء نظرة على كتب تراجم الطب والحكمة، نلاحظ لأول وهلة أسماء المئات من العلماء والأطباء والمفكرين من اليهود، منهم على سبيل المثال لا الحصر: يحيى بن عيسى بن جزله، أمين الدولة بن التلميذ، هبة الله بن ملكا البغدادي، إفراثيم بن الحسن الزفان، الحكيم موفق الدين بن المطران طبيب صلاح الدين الأيوبي، موسى بن العازار الإسرائيلي، موسى بن ميمون

---

(١) الرهاوي: أدب الطبيب الورقه ٤ ب.
(٢) ن. م. س. الورقة ٤ ب.
(٣) ن. م. س. الورقة ٥ ب.
(٤) ن. م. س. الورقة ٤ ب.
(٥) بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ص ٤٨٨.
(٦) صاعد: طبقات الأمم ص ٢٠٧.
(٧) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ج ١ ص ٤٣٨.

القرطبي طبيب صلاح الدين الايوبي، السديد بن أبي البيان خدم الملك العادل بن أيوب.

والمجال لا يسمح هنا بسرد أسماء المئات من أمثال هؤلاء الذين برزوا ونبغوا في كنف الإسلام في ميادين الفكر والسياسة، بل إن الكثير منهم كان يحظى بالرعاية والاهتمام والتبجيل من الخلفاء، مما يعطى دليلا واضحا على سماحة هذا الدين، ورقي حضارته التي أعطت للإنسان قيمته، وللبشرية مفهومها الحقيقي، وكانت بشير خير للناس كافة.

إن هذا العطاء، وهذا العدل لم يعرفه اليهود طوال تاريخهم، إنهم لم يعرفوا أمة أعظم وأعدل، ولا ديناً أسمى وأجل من هذه الأمة وذلك الدين، ذلك أن اليهود قبل الإسلام «لم يكن لديهم فنون ولا علوم ولاصناعة، ولا أي شيء تقوم به الحضارة، واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت في تشييد المعارف البشرية، واليهود لم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ . . . وأثبت اليهود عجزهم التام العجيب عن الإتيان بأدنى تقدم في الحضارة»(١).

أما بالنسبة للمنطقة التي عاش فيها الرهاوي فيذكر محقق «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة «أنه أحد الأطباء العراقيين»(٢)، ولكن يبدو أن الصواب قد جانبه في ذلك، لاستناده على ترجمة الرهاوي من كتاب ابن أبي أصيبعة، على أنه من المحتمل جدا أنه قد رحل الى العراق، وأقام بها فترة من الزمن، ويبدو ذلك مما ذكره في كتابه واستشهد به من كلام عيسى بن ماسة(٣)، وهو من أطباء العراق المعروفين، فهو يروي عن عيسى ابن ماسة، بل إنه قال: «حدثني عيسى بن ماسة»(٤) فأين حدثه عيسى؟ لعل ذلك في العراق، أو في الشام، أو في أي مكان آخر.

---

(١) غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٢٠.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٩١.

(٣) سيأتي الحديث عنه. انظر ترجمته في القفطي: أخبار العلماء ص ١٦٤، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٥٧.

(٤) استنادا إلى ابن أبي أصيبعة ص ٢٤١. على أن الرهاوي يقول: «وحكى عيسى بن ماسة» أدب الطبيب الورقة ٨٢ أ.

غير أن ماذكره الرهاوي في كتابه هذا لأحداث حدثت له، ومعالجات وممارسات طبية قام بها، ومراسلات، وأحداث سمع عنها، تعطينا دليلا قويا على أنه عاش في بلاد الشام، ولم يذكر لنا ألبتة أحداثاً أو معالجات حدثت له في العراق، يقول الرهاوي: «ولأن في ذكر ما شاهدناه من ذلك دلا ئل على صدق ما قلناه، وفيه أيضا تنبيه إلى الصواب وتحذير من الخطأ، فلذلك أنا أذكر من ذلك عيونا، فمن ذلك أنني شاهدت طبيًا بمدينة حلب حاذقا بالطب. . .»[1].

ويقول في مكان آخر: «ولقد حكى الثِّقاتُ من أفاضِل مَنْ بالرَّقّة عن طبيب كان بها يقال له موسى. . .»[2].

ويقول أيضًا: «ومثل ذلك أيضا جرى لي مع آخر من السوقة بحلب، كان به إسهال، فدفعت إليه سَفوفا. . . .»[3].

ونجده يقول بمكان آخر: «وقد كتبت أنا رسالة الى بعض من تولى أمور بلد الرَّقّة بإلزام أَلْزَمَنِيه في ذلك، وصفت له كيف ينبغي أن يمتحن الطبيب. . .»[4].

كما أنه في حديثه عن كرسي الحكمة، وهو كرسي لم يكن يسمح لطبيب بالجلوس عليه عند قدماء الأطباء إلا بعدَ مَحْنِه، يقول عنه: «فكان لا يجلس عليه إلّا طبيب، وإلى الآن ذلك الكرسي ينصِّبه قوم من الأطباء بالشام يجلسون عليه»[5].

فالمؤلف في هذه الاستشهادات يخبرنا عن بعض أمور جرت له بحلب والشام، وأخرى سمع بها بالرقة، مما يكشف لنا غالباً أنه عاش شمال بلاد الشام، وفي مدينة حلب، كما يبدو من قوله: « شاهدت طبيبا بمدينة حلب»، وقوله: «جرى لي مع آخر من السوقة بحلب». أما أنه عاش في العراق ـ كما يقول نزار رضا محقق «العيون» فلا أظن ذلك.

---

(١) ن. م. س الورقة ٧٢ ب.
(٢) ن. م. س الورقة ٨٧ أ.
(٣) ن. م. س الورقة ٨٧ أ.
(٤) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ٩٢ أ.
(٥) ن. م. س الورقة ١٠٠ ب.

أما تاريخ ولادته ووفاته فلا يعرف ذلك على وجه التحقيق، غير أنه من خلال قراءة بعض النصوص في «عيون الأنباء» لابن أبي أصيبعة، ـ بالإضافة إلى نص مهم جدا في كتاب الرهاوي هذا ـ يمكن التوصل لتحديد الفترة التي عاش فيها الرهاوي، دون القطع بسنة محددة لولادته أو وفاته.

فقد ذكرنا آنفاً أن الرهاوي سمع من عيسى بن ماسة، ونقل عنه الكثير من أخبار الأطباء ببغداد، أمثال يوحنا بن ماسويه، وبختيشوع بن جبرائيل. ويبدو أنه كانت هناك صداقة ومودة ولقاء مستمر بين الرهاوي وعيسى بن ماسة، الذي يعد مصدراً من مصادر معلومات الرهاوي في كتابه «أدب الطبيب». بل إنه كان مصدره في ذكره لأخبار مجموعة من أطباء بغداد في أواخر سنيهم، ويبدو أن الرهاوي نقل تلك الأخبار وهو لا يزال في منتصف عمره، مما يفيدنا أن عيسى بن ماسة كان معاصراً لحياة إسحاق الرهاوي، وربما كان عيسى يكبر الرهاوي بسنين عديدة.

على أن المصادر التي ترجمت لعيسى بن ماسة لم تذكر لنا زمن ولادته، ولا حتى وفاته، ولكن مجموعة الأخبار التي ساقها للرهاوي عن بعض أطباء بغداد، والذين عاصرهم عيسى، أو على الأقل عاصر شطراً من حياتهم، تلقي لنا الضوء على الفترة التي عاش فيها عيسى بن ماسة.

فالرهاوي يقول: «وحكى عيسى بن ماسة الطبيب أنه أخبره يوحنا بن ماسويه»[1]، وقال الرهاوي في موضع آخر عن عيسى بن ماسة، قال: «ورأيت بختيشوع بن جبرائيل وقد اعتل فأمر أمير المؤمنين المتوكل المعتز أن يعوده...»[2]، وكان بختيشوع معاصرا لحنين ابن إسحاق العبادي المتوفى سنة ٢٦٠هـ (٨٧٣م)، كما أن بختيشوع توفي سنة ٢٥٦هـ (٨٦٩م)، أما يوحنا بن ماسويه فقد توفى سنة ٢٤٣هـ (٨٥٧م).

(١) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ٨٢ أ.
(٢) ن. م. س، الورقة ٨٣ أ.

هذه النصوص والمعلومات ربما ألقت لنا الضوء على أن عيسى بن ماسة عاش فترة مخضرمة بين حياة هؤلاء الأطباء، الذين روى عنهم أو شاهدهم في بغداد، وبين حياة الرهاوي، الذي يحدثنا عن جمع جمعه لنفسه من كتب جالينوس الأربعة، وهي: كتاب الفرق، والصناعة الصغيرة، وكتاب النبض إلى طوثرن، وكتابه إلى أغلوقن، فهو يقول: «ولأن هذه الأربعة كتب تشتمل على كثير من أصول صناعة الطب رأيت جمعها نافعاً جداً على الطريق الذي سلكته في جمعها لي...»[1] الى أن يقول: «فان الاسكندرانيين قد جمعوها بطريق لهم سلكوه غير هذا، وقد جمعها أيضا حنين وثابت»[2].

فهو يذكر خبر حنين وثابت، وإذا عرفنا أن ثابتاً قد توفي سنة ٢٨٨هـ (٩٠٠م) والرهاوي هنا يذكر خبره، فهذا يعني أن الرهاوي كان لا يزال على قيد الحياة حتى سنة ٢٨٨هـ (٩٠٠م).

أما عن وفاته فقد أورد لنا نصا مهما جداً في ذلك، في أثناء حديثه عن ضرورة امتحان الأطباء، فيقول: «ولو كان الأمر جاز على القوانين المتقدمة من قديم زمان اليونانيين، بأن لا يطلق لأحد الدخول في صناعة الطب الا على ما قدمنا ذكره، إذا دخل فيها داخل لم يؤذن له في التصرف بها الا بعد محنته...»[3].

فالرهاوي هنا يتحسر ويتمنى أن تطبق محنة الأطباء واختبارهم قبل ممارستهم لمهنة الطب، ومعروف أن الخليفة العباسي المقتدر قد أصدر مرسومه سنة ٣١٩هـ (٩٣١م) بعدم السماح لأي طبيب بممارسة مهنة الطب إلا بعد محنته، وإعطائه رقعة بذلك بعد تجاوزه للامتحان[4].

إن مرسوما مهماً كهذا يصدر من الخليفة لا بد وأن ينتشر في أرجاء الدولة الإسلامية في مدة قصيرة، والرهاوي الذي عاش في شمالي بلاد الشام لم يسمع

---

(١) ن. م. س، الورقة ٩٧ أ.
(٢) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ٩٧ ب.
(٣) ن. م. س، الورقة ٩١ أ.
(٤) القفطي: أخبار العلماء ص ١٣٠، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٣٠٢.

به، بل إنه تمنى تطبيقه في بلاد المسلمين سيراً على نهج اليونان. فهذا يعني أن المرسوم صدر بعد وفاة إسحاق الرهاوي وقد كان صدوره في شهر المحرم سنة **٣١٩هـ** (**٩٣١م**)[١].

وعليه فانه يبدو مما ذكرناه وما قدمناه من نصوص واستشهادات أن مؤلف كتاب «أدب الطبيب» وهو إسحاق بن علي الرهاوي، قد عاش في الفترة الواقعة بين سنتي **٢٤٠هـ** (**٨٥٤م**) و**٣١٩هـ** (**٩٣١م**).

عصــــره:

يعتبر الرهاوي، مما تقدم، من رجال القرن الثالث الهجري، وهو عصر تدهور واضمحلال سياسي بعد استبداد العناصر الأجنبية من القواد الأتراك بالدولة العباسية، ابتداء بخلافة المتوكل سنة **٢٣٢هـ** (**٨٤٧م**) ومن بعده من الخلفـاء، كالمنتصر، والمستعـين، والمعتـز، والمهتدي، والمعتمد، والمعتضد، والمكتفي، وحتى خلافة المقتدر سنة **٢٩٥هـ** (**٩٠٧م**).

فلم تكن «أحوال الخلافة العباسية خلال هذا العصر هادئة أو مرضية، بل كان عصر الفرقة والاستبداد التركي، وهيمنته على مقاليد الحكم، وتوليته للخلفاء وخلعهم كما يشاء[٢].

ولقد تجاوزت الخلافة في هذا العصر مرحلة الشباب، وبدأت في التقهقر والانحدار، وانغمس الخلفاء في الترف، وعجزوا عن القيام بشئون الخلافة، وأصبحوا لا يبلغون منصبها إلا بالجند الأتراك، الذين كان هدفهم الوحيد المال والمتعة، فيقتلون من يشاؤون من الخلفاء، ويولون بدلا عنه، كالمعتز

---

(١) يقول الجاحظ تحت عنوان «نشر الأخبار في العراق»: «ومما يدل على نفع الكتاب، أنه لولا الكتاب لم يجز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة، وما يحدث بالكوفة في بياض يوم، حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة، فتعلم بها أهل البصرة قبل المساء» الحيوان ج ١ ص ٩٦ ـ ٩٧. تحقيق عبدالسلام هارون دار الجيل بيروت ـ دار الفكر ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢) يقول سيديو أثناء حديثه عن هذا العصر «فأخذت الدولة في الانحطاط حتى تنقلت المماليك الترك في المناصب وتولوا المملكة مع عدم فطانتهم وغلظ طباعهم، فنظروا للرعايا بعين الاحتقار، واشتغلوا بما يخصهم، حتى بلغ عدم الحكم وسوء النظام الغاية القصوى». خلاصة تاريخ العرب ص ١١٥.

الــذي قتلوه شر قِتْلَه حين سحبــوه برجله إلى باب الحجـرة، وضربـوه بالدبابيس، وخرقوا قميصه، وأقاموه في حر الشمس، فكان يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر، وبعضهم يلطمه بيده[1].

أما المستكفي فقد سَمَلوا عينيه، ثم رموه في الحبس حتى مات[2]. فقد أصبح الخلفاء دُمًى يتلاعب بها الترك، حتى إنهم إذا تنازعوا على السلطة كان الخليفة مع الحزب الغالب[3] وبعد أن كان القُوّاد يحلفون له على الطاعة صار الخليفة يحلف لهم[4].

وأصبـح الخليفـة مسلوبَ السلطة والإرادة، ولم يعد له «من الأمر الا الاسم، لا يتعدى حكمه بابه، ولا يتجاوز جنابه»[5]. وبرز على الساحة السياسية أصحاب المصالح. والمتسلقون من رجال الدولة الذين دبت بينهم الخلافات، وحيكت بينهم الدسائس والمؤامرات، فكان أحدهم يكيد للآخر أخبث الكيد، يريد أن يصل بذلك إلى مبتغاه، غير ناظر أو مهتم لما تقتضيه مصلحة الأمة، تساوى في ذلك القواد والكثير من الوزراء ورجال الدولة، الذين انصرفوا إلى تحقيق أطماعهم الشخصية، لعدم علمهم بمصيرهم بعد عام أو عامين، من عزل أو قتل أو حبس، فلا يهمهم الآن غير الكسب بأي طريق كان، دون الاعتبار بما يكون بعد ذلك، سيراً على ماقاله أحد كبار الوزراء في هذا العصر، وهو ابن الفرات، الذي قال: «إن تمشية أمور السلطان على الخـطأ خير من وقوفها على الصواب»[6] ولم يقف الأمر من الضعف والانهيار السياسي عند هذا الحد، بل إن المصادر المختلفة تخبرنا

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٧٧.
(٢) ن. م. س ج ٨ ص ١٧٧.
(٣) ن. م. س ج ٩ ص ٢٦٤.
(٤) ن. م. س ج ٨ ص ١٧٦.
(٥) ابن دحية: النبراس في تاريخ بني العباس ص ١٤٤.
(٦) الصابىء: تاريخ الوزراء ص ١١٩ بيروت ١٩٠٤م.
(٧) انـظر الـطبري: تاريـخ الأمم والملوك، ابن الأثـير: الكامل، الهلال الصابىء: تاريخ الوزراء، الأصفهاني: الأغاني، التنوخي: الفرج بعد الشدة.

بتدَخّل الخدم والنساء في الحكم، واستحكامهم على أموال عظيمة من بيت مال المسلمين[1].

وإزاء هذه الأوضاع السياسية المتردِّية في دار الخلافة ببغداد، وسوء أحوال الناس الاجتماعية والاقتصادية، بسبب المصادرات وابتزاز الأموال، وفساد الأمور عامة، واستمرار الفوضى والمنازعات بين القواد والوزراء والخدم والنساء في دار الخلافة، ذهبت هيبة الخلافة والخلفاء، وهان أمرهم على عمالهم في أطراف الدولة الإسلامية، فبدؤوا يطالبون بالاستقلال عن دار الخلافة سياسيا واقتصاديا. فتدرجوا من عمال لدار الخلافة، ثم أنشؤوا الإمارات الصغرى، ثم الدول الكبرى، فعل ذلك أغلب عمال دار الخلافة في المشرق خاصة، من فرس وترك وعرب[2].

وظهرت بذلك الدويلات المستقلة عن الخلافة العباسية، كالدولة الطاهرية، والصفارية، والسامانية، والطولونية، والغزنوية، وقبل ذلك كله دولة بني الأغلب بشمال أفريقية، وانحلت وحدة الدولة والخلافة.

هذه الأوضاع جميعها شجعت على خلق نوع من النزعات الاجتماعية الغريبة في المجتمع الإسلامي، فكان بداية ظهور الفتيان والصوفية، وتبلبلت أفكار الناس، وأصبحت المدن بيئة صالحة لكثير من الدعوات الهدامة، مثل القرامطة، الذين ازدادوا بأساً وشراً، وانتشر فسادهم في الشام والعراق والبحرين وطريق مكة يثيرون الرعب، ويقتلون الأبرياء في كل بلد دخلوه، وكانت حركتهم هذه بداية فعلية لحركة الإسماعيلية التي أضرمت نارها في القرن الخامس الهجري بقيادة الحسن الصبّاح، فاشتعل المشرق الإسلامي

---

(١) انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ابن الأثير: الكامل، الهلال الصابىء: تاريخ الوزراء، الأصفهاني: الأغاني، التنوخي: الفرج بعد الشدة.

(٢) يقول ابن الأثير: «ثم ازداد الأمر حتى تحكم أصحابه ـ أي الخليفة ـ فكانوا يطلقون الأموال، ويفسدون الأحوال، فانحلت القواعد، وخبثت النيات، واشتغل الخليفة بعزل وزرائه، والقبض عليهم، والرجوع إلى قول النساء والخدم والتصرف على مقتضى آرائهن، فخرجت المماليك، وطمع العمال في الأطراف» الكامل ج ٨ ص ٢٥.

والعراق والشام بالفتن والاضطرابات التي كادت أن تقضي على ريح الاسلام وروحه وعلى الخلافة العباسية.[1].

وفي هذا العصر كانت ثورة الزنج التي بدأت في عهد المعتز، وازدادت خطرا بزعامة رجل فارسي أباح لأتباعه أرذل أنواع الخلاعة والفجور، وانضم تحت لوائه العبيد من مختلف أنحاء البلاد، وبقي عددا من السنين يتحدَّى دار الخلافة، ويهدِّد أمن البلاد، حتى استطاع المُوفَّق ـ أخو الخليفة ـ أن يفتك به ويُشتِّت رجالَه[2].

وعلى الرغم مما ساد مركز الخلافة العباسية في هذا العصر من فساد إداري، وتدهور سياسي، وانهيار اقتصادي، فإن ذلك لم يكن انعكاسه وآثاره مباشراً على الحركة العلمية في العراق، أو في الشام، أو في المشرق الإسلامي. بل ربما كان هذا التفتت في الدولة الإسلامية والاستقلال عن سيادة بغداد السياسية والمالية، من أسباب انتعاش الحركة العلمية في هذا العصر الذي آتى أُكُلَه في العصر الذي يليه. فلقد تنافس الأمراء المستقلون على استقطاب رجال العلم والأدب والاستكثار منهم، فقربوهم وجمعوهم حولهم، وألحقوهم بمجالسهم، باعتبار أن ذلك من مظاهر الجاه والسلطان، وواسطة لذيوع شهرتهم في البلدان، فكان لذلك التنافس أثره في نهضة العلوم والآداب في هذا العصر والعصور اللاحقة.

وبناء على ذلك فقد اتسم هذا العصر في المشرق الاسلامي بنهضة علمية شاملة، انطلق شعاعها من بغداد كعبة العلم والعلماء لتشمل أنحاء المشرق الإسلامي كافة، من بخارى ونيسابور وسمرقند وبلخ والرَّيّ والموصل ودمشق وبلاد الشام ومصر.

---

(١) لمعلومات موسعة عن القرامطة انظر: أخبار القرامطة في الأحساء والشام واليمن والعراق، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر. وعن الإسماعيلية انظر: الغزالي فضائح الباطنية ـ تحقيق عبدالرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية ـ الكويت، الديلمي: بيان مذهب الباطنية وبطلانه عني بتصحيحه شد وطهان، الطبعة الثانية، المكتبة الامدادية مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م.
برنارد لويس: أصول الإسماعيلية، طبع بدار الكتاب العربي بمصر، الحشاشون: منشورات دار المشرق العربي الكبير، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ٩ ص ٦٤٥، أحداث سنة ٢٦٩ هـ (٨٨٢ م).

ولقد ضم هذا العصر نخبة بارزة من العلماء والأدباء، وجمهرة فاضلة من رواد الفكر الإسلامي، واحتشد فيه طائفة من الشعراء، ورجال اللغة والبيان، وفضلاء من المجدِّدين والمجتهدين من علماء الفقه و الحديث والتفسير، ظل أثرهم بارزاً، ودراساتهم ظاهرة في جميع العصور الإسلامية اللاحقة.

ان كتب التراجم والطبقات المختلفة تبرز لنا أسماء لمعت في عالم الفكر والمعرفة في هذا العصر، أمثال الطبري المؤرخ والمفسر، وأبي الحسن الأشعري، والمسعودي صاحب مروج الذهب، والأديب المفكر الرائع الجاحظ، وابن قتيبة الدينوري، وابن الرومي، والمبرد صاحب «الكامل» والبحتري، والزجّاج، والأخفش الصغير، ونفطويه، وقدامة بن جعفر، والمعلم الثاني بعد أرسطو الفيلسوف الفارابي، والطبيب الفيلسوف أبي بكر الرازي، وحنين بن إسحاق الطبيب وأشهر تراجمة الاسلام على الإطلاق، وثابت بن قُرَّة الطبيب الرياضي الفلكي الشهير، وفيلسوف العرب يعقوب ابن إسحاق الكِنْديّ، وأبوعبدالله محمد بن جابر البتّاني العالم الفلكي الشهير، وغير هؤلاء كثير وكثير.

وإذن فقد كان العصر الذي عاش فيه الرُّهاوي عصر بركة ونماء وازدهار فكري، إنه فترة انطلاقة حركة الترجمة من العلوم القديمة، وترسيخ دعائم الفكر الجديد لعلوم القدماء، التي لا بدَّ لها من أن تتعامل مع عقول جديدة، ومنهج علمي جديد، أرسى دعائمه جابر بن حيان الكيميائي الشهير، إنه أسلوب التجربة والملاحظة الذي أكّد على خضوع علوم القدماء له، للوصول إلى المعرفة الحقة الصادقة.

ثقافته ومؤلفاته:

في ظل هذه البيئة العلمية، والازدهار الفكري، ونشاط حركة الترجمة إلى اللغة العربية في علوم الفلسفة المختلفة، من طب وصيدلة ومنطق وفلك ورياضة وطبيعة... الخ، عاش إسحاق بن علي الرُّهاوي الذي يبدو أنه كان

شغوفا وحريصا على قراءة هذه الكتب واستنساخها، والاستفادة منها، ولا سيما المصنفات الفلسفية والطبية لجالينوس وأبقراط.

إن من يقرأ كتاب «أدب الطبيب» للرُّهاوي، ويتأمل مباحثه، يدرك تماما أن مصنفه كان من العلماء المحققين في بابه، حيث وقف على أغراضه، وجمع أشتاته واستقصى أطرافه، وأحاط بأصوله وفروعه، وهو يغوص على دقائق المسائل، وغوامضها، بالإضافة إلى اتساع ثقافته ومعلوماته الفلسفية والطبية، وإدراكه لما يجب أن يكون عليه الطبيب حقّا من أخلاق وصفات وأدب وعلم.

قال عنه ابن أبي أصيبعة: «كان طبيبا متميّزا، عالما بكلام جالينوس، وله أعمال جيدة في صناعة الطب»[1]، وهذه حقيقة يؤكدها كتابه هذا، الذي اعتمد في تصنيفه على مصادر كثيرة ومهمة من مصنفات فلاسفة وحكماء وأطباء اليونان فقط.

أجل كان الرهاوي طبيبا متميزا. ويبدو ذلك واضحا من الباب الثاني الذي عقده «في التدابير المصلحة للأبدان، وبها يصلح الطبيب جسمه وأعضاءه» إن هذا الباب يمثل موقف الطبيب العلمي، وما يجب عليه أن يدركه في علم الطب والصيدلة، هذا إذا أراد أن يكون طبيبا بالحقيقة، فنجده يقول: «ولكني أقول: إن ما أذكره في هذا الباب ـ الثاني من هذا الكتاب ـ من حفظ الصحة، وتعديل الجسم بالأغذية والأشربة والتّدابير، وتعريفي جملاً من تقدير هذه على طريق القانون العام، فإنه ينبه ذا اللب والفطنة إلى معرفة أصول تدابير المرضى، وجمل ينتفع بها في علاجهم، وهو أيضاً يحث المتعلمين على طلب معرفة الأمراض، وما يعالجون ويدبرون به المرضى... فنقول ـ لمن علم أن بدنه صحيح ـ: إن أولَ ما ينبغي لك أن تعلمه في حفظ صحة بدنك أن تعلم بماذا تحفظ الصحيح لتقدر على حفظ صحتك، ومن ذلك بالضرورة تعلم بأي شيء تُجْتَلَبُ الصحة إذا فُقِدَت»[2].

---

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٣٤٢.

(٢) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ١٥ ب.

ونجده يقول في مكان آخر: «ولما اختلفت طبائع الناس لاختلاف أمزجتهم احتاج العقل أن يضع لكل ما خالف الأمر المعتدل ما يَرُدُّه إلى الاعتدال، وما يضعه العقل من ذلك هو على ضربين: أحدهما تعليم ما عدل أخلاق النفس، والآخر ما عدل مِزاج البدن..»[1]

ثم نراه بعد ذلك يتحدث عن حاسية الطبيب الحقيقي، وقدرته على تحديد «تقدمة المعرفة» في أثناء كلامه عن أهمية المِزاج ـ وهو اختلاف تركيب طبيعة البدن من شخص إلى آخر ـ في العملية الطبية والمعالجة، فيقول: «وينبغي أن يكون حاضراً لذكرك أيضا أن عملك إن كان في شخص من الأشخاص، وكانت الأشخاص مختلفة الأمزجة، وصحة كل واحد منها يخصّ مزاجه، ولكل مِزاج علامات تخصه، وتدابير توافقه، فيجب لذلك أن يتدرَّب ويرتاض في معرفة «الحدس الصناعي» الذي به يصل الى التقدير، ولن يصل الى ذلك الا بإحكام علم القوانين النوعية»[2].

ونجده يؤكد بعد أن يتعلم الطبيب علم الأصول، والقوانين، والتدرب بالحدس، على أهمية الغذاء للجسم، حِفاظا على الصحة، فيقول: «وبعد إحكام الطبيب لما ذكرناه من جمل الأصول وفروعها، فيلزمه أن يعلم أن الأبدان لا تثبت على حالة واحدة، لسرعة تغاير الأزمان لها، وتبديل أمزجتها، فالأبدان لذلك تنحلّ دائما وتنقص، فلذلك هي محتاجة إلى ما يُخْلِف عنها عوضاً لما تحللّ منها، والمُخْلِف عليها ذلك هو الغذاء..»[3].

والطبيب عند الرهاوي أثناء ممارسته لمسئولياته الطبية في تحديد نوع الغذاء للانسان ومشابهته لطبيعته، نجده يقول: إن الطبيعة تمتص من ذلك الطعام ما يوافقها وتهضمه، وما لا يوافقها ترفضه «فلا بدَّ من فَضَلات لا تصلح لتغذية الأعضاء، فيجب بروزها... لئلا تفسد بكثرتها وطول مقامها، ولذلك صار واجباً على حافظ الصحة أن يتفقد [4] هذه الجوائز والطرق: هل أفعالها

(١) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ١٤أ.
(٢) ن. م. س، الورقة ١٦أ.
(٣) ن. م. س، الورقة ١٦ ب.
(٤) وردت بالأصل (يعتقد).

جارية على الأمر الطبيعي؟، وهل هي في خدمتها لطبيعة ذلك البدن على ما ينبغي أم محتاجة إلى معاونة من خارج؟ فإن من أفعال الطبيب تفقد ذلك، وإعانة الطبيعة بجميع الوجوه على إخراج ما كثر، وإصلاح طرقها بحسب الطاقة»[١].

فالطبيب الطبائعي حقا عند الرُّهاوي هو الطبيب الذي يجب أن يعلم ويدرك «ما يورده إلى البدن بنوعه وبسائر حالاته وإصلاحاته، وبالحالات التي بالطريق التي يرد فيها وباصلاحاتها»[٢].

ثم نجده بعد ذلك يأخذ في الحديث عن سائر أعضاء بدن الإنسان من رأسه إلى قدمه: تشريحها، وعملها، وأمراضها، ومعالجتها، إلى حديثه عن الأمور الخارجة، وتأثيرها في المريض، كالأعراض النفسانية والنوم واليقظة، وتغاير البلدان للأبدان، والصنائع والأعمال، والعادات، وطبيعة البدن.

ومن خلال هذا الكتاب، وما أثبته فيه من دراسات ومباحث، يتضح لنا حقيقة ما قاله ابن أبي أصيبعة من أن الرُّهاوي كان طبيبا متميزا. وأيضا فإنه كان عالما بكلام جالينوس، الطبيب اليوناني الذي كان يعتقد أن الطبيب لا يكون طبيبا حقا ما لم يكن مُلِمًّا بالفلسفة، والمنطق، والرهاوي يبدو من خلال كتابه هذا، ومن خلال مصنفاته الأخرى، أنه كان مُعجَبا بجالينوس، وشغوفا بقراءة كتبه، وبفكره، فلقد تأثر به كثيرا[٣]، ولا سيما أن تلك الفترة التي عاش فيها الرهاوي لم تكن قد ظهرت بعد تلك الكتب الطبية المؤلفة في العالم الإسلامي، والتي أصبحت فيما بعد مصدراً علميا لجميع طلبة الطب في العصور اللاحقة، إذ لم نعرف أن كتابا طبيا متميزا قد ظهر حتى هذه الفترة، ولم يكن هناك سوى كناش «فردوس الحكمة»[٤] لعلي بن ربن الطبري، من أطباء النصف الأول من القرن الثالث الهجري[٥].

(١) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ١٧ أ.

(٢) ن. م. س، الورقة ١٧ أ.

(٣) يقول: «وانيا أرشدتك من كتب الآداب إلى كتب معلميك وخاصة منهم إلى كتب جالينوس اذ كنت طبيبا، وبكتب هذا الفاضل تعنى فلك بها غنى عن غيرها» (أدب الطبيب، الورقة ١١٠ أ).

(٤) حققه ونشره محمد زبير صديقي سنة ١٩٢٨ م في برلين.

(٥) القفطي: أخبار العلماء ص ١٥٥.

أما الرازي الطبيب المعروف، والذي كان معاصرا للرهاوي، فلم يأخذ مكانته الجديرة به بين أطباء اليونان إلا بعد وفاته، حين انتشرت كتبه، وعرف الناس ما كان عليه الرجل من تقدم وعلم. ولذلك فقد كانت كتب جالينوس وأبقراط هي المصادر الوحيدة لتعلم الطب في هذه الفترة.

مما يدل على إيمان الرهاوي بفكر جالينوس ـ الذي صنف كتابا أسماه «كتاب في الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفا» ـ[1]. أنه أكب على دراسة كتب الفلسفة والمنطق التي هي بداية الطريق لتعليم الطب، أمثال كتب سقراط وأرسطو وأفلاطون، وجالينوس[2].

أما مصنفاته فهي التي ذكرها ابن أبي أصيبعة، وهي:

١ ـ كتاب أدب الطبيب. (وهو هذا الكتاب).

٢ ـ كناش جمعه من عشر مقالات لجالينوس المعروفة بالميامر[3] في تركيب الأدوية.

٣ ـ جوامع جمعها من أربعة كتب لجالينوس رتبها الاسكندرانيون في أوائل كتبه، وهي: كتاب الفرق، وكتاب الصناعة الصغيرة، وكتاب النبض الصغير، وكتابه إلى أغلوقن. وجعل هذه الجوامع على طريق الفصول، وأوائل فصولها على حروف المعجم[4].

---

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٤٦.

(٢) انظر: الباب الأول من كتاب «أدب الطبيب» حيث نلاحظ أنه كان من مصادره في تصنيف كتابه هذا مجموعة من الكتب الفلسفية منها: كتاب ما بعد الطبيعة، كتاب في النفس إلى فادن، كتاب في الفلسفة الخارجة للكندي، في آراء أبقراط وافلاطون. فهو يقول: «وأما ان علوت منزلة الأطباء وأردت أن تكون طبيبا فاضلا فعليك بمقالته التي يبين فيها أن الطبيب الفاضل فيلسوف، ثم بكتابه في آراء ابقراط وفلاطن، ثم بكتابه في البرهان»، أدب الطبيب: الورقة ١١٠ أ.

(٣) الميامر: جمع ميمر وهو الطريق. والميامر يمثل النصف الثاني من كتاب جالينوس وهو «كتاب تركيب الأدوية» الذي جعله في سبع عشرة مقالة، وأجمل في سبع منها أجناس الأدوية المركبة وكيفية تركيبها على الجمل والاجناس، وهذا الجزء عرف «بكتاب قاطاجانس»، وعَشر المقالات الأخيرة تعرف «بكتاب الميامر» الذي وصف فيه الأدوية المركبة بحسب المواضع، أي الأعضاء التي فيها المرض، وما يصلح لكل عضو من هذه الأدوية، من الرأس حتى القدم، وهذه الطريقة اتبعها ابن سينا في تصنيف كتابه «الرسالة الألواحية».

(٤) ذكر الرهاوي هذا الكتاب في كتابه «أدب الطبيب» الورقة ٩٧ ب.

ثانيا: التعريف بكتاب «أدب الطبيب» للرهاوي:

لقد اعتمدت في تحقيق كتاب «أدب الطبيب» للرهاوي على النسخة الوحيدة الموجودة في مكتبة السليمية في أدرنة تحت رقم «١٦٥٨» وبعد البحث والتقصي لم أجد نسخة أخرى في فهارس المخطوطات، والتي كان الحصول عليها سيحل بعض الإشكالات واللبس والكلمات التي لم استطع قراءتها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن «كتاب أدب الطبيب» هذا تعرض له بالدراسة والبحث بعض المستشرقين منهم كريستوف بورجل (J. CHRISTOPH BURGEL) الذي قام بدراسة عن الكتاب، وعن أدب الطب عند المسلمين باللغة الألمانية في مجلة (ARCHIV SUDHOFFS) عدد (٥٠) سنة ١٩٦٦ (ص: ٣٣٧ - ٣٦٠)، كما قام بدراسة أخرى في نفس الموضوع في مجلة (DEUTSCHEN MORGENLANDISCHEN GESELLSCHAFT ZEITSCHRIFT DER) عدد (١١٧) سنة ١٩٦٧ م (ص ٩٠ - ١٠٢) وكانت دراسته هذه بمثابة تمهيد لنشر الكتاب، على أنه لم ينشره فيما بعد.

كما قام مارتن ليفي (MARTIN LEVEY) بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية سنة ١٩٦٧ م.

ويقع كتاب الرهاوي في (١١٢) ورقة بمقياس (١٩ - ٢٧) (١٣ - ١٩)سم مع الإشارة وبكل أسف إلى أن إحدى أوراقه سقطت، وهذه الورقة على الرغم من أهميتها في الكتاب فهي لا تشتمل إلا على خاتمة الباب التاسع عشر، ومقدمة الباب العشرين. ويدل على ذلك «التعقيب» - وهي الكلمة المثبتة في نهاية الورقة - «١٠٨» والتي تدل على أول كلمة في الورقة «١٠٨ ب» حيث وردت كلمة التعقيب هذه «وفيما ذكرناه» وكانت أول كلمة في الورقة «١٠٨ ب» هي «فضيلة الإنسان» هذا فيما لو أخذنا في الحسبان خطأ الترقيم في أصل المخطوط. وكلمة «وفيما ذكرناه» كلمة عودنا عليها الرهاوي عند اعتزامه إنهاء كل باب من أبواب كتابه.

وقد اثبتنا عنوان «الباب العشرون» من مقدمة المؤلف وهو «فيما ينبغي للطبيب أن يدخره ويعده من وقت صحته لوقت مرضه، ومن زمان شبابه إلى زمان شيخوخته ويشتمل هذا السقط ـ من الباب العشرين ـ على المقدمة التي عودنا عليها المؤلف ايضا عند افتتاحه لكل باب، وهذا ما سنلاحظه في الكتاب تماما.

وقد ورد في صفحة العنوان ما يأتي:

«كتاب أدب الطبيب»

«عدد أوراقه ١١٠ ورقة»

«تصنيف إسحاق بن علي اليهودي الخيبري الرهاوي» بخط دقيق يبدو أنه ليس بخط الناسخ وقد ضرب عليه بخط.

«إسحاق بن علي الرهاوي»

وإلى أسفل من ذلك كتب «نظر فيه مترحماً على واقفه محمد بن محمد بن محمد القوصوني لطف الله به وبالمسلمين في سنة **٩٥٩** «استفاد من هذه الآداب مترحماً على واقفه الفقير إلى لطف الله وعطفه حسن قاسم وهو إذ ذاك في خدمة ضعف الفقراء بدار الشفاء المذكورة في سنة **٩٧٩**».

وسطر إلى الأسفل من ذلك أيضا باتجاه من الأعلى إلى أسفل الصفحة ما يأتي «واستفاد من هذه الآداب داعيا لواقفه... في سنة **٩٧٨**»

أما فيما يخص نص الكتاب فهو يقع في **١١٢** ورقة، كما سبق ذكره، تشتمل كل صفحة على سبعة عشر سطراً، بخط عادي ليس فيه جمال أو كثير اعتناء، على طريقة نسخ العصور المتأخرة في وقت اضمحلال الحضارة الإسلامية.

ويبدو أن أيدي النساخ تلاعبت به كثيرا مما زاد المشقة والعناء في عملية إرجاع النص إلى أصله، حيث كثرت الأخطاء الإملائية وأخطاء رسم الكلمات بشكل كبير، مما يظهر معه أن النسخ تم بطريقة الإملاء أو أن أحد النساخ كان جاهلا، فيرسم الكلمة كما يراها دون الالتفات إلى المعنى، ولا سيما في الأسماء اليونانية والرومانية. والكثير الكثير من الكلمات.

ولعل السبب يعود في ذلك إلى عدم وجود وحدة كتابية متفق عليها بين النساخ في الدولة الإسلامية في العصور كافة، هذا بالإضافة إلى اختلاف الرسم في أنواع الخط العربي، نلاحظ أن السمة العامة لنسخ الكتب تتسم بكثير من الإشكاليات، مثل حذف بعض الحروف التي يفترض أن تكتب، وإثبات بعض الحروف التي يفترض أن تحذف، وإهمال الهمزة، والنقط، والخلط بين الياء والألف اللينة، مما يغير اللفظ أحيانا، واللفظ والمعنى أحيانا أخرى. وهذا ما سار عليه الناسخ في نسخ هذا الكتاب في طريقة رسم الكلمات، والقواعد الإملائية كما هو على النحو التالي:

١ ـ إهماله وضع النقطتين تحت الياء المتطرفة فتقرأ ألفا مقصورة في كثير من الكلمات. مثال ذلك:

رسم الناسخ للكلمة	تصحيح الكلمة
يشتكى	يشتكي
تطالبنى	تطالبني
النفسانى	النفساني
المغتذى	المغتذي
يستقصى	يستقصي
تقطعى	تقطعي
الصيدنانى	الصيدناني
يوصى	يوصي
ينبغى	ينبغي
العسلى	العسلي
العنصلى	العنصلي

٢ ـ نجده أحيانا يرسم الألف المقصورة ياء متطرفة. مثال ذلك:

رسم الناسخ للكلمة	تصحيح الكلمة
المصطكي	المصطكى

إلي	إلى
أخري	أخرى

٣ ـ نجده يرسم الألف المقصورة ألفا ممدودة. مثال ذلك:

رسم الناسخ للكلمة	تصحيح الكلمة
فأزرا	فأزرى
يفنا	يفنى
تلقا	تلقى
يعنا	يعنى
يقتدا به	يقتدى به
تتوقا	تتوقى
يقوا	يقوى
تحظا	تحظى
يرقا	يرقى
يتشكا	يتشكى

٤ ـ رسمه لبعض الكلمات خلافا لما نعرفه في قواعد الإملاء الآن مثل كلمة (يسأل) يرسمها (يسئل). وكلمة (قراءته) يرسمها (قرأته).

٥ ـ يقلب الهمزة ذات الكرسي إلى ياء. مثال ذلك:

رسم الناسخ للكلمة	تصحيح الكلمة
الخلايق	الخلائق
طايرات	طائرات
الفضايل	الفضائل
ليلا	لئلا
سايق	سائق

قايد	قائد
نايم	نائم
الريه	الرئة
دايمه	دائمة
زايده	زائدة
الشدايد	الشدائد
اصدقايك	اصدقائك

٦ ـ إهمال الهمزه نهائيا عندما تكون على الألف الممدودة. أو المقصورة، أو عندما تكون في وسط الكلمة، أو في نهايتها. مثال ذلك:

رسم الناسخ للكلمة	تصحيح الكلمة
باس	بأس
الماكول	المأكول
الغذا	الغذاء
الأحشا	الأحشاء
العقلا	العقلاء
شياً	شيئاً
ابتدا	ابتداء
الهوا	الهواء
شي	شيء

وقد نسخ هذا الكتاب لنفسه ـ كما هو واضح في آخر ورقة ـ عبدالله بن المكين عبدالله بن عبدالسلام بن ربيع الإسرائيلي اللاوي.. وذلك في مدة عشرين يوما في ساعات متفرقة منها، آخرها ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة (٧٤٨هـ ـ ١٣٤٧م).

أهمية كتاب أدب الطبيب:

عرف الجرجاني الأدب بقوله «الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ»[1].

وفي نهاية القرن الثاني من الهجرة النبوية الشريفة ظهر واضحا ترسيخ دعائم الفكر الاسلامي المتمثل في علوم الشريعة، ولغة العرب وأدبهم، وذلك تمهيدا لالتقاء الفكر العربي الإسلامي بفكر وثقافة حضارات العالم القديم، المتمثل في علوم الأوائل، وتراثهم الفكري، ولم يكد ينتهي القرن الثالث الهجري حتى اجتاز الفكر الإسلامي مرحلة الشباب في مختلف العلوم والفنون الشرعية والعربية، والأدب والعلوم الاجتماعية، والعلوم الصرفة، وكأن هذه العلوم قد اقتربت من فترة النضج، لتبدأ مرحلة الاستثمار في القرن الرابع الهجري.

ونتيجة لهذا التفت عدد من العلماء المسلمين منذ نهاية القرن الثاني للهجرة الى التصنيف في آداب السلوك والتعامل مع العلوم، وما ينبغي أن يكون عليه منتحل هذه العلوم، من التزام اتجاه مبادئها الأساسية، فظهرت مصنفات في آداب السلوك، والسياسة، والوزارة، والدين والشريعة، وآداب القضاء، والتلاوة، وأدب الفتوى والمحدثين، وآداب العلم والمتعلمين والإملاء، والسماع، والقراءة، والكتابة. ولقد برز من هذه التصانيف مجموعة من الكتب تعد أصولا لهذا الفن من التصنيف.

وكتاب «أدب الطبيب» لاسحاق الرهاوي يعد أنموذجا ووثيقة مهمة لهذا النوع من فنون التأليف في تاريخ العلوم الطبية في القرن الثالث الهجري.

ومن هنا تظهر لنا أهمية هذا الكتاب الذي كان الأول من نوعه في تاريخ العلوم الطبية في الإسلام، إذ لا يعرف أحد من الأطباء المسلمين قبل الرهاوي صَنّف في هذا الميدان كتابا كاملا وجامعا لأدب الطب والأطباء.

---

(١) التعريفات: ص ١٤.

فكل ما نعرفه أن بعضهم صنف مسألة من مسائل أدب الطب، مثل «أخلاق الطبيب» للرازي[1]، و«كتاب محنة الطبيب» و«كتاب معرفة محنة الكحالين» ليوحنا بن ماسويه[2]، وهما مفقودان. وأيضا «كتاب امتحان الأطباء»[3]، و«كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء» لحنين ابن إسحاق[4].

لقد ذكر الرهاوي في كتابه هذا كل ما يجب أن يتأدب به الطبيب في تعامله، وسلوكه المِهْنيّ، وأخلاقه، وعلاقته بعامة الناس وكبرائهم، وبالأصحاء والمرضى، وماذا يجبَ أن يكون عليه الطبيب في علمه وطبه وتطبيبه.

وتحدث الرهاوي أيضا عن شرف مهنة الطب وارتقائها، ووجوب احترام وتقدير الأطباء الحقيقيين، والاحتراس من الأطباء الجهلة والمحتالين والممخرقين[5]، وامتحان الأطباء، إلى غير ذلك من الأبحاث المهمة التي أوردها الرهاوي في كتابه هذا، مما له علاقة بأدب الطب فنجده يقول: «وقد تكلَّفت جمعَ ما قدرت عليه من الآداب التي ينبغي للطبيب أن يؤدِّبَ بها نفسه، والأخلاق المحمودة التي ينبغي أن يُقَوِّمَ بها طبعَه، وذكرت طرفا من التدابير التي ينبغي أن يدَبِّر بها جسمه، والأفعال التي يجب أن يفعلها بذاته أولا، والأفعال التي يفعلها بالأصحاء والمرضى، وجملا من الأفعال والوصايا والتدابير التي ينبغي أن يتقّدم بها إلى المريض وخَدَمِه ومن يتولّى مصالحه، وجعلت جميع ذلك مقالة أولى من هذا الكتاب. ثم جمعت في المقالة الثانية ما يجب على المريض أن يكون عليه من القبول لتصلح أخلاقه لنفسه ولطبيبه ولخدمه فيتمّ بذلك صلاحُ جسمه.

وذكرت فيها أيضا واجباتٍ ولوازمَ تدعو الحاجة إليها في صلاح الأصحاء

(١) حققه الدكتور عبداللطيف العبد الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م دار التراث، القاهرة.
(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء ص ٢٥٥.
(٣) ن. م. س ص ٢٧٣.
(٤) يذكر عبدالرحمن بدوي أنه توجد منه نسخة بالاسكوريال برقم ٧٥٦ لم يطبع بعد، ولكن ليفتنال طبع النص العبري وترجمه. التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ص ٣٩.
(٥) الممخرق: أي المموه. ابن منظور: لسان العرب مادة (خرق).

والمرضى، من قصص وأخبار يتأدَّب بها سائر الناس، والأطباء خاصة، وأنا أميز كل صنف من هذه المعاني في باب ليكون الكتاب أبوابا، فيسهلَ بذلك على طالب المعنى مطلبه، ويقربَ مأخذه[1].

ومما يؤكد أهمية الكتاب أن القفطي في كتابه «أخبار العلماء» اعتمد عليه في رواية بعض أخبار الأطباء. أما ابن أبي أصيبعة فقد اعتمد عليه في ثمانية مواضع قائلا: «قال الرُّهاوي في كتابه «أدب الطبيب»[2].

وما من شك في أن المصنفات التي بحثت في أدب الطب وسلوك الأطباء بعد الرهاوي قد اعتمد مصنفوها على كتابه هذا، واستفادوا منه واستشهدوا بآرائه، واقتفوا منهجه في تصانيفهم تلك، ومن هذه الكتب:

١ ـ كتاب «التشويق الطبي»[3] لمؤلفه صاعد بن الحسن الطبيب من أطباء القرن الخامس الهجري.

٢ ـ رسالة دعوة الأطباء[4] لابن بطلان المختار بن الحسن المتوفى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٥ م).

٣ ـ «النافع في كيفية تعلم صناعة الطب»[5] لعلي بن رضوان المتوفى سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م).

٤ ـ رسالة في بيان الحاجة الى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم [6] لمحمود بن مسعود الشيرازي المتوفى سنة ٧١٠ هـ (١٣١١ م).

٥ ـ المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الطبية[7] لهبة الله بن يوسف بن زين بن الحسن من أطباء القرن السادس.

---

(١) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ١ ب.

(٢) عيون الأنباء. الصفحات ١٩١ ـ ٢٠٧ ـ ٢١٥ ـ ٢٢٥ ـ ٢٣٤ ـ ٢٤١ ـ ٢٤٢ ـ ٢٤٦.

(٣) التشويق الطبي: وهو كتاب جيد في آداب الطب والأطباء حققه أو توسبير بون سنة ١٩٦٨ م، وللكتاب من الأهمية ما يجب معه أن يحقق وينشر في البلاد العربية للاستفادة منه في هذا الميدان.

(٤) يوجد منها نسخة خطية بالقاهرة. إضافة إلى بعض النسخ الأخرى الموزعة في دور مخطوطات استانبول.

(٥) يوجد منه نسختان احداهما بالقاهرة، وأخرى بألمانيا، والنسختان ينقصهما المقالة الثالثة. ابن أبي أصيبعه: عيون الأنباء ص ٥٦٦.

(٦) أيضا هذه الرسالة مهمة جدا وهي قيد التحقيق. ويوجد منها نسختان باستانبول

(٧) والمقالة الصلاحية أيضا من الكتب المهمة التي صنفت في أدب الطب ويبدو من خلال هذه المقالة أنه قد استفاد كثيراً من كتاب الرهاوي.

فالكتاب بوجه عام مهم في بابه، وكان فاتحة الكتب التي صنفت في ميدانه. وقد أسف فؤاد سيد ـ أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية ـ على فقدانه بقوله «وهذا الكتاب فقد ولم يصل إلينا»[1].

بواعث المؤلف على تصنيف كتابه:

ان أي كتاب يصنف لابد أن يكون لمؤلفه دوافع دفعته إلى التصنيف، وأهداف يرمي إلى الوصول إليها، أو الحديث عن مشكلة يبحثها ليتوصل إلى حلول مناسبة لها. وإذا لم يكنِ الأمر كذلك فإن الكتاب الذي لا هدف له لن تكون له قيمة البتة[2].

والرهاوي في كتابه هذا يبحث مجموعة كبيرة من المشكلات التي طالما تعرض لها كبار الأطباء في كل العصور. وعلى رأس هذه المشكلات مشكلة السلوك العلمي والمهني للطب في عصره، تلك المشكلة التي أفرزت وأخرجت الى ساحة التطبيب مجموعة من الأطباء الجهلة الذين أصبح وجودهم خطراً يهدد حياة الناس، ويسلب أموالهم، بل إنه يهدد صناعة الطب بالانقراض بسبب إقبال العامة من الناس وجهلائهم على هؤلاء الأطباء، واقتناعهم بطبهم، وحسن معالجتهم، بما لهم من قدرة على الحيلة والتملق.

وإزاء ذلك ازداد خطرهم على الناس، في حين أن الأطباء حقاً ابتعد عنهم الناس، وقد حدا هذا الأمر بأبي بكر الرازي الى تصنيف كتابه المعنون بـ«كتاب برء الساعة» الذي يقول في مقدمته: «قال أبوبكر محمد بن زكريا الرازي ـ رضي الله عنه ـ: كنت عند الوزير أبي القاسم عبدالله ـ رضي الله عنه ـ فجرى بحضرته ذكر شيءٍ من الطبّ، وهناك جماعة ممن يدعيه، فتكلم واحد منهم بمقدار ما بلغه في ذلك علمه حتى قال بعضهم: «إن العلل من مواد تكون قد اجتمعت على مر الأيام والشهور وما يكون هذا سبيل

(١) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص «كه» مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م بيروت.

(٢) يقول ديمقراط: «ينبغي أن يعرف أنه لا بد أن يكون لكل كتاب علم وضعه أحد الحكماء، ثمانية أوجه: منها الهمة، والمنفعة، والنسبة والصحة، والصنف، والتأليف، والاسناد، والتدبير» الجاحظ: الحيوان. ج ١ ص ١٠١، كما انظر ايضا في هذا المعنى المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج١ ورقة ٥أ.

كونه لا يكاد أن يبرأ في ساعة، بل يكون في مثل ذلك من الأيام والشهور حتى يتم برء العليل» فسمع كلامه جماعة من حضر من المتطببين، كل ذلك يريدون به الذهاب والمجيء إلى العليل وأخذ الشيء منه، فعرفت أن من العلل ما تجتمع في الأيام وتبرأ في ساعة فتعجبوا من ذلك»(١).

ولقد شكا الرهاوي كثيرا في كتابه من مثل هذه الفئة من الأطباء الجهلة. فكان أهم أهداف بحثه هو كشف قناعهم، والإبانة عنهم، والتشهير ببدعهم وأخاديعهم فيقول:

«إن أناسا من الأطباء - أيها الحبيب، أسعدَك اللهُ ببلوغ مطلوباتك، وأعانك على درك الحق - حين جهلوا أصول صناعة الطب، وفاتهم درك فروعها، وقصروا عن تأمل الصواب في طرقها، خرجوا إلى الحِيَل والتلبيس، حتى أفسدوا محاسنها، وأساؤوا سمعة أهلها، وكانوا بمنزلة بنائين راموا إصلاح تشعيث دار قد بنيت أتقن بناء، وأحكمت أحسن إحكام، وأعد فيها ضروب المصالح والمنافع، فجعلوا يسعون فيها محجوبة أبصارهم عن مواضع الفساد، لجهلهم ما فيه بنيت الدار، وسوء تحصيلهم نظمها، وإحكام هيئتها، فإنهم لما عميت أذهانُهم عن معرفة الأسباب والعلل لكونها، صاروا يجولون كالحيارى، لا يفهمون مواضع الفساد، ولا مواضع علله، وربما رام الواحد منهم الإصلاح لشيء يجهل سببه، فيسرع إلى فساده وهدم أساسه، كالذي أقدمت وجاهرت به الطائفة من الأطباء الذين رأيتُك تَذُمُّهم وتُوَبِّخُهم، وأشباههم من أهل القِحَة والإقدام على ما لا يعلمونه.

فحق على من أنعم الله عليه بمعرفةٍ، ووفقه لتَأَمُّل هذه الصناعة أو جلها، والوقوف على ما فيها من لطيف التدبير، وصواب التقدير، ألّا يقصر في إظهار ما بلغه علمه من ذلك، بل يجتهد في نشره وإذاعته، ليقوي به نفوس أهل الحقائق، ويتجنب به سوء العمل في تدابير الأصحاء والمرضى، محتسِبا للثواب في ذلك، واثِقا بمعونة الله تعالى وتأييده إياه»(٢)

(١) الرازي: كتاب برء الساعة ص ٣٩٦، مجلة الشرق، السنة السادسة ١٩٠٣م. بيروت.
(٢) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ١ أ.

ثم نجده يقول في مقدمة الباب الأول ـ مجيبا على ما طرحه فيما مضى ـ: «فإنني لما فكرت في مسألتك ـ أيّها الحبيب، أسعدك الله بدرك الحق، وأنار لك طرقه ـ وجدت الجواب يقتضي أغراضا كبيرة، ويلابس معاني جليلة، عظيم نفعها لجميع من يرتسم بصناعة الطب، واجب تعلمها لما يرسم في نفسه من الآداب العقلية، والوصايا الطبية، التي قد اجتهدتُ في جمعها من مقالات القدماء، وآداب الأفاضل.

وأيضا فإن نفعها شامل لسائر الناس ممن له عقل وتحصيل، لما يراه من فضيلة أدبه إن كان ذا أدب، وما يبعثه ويحثه على التأدب إن كان محبا للأدب، أو لما يُخْجِلُه ويُعرِّفه دناءة نفسه بين أهل العلم والأدب إن كان عادلا عن محبة الأدب، وخاصَّةً إن كان ممن نصب نفسه قاضيا على النفوس، وكان حاكما على الأجسام، ويتولى طِبَّها وتدابيرها، فإن الخصال اللائقة بالحاكم ـ هي أو أكثرها ـ لائقة بالطبيب أيضا. .»[1].

مصادر معلوماته في كتابه:

إن من يطلع على كتاب «أدب الطبيب» يدرك تماما كثرة المصادر التي اعتمد عليها الرهاوي في تأليفه، وهي من الناحية الكيفية تعتبر المصادر الوحيدة للطب وتاريخ العلوم الطبية منذ ما يزيد على ألف سنة مضت، وحتى الفترة التي عاشها الرهاوي.

وبالإضافة إلى هذه المصادر الخطية، فقد اعتمد أيضا في تصنيف كتابه هذا على مجموعة من الأخبار والروايات المسموعة عن عدد من أصدقائه الثقات، فمصادره إذن كانت خَطّية، ومسموعة، وقد ذكر ذلك في أثناء حديثه عن تلك الآداب الطبية بقوله: «التي قد اجتهدت في جمعها من مَقالات القدماء، وآداب الأفاضل».[2]

(١) ن. م. س، الورقة ٣ ب.

(٢) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ٣ ب.

أما مصادره الخطية فسبق أن عرفنا أن الرهاوي كان عالما بكلام جالينوس طباً وفلسفة، وكان به معجبا، ولآثاره الطبية والخلقية متبعا، وبناء على ذلك فإن أغلب مصادره في كتابه هذا من مصنَّفات جالينوس، ولا سيما الستة عشر كتابا التي كان الاسكندرانيون قد وضعوها وقرروها لدارسي الطب، وإن كنا نجد اختلافاً بين تلك التي أثبتها الرهاوي في كتابه هذا، وبين تلك الستة عشر التي أثبتها ابن النديم[1]. ولا أعلم سبب ذلك الاختلاف، مع العلم بأن ابن النديم عاش في القرن الرابع الهجري، أي بعد عصر الرهاوي، على أن الرُّهاوي يقول ـ بعد استعراضه هذه الكتب ـ: «وقد رأى قوم تقديم: بعض هذه الكتب، لأسباب ليس هذا موضع ذكرها»[2].

وهو يقول عنها في الباب الثاني ـ بعد استعراضه موقف الطبيب العلمي ـ: «وأجمل ما قرأته في ذلك كتب جالينوس، ومنها خاصة الستة عشر كتابا التي رتبها الاسكندرانيون للمتعلمين لهذه الصناعة»[3].

فمصادر الرهاوي الخطية في كتابه هذا كانت لعدد من المؤلفين في الفسلفة والديانات، والعقائد، والأخلاق، والطبيعة، وأحوال البلدان والطب، والأدوية. . . الخ

أما مصادره المنسوبة لجالينوس [4] فهي:

١ ـ فيما يعتقده رأيا وقد ذكره الله تعالى.
٢ ـ كتاب في آراء أبقراط وأفلاطن.
٣ ـ كتاب في الأخلاق.
٤ ـ كتاب في أن قوى النفس تابعة لِمزاج البدن.
٥ ـ كتاب المِزاج.
٦ ـ كتاب تدبير الأصحاء.

---

(١) ابن النديم: الفهرست، ص ٤٠٣.
(٢) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ٨٧ ب.
(٣) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ٥٦ أ
(٤) جميع مصادره الواردة في كتابه هذا قمنا بتعريفها جميعا في مواضعها بالنص.

٧ ـ كتاب منافع الأعضاء.
٨ ـ كتاب قوى الأغذيـة.
٩ ـ كتاب الأدوية المفردة.
١٠ـ كتاب القوى الطبيعية.
١١ـ كتاب أخلاق النفس.
١٢ـ تفسير كتاب عهد أبقراط.
١٣ـ كتاب نوادر تقدمة المعرفة.
١٤ـ كتاب محنة أفضل الأطباء.
١٥ـ كتاب فرق الطب.
١٦ـ مقالة في أجزاء الطب.
١٧ـ كتاب في النبض إلى طو ثرن.
١٨ـ كتاب الصناعة الصغيرة.
١٩ـ كتاب إلى أغلوقن.
٢٠ـ كتاب الأسطقسات.
٢١ـ كتاب التشريح.
٢٢ـ كتاب البُحْران.
٢٣ـ كتاب أيام البُحْران.
٢٤ـ كتاب النبض الكبير.
٢٥ـ كتاب الأدوية المركبة.
٢٦ـ كتاب حيلة البُرْء.
٢٧ـ كتاب البرهان.
٢٨ـ كتاب في مراتب قراءة كتبه.
٢٩ـ كتاب في تعرف الإنسان عيوب نفسه.
٣٠ـ كتاب انتفاع الأخيار بأعدائهم.
٣١ـ كتاب الحث على تعلم الطب.
٣٢ـ كتاب في أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفا.

أما مصادره المنسوبة إلى أبقراط فهي كما يلي:

١ ـ في كون الخبير مقرا بالله تعالى وبتكوينه للخلائق قصدا.
٢ ـ كتاب حبل على حبل المولودين في سبعة أشهر.
٣ ـ كتاب الوصايا.
٤ ـ كتاب في الأيمان والعهود.
٥ ـ كتاب منافع الأعضاء.
٦ ـ كتاب الفصول.
٧ ـ كتاب الأهوية والمياه والبُلدان.
٨ ـ كتاب الغِذاء.
٩ ـ أبيديميا. أي «الأمراض الوافدة».
١٠ـ كتاب ماء الشعير.

كما اعتمد الرهاوي على مجموعة أخرى من المصنَّفات لمؤلفين آخرين منها:

١ ـ كتاب سمع الكيان «أي السماع الطبيعي» لأرسطو طاليس.
٢ ـ كتاب ما بعد الطبيعة. لأرسطو طاليس.
٣ ـ كتاب في النفس «فادن» لأرسطو طاليس.
٤ ـ كتاب الفلسفة الخارجة في الرد على الثَّنَوِيَّة، للكِندي.

كما أن الرهاوي قد اعتمد في تصنيف كتابه هذا على مجموعة من الروايات والأخبار التي سمعها من بعض أصدقائه، والتي وصفها بأنها أخبار موثوقة.

فقد أكثر من النقل سماعا عن عيسى بن ماسة في الباب الثالث عشر لأخبار بعض أطباء بغداد، وما جرى لهم من أحداث ومعالجات في بلاط الخلافة، وكان من هذه الأخبار ما عاصرها وشاهدها عيسى بنفسه، وبعضها الآخر نقلها عن بعض من عاصرهم من أطباء بغداد، أمثال يوحنا بن ماسويه، وإسرائيل بن زكريا الطيفوري.

فالرهاوي يقول «وحكى عيسى بن ماسة»[1] «وحكى عن إسرائيل بن زكريا الطيفوري»[2]، «ولقد حكى الثقات من أفاضل من بالرَّقّة»[3]، «ومن النوادر التي جرت لبعض الأطباء ببغداد»[4].

ولقد كانت المُمارسة المِهْنِيَّة، والتطبيب، وما حدث لمؤلفنا من أحداث مع عامة الناس والمرضى من ضمن مصادر كتابه هذا، فنجده يقول: «ولقد سألني شيخ من أبناء سبعين سنة وفوقها يوما، وقد كنت أشرت عليه بأن يغذي مريضا كان له كنت أعوده»[5] ويقول أيضا: «ومثل ذلك أيضا جرى لي مع آخر من السوقة بحلب كان به إسهال، فدفعت إليه سَفُوفا، وأشرت عليه أن يتغذّى بمزورة نيرباج»[6].

وهكذا نجد أن الرهاوي قد اعتمد في تصنيف كتابه على عدة مصادر منها الخطية والمسموعة، ومنها الممارسة المهنية.

ثالثا: منهج التحقيق:

ولقد اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخته الوحيدة المحفوظة بالمكتبة السليمية، ذلك أنه حسب علمي بعد البحث والتقصي لا توجد له نسخةٌ ثانية في دور المخطوطات التي اطلعت على فهارسها. وفي تحقيقه حاولت بقدر المستطاع اتباع الأسلوب العلمي في تحقيق المخطوطات، وهدفي من ذلك هو تقديم النص في أكمل صورة ممكنة وأقربها للنص الأصلي، وكان منهجي في التحقيق كالتالي:

فيما يختص بالنص: حاولت بقدر الإمكان المحافظة عليه كما ورد ـ دون الالتفات إلى الكثير من الأخطاء التي كثرت بشكل كبير، مثل اضطراب

(١) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ٨٢ أ.
(٢) ن. م. س، الورقة ٨٣ أ.
(٣) ن. م. س، الورقة ٨٧ أ.
(٤) ن. م. س، الورقة ٨٧ ب.
(٥) الرهاوي: أدب الطبيب، الورقة ٨٦ ب.
(٦) ن. م. س، الورقة ٨٧ أ.

اعجام الحروف، وإهمالها في مواضع كثيرة، وعدم وضوح بعض الكلمات إلى غير ذلك، فأشرنا الى ما هو مهم من ذلك، وأما ما يتسم به الكتاب من أخطاء مختلفة ومتكررة في كتابة الكلمات الواضحة التحريف فقد صححناه دون الاشارة اليه، هذا اذا استثنينا مقدمة الكتاب التي أشرنا فيها إلى أغلب الأخطاء، لتكون بذلك منهجا لعملية التحقيق، مثل تقويم اللغة، وإكمال السقط، وتصحيح الكلمات، وأشرنا إلى ذلك كله في الحواشي.

أما بالنسبة للتراجم المختلفة للأعلام وأسماء الرجال، فقد عَرَّفت كل واحد منهم، وقدمت له ترجمة وافية، معتمدا في ذلك على أمهات كتب التراجم. كما تضمن العمل استيفاء المعلومات عن أسماء المدن والأماكن والأمصار الواردة، مع شرح واف لكل منها، واعتمدت في ذلك على كتب الجغرافيين المسلمين. كما اشتمل الكتاب على مجموعة من الروايات والأخبار لعدد من الأطباء، فكان لابد من استقصاء ما توافر من مصادر معلوماته، وبعض المصادر الأخرى، لتحقيقها وإثباتها.

أما المعلومات الطبية التي أوردها ـ ولا سيما في الباب الثاني ـ فقد حاولنا بقدر المُستطاع الرجوع إلى أمهات الكتب الطبية، لتحقيق ذلك والإشارة اليه.

وقد وردت مجموعة كبيرة من أسماء الكتب التي اعتمد عليها المؤلف مصادر لمعلوماته، وكان لابد من استيفاء المعلومات عنها وتقديم تفصيلات حول هذا الموضوع.

أما بالنسبة للمسميات المختلفة الواردة في ثنايا البحث لأسماء الأدوية، والأمراض والكلمات الطبية، والتعريفات، والأوزان، والكلمات اللغوية، التي تحتاج الى تفسير فقد استوفيت توضيحها معتمدا على القواميس والمعاجم اللغوية المتخصصة في كل فن من هذه الفنون.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

المحقق

د. مريزن عسيري



بسم الله الرحمن الرحيم وعليه توكلي وبه نستعين

[illegible]



[illegible]

[illegible] ليلة الجمعة [illegible] عشر [illegible]

[illegible]

تمت [illegible] بعد القراءة [illegible]

[illegible] واسط [illegible] شوال

سنة ست وأربعين وثمانمائة



القسم الثاني

النص والتحقيق



(/) بسم الله الرحمن الرحيم وعليه توكلي وبه نستعين ١/أ

قال جامع هذا الكتاب ومؤلفه: إن أناسا من الأطباء أيها الحبيب، أسعدك الله ببلوغ مطلوباتك، وأعانك على درك الحق، حين جهلوا أصول صناعة الطب، وفاتهم درك فروعها، وقصروا عن تأمُّل الصواب في طرقها، خرجوا الى الحيل والتلبيس حتى أفسدوا محاسنها، وأساؤوا [١] سمعة أهلها، وكانوا بمنزلة بنائين راموا اصلاح تشعيث دار، قد بنيت أتقن بناء، وأحكمت أحسن إحكام، وأُعِدَّ فيها ضروب المصالح والمنافع، فجعلوا يسعون فيها محجوبة أبصارهم عن مواضع الفساد، لجهلهم ما فيه بنيت الدار، وسوء تحصيلهم نظمها، وإحكام هيئتها، فإنهم لما عَمِيَت أذهانُهم عن معرفة الأسباب والعلل لكونها، صاروا يجولون كالحيارى، لا يفهمون مواضع الفساد، ولا مواقع علله، وربما رام الواحد منهم الإصلاح لشيء يجهل سببه، فيسرع إلى فساده وهدم أساسه، كالذي أقدَمَت وجاهَرَت به الطائفةُ من الأطباء الذين رأيتك تَذُمُّهم وتُوَبِّخُهُم، وأشباههم من أهل القِحَةِ والإقدام على ما لا يعلمونه.

فحق على من أنعم الله عليه بمعرفة، ووفقه لتأمُّل هذه الصناعة - أوجُلِّها- والوقوف على ما فيها من لطيف التدبير وصواب التقدير، ألّا يُقصِّر في إظهار ما بلغه علمه من ذلك، بل يجتهد في نشره وإذاعته، ليقوي به نفوس أهل الحقائق، ويتجنب به (/) سوء العمل في تدابير الأصحاء ١/ب والمرضى، محتسبا للثواب في ذلك، واثقا بمعونة الله تعالى، وتأييده إيّاه.

وقد تكلَّفْتُ جمعَ ما قدرت عليه من الآداب التي ينبغي للطبيب أن يؤدِّب بها نفسه، والأخلاق المحمودة التي ينبغي أن يُقَوِّم بها طبعه، وذكرت طرفا من التدابير التي ينبغي أن يدَبِّر بها جسمه، والأفعال التي يجب أن يفعلها بذاته أولا، والأفعال التي يفعلها بالأصحاء والمرضى، وجُمَلا من الأفعال والوصايا والتدابير التي ينبغي- له أن يتقدم بها إلى المريض وخدمه، ومن يتولى (مصالحه)[٢].

---

(١) في الأصل «وأسو» والصحيح ما أثبتناه.
(٢) بالأصل «مالحه» وما أثبتناه هو الصحيح.

وجعلت جميع ذلك مقالة أولى من هذا الكتاب، ثم جمعت في المقالة الثانية ما يجب على المريض أن يكون عليه من القبول، لتصلح[1] أخلاقه لنفسه ولطبيبه ولخَدَمه، فيتمَّ بذلك صلاح جسمه.

وذكرت فيها أيضا واجبات[2] ولوازم تدعو الحاجة اليها في صلاح الأصحاء والمرضى، من قصص وأخبار يتأدب بها سائر الناس كافة، والأطباء خاصة، وأنا أُمَيِّزُ كل صنف من هذه المعاني في باب، ليكون الكتاب أبوابا، فيسهل بذلك على طالب المعنى مطلبه، ويقرب مأخذه.

والأبواب عشرون بابا، ويجب أن نعددها أولا، وما تتضمنه بابا بابا، ثم نأخذ في شرحها بعون الله وتأييده.

الباب الأول: في الأمانة والاعتقاد الذي ينبغي أن يكون الطبيب عليه، والآداب التي يصلح بها نفسه وأخلاقه.

الباب الثاني: في التدابير التي يصلح بها الطبيب جسمه وأعضاءه، وهو باب يشتمل على واجبات كثيرة، فلذلك يجب أن يميز أقوالا مفصلة. ٢/أ

الباب الثالث: فيما ينبغي للطبيب أن يحذره ويتوقّاه.

الباب الرابع: فيما يجب على الطبيب أن يوصي به خَدمَ المريض.

الباب الخامس: في آداب عُوّاد المريض ومفتقديه.

الباب السادس: فيما ينبغي للطبيب أن ينظر فيه، من أمر الأدوية المفردة[3] والمركبة، وكيف ينبغي[4] أن يحذر مما قد فسد منها بغير

---

(١) بالأصل «لتنصلح» وما أثبت هو الأفضل.

(٢) في الأصل وردت «واحات» غير منقوطة وما أثبتناه هو الصحيح. والكتاب جميعه واجهتنا فيه هذه المشكلة في الأغلب والأعم من كلماته.

(٣) الأدوية المفردة: إما نباتية، وهي: ثمر، أو بذور، أو زهر، أو ورق، أو قضبان، أو أصول، أو قشور، أو عصارات، أو ألبان، أو صموغ، وإما معدنية، وهي: حجرية، أو مما ينبع مثل القار، وإما حيوانية كالذّراريح، وأعضاء الحيوانات وأحشائها ومراراتها. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٣٦.

(٤) وردت «سعى» غير منقوطة.

قصد أو بقصد، من الصيدناني[1] وغيره، ممن يتولى حفظَها وتدبيرها.

الباب السابع: فيما ينبغي للطبيب أن يسأل عنه المريض وغيره.

الباب الثامن: فيما ينبغي للأصحاء والمرضى جميعا أن يعتقدوه ويضمروه (/) للطبيب في وقت الصحة، ووقت المرض. ٢/ب

الباب التاسع: فيما يجب على المريض إبرامه، من قبوله لأمر طبيبه ونهيه، وما يؤول إليه حاله عند خلافه له.

الباب العاشر: فيما ينبغي أن يعمله المريض مع أهله وخدمه.

الباب الحادي عشر: فيما ينبغي أن يعمله المريض مع عُوّاده.

الباب الثاني عشر: في شرف صناعة الطب.

الباب الثالث عشر: في أن الطبيب يجب له التشريف ـ بحسب مرتبته من صناعة الطب ـ من الناس كافة، ولكن تشريفه من الملوك والأفاضل يجب أن يكون أكثر.

الباب الرابع عشر: في نوادر جرت لبعض الأطباء، بعضها من جنس تقدمة المعرفة[2]، وهي تحثّ الطبيب على تعرفه طرق الانذار[3]، وبعضها (/) مستظرفة تبعث الطبيب على اختبار تحصيل من يشاوره قبل مشورته عليه، لئلا يُنْسَب فسادٌ إن جَرى إلى الطبيب. ٣/أ

الباب الخامس عشر: في أن صناعة الطب لا يصلح أن يعملها كلُّ من التمسها، لكن اللائقة بهم في خَلْقِهم وأخلاقهم.

---

(١) الصيدناني: علم الصيدلة أو الصيدنة: وهو علم باحث عن التمييز بين النباتات المشتبهة في الشكل ومعرفة منابتها، ومعرفة جيدها من رديئها، ومعرفة خواصها إلى غير ذلك، والفرق بين الصيدلة، وعلم النبات أن الأول باحث عن تمييز أحوالها أصالة، والثاني باحث عن خواصها أصالة. طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٢٤.

(٢) تقدمة المعرفة: وهي العلامات التي يقف بها الطبيب على أحوال مرض في الأزمان الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٥٤.

(٣) الإنذار: يقصد به هنا تقدمة المعرفة.

الباب السادس عشر: في محنة الأطباء.

الباب السابع عشر: في الوجه الذي به يقدر الملوك على إزالة الفساد الداخل على الأطباء من[1] جهتهم، والمرشد إلى صلاح سائر الناس من جهة صناعة الطب، وكيف كان ذلك قديما.

الباب الثامن عشر: في التحذير من خُدَع المحتالين، من الذين يتسمون باسم الطب، والفرق بين خُدَعِهم والحِيَل الطبية[2].

الباب التاسع عشر: في العادات المذمومة التي قد اعتادها كثير من الناس (/) ٣/ب وهي تسوق الى الإضرار بالأصحاء والمرضى والى ذم الأطباء.

الباب العشرون: فيما ينبغي للطبيب أن يدخره ويعده من وقت صحته لوقت مرضه، ومن زمان شبابه إلى زمان شيخوخته.

---

(١) في الأصل (ومن) الواو زائده لا محل لوجودها، وما اثبتناه يستقيم به السياق.

(٢) يقصد هنا «بالحيل الطبية» طريقة من طرق الأطباء لمعالجة الأمراض النفسية والعصبية، وقد أوردت الكثير من كتب الطب العربية أمثلة لذلك في معالجة المرض المسمى «بالمانخوليا» وهو ضرب من الجنون، حيث تحدث للإنسان أحكام جريئة، ويغلبه الحزن والخوف. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٣١. وقد ذكر لنا ابن أبي أصيبعة أمثلة لمعالجة هذا النوع من الأمراض قام بها الكثير من الأطباء المسلمين، انظر مثلا ما أورده في حكاية الطبيب البغدادي هبة الله بن ملكا (ت ٥٤٧ هـ / ١١٥٢م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٣٧٤.

المقالة الاولى

الباب الاول

في الأمانة والاعتقاد الذي ينبغي أن يكون الطبيب عليه، والآداب التي يصلح بها نفسه وأخلاقه

أما بعد، الحمد لمن لا تبلغ الألسنُ غايةَ حمده، ولا تَنال العقولُ نهايةَ مجده. فانني لما فكرت في مسألتك ـ أيها الحبيب، أسعدك الله بدرك الحق، وأنار لك طرقه ـ وجدت الجوابَ عنها يقتضي أغراضا كبيرة، ويُلابس معاني جليلة، عظيم نفعها لجميع من يرتسم بصناعة الطب، واجب تعلمها لما يرسم في نفسه من الآداب العقلية، والوصايا الطبية التي قد اجتهدت في جمعها من مقالات القدماء وآداب الأفاضل.

وأيضا فان نفعها عام شامل لسائر الناس، ممن له عقل وتحصيل لما يراه من فضيلة أدبه إن كان ذا أدب، ولما يبعثُه ويَحُثُّه على التأدب إن كان محبًّا للأدب أو لما يخجله ويعرّفه دناءة نفسه بين أهل العلم والأدب إن كان عادلاً عن محبة الأدب، وخاصة إن كان ممن قد نصب نفسه قاضياً على النفوس، وحاكما على الأجسام، ويتولّى طبَّها وتدابيرها، فإن[1] الخصال اللاّئقة بالحاكم هي أو أكثرها لائقة (/) بالطبيب أيضا، وقد قالَ أرسطو طاليس:[2] («تفقّد 4/أ

---

(١) في الأصل وردت كلمة «الحاصل» بين كلمتي «فان» و«الخصال» ولا معنى لوجودها.

(٢) ارسطو طاليس: أحد مشاهير الفلسفة والعلوم الحكمية لازم أفلاطون وتتلمذ عليه مدة عشرين سنة، وكان أفلاطون يؤثره على سائر تلامذته، ويسميه العقل، وإلى ارسطو طاليس انتهت فلسفة اليونانيين، وهو خاتمة حكمائهم، وسيد علمائهم، وله في العلوم الفلسفية كتب شريفة كلية وجزئية، وكان ارسطو طاليس معلم الاسكندر المقدوني ملك مقدونيا ابن النديم: الفهرست ص ٣٤٥، القفطي: أخبار العلماء ص ٢١. ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص ٨٦.

من الحاكم أربعَ خصال، أن يكون حسيبا، وأن يكون عالما، وأن يكون وَرِعـا، وأن يكـون غير عَجُـول») وقـال: («إن الحاكَمَ يَزِين الحكمَ وهو يُوحِشـه») وإذا نقلت هذه الأقاويل إلى الطبيب وجدتها به لائقة، وعليه واجبة، إذ الطبيب حاكم في النفوس والأجسام، ولا يشكّ أحد في أنّ النفوسَ والأبدان أشرفُ من الأموال، فلذلك ينبغي للطبيب أن يأخذَ نفسه بالآداب والعلوم النافعة له في صناعة الطب، وبغير شك أن من لم يحط بما أذكره[1] وأطرحه سيخجل إن كان له أدنى حِسّ، وأن يكون له مع الحِسّ يسير من العقل، فانه سيستحي من الله جل ذكره، الذي أنعم على الناس بصناعة الطب، ومنح بها أفاضل يستحقون تعلمها، يخافونه ويرهبونه قبل الإقدام على علمها، فضلا عن العمل بها، وسيرى هذا المتجرىء[2] على الله وعلى أهلها أن مزاحمته لهم، ودخوله بينهم بغير نصيب منها، قبيح جدا، فإن بعثه خجله على تأديب نفسـه، وإصـلاح أخلاقه، ثم قصد أهلها بلطف وأدب، وحسن مسألة، فتعلم منهم، وخدم بين أيديهم في أعمالها، أمكنه حينئذ جمع[3] العلم والعمل [و][4] أن يحفظ صحة الأصحاء وأن يعالج المرضى.

ولعل بعض الجهلة[5] يظن أن خدمته لطبيب ما مدة من الزمان في ذكائه ومعـرفته ببعض الأدوية المفردة والمركبة، أو الفصد[6] وما ماثله من أعمال الصناعة، وأخذه لذلك، ومعرفته له من كناش[7]، أو أقرباذين[8]، قد كفاه وأغناه عن قراءة كتب صناعة الطب، ومعرفة أصولها وقوانينها، فليس ذلك إلا سوء حظ له ولمن يدبره (/) لأن ما عمله مما ذكرناه، ان لم يعلم أين ٤/ب

(١) في الأصل وردت «يذكره» وما أثبتناه ينسجم مع سياق الجملة.
(٢) في الأصل وردت «المجترى» والصحيح ما أثبتناه.
(٣) في الأصل وردت «اجتماع» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٤) في الأصل وردت «أن» بدون حرف «الواو» وهو ما أثبتناه وبه يستقيم سياق الجملة.
(٥) في الأصل وردت «الجبله» وما أثبتناه هو الصحيح.
(٦) الفصد: وهو علم باحث عن كيفية آلاته، ومعرفة أنواع العروق، ومعرفة ما يخص كل مرض من فصد عرق مخصوص. طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ج١ ص٣٢٥.
(٧) الكناش: جمعه كنانيش وهو ما لم يتعدد أسفاره من الكتب العاليه (وهو في التصنيف الطبي يطلق على كل تصنيف يتضمن علاج الأمراض والأدوية).
(٨) الأقرباذين: وهي الكتب التي تبحث في علم الأدوية المركبة. ابن سينا: القانون ج ٣ ص ٣٠٩. وأصل الكلمة يوناني.

يضعه من الجسم، وفيمن يجب استعماله ومتى، وأين من الأماكن، وبأي الحالات والمقادير، كان إلى أن يمرض الأصحاء ويقتل المرضى، أقرب من أن يحفظ الأصحاء ويشفي المرضى.

فعلى جميع الوجوه والأسباب يجب أن أسارع إلى إجابتك فيما سألته، والله بكرمه المعين على جميع الخيرات.

وبعد ما قدمته أقول: إن أول ما يلزم الطبيب اعتقاده صحة الأمانة، وأولُ الأمانةِ اعتقادهُ أن لكل مُكَوَّنٍ مَخْلُوقٍ خالقاً مُكوِّنا، واحداً قادرا، حكيما فاعلا لجميع المفعولات بقصد، مُحْيِياً مميتا، ممرضا مُشْفِيا، أنعم على الخلائق منذ ابتدأ خلقهم، بتعريفهم ما ينفعهم ليستعملوه، إذ خلقهم مضطرين، وكشف لهم عما يضرهم ليحذروه، إذ كانوا بذلك جاهلين. فهذه أول أمانة واعتقاد ينبغي للطبيب أن يتمسك بها، ويعتقدها اعتقادا صحيحا.

والأمانة الثانية: أن يعتقد لله ـ جلَّ ذكرهُ ـ المحبة الصحيحة، وينصرف إليه بجميع عقله ونفسه واختياره، فإن منزلة المحبِّ اختياراً أشرف من منزلة الطائع له خوفا واضطرارا.

والأمانة الثالثة: أن يعتقد أن لله رُسُلاً إلى خلقه هم أنبياؤه، أرسلهم إلى خلقه بما يصلحهم، إذ العقل غير كاف في كل ما يصلحهم دون رسله، ماشاؤوا وكيف شاؤوا في الوقت الأصلح، كما اختار من الخلق لرسالته[1] الصفوةَ ممن شاء.

فهـذه أصـول الأمانات التي يجب على الطبيب أن يستسرها بينه وبين خالقه، ويعتقدها اعتقاداً صحيحا، فقد دلت أقوال القدماء على صحتها، وأتت الكتب المنزلة بها، وشهدت على حقيقتها، ولا يسع ذا شرع الخروج عنها (/) فليس ينبغي لك أن تحفِلَ بمن عَدَل عن هذه الأمانات، ظنا منه ٥/أ

(١) في الأصل وردت «الرسالة» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الكلام.

ببطلانها فأزرى[1] على الشرائع، وأظهر التَّدَهُّرَ[2] والزندقة[3]، فليس ذلك منه إلّا جهلا يسوقُه إلى الهلاك وسوءِ العاقبة، فإن دعَتْك نفسُك إلى أن تختبره، وينكشف لك جهلُه ـ فاسأله عما اعتقده: لم اعتقده؟ ولم عَدَل عن اعتقاد الكافة، وأهلِ شرعه؟ فإنك من مبتدأ جوابه تستدل على حيرته وسوء عقله، ولعله أن يكون في ذلك مقلِّدا لمن قد كان يصحبه، ممن كان يذهب ذلك المذهب، ويعتقد ذلك الرأي، ميلا إلى الرخصة وخلع العذار، وشوقا إلى بلوغ اللذات، ولم يزل هواه يغلبه، ولذاته تَغُرُّه، حتى انطمست عينُ عقله، وعميت عن النظر الصحيح فيما يصلحه ويرشده إلى المذهب الحق والرأي الصحيح، ودائما ذلك دأبه، والجهل يستحكم عليه أن يؤديه إلى هلاكه في دنياه وآخرته، ومع ذلك فإنه سيكون سببا لهلاك من صحبه من الأغرار، فتكون منزلته منزلةَ أصلِ الشوك الذي كلما كثرت فروعه عظم ضرره، وعسر قلعه، فلا تستأصله إلّا نار قوية، تهلك الفروع والأصل معا حتى يسقط في الأرض من البزر ما يكون منه خَلَفا.

لذلك يكون الضرر أعظم كثيرا ممن اعتقد هذه الآراء، والآفات على الناس أشد، والبلاء أكثر من الأحداث والجهال التابعين لهم، لميل الأحداث إلى اللذات، وسُرُورهم بالرخصة، وقلة الكُلْفة، فهم بذلك يبيحون المحرمات، . ويستحلون المحظورات، فقد أحاط منهم بالتابع والمتبوع نار لاتُطْفأ، وعذاب لا يفنى، وسوء ذكر في الدنيا، وأليم عذاب في الآخرة، في الشقاء للمغرور من هؤلاء الأحداث الكبير المعجب بالحقير من دنياه،

---

(١) وردت «فارزا» وما أثبتناه هو الصحيح.

(٢) التدهر: نسبة إلى الدهر وهو الآن القائم الذي هو امتداد الحضرة الالهية وهو باطن الزمان وبه يتحد الأزل والأبد. ويطلق اسم الدهرية عند المتقدمين على الذين جحدوا الصانع، وقالوا بقدم الدهر الذي يدور عليه مذهبهم. لمعلومات موسعة انظر الغزالي: تهافت الفلاسفة، البغدادي: الفرق بين الفرق، الشهرستاني: الملل والنحل، ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، الخوارزمي: مفاتيح العلوم.

(٣) الزنديق: فسر بالقائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة، أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان، وأصل الكلمة فارسيّ أطلقه الفرس قديما على الخارج عن دين الدولة، واستعمله المسلمون أولا في الدلالة على القائلين بالأصلين، النور والظلمة على مذهب المانوية والثنوية، ثم اتسع معناه فشمل الدهريين والملحدين وسائر أصحاب المعتقدات الضالة، بل أطلق على المتشككين، وكل متحرر من إحكام الدين فكرا وعملا. لمعلومات موسعة انظر، الفرق بين الفرق، والملل والنحل، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن النديم: الفهرست، الخوارزمي: مفاتيح العلوم، دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية ج ١٠.

الكافر بنعم مولاه، لو تيقظ (/) من نومه، وصحا من سكرته، ففكر في ٥/ب خلق ذاتـه وبقائه، وثباته مع تضاد أسطقساته[1]، وتعادي أخلاطه[2] مدة حياته، وإتقان أوصاله، وإحكام هيئته، لكفاه ذلك دليلا على وجوب علته، وكان منه أوضح برهانٍ على وحدانية خالق الكُلِّ، وقدرته وحكمته.

وإذا كان هذا المخدوع قد عمي عن هذا الطريق وجهله، فقد كان له عدة أدلـة من طرق أُخَـرَ غيره، منهـا تأمله لنوعٍ نوعٍ من الموجودات، كعجائب ما في الأرض من معادنها وأحجارها، ونباتًها وأشّجارها، وما على وجهها من أصناف ماشيها وسائمها، وسابحات الماء وطائرات الهواء، وما به تِمُّ كل نوع من هذه من فضوله وخواصه المقومة لأفعاله، فإنه قد كان يكتفي في الاستدلال على ما قدمناه من صحة تلك الأمانات، وحقيقة ما ذكرناه من الاعتقادات في بعض[3] الطرق إذا سلكها في استدلاله سلوكا مستقيما.

فأما إن فاتته هذه الأدلة، وأخطأ هذه الطرق، فقد كان له من الأدوية النافعة لعماه قراءَتُه في كتب الشرائع الحاثّة على الخيرات، الآمرة بالصالحات،

(١) اسطقساته: الاسطقس: هو الشيء البسيط الذي منه يتركب المركب، أو هو أبسط أجزاء الجسم المركب وأقلها مقدارا، والشيء البسيط هو الذي جوهره واحد، وأجزاؤه متشابهة. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص١١٢، الأمدي: المبين في شرح معاني الفاظ الحكماء والمتكلمين ص١١٨. المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج١ ورقة ١٧ ب.

(٢) أخلاطه: الأخلاط هي: الدم والبلغم والمرة والصفراء، والمرة السوداء وهي الأمشاج. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص١٤٢. ونظرية الأخلاط هذه بنيت على الاعتقاد بأن الأشياء تتكون من أربعة عناصر رئيسية الماء والهواء والتراب والنار، والجسم الانساني مزيج متناسب من هذه العناصر ان امتزجت امتزاجا محكما في الكيفية والكمية كانت هذه حالة « Crasis » اي الامتزاج، ولكن إذا زاد أحد العناصر أو نقص او امتنع عن الامتزاج بالعناصر الأخرى، حدثت الأمراض، وقد أخذ ابقـراط فكـرة تكـون الجسم الانساني من اربعة عناصر من الفيلسوف اليوناني «امبادوقليدس» ت ٤٣٥ ق.م، وقد ظلت نظرية الأخلاط اساسا للطب حتى القرن الخامس عشر الميلادي عندما انتشر مرض الطاعون بأوربا وبالاندلس، حيث وضع الطبيبان ابن الخطيب وابن خاتمه رسالتين عن هذا المرض وكيفية انتقاله بالعدوى عن طريق الجراثيم، لتكون بداية رائعة لاكتشاف الجراثيم في القرن الثامن عشر وظهور علم البكتريولوجيا والأمراض المعدية القائلين بأن كل مرض انما يحدث نتيجة عدوى خاصة. سارتون: تاريخ العلم ج٢ ص٤٩ ـ ٢٨٢ الترجمة العربية. أرنولد، توماس: تراث الاسلام ص٤٨٧ ـ ٤٨٨، الترجمة العربية، ولمعلومات موسعة عن الأخلاط انظر ابن سينا: القانون ج١ ص٥ ،ص ص ١٣ ـ ١٧.

(٣) في الأصل وردت «فبعض» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.

الباعثة على النافعات، مقوّمة الأخلاق، ومعدلة الأفعال، معدن الآداب والفضائل، التي قد خاب من جهلها، وعظمت خسارة من عدل عنها، وأخْذُه نفسه بامتثال أوامرها واتباع سننها.

ولذلك وصى أرسطو طاليس للاسكندر[1] بهذه الوصية، فقال: («خذ نفسك بإثبات السنة فان فيها كمال البقاء») وأيضا فليقل لمن فاتته هذه الطرق، وعدم هذه السعادات: إن مما يرجّي له الشفاء من عماه، والتخلص من حيرته، قراءته في كتب العقلاء من المَتقدمين (/) الذي قد أجهدوا أنفسهم بالطرق العقلية، والقوانين القياسية، في إصابة الحق ودركة، فإنه قد كان يجد فيها من فصيح الأقاويل، وأصح الأدلة على وجوب الإقرار بالبارىء تعالى، على وحدانيته وقدرته وحكمته ووجوده، والإقرار برسله وشرائعه، والثواب والعقاب، ما لو جمع لكثر وطال، وثقل حمله، ولكن لا بأس بإثبات اليسير من ذلك لما أرجو به من النفع لمن التمس الحق، والتوبيخ والإخجال لمن عدل عنه إلى الآراء الرديئة، والمذاهب المفسدة. ٦/أ

وينبغي أن أقدم من القول في هذا المعنى أقاويل الفلاسفة، وأبدأ منهم بأقاويل أرسطو طاليس، ثم أتبع ما قالته الفلاسفة ببعض ما قالته الأطباء. وأظهَرُ أقاويل ارسطو طاليس وأوضَحُها في ذلك ما صرح به في كتابه الذي

---

(١) الاسكندر: بن فيلب المقدوني، ملك مقدونيا بعد والده القائد المحنك فيليب الذي كان له جيش عظيم استطاع ابنه الاسكندر بواسطته امتلاك بلاد الروم، وتوجه إلى الشرق فامتلك مصر، وحارب دارا ملك الفرس وقضى على الدولة الفارسية الأولى، ثم هزم ملك الهند المسمى بوروس « Porus ». هناك من المؤرخين من يعتبره من أرباب السياسة والتدبير، وكان لديه أفكار بتوحيد العالم في أيامه، وكان عالما ومنظرا لا سيما وأنه درس على يد الفيلسوف الحكيم ارسطو طاليس الذي بآدابه عمل في سياسة رعيته وسيرة ملكه حيث ظهر الخير وفاض العدل، ولقد ظل الاسكندر الأكبر بضعة أجيال واحداً من كبار قواد التاريخ، وظل في عين العالم رمز النظام والسلطان العالمي. لمعلومات موسعة انظر اوروسيوس: تاريخ العالم ص ٢٢٩، الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض ص ٧٢. القفطي اخبار العلماء ص ٢٢، الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٥٧٥، ابن الأثير: الكامل ج ١ ص ١٥٩، هـ. ج. ولز، معالم تاريخ الانسانية مجلد ٢ ص ٤٢٥، سارتون: تاريخ العلم ج ٣ ص ١٧٣ الترجمة العربية.

عنونه «بكتاب ما بعد الطبيعة[1]» وخاصة في مقالة اللام منه، قال: ((«إن الذي لا مكانَ له أصلا، ولا يحويه نهايات الأجسام كما يحوي جميع الأشياء التي في المكان هو الله حقا»)، وقال أرسطو طاليس أيضا ـ في موضع آخر من هذه المقالة ـ: «فإنه من الصواب والحق أن يعتقد أن ذلك الشيء المعقول مفرد عن الجوهر جميعا، حتى لا يوجد بينه وبينها مشاركة البتة، لا في طبع، ولا في عَرَض من الأعراض، وهو الله تعالى»، ثم قال: ((«وغرضنا إنما هو الكلام في هذا الشيء الأعظم، أعني الأول الذي لا يتحرك، وهو الله الحق»)، وقال أيضا: ((«المحسوسات واقعات تحت حسّ البصر، منها[2] الأجسام السماوية، والأجسام الأرضية من الحيوان والنبات، وأمرها بيِّن، وأما الفاضل الأول فهو الذي هو غير متحرك، الأزليُّ الأَبَدِيُّ»)، وقال أيضا: ((«وذلك أنه ليس بينه وبين ما هو (/) دونه من الجواهر مشاركة في شيء من الأشياء أصلا، لا في تغير من كل التغير، ولا في مكان و لا في نمو، ولا يَنقص، ولا يجمعها أيضا مبدأ واحد عنه حدثا، لكن المبدأ[3] الأول الذي هو الله لا مبدَأَ له أصلاً، وكل ما هو دونه فمبدؤه منه»)). ٦/ب

ومن أقاويله التي صرح فيها بضرب من ضروب النبوة قوله ـ في الطبيعة ـ هذا القول، قال: ((«وليس بعجب أن تكون الطبيعة، وهي لا تفهم، منساقة بما تفعله إلى الغرض المقصود إليه، إذ كانت لا تتروى[4] ولا تفكر في فعل ما تفعله»)) قال: ((«وهذا مما يدلك على أنها أُلْهِمَتْ إلهاما ذلك[5] السبب من سبب هو أكرم منها وأشرف، وأعلى مرتبة، ولذلك صارت تفعل ما تفعل

---

(١) كتاب ما بعد الطبيعة: ويعرف بكتاب الالهيات، وبالحروف ونقله الى العربية إسحق بن حنين واكمله بعده أبوزكريا يحيى بن عدي، ثم اسطاث الكندي، ثم نقل ابو بشر متى مقالة اللام بتفسير الاسكندر. ويعد هذا الكتاب من أشهر الكتب الفلسفية التي نالت قدرا كبير من الدراسة والشرح عند الفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم. ابن النديم: الفهرست ص٣٥٢، القفطي: اخبار العلماء ص ٣١.

(٢) في الاصل وردت «منهما» وما اثبتناه يستقيم به سياق الجملة.

(٣) في الاصل وردت «البدي».

(٤) في الاصل وردت «تروى» وما اثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.

(٥) في الاصل وردت «تلك» وما اثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

منساقة نحو الغَرَض وهي لا تفهم الغرض، كما قد ترى القوم الذين يُلهَمون أن يتكلموا بكلام ينبئون به كما يسألون عنه قبل أن يكون، وهم لا يفهمون العلة فيما يقولون»). وقال أيضا: («فالصانع لهذا العالم ولترتيبه وهو الحق الأول، وله العلم المحض في الغاية القصوى، وعن علمه يكون ترتيب الأشياء ونظامها، وإلى الاقتداء به يشتاق»). وقالَ أيضا ـ بعد كلام طويل ـ: (فقد تبيّن أن الله يعلم ذاته، ويعلم بذلك جميع الأشياء التي هومبدئها وأحوالها وتصرفها، ويعلم ذلك كله معا). وقالَ أيضا في كتاب «سمع الكيان»[1] أقاويل كثيرة من هذا الفن، غير أني اكتفي منها بقول واحد، قاله في المقالة الثامنة منه، قال: («ليست الخليقة ياهذا غير مُهَيَّأة مفعولة، وانها لحسنة التهيئة والفعل، وإذا كانت فيها تهيئة فقد اضطرت أن تكون بإرادة وقدرة عليها نَعْتٌ وحَدٌّ، وأن الذي لا تتهيأ له ليس له (/) ٧/أ نعت ولا حد»)

وأما أفلاطون[2] فإنه تكلم في النفس في الكتاب المنسوب إلى

---

(١) كتاب سمع الكيان: وهو كتاب السماع الطبيعي وهو ثماني مقالات نقلها الى العربية أبو روح الصابيء ويحيى بن عدي، وقسطا بن لوقا، وعبدالمسيح بن ناعم. لتفصيلات أوسع انظر ابن النديم: الفهرست ص ٣٥٠. القفطي: أخبار العلماء ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) أفلاطون: ولد في اثينا عام ٤٢٨ ق.م وأبوه اريستون، تلقى تعليمه كأفضل ما يتلقاه أفضل اثيني ولما بلغ العشرين من عمره التقى بسقراط واصبح من تلامذته مدة ثمانية أعوام، وبعد وفاة أستاذه سقراط انتقل الى ميجارا بين اثينا وكورنثه، ثم ظل متنقلا بين اليونان ومصر وايطاليا وصقلية حتى عام ٣٨٦ ق.م، وقضى بقية حياته بعد عودته من سيراكوز عند صديقه ديون في الأكاديمية حتى مات سنة ٣٤٧ ق.م، وافلاطون أحد أساطين الحكمة الخمسة وصنف كتبا كثيرة مشهورة في فنون الحكمة وذهب فيها الى الرمز والاغلاق. وكان يعلم تلامذته الفلسفة وهو ماش فسمى الناس فرقته المشائين. القفطي: اخبار العلماء ص ١٣ ـ ١٤، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٧٩، سارتون: تاريخ العلم ج ٣ ص ١٢.

فـادن[1] في النفس، وأطنب في وصف الثواب والعقاب بعد الموت، مما يطول إعادته، ولكن نذكر منه طرفا.

قال سُقْراط[2]: («أظنُّك يافانس[3] لم تفهم عني بعد[4]، قال فانس: لا والله واهب الحياة فما فهمت عنك على ما ينبغي. قال سُقراط: فافهم عني، فإني مستأنف بك قولا مجددا. ثم قال سقراط بعد أن قال: فإن سلمت بهذه الأشياء أوجـدتك أن النفس شيء لا يبطل بعد مفارقة البدن، قال فانس: فبادر بنتيجتك فاني مسلم لك، قال سقراط: بعد أن قال: فالنفس غير ميتة ولا باطلة بعد مفارقة البدن، قال سقراط: ثبت يافانس أن أنفسنا

(١) أو (فيدون) الايليسي، أحد شخصيات أسطورة أفلاطون «في النفس» وهم خمسة، واذا ما صحت رواية ديوجين اللاريسي فقد يكون فيدون الايليسي قد وقع أسيرا في الحرب التي أثارتها اسبرطة وأثينا ضد وطنه، واخذ كعبد رقيق الى أثينا حيث اشتراه سيبس، ونجده عام ٣٩٩ ق.م عضوا في حلقة سقراط حيث أصبح تلميذاً نجيباً يحظى بتقدير عظيم من أستاذه، وهو من جانبه كان يكن لأستاذه إعجابا وحبا عميقا، وبعد موت أستاذه سقراط عاد إلى وطنه حيث أسس مدرسة ايليس.
أما موضوع فيدون فهو القصة الأمينة لما حدث، ولما قيل في اليوم الذي شرب فيه سقراط السم، جمعها أفلاطون من أفواه أولئك الذين شاهدوها، وحاول أفلاطون في أسطورته هذه إثبات خلود النفس الجوهري، مقلدا هوميروس في الأنشودة الحادية عشرة من الأوديسيا «موطن الموتى» مطبقا للأفكار الجديدة التي اعتنقها الناس في عصره والتي اعتنقها هو نفسه، وحيث إن هذه الأفكار لا تخضـع للدليـل الفلسفي فقـد عرضهـا في صورة أسـاطير في ثلاثة من كتبه هي: جورجياس، والجمهورية، وفيدون.
على أن أفلاطون قد عرف في العالم الإسلامي بالتوحيد والحكمة، وحكى عنه مجموعة من تلامذته مثل ارسطو طاليس أنه قال: إن للعالم محدثا مبدعا أزليا واجبا بذاته عالما بجميع معلوماته، وذلك بخلاف جميع القدماء الذين ذهبوا إلى أن العالم قديم، ومن ضمنهم تلميذه أرسطو الذي أنكرت دراسـاتـه وأفكـاره لدى علماء الفلسفـة الإسلامية وعلى رأسهم الغزالي، وابن رشد شارح الفكر الأفلاطوني، ولم يتبينوا أنهم أمام ملحد عريق، ولا يقل عراقة في الإلحاد وأصالة عن تلميذه أرسطو.
لمعلومات موسعة انظر الشهرستاني: الملل والنحل ج ٢ ص ١٩٠ وما بعدها، ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ٩ وما بعدها، فيدون، وكتاب التفاحة المنسوب لسقراط ص ١٣١ - ١٤٧.

(٢) انظر مختصر كتاب التفاحة المنسوب لسقراط، فيدون ص ٢٢١، ذكر القفطي أن سقراط شامي الأصل، حكيم فاضل، نزه كان من تلامذة فيثاغورس واقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية، وأعـرض عن ملاذ الدنيا ورفضها وأعلن مخالفة اليونانيين في عبادتهم الأصنام، وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلة، فثوروا عليه العامة، واضطروا ملكهم إلى سجنه، ثم شرب في سجنه السم فمات، له وصايا شريفة، وآداب فاضلة، وحكم مشهورة، وله مجموعة من الكتب. القفطي: أخبار العلماء ص ١٣٥، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٧٠.

(٣) فانس: وهو فادن. أحد تلامذة سقراط.

(٤) ورد بالأصل حرف «ما» بين كلمتي «بعد» و«قال» لا معنى لها.

بعد الموت موجودة لا في مدة هذا الزمان الذي ينسب فيه إلي الحياة، بل في الأبد أبدا»). وقال في موضع آخر: («وعند ذلك لا يؤذن في الشرور، فانه لو كان الموت هو بوار الأمر كله لكانت هذه فرصة الأشرار إذا ماتوا، وأن يستريحوا من البدن ومن شرهم مع النفس التي هي في أبدانهم»). وقال: («إن كل واحد من الناس إذا مات فإنّ مَلَكه المُوَكَّلَ به خاصة وهو حي يروم أن يسوقه إلى موضع من المواضع المذكورة فيه، بحيث يحوز المجتمعون فيه على مالهم وعلى ما عليهم، ثم يقودهم إلى الآخرة قائد من الملائكة مأمورا بأن يمضي بمن هناك الى هناك، فاذا جوزوا هناك بما يستحقون المجازاة به، ولبثوا بالمكان المدة من الزمان الذي يجب أن يلبثوها فيه، ساقهم سائق آخر من الملائكة، فردهم الى (/) ما هناك، في أدوار من الزمان كثيرة بعيدة المـدة. وأخلق بمسير الأنفس ألّا يكـون كما ذكـر ارسيجـانس[1] عن طيلانس[2]، فإن ذاك، قال: أيها الملك، إنما تسير الأنفس طريقاً واحداً مفرداً، قال سُقراط: لكن الصحيح فيها تشعب في طرق كثيرة مختلفة، ونحن نقول ذلك على حسب ما يُسْتَدَلُّ به من الذبائح والأشياء المفترضة في الشريعة أن يفعلها بالنفس الذاهبة الكيسة تنقاد لسائقها، ولا يجهل ما هي فيه، وأما التي هي مُغْراة بالشهوات الجسدانية فإنها ـ كما قلنا ـ تبقى مدة من ا لزمان طويلة تجول مُتَحيِّرة تتجاذب[3] مجاذبة[4] شديدة، وتلقى أنواعاً من الجهد كثيرة، فبالعسر والكف تمضي منقادة للمَلَك المأمور بسِياقِها، فإذا انتهت إلى الموضع الذي فيه الأنفس الأُخَرُ غيرها. أما إذا كانت دَنِسَة فقد فعلت أفعالا دَنِسَةً إما من القتل جوراً وظُلْماً، وإما من غيرها، إلى ما شابهه، ومما هو من أنفس هي نظائرها، فإن كلّ ملك قد يهرب منها ويزوغ عنها، ولا يشاء أن يقارنَها في طريق، ولا يقودها، وتبقى باقية وهي على غاية الحيرة إلى أن

٧/ب

(١) ارسيجـانس: أو ارستجانس احد الأطباء اليونانيين، ذكره جالينوس وتناوله بالاستنقاص وله عدة كتب، القفطي: اخبار العلماء ص ٥٣، ابن ابي اصيبعة: عيون الأنباء ص ٥٨.

(٢) طيلانس: لم أجد له ترجمة.

(٣) في الاصل «تجاذب» وما اثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

(٤) في الاصل وردت كلمة «مجاذبة» مكررة بين كلمتي «مجاذبة» و«شديدة» ولا داعي لوجودها.

تنقضي أطوار من الزمان، وعند انقضائها تأتي بها الضرورة إلى المسكن الذي هو أولى بها»). ثم ذكر أفلاطن في هذا الكتاب[1] صفة أراضٍ نضرة منبتة أنواعا من الأشجار الطيبة الروائح، الحسنة المنظر، الرفيعة القدر، وبقاع كثيرة الأنهار الكدرة التي تحوى الطينَ ذا الروائح الكريهة، والأكوان الوعرة، تهوي إلى قعر الأرض، ونيران تسمى الجحيم، وذكر أن الأشرار فيها يُعَذّبون، والأخيار في تلك يُخَلَّدُون. وهذا من كتب فلاطن المشهورة (/). ٨/أ

وانما اقتصصت ما اقتصصته منها ليسمعه هذا السيّئ العقل، الرديء الحظ، المستخف بشرعه المباين أهل العقول والأديان بكفره، فيرجع عن جهله وعداوته، وأنا أزيده من أقاويل بقراط[2] وجالينوس[3] ما يزيده بيانا.

قال بقراط في كتابه «في كون الخبير مقرًّا بالله تعالى وبتكوينه للخلائق[4] قصداً»: ((«فإذا امتلأ من الريح صير الله للريح طريقا في وسط المني»)، وقال أيضا في «كتاب حبل على حبل» و«المولودين في سبعة أشهر»[5]: ((«فكثير منهم يحيون لأنه[6] الزمان الذي يخلق الله فيه الجنين في الرحم»)). وقال أيضا في كتابه الذي سماه «كتاب الوصايا»[7] قال: ((«وأي امرئ أعطاء الله علما

---

(١) اي الكتاب المتقدم ذكره وهو «الكتاب المنسوب الى فادن في النفس».

(٢) ابقراط أمام فهم مشهور وسيد الطبيعيين في عصره، لقب بأبي الطب، وهو سابع الأطباء الكبار المذكورين الذين أولهم اسقلبيوس، وكان من أعظم ما يذكر له نشره الطب بين عامة الناس وعدم حصره في بيت اسقلبيوس، متعهدا على كافة الاطباء بعهده المعروف، وله في الطب تآليف شريفة موجزة الألفاظ في جميع أنحاء الدنيا حتى نهاية العصور الوسطى. القفطي: اخبار العلماء ص ٦٤، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٥.

(٣) جالينوس: إن الذي قد علم من حال جالينوس، واشتهرت به المعرفة عند الخاص والعام في كثير من الأمم أنه كان خاتم الأطباء الكبار المعلمين وهو الثامن منهم، وأنه ليس يدانيه أحد في صناعة الطب فضلا عن أن يساويه، فقد جاء في وقت انمحت فيه محاسن الطب فانتدب نفسه لتقويمه وأيد وشيد كلام بقراط وآراءه. وصنف كتبا رائعة في الطب ظلت مصدرا من بعده مئات السنين لأهل الطب. القفطي: أخبار العلماء ص ٨٥. ابن أبي اصيبعه: عيون الأنباء ص ١٠٩.

(٤) لم اجد لابقراط كتاباً بهذا الاسم.

(٥) هذا الكتاب عنوان لكتابين من كتبه ذكرهما ابن أبي اصيبعة هما «كتاب في حبل على حبل». وكتاب في المولودين لسبعة أشهر. عيون الأنباء ص ٥٦.

(٦) وردت «لأن» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

(٧) لعله يقصد كتاب الوصية لبقراط المعروف بـ«ترتيب الطب»، ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء ص ٤٦.

يشفي به المريض وحباه بذلك»). وقال في كتابه في «الأيمان والعهود»[1]: («إني أقسم بالله رب الحياة والموت، وواهب الصحة وأقسم باسقلبيوس[2] وبخالق الشفاء وكل علاج »)، واسقلبيوس هو جده القديم في الطب. وقال أيضا: («وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعا»).

وأما جالينوس فإنه قال في تفسيره لهذا الكتاب ـ في تفسير الفصل الأول منه ـ قال: («فأما نحن فالأصوب عندنا والأولى أن نقول: إن اللهَ جلَّ وعزَّ خلق صناعة الطب وألهمها للناس، وذلك أنه لا يمكن في مثل هذا العلم الجليل أن يدركه عقل الإنسان، لكن الله هو الخالق الذي هو بالحقيقة فقه[3] كنه خلقه، وذلك أنك لا تجد الطب أحسن من الفلسفة التي ترون أن استخراجها كان من عند الله تعالى بإلهام منه»). وقال جالينوس في تفسيره للفصل الثاني من هذا الكتاب ـ قال: («بعد أن أَحْلَف بقراط من يتعلم صناعة الطب بالله تبارك (/) وتعالى، ويمن كان أول من استخرج صناعة الطب عاد فأحلفه بأولياء الله، من كان منهم يونانيا، ومن كان منهم من غير اليونانيين، ليكون كل واحد ممن يحلف إذا حلف بأولياء الله من عشيرته حفظ ما يحلف بسببه حفظا بالغا»). ٨/ب

وأما ما قاله جالينوس في كتبه في هذا المعنى فكثيرة، نذكر[4] منها يسيرا، قال في المقالة الخامسة من كتابه في «منافع الأعضاء»[5]: («وذلك أن بُعْدَ همتك وعنايتك لا يلحق بحكمة الخالق وببُعْدِ شأنه وعنايته»). ثم قال في

---

(١) كتاب الأيمان والعهود: وهو كتاب العهد، وضعه ابقراط للمتعلمين، ولمن يعلمونه أيضا ليقتدوا به، وأن لا يخالفوا ما شرطه عليه فيه. ن. م. س ص ٥٥. وقد ترجم حنين هذا الكتاب الى السريانية وترجمة حبيش وعيسى بن يحيى الى العربية. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠١.

(٢) اسقلبيوس: أول من ذكر من الأطباء، وأول من تكلم في شيء من الطب عن طريق التجربة. ولمعلومات اوسع انظر ابن النديم: الفهرست ص ٣٩٨، القفطي: اخبار العلماء ص ٧، ابن أبي اصيبعة: عيون الانباء ص ٢٩، ابن جلجل: طبقات الاطباء والحكماء ص ١١.

(٣) بالاصل وردت «فق» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.

(٤) بالاصل وردت «يذكر».

(٥) منافع الاعضاء: وهو سبع عشرة مقالة نقله حبيش الى العربية واصلاح حنين. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٥، القفطي: اخبار العلماء ص ٩١، ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء ص ١٤٠.

قول آخر بعد ذلك: («فإني أرى أن في ذلك كفاية في البيان عن آثار حكمة الله تعالى في الخليقة»). وقال في المقالة السادسة: («وخالقنا إذ هو حكيم لا يغيب عن حكمه شيء، فهو لم يخلق في شيء من الحيوان شيئا باطلا ولا جُزافا»). وقال في المقالة السابعة منه في خلق القلب وتجويفه الأيسر فيه، («فيجب (علينا)[1] الشكر له، إذ كان إنما لطف في ذلك، واحتاط فيه، حتى جعله على ما هو عليه، لكيلا تجمد الحرارة الغريزية»). وقال أيضا: («وهذا السر الذي أريد أن أخبرك به ليس دون تلك الأسرار، ولا ينقص عنها في الدلالة على حكمة الله وقدرته وعنايته»). وقال («وقد أشرفت من لطف الخالق وقدرته في هذا وغيره على أشياء أنا مقر أن طاقتي تقصر عن بلوغ ما يستحقه من الثناء والمديح على حسن تقديره لخلقة الحيوان وغير الحيوان»). وقالَ في التاسعة[2]: «لم يخلق الله شيئاً مما وصفنا باطلا ولا عن غير تعمد»). وقال في العاشرة: («وجميع ما وصفنا يدل على سابق علم خالقنا وحكمته العجيبة») (/). وقال: («فلما صحت عزيمتي على الإضراب عن شرح كذا وكذا تخفيفًا عن المتعلمين رأيت فيما يرى النائم ـ بإلهام من الله ـ طارقا طرقني يعذلني ويلومني، ويقول: لقد ظلمت هذه الآلة[3] التي هَيّأها الله، ووافقت[4] الخالق تبارك شرح هذا الفعل العظيم الذي يدل على غاية رحمة الخالق بالخلق»). فالحق آخر هذه المقالة ثم قال («أَمَرني واحد من الملائكة بعد ذلك بشرحها، وأنا منته[5] إلى ما أمرني به») وقال أيضا: («فالله يعلم أني ما أتزيّد فيما أقول ثم [أ] قسم[6] أني ما أتكلم الا بحق، ومن قبل أن يأمرني الله سبحانه بوضع هذا في كتاب قد كنت[7] عزمت على أن أطرح أكثره، وذلك لئلا يبغضني ويشنأني كثير من الناس»). وقال في الحادية

٩/أ

(١) وردت في الأصل «أن لنا» وما أثبتناه هو ما يستقيم به اللفظ والمعنى.
(٢) أي المقالة التاسعة من كتاب «منافع الاعضاء» لجالينوس.
(٣) يقصد بـ«الآلة» هنا صناعة الطب.
(٤) وردت بالاصل «وتآفقت» وما اثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.
(٥) *وردت بالأصل «منتهى»*.
(٦) وردت بالاصل «قسم» وما اثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٧) وردت بالاصل «لنت» خطأ.

عشرة: («ولا علم لي كيف يجوز أن أنسب من زعم أن هذا التدبير العجيب [و] الحكمة[1] الفائقة وقع كل ذلك بالبحث والاتفاق، ياهذا إن كان هذا مما يقع بالبحث والاتفاق فأي شيء يكون بالتعمد والعناية والقصد واللطف والحكمة»). وقال جالينوس [في][2] هذه المقالة مقرّاً بصحة ما قاله موسى عليه السلام وعلى سائر النبيين: («والذي هو أفضل وأصوب هو أن يقول في ابتداء خلق الخالق لجميع ما خلق على المذهب الذي يقول به موسى»).
ثم قال: («قف عند العلم والقول أحب أن تكون هذه الأمور على ما وصفنا لهذه الأسباب التي ذكرتها، ولا يتجاوز ذلك عن الفحص عن كيف كانت، فإن الفحص عن ذلك جرأة وتهجم وإقدام، فإياك أن تأخذ فيه ولا ترده، فإنه قبيح بك أن تقدم على الفحص كيف كانت أمور قد كنت أقررت بأنها كانت، ولا سبيل لك إلى العلم بذلك»). وقال في المسألة السابعة عشرة، وهي آخر مقالات (/) الكتاب: («وقد بلغ من حكمة القادر[3] وقدرته أنا ٩/ب نجده يخلقه وينميه ويغذي أضلاعنا ولا تكلف، فاذا كنا نجد في هذا الحيوان الذي قد بلغ من خساسته أن يتوهم المتوهم أنه إنما كان عن غير تعمد حكمة هذا مبلغها (فكان ينبغي بالأحرى)[4] أن يتوهم فضل حكمة البارىء وقدرته في أصناف الحيوان الجليلة القدر، فهذا أحد المنافع العظام (التي)[5] نستفيدها من علم الطب، أعني من طريق أنا محتاجون إلى الدلالة على قوة الله إن كان قوم يرون أن هذه القوة ليست بموجودة أصلا، فضلا عن أن يكون يُعْنَى بمصالح الحيوان»). وقال جالينوس أيضا في كتابه «فيما يعتقده[6] رأيا، وقد ذكره الله تعالى»[7]: («فإنه شفاه من علة موئسة، [8] فقال: ولذلك اعتقد

(١) وردت بالاصل «فالحكمه» وما اثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.
(٢) لم ترد «في» في الاصل واثبتناها هنا لأن ذلك يتطلبه سياق الجملة.
(٣) وردت كلمة «البرغوت» بين كلمتي «القادر» و«قدرته» ولا معنى لها.
(٤) وردت هذه الجملة مضطربة بالاصل فقد وردت «فكم بالحرى ينبغي».
(٥) وردت بالاصل «الذي» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٦) وردت في الاصل «يعتقدوه» وما أثبتناه هو الصحيح.
(٧) فيما يعتقده رأيا وقد ذكره الله تعالى: وهو مقالة نقلها ثابت الى العربية «ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٥.
(٨) وردت في الأصل «مؤيسة».

إعظامه وتبجيله، وأتبع في ذلك الشريعة والسنة، وأقبل ما أمر به سقراطيس من قول ما أمر الله به»).

فبدا ما ذكرناه من هذه الأقاويل الجليلة عن هؤلاء القدماء الأفاضل الذين يقرون فيها بالله تعالى وبرسله، وبالوحي، وبالثواب والعقاب، لم يشف بعد عمى هذا الشقي المغرور، ونحن نقول: إن ما أحضرناه كاف لمن آثر الحق ومال إلى الصدق، ولو رأيت أن الزيادة تنفع من لم ينتفع بما تقدم ذكره لزدت من أقاويل هؤلاء وغيرهم ممن هم في طبقتهم مثل فيثاغورس[1]، وافيقورس[2] وديموقريطس[3]، وزينون[4] وأمثالهم، ومن أقاويل أفاضل من (المُحْدَثين)[5] مثل الكِنْدِي[6]، وحسبك به جلالة وفضلا، فإنه قد أطنب في هذه المعاني، وخاصة في كتابه «في الفلسفة الخارجية في الرد على الثنوية»، ومثل

(١) وردت «فيراغورس: ولعله يقصد فيثاغورس الفيلسوف المشهور أول من تكلم في الفلسفة وكان بعد ابيذقلس الحكيم بزمان زار مصر وتعلم وأخذ الحكمة من حكمائها. ابن النديم: الفهرست ص ٣٤٢، القفطي: أخبار العلماء ص ١٧٠، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٦١ ـ ٦٢.

(٢) افيقورس: ولعله أفريديقوس السوفسطائي وهو من خيوس، وقد اعترض مع فيثاغورس على البلغاء واللغويين والنحويين وعنفوا المتشاغلين بها. المبشر بن فاتك: مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ١٧٩، وانظر حاشية «٨» عبدالرحمن بدوي: رسائل فلسفية للكندي والفارابي وابن باجة وابن عربي ص ٢٥٢.

(٣) لعله يقصد ديمقراطيس الطبيب اليوناني المشهور في زمانه الذي ركب لنفسه شرابا حفظ به مزاجه من الأمراض طول حياته، أو ربما قصد ذومقراطيس الفيلسوف اليوناني القائل بانحلال الأجسام الى جزء لا يتجزأ وله في ذلك تآليف نقلت الى العربية القفطي: أخبار العلماء ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٤) زينون الأكبر بن طالوطاغورس، كان مبدعا كامل الأدب شديد الحماسة خلف كتابا واحدا في علم الطبيعة. المبشر بن فاتك: مختار الحكم ص ٤٠.

(٥) وردت في الاصل «الحدث».

(٦) الكندي: أبويوسف يعقوب بن اسحاق. فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة باسرها، ويسمى فيلسوف العرب، ومصنفاته تربو على المائتين في علوم مختلفة وترجمته في أغلب كتب التراجم انظر: الفهرست ص ٢٤٠، ابن ابي اصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٨٥، صاعد: طبقات الأمم ص ١٣٤.

حنين[1] واسحاق[2] ابنه، وغيرهم من أهل العلوم العقلية، فإن حنين [أ] (على أنه)[3] ضد مذهب التوحيد (/) قد وضع مقالة في التوحيد، ووضع أيضا مقالة في صحة الرسل[4]، ولكن أكتفي بما ذكرته، لما فيه من توبيخ وتنبيه لمن يرجى له الفلاح والصلاح، وأما من لم يتنبه لما نبّهناه فليعدّ من المَوات، أو من البهائم التي لا يؤثر فيها التوبيخ والعتب، فقد قيل لبزرجمهر[5]: («ما بالكم لا تعاتبون الجهلة؟ فقال: لأنا لا نريد من العميان أن يبصروا»).

١٠/أ

ولنرجع اليك أيها المحب للأدب فنقول: إنه اذا صحت أمانتك بما تقدم القول به من الإقرار بالله جل وعز، ومن المحبة له، والاعتراف بحقه، والإقرار برسله، والتمسك برسائله، فعليك بالعبادة له بما يرضيه، ولن تقدر على ذلك دون أن تصلح أخلاقك، وتعدل أفعالك ولا يمكنك ذلك حتى تعلم أصول قوى النفس، وهي ثلاث قوى، كما بين ذلك القدماء من الطبيعيين والأطباء، فإن جالينوس قد شرح ذلك وكشفه في كتابه «في آراء

---

(١) حنين: أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي توفي سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م لاشتهاره في الطب والترجمة قصة روتها المصادر، على أنه اشتهر بالترجمة أكثر من اشتهاره بالطب، وكان يوثق بعلمه أكثر من تطبيبه على أنه أشهر مشاهير المترجمين في الإسلام، وله مصنفات رائعة في فنون مختلفة، انظر ابن النديم: الفهرست ص ٤١١. القفطي: اخبار العلماء ص١١٧، ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٥٧.

(٢) إسحاق: ابويعقوب بن حنين العبادي، وكان يلحق بأبيه في الترجمة وصحة النقل من اليونانية والسريانية، فصيحا بالعربية وله مجموعة من المصنفات أغلبها في الطب، على أنه اشتهر بكتب الفلسفة أكثر بكثير من كتب الطب. وكان آل حنين مدرسة متفوقة ومتميزة في الترجمة في تاريخ الاسلام. ابن النديم: الفهرست ص٤١٥، ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٧٤، القفطي: اخبار العلماء ص٥٧.

(٣) وردت هذه الجملة مضطربة بالاصل حيث وردت «وعلى أنه على».

(٤) ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص٢٧٣.

(٥) بزرجمهر ابن البختكان: بزر جمهر: ومعناه الشمس العظيمة، وقد أشاد الفرس بذكره، وهم كثيرا ما يروون عنه الأقاويل الحكمية والأمثال السائرة، وضربوا بحكَمِه المثل، وقد ولد في مرو من أعمال خوارزم في القرن السادس للمسيح، تعلم في بلده على أحد أساتذته وأخذ العلوم، استقدمه كسرى أنوشروان واستوزره ثم نكبه وحبسه حتى كف بصره، ثم أفرج عنه واسترضاه وبقي في منصبه الى أيام كسرى أبرويز الذي اتهمه بالزندقة فمثل به وضرب عنقه فكانت وفاته سنة ٦٠٢ لميلاد المسيح. المسعودي: مروج الذهب ج ١ ص٢٧٦، ابن النديم: الفهرست ص٤٣٨، حكم بزرجمهر مقالة مجلة المشرق ص٢٠٥ السنة السادسة سنة ١٩٠٣م.

بقراط وفلاطن»،[1] وفي كتابه «في الآخلاق»[2]، وفي مقالته التي بين فيها أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن[3]، وقال: («إن القوة الأولى من قوى النفس هي: القوة النفسانية، وهي التي تتم أفعالها بالدماغ، والقوة الثانية هي القوة الحيوانية، وأفعالها تتم بالقلب، والقوة الثالثة هي القوة الشهوانية، وأفعالها تتم بالكبد»)[4] ثم تعلم [أن][5] اعتدال هذه القوى في الإنسان (يجعل)[6] أخلاقه فاضلة ممدوحة، ونفسه طاهرة زكية، ولخروج هذه القوى عن الاعتدال تصير أخلاقه مذمومة، ونفسه رذيلة.

فاعتدال القوة النفسانية يكسب الانسان اللب والعقل، وجودة التحصيل والتمييز وصحة الفكر. واعتدال القوة الحيوانية يكسبه الهدوء والرزانة وقلة الحرد[7] (/) والغيظ. واعتدال القوة الشهوانية يكسبه العفة وضبطه لنفسه عن اتباع الشهوات واللذات. ١٠/ب

وبعد علمك بما ذكرناه يجب أن تروض نفسك وتعوّدَها هذه الخصال الثلاث، أعني العقل، والرزانة، والعفة لتصير فاضلا أديبا، وتنقي نفسك، وتصلح لاقتناء العلوم، واجتهد في الحذر من الوقوع في أمراض هذه القوى، فإن خروج القوة النفسانية عن اعتدالها هو مرض لها يوجب سوء التحصيل والجهل، وخروج القوة الحيوانية عن اعتدالها هو مرض يوجب سرعة الغضب والجزع، وخروج القوة الشهوانية عن اعتدالها هو مرض لها يُوجِب ألا يضبط

---

(١) كتاب في آراء ابقراط وفلاطن: نقله حبيش الى العربية وهو عشر مقالات، وغرضه فيه أن يبين أن افلاطن في أكثر أقاويله موافق لبقراط، وان ارسطو طاليس قد أخطأ فيما خالفهما فيه. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٤ ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص ١٤٠

(٢) كتاب الأخلاق: نقله حبيش الى العربية، أربع مقالات، وغرضه فيه أن يصف أصناف الأخلاق وأسبابها ودلائلها ومداواتها. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٥، ابن أبي اصيبعة: عيون الانباء ص ١٤٧.

(٣) كتاب في أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن: ترجمةُ اسحاق ابن حنين الى العربية وهو مقالة واحدة. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٥، ابن أبي اصيبعة: عيون الانباء، ص ١٤٧.

(٤) في أمر القوى الطبيعية انظر ابن سينا: القانون ج ١ ص ٦٦ ـ ٧٢، المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة ٤ «في ذكر القوى والأفعال والأرواح».

(٥) لم ترد «أن» بالأصل واضافتها اقتضته ضرورة استقامة الجملة.

(٦) وردت «تكون» وما أثبتناه هو ما يقتضيه سياق الجملة.

(٧) الحرد: أي الغضب. الرازي: مختار الصحاح مادة «ح ر د».

الإنسان نفسه أو ألا تقوى له شهوة.

واجتنب هذه الحالات الست، فإنها أمراض النفس يوجب لها الفجور والخبث والدناءة. وتعمد العدل، فإن فضيلته به تنزل النفس كل شيء منزلته، واستوص بوصية أرسطو طاليس للاسكندر، فإنه قال: ((لا تمل إلى الغضب، فإنه من أخلاق السباع والصبيان، ولا تفرط في الجزع على ما فاتك، فإن ذلك من خواصّ النساء الضعفاء، ولا تَمِلْ إلى النكاح، فإنه من خواصّ الخنازير، وهي أقوى عليه منك، وهو يهلك العمر. أصلح نفسك لنفسك فيكون الناس تبعا لك، وتمسك بالحرية فإنها فضيلة للنفس، بها تكون السماحة في البذل لاقتناء الحسنات، وكن شريف الهمة، فإن من شَرُفَت همتُه نال الخير والكرامة، ومن دنت همتُه نال الشر والهوان. انصرف الى تسديد رأيك ومَيِّز الخير من الشر برزانة، ليوجد منطقك سديدا، وفعلك حميدا، وتَوَقَّ القلق عند الغضب، والإفراط في العقوبة عند الأدب، واحذر اللّجاج (/) مع شراسة الخلق، فإنهما يدلان على الحمق. كن قوي النفس ١١/أ عند الأمور المفزعة، لا يتداخلك الرعب ولا من الموت. وكن مقداما شجاعا عند الاضطرار إلى المخاطرة، مُؤْثراً للموت المحمود على البقاء المذموم. استعمل الصبر، وتجشم التعب، ولا ترغب في الراحة واللعب. كن عفيفا دمثا شَكِلاً ذا وقار، لئلا تكون سخيفا زَرِيًّا ذا احتقار. أحرق الشهوات بنار الصبر، قبل أن توردك اللذات إلى عميق القبر، مع تمسكك بالعدل، فتمسك بسنن ملتك وبلدك، ولا تخرج عن إجماعهم، واحذر مخالفة الشريعة لئلا تكون عقوبتك قريبة سريعة)).

قال أرسطو طاليس ((أول العدل ما قضيناه من حق الله تعالى، وبعد ذلك ما يلزم أنفسنا من طاعة الملوك، وبعده الذي يجب علينا لأهل مدينتنا وبلادنا وآبائنا، وبعده ما نفعله مع سَلَفٍ منا، وفي ذلك رحمة هي جزء من العدل أو من لواحقه)). وقد يلحق العدل السلامة والصحة والأمانة وبعض السرور. كن ذا لطافة ورأفة ومروءة، فان ذلك من أخلاق الحرية، قال

اوميرس(١) الشاعر: (« لا ينالُ المراتبُ السنية بَخيلٍ، ولا يرتقى على الدرجة العليا إلا كريم، وَدَّ الأقرباء، وأحب الأخيار، وتحنَّن على الغرباء، فإن ذلك من فعال الأحرار الأدباء، ليست(٢) السعادة حب الكرامة والتفتق والتمتع باللّذات والسرور بالسلطنة، والغلبة عند المبارزة، فإن اعتياد هذه ومداومتها يزجى النفس، ولكن احتمال الشقاء، وقوة النفس عند الغضب، والاغتباط بالقناعة، جميع ذلك من السعادةِ وكبر الهِمّة والشجاعة»)(٣).

قال سقراطيس («فأرضِ الله دهرَك، واجتهد في ذلك مع موافقة (/) ١١/ب الجماعة، فإن العصمة بذلك مع العمل بالسنة ثم كن بعد ذلك مع والديك، كما تحب أن يكون معك بنوك، وكفى بهذه غاية وصفة لعظيم حقهما عليك إن كنت ترى لنفسك على ولدك(٤) حقًّا. إبطاؤك بالمؤاخاة أحسن بك من أن تؤاخي اليوم وتهجر غدا، فلا خير في سرعة المؤاخاة وتعجيل الصريمة، فإن كليهما من عمل أهل السخافة والطيش، واعلم أن مودة الأخيار دائمة زائدة، ومودة الأشرار سريعا بائدة. وأصلح من ميراث المال من الآباء وراثة الإخوان والأحباء. وعند الشدائد تُمْتَحَن صحة الصداقة كما يمتحن صحيح الذهب بالنار. اسبق بالجميل إلى أصدقائك قبل التماسهم ذلك منك، وخاصة إن عثر الدهر بهم. أودع الخيرات لأهل الصلاح والأبرار، ولا تثق عليهما بأهل الطلاح والأشرار. امقت المُخادع والمَلّاق، كمقتك الكذاب والسراق. كن سهلا خَلِطاً بالإخوان مُكْرِماً مُفْضِلاً على الجيران. اقترب ممن قرب اليك، واعف عمن جفا عنك، واعلم أن استقامة الأدب مع الحكمة خير من المال والسلطنة»).

قال أرسطو طاليس: («الحكمة رأس التدبير، وهي سلاح النفس ومرآة

---

(١) أوميرس: كان أقدم الشعراء اليونانيين وارفعهم منزلة عندهم، وكان زمانه بعد زمان موسى عليه السلام بنحو خمسمائة وستين سنة وله حكم كثيرة وقصائد حسنة جليلة، المبشر بن فاتك: مختار الحكم ص ٢٩ - ٣٠، القفطي: اخبار العلماء ص ٤٩.

(٢) وردت بالاصل «ليس» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

(٣) انظر ما قاله أوميروس في رسائل فلسفية للكندي والفارابي وابن باجة وابن عربي ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٤) وردت بالاصل «والدك» وما أثبتناه هو ما يستقيم به معنى الكلام.

العقل. اجتهد ألا تكون واعظا بجميل الأقوال، لكن تكون عظتك بجميل القول والفعال، لا تأخذن الحَدَث بصعب التأديب لكن دَرِّجْه الأدبَ بترتيب. لقح عقلك بالآداب كما تلقح الشجرة بالشجر الكراب(١). رض النفس بالحكمة لتدرك الحقيقة كرياضة الراضة للجسم لتصبر على المشقة، واعلم بأن الحكمة تُفْضِي بأهلها إلى مراتب عظيم فضلها، كما أن من ولي سلطانا وجب عليه أن يبعد الأشرار عنه، لأن جميع عيوبهم منسوبة إليه (/) كذلك ١٢/أ أنت أيها الطبيب يجب أن تبعد عنك الأشرار من الأصحاب والتلاميذ، فإن جميع ما يأتي (٢) من صحبك وخدمك منسوب إليك من قول وفعل، واعلم أن الفقرَ مع الحلال أصلح من الغنى مع الحرام. والذِّكْرَ الحسنَ مع بقائه خير من نفيس المال مع فنائه، وأيضا فإن المال قد يوجد عند السفهاء(٢) والجُهّال، والحكمة لا توجد إلّا عند أهلِ الفضل والكمال. اجتهد في أن يكون سرورُك وحزنُك جميعا متوسطا، وكن على ما زاد منهما متسلطا، وتأمل حال النفس الموسطة للأخلاق»).

من هذا القول الذي أحكمته لك من كلام جالينوس في أول المقالة الثانية من كتابه في «المِزاج»(٣) فإنه قالَ بعد أن وصف حال المزاج المعتدل هذا القول - قال: («فهذه حال الإنسان الذي هو من أعدل الناس مِزاجاً في بدنه، وهو أيضا في نفسه متوسط بالحقيقة فيما بين الشجاعة والجبن، وبين البطيء المتأخّر، وبين العَجُول المُتَهِّور، وفيما بين الرحيم وبين الحسود، ومن كان كذلك فهو طيب النفس، محب متحبّب، متوَخٍّ لمحبة الناس دَمِث. وإذا كنت مجتهدا على أن تخفي مالك في بيتك فاحذر أن تخفي حالاتك في نفسك. اجتهد أيها الطالب للحكمة والأدب في إصابتها من كتب أهلها، والتقط

---

(١) الشجر الكراب: لعله يقصد الشجر القوى الوثيق. انظر، ابن منظور: لسان العرب ج ١ ص ٧١١ كلمة «كرب».

(٢) وردت في الاصل «السفا»

(٣) كتاب المزاج: نقله حنين بن اسحاق، وهو ثلاث مقالات، وصف في المقالتين الأولين أصناف مزاج أبدان الحيوان، وذكر في المقالة الثالثة منه أوصاف مزاج الأدوية وبين كيف تختبر، وكيف يمكن تعرفها. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٣، ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٥.

ألفاظهما ومعانيهما كما تلتقط النحلة (ما)[1] يلائم عملها من جميع الشجر، وتعمل منه ما يصلح للبناء بيتا، وما تَغْتَذِي به ـ وهو العسل ـ تَدَّخِرُه محفوظا»). فتأدَّب بما قدمنا ذكره من هذه الوصايا والجُمَل، ففيها كفاية للنفوس المشعوذة، ثم انصرف الى الاهتمام بما يصلح جسمك، ويحفظ صحته، فإني ذاكر جمل ذلك في الباب الثاني من هذا (/) الكتاب، وهو الذي ابتدئ الآن، فتدبره حسنا. ١٢/ب

(١) وردت «مالا» خطأ فحذفت «لا» ليستقيم المعنى.

الباب الثاني

في التدابير المصلحة للأبدان وبها يصلح الطبيب جسمه وأعضاءه[1]

أقول ـ والله المعين ـ إن الخالق تعالى لمّا شاء إظهار حكمته وقدرته، جعل كل مخلوق محكما، وجعل الأدلة في المخلوقات على إحكام خلقها. وقدرة خالقها تبارك[2] كثيرة جدا، من ذلك ما جعل لبعضها من الاتصال الطبيعي ببعض، وما فضّل بعضها على بعض، وما رَتّبها بذلك مراتب مختلفة، ليأخذ من نوره، ويقبل من حكمته بحسب ما لها من شرف المنزلة، فأعطى تعالى الناميات من القوى الأربع التي بها تتغذّى وتُنمّى ليتم لها البقاء بنوعها ما لم يعطه للجمادات. ووهب تعالى للإنسان من نوره نفسا علامة عاقلة مميزة ما لم يعطِ ذلك لغيرِه من الحيوانات، فالإنسان لذلك هو أتم أنواع الحيوان وأكمله، لأنه من جسم حي، ومن نفس ناطقة، ولأن النفس الناطقة هي المتممة لنوع[3] الانسان، وأفعالها بجسمه تظهر، فلذلك بنى جسمه بناءً يلائم قُواها، كالذي بنيت عليه أجسام سائر الحيوان، من الملائمة لقوى نفوسها، فما كان منها شجاعا محبا للغلبة والقتال بنى لنفسه جسما يصلح لهذه الأفعال، كالضبع والنمر والذئب وأشباه هذه، وما كان منها جبانا خلقت

(١) في هذا الكتاب يتحدث الرهاوي عن موقف الطبيب العلمي، وما يجب أن يكون عليه من العلم والدراية والإتقان العلمي لجميع أبواب الطب المختلفة. وهذا ما هو موجود بالتفصيل في كناشات الطب لكثير من أطباء المسلمين المشاهير امثال ابن ربن الطبري، والرازي، وابن سينا، وعلى بن العباس المجوسي، وأبوالقاسم الزهراوي، وابن النفيس وعبداللطيف البغدادي وامثالهم كثير.

(٢) وردت كلمة «تبارك» مكررة.

(٣) وردت في الاصل «لأنواع» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

له الة تصلح للهَرَب، كالأرنب والثعلب وأشباه هذه من الحيوانات، فلذلك بنى جسم الإنسان أيضا بناءً يلائم نفسه، فنفس الإنسان، لما كانت أصفى النفوس وأعدلها، بنى لها جسما أكمل الأجسام أعضاء، وأتمّها هيئة، وأعدلها مِزاجا، لتكون (/) أفعاله تامة كاملة متقنة، ككمال نفسه وتمامها وشرفها. ١٣/أ

وأيضا لما كان البَدَنُ آلةً للنفس، وكانت أعضاء البدن مخلوقة لنفس الحيوان بحسب قواها، وكان لكل حيوان من الحيوانات عمل يخص ذلك النوع من الحيوانات، لا يقدر على غيره، وأعضاؤه كلها مرافد بعضها بعضا في مصالحه، وفي إكمال ذلك العمل، كالذي نجده من عمل الزنبور والنحل والنمل، لثبوتها كل واحد بحكم ثبوته، وبشكلها بغير تشكيل الآخر، ولكن بحسب ما يُلائم مصلحته، وكنَسْجِ العنكبوتِ لبيته[1]، ودود القَزّ، وما سوى ذلك من الحيوان، وكان الإنسان لشرف نفسه ولكمالها، ولقوة عقله على العلم بجميع المِهَنِ والصنائع، وأن الحكيم جل ذكره أراد إظهار ما في قوة نفس الإنسان إلى الوجود بالفعل ـ خلق أعضاء جسمه أكمل وأتم، ليقدر على جميع ما يعمله الحيوان طبعا بعقله، فخلق تبارك له اليدين ليقدر بهما على عمل ما دَقَّ من المِهَنِ وما جَلّ، وليتخذ بهما أنواع السلاح كالسيف والرمح والنشّاب والتُّرسْ، ويروض الخيل ليركبها، إذ كانت هذه الأشياء متفرقة في الحيوانات، كالذي يوجد من الأنياب للخنزير ليعمل بها، فيقطع ما أمكنه قطعه، كقطع السيف، وكرمي القنفذ بشوكه كرمي السهم، وكالقُرون والمخاليب (والجُنَن)[2] لسائر الحيوان، وليست توجد أمثال هذه مجموعة كاملة إلّا للانسان وحده، لأنه بعقله يلتمس الأعمال ويقومها، والحيوان فإنما عمل واحد يعمله بطبعه، ألا ترى أن الحيوان لّما كان بأسره مضطراً في البَقاء إلى (/) المأكول والمشروب، والمكان، والستر من الحر والبرد، والتناسل ـ صار بطبعه يتخذ له الأعشاش والبيوت، وبطبعه يعرف أنواع أغذيته الموافقة له في بقائه لا يعدلها، ومشروبه لا يتعـداه، ويزاوج الذكور من كل نوع إناثه للنسل، لا يتجاوز ذلك، ١٣/ب

---

(١) وردت في الاصل «لأبيته» خطأ وما أثبتناه هو الصحيح.
(٢) الجُنَنِ: جمع جُنَّه، وهي كل ما يقي من الأذى. ابن منظور: لسان العرب ج ١٣ ص ٩٤.

وبعضه في أوقات من الزمان لا يريده، وما لم يقدر عليه من مصالحه بطبعه خلقه الله تعالى له لطفا به، لئلا يهلك كالأصواف والأوبار والريش والجُنَنِ التي هي كساء له ساترة من الحر والبرد.

وأما الإنسان العاقل فلما وهب الله له تبارك وتعالى ما هو أشرف من الطبع، وتُوِّج بالأمور الزمانية السالفة اللائقة، وصار يعلم ما يصلحه له أن يتصرف بعقله فيما يختاره من اتّخاذ الأبنية والكساء وأنواع الأغذية والأشربة، وله أن يقاوم بعقله المضار والمُؤذيات الطبيعية والاختيارية جميعا، وذلك أن اللذة مقرونة بالأمور الطبيعية، خلقها الخالق تعالى بحكمته في الأمور المحسوسة والحواسّ ليشتاق الحيوان إلى ما يلتذ به فيستعمله، ولولا ذلك لم ينسل الحيوان ولم يبق. ولما كان الطبع يلتذ ويشتاق إلى اللذات، ولم يكن لأنواع الحيوانات عقل يقدر له الأمور اللذيذة ما يكفيه ـ لطف له الخالق تبارك بتقدير ذلك له طبعا، فلا يأخذ من كل لذيذ الا ما يصلحه ويكفيه، ولذلك عدمت اكثر الحيوانات أكثر الأمراض التي تعرض للانسان.

فأما الإنسان فلأ[ن][1] له عقلا يقدر أن يميز به لطبعه الضار من النافع ويقدر له من (/) الأغذية والأشربة وسائر ما هو مضطر إليه الكافي، فلذلك ترك وطبعه، فإن تبع ما يأمره به عقله من استعمال الأشياء، واتّخاذها للذّاتها، ولم يتق ما يتبع اللذة من المضار والآفات دخلت عليه الأمراض والأعراض، ولم يُؤْمَنْ عليه الهلاك، لأنه يكون في ذلك دون البهائم، لما لم يجعل لها عقل يقدر به ـ كما قلنا قبل ـ صار لها التقدير طبعا، فهي بذلك أصلح حالاً وآمن، خير ممن لا يتأدب بعقله. فأما من تدبّر بعقله الأمور، وتبع ما يأمر به عقله وشرعه، وسلك في طرقها ومذاهبها فهو الفاضل الأديب، وهو الإنسان بالحقيقة.

١٤/أ

ولما اختلفـ[ـت][2] طبائع الناس لاختلاف أمزجتهم احتاج العقل أن يضعَ

(١) وردت في الاصل «فلا» والزيادة للتصحيح.
(٢) وردت في الأصل «إختلف» وما اثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

لكل ما خالف الامر المعتدل ما يَرُدَّه إلى الاعتدال، وما يضعه العقل من ذلك على ضربين:
أحدهما: تعليم ما عَدَّل أخلاق النفس.
والآخر: ما عَدّل مِزاج البدن.

فأما تعليم ما عَدّل أخلاق النفس، وأكسبها الفضائل، وهَداها سبيلَ الحق لتَزْهَد بذلك فيما يأمرها به الطبع، من اتّباع اللذات (المؤدية)[1] إلى سبل الشر والرذائل، فهو التعليم العقلي، والتأديب الذي به ينتقل الإنسان من الأخلاق البهيمية إلى الأخلاق الشريفة النفسانية، وهذا المكتسب من التأديب إذا رسخ وثبت في النفس الإنسانية بالعادات التي يوجد الإنسان بها منذ صباه.

والتَّأَدُّب الذي يؤدبه أهل الآداب يسميه القدماء عَقْلاً مكتسبا، ومنزلته من العقل الكُلِّيِّ منزلة شُعاع الشمس من الشمس، فكما أن بضياء الشمس يستنير الهواء، وبوقوعه على المحسوسات تدركها الحواس، كذلك بما للنفس من ضياء العقل الكلي تقبل التأديب، وتتصور ما يصور (/) لها فيظهر نورها ونهارها، وكلما زاد نورها استنارت[2] من العقل نورا تستضيء به، وتفتش عن الفضائل والعلوم، فيكون بذلك الإنسان عالما أديبا، يتبع علمه ويقتدي به. ١٤/ب

ومن علم بأن الله تعالى قد خصّه بجزء من ذلك، وأقدره على أن ينفع به غيره، فقد وهب له نعمة لا تَنْفَد[3] ولا تبيد، وقد وجب عليه ألا يفتر طرفة عين عن شكر المنعم عليه، وأن يتيح تلك النعمة لمن طلبها، وينعم عليه بإخراجه وإنفاذه[4] من لجج ظلمات الجهل الميت، إلى علو نور العلم المحيي، فإن من أدَّبَ نفسه فقد اكسبها حياة دائمة، وإلى الله نبتهل في إحياء نفوسنا بإحسانه، وله [الـ]ـشكر[5] أبداً دائما.

---

(١) وردت في الاصل «الموذيتها» خطأ وما اثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.
(٢) وردت في الاصل «استمارت» خطأ.
(٣) وردت في الاصل «تفند».
(٤) وردت في الاصل «واستنقاذه» وما أثبتناه هو الأفضل.
(٥) وردت في الاصل «شكر» وما أثبتناه هو ما يستقيم به السياق.

وإذا كان هذا الضرب الأول من تعليم العقل وتأديبه للطبع فقد ذكرنا منه فيما تقدم جملا مسوقة للأحداث إلى التعليم والتأديب، وسائقة لهم إلى منافعهم في دنياهم مدة بقائهم، وفي آخرتهم بعد موتهم، فقد آن لنا أن نذكر الضرب الثاني من التعليم العقلي، وهو المعدِّل لِمزاج البدن، والحافظ عليه صحته، ليكون بذلك هذا التعليم تاما، والغرض الذي قصدنا نحوه في كتابنا هذا كاملا، وأنا أذكر الممكن ذكره من هذه [1] الجمل بطريق مرتبة، ومقاصد سهلة، وبألفاظ مألوفة، وعبارة معروفة، ليقرب على مُحبِّ الأدب والتعليم غرضَه، ويُسهِّل عليه مطلبه، وبالله أثق وأستعين، فأقول:

إن التعليم الثاني الذي نصبه العقل ووضعه لتقويم الطبع وإصلاح الإنسان هو ما عدل جسمه، وأكسبه صحة، أو ما حفظ على الجسم صحته، وهذا التعليم والعمل به هو المسمى، «صناعة الطب» وهي التي وهَبَها البارىء تعالى للعقل، فنصب العقل للعقلاء أصولها، وعلمهم استخراج (/) فروعها بطريقين، هداهم بهما سبلها وهما: طريق القياس، وطريق التجربة. فبهذين الطريقين جميعا - مجموعين - استخرج علماء صناعة الطب علمها، ووصلوا إلى أعمالها. وإذا كان قد اتضح لك أيها المحب لتعلم صناعة الطب أصول طرق التعاليم التي نصبها العقل للعقلاء، وانكشف لك منها جمل، فارجع بنا إلى بسط التعليم الثاني، وهو المصلح للجسم، فإني أحدثك في طريق سهل المرام، واضح المسلك، قد (سبقنا)[2] من تقدم من العلماء بتوطئته، وأبان له سبله.

١٥/أ

وأول المبادىء لهذا الطريق لمن أراد تعديل جسمه أن يتفقد أفعالَه إذا رام أعماله، فإن وجَدَها جارية مجاريها، ولن يتعذر عليه فعلٌ ما، ولا عملٌ من أعمال جسمه، فليعلم أن جسمه صحيح لا مرض به، وكذلك ينبغي أن ينظر في أمر عضوٍ عضوٍ من جسمه، فإن العين خلقت لتبصر المبصرات من الألوان والأشكال وغيرها، فإن وجدتها تدرك مبصراتها بلا عائق ولا تقصير

(١) وردت في الاصل «هذا» وما أثبتناه هو ما يستقيم به السياق.
(٢) وردت في الاصل «شعفنا» خطأ وما أثبتناه هو ما يستقيم به معنى الجملة.

قيل لها: صحيحة، وإن قَصَّرت أو لم تبصر قيل لها: مريضة، أو عادمة الإبصار، وكذلك القول في سائر أعضاء البدن، وفي جملة البدن، ثم بعد العلم بالصحة وبالبدن الصحيح يجب أن تعلم بماذا يحفظ البدن على الصحيح لئلا تزول عنه فيقع في المرض.

ثم يتبع هذا التعليم الثاني بتعليم ثالث، وهو أن يعلم المريد إزالة المرض (عن)[1] الجسم إذا حل به المرض: ما هو المرض؟ وأي الأمراض هو؟ وكيف يزا ل؟ وبأي الأشياء والتدابير يُزال؟ ويحتاج بالضرورة إلى علم جميع ذلك من رام علاج الأمراض، ولأنه ليس غرضنا فيما نذكره هاهنا شيئاً من هذا الفن، فلذلك لا نذكر شيئاً منه من هذا العلم التعليم الثالث شيئا، إلا ما جرى بطريق العرض في فروع (/) الكلام، ولكني أقول: إن ما أذكره في هذا الباب الثاني من هذا الكتاب، من حفظ الصحة، وتعديل الجسم بالأغذية والأشربة والتدابير، وتعريفي جملا من تقدير هَذه على طريق القانون العام فإنه ينبه ذا اللب والفطنة إلى معرفة أصول تدابير المرض، وجمل ينتفع بها في علاجهم، وهو أيضا يحث المتعلمين على طلب معرفة الأمراض وما يعالجون ويدبرون به المرضى.

١٥/ب

فلنرجع إلى غرضنا فنقول ـ لمن علم أن بدنه صحيح ـ: إن أول ما ينبغي لك أن تعلمه في حفظ صحة بدنك أن تعلم بماذا يحفظ الصحيح، لتقدر على حفظ صحتك، ومن ذلك بالضرورة تعلم بأي شيء تجتلب الصحة إذا فقدت.

فأعلم الآن أن الصحة تحفظ بما شابهها، لأن الشبه يحفظ شبهه، ولذلك يكون اجتذابها[2] بما يضادها، لأن الضد ينفي ضده، ولا يغلطك ما تراه من أمزجة حارة مثلا بأشياء باردة، وأمزجة باردة تصلح بأشياء حارة، فإن ذلك علاج مرض لا حفظ صحة، ولأن الصحة هي الطبيعية للبدن، لأنه لا يقصد بخلقه إلّا ليكونَ صحيحا.

---

(١) وردت في الاصل «على» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.
(٢) وردت في الاصل «اجتدابها» خطأ.

وقد ذكرنا معرفة ما الصحةُ قبلُ[1] باختصار، فيجب أن نجمل القول فيها، ونصفها بما حدّها به قدماء الأطباء فقالوا: إن الصحة هي: حالة طبيعية للجسم يتم له أفعاله بها. ولما كانت أفعال الجسم كثيرة[2]، لأن عددها مساوٍ لعدد أعضاء الجسم الآلية، وجب أن يكون كل فعل من أفعال آلاتِ الجسم إنّما يتم بصحة تلك الآلة، كالذوق الذي لا يتم إلا مع صحة الفم وآلاته، وكذلك البصر وسائر الأفعال.

وأعضاء البدن الآلية، أعني التي هي آلات لأفعاله، يتمّ صحتها (/) ١٦/أ بثلاثةِ أشياءَ: أحدها: اعتدال مِزاج العضو. والثاني: اعتدال هيئته. والثالث: اعتدال اتصاله.

ويجب أن يعلم أيضا أن اسم المِزاج يعم ثلاثة معان:

أحدها: اعتدال يتساوى فيه الأُسْطُقُسّات في البدن، فيكون فيه من الحار مثل ما فيه من البارد، ويكون فيه من الرَّطْب مثل ما فيه من اليابس. وهذا مِزاج لا يمكن وجوده حِسًّا بل وهما، لأن الجسم لا يمكن أن يبقى طرفة عين بحالة واحدة، لكن تغيره واستحالته دائمة.

والصنف الثاني من الاعتدال هو ما قرب من هذا الأول وداناه، وهو أيضا قليل الوجود.

فأمّا الصنف الثالث، وهو الكثيرُ الوجود، فهو الذي بالحقيقة مائل إلى أحد الأربعة الأمزجة المركبة، أعني الحرارة مع اليُبْس، أو إلى الحرارة مع الرطوبة، أو إلى البرودة مع الرطوبة، أو إلى البرودة مع اليُبْس[3]، إلاّ أنه مع ذلك صحيح الأفعال، لا يُذَمّ منها شيء، فلذلك يسمى معتدِلا، ولذلك يجب أن يكون حفظ الصحة لكل واحد من هَذه الأمزجة لا يتمُّ إلاّ بعد معرفتها بمقادير ما لها من كل كيفيتين من هذه المِزاجات، وبعلامات صنف

(١) وردت في الاصل «قبيل» وما اثبتناه هو ما يستقيم به لفظ الكلمة.
(٢) وردت في الاصل «كبيره» وما اثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.
(٣) وهذه هي العناصر أو الأركان، وطبيعة كل واحدة منها كما قال بذلك فلاسفة وحكماء اليونان، انظر الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص١٤٢، ابن سينا: القانون ج ١ ص ٥.

منها يعلم ما بها تحفظ، وبجميع كميات ذلك وكيفياته، وأماكنه وأزمنته، وغير ذلك مما قد شرحه قدماء الأطباء في كتبهم. فاعلم ذلك.

وينبغي أن يكون حاضراً لذكرك أيضا أن عملك إن كان في شخص من الأشخاص، وكانت الأشخاص مختلفة الأمزجة، وصحة كل واحد منها يخص مزاجه، ولكلٍّ مِزاج علامات تخصه، وتدابير توافقه، فيجب لذلك أن يتدرب ويرتاض في معرفة الحدس الصناعي الذي به يصل إلى التقدير، ولن يصل إلى ذلك إلا بإحكام علم القوانين النوعية، فإن (/) أفنيت علم الأصول ١٦/ب والقوانين، وتَدَرَّبت بالحدس، فخذ بنا الآن في الكلام في الطرق الجزئية[١] التي ينبغي أن يسلكَها حافظ الصحة على بدنه.

وأولُ من يجب أن يعلمَ هذه الطرق يقينها، ويعمل بها هو الطبيب، لأنه من أقبح الأشياء أن يرى العاقل من الناس أن مصلحته في شيء وهو يعمل ضدّه لشره إلى لذةٍ ما، أو لهو آخر غير ذلك، وبعد إحكام الطبيب لما ذكرناه من جمل الأصول وفروعها، فيلزمه أن يعلم أن الأبدان لا تثبت على حالة واحدة، لسرعة تغاير الأزمان لها، وتَبدّل أمزجتها، فالأبدان لذلك تتحلل[٢] دائما وتنقص، فلذلك هي محتاجة إلى ما يُخْلِف عليها عوضاً لما تحلل منها، والمُخْلِف عليها ذلك هو الغذاء، ولأنه لا سبيل لنا إلى أن نورد إلى أجسامنا مثل ما تحلل منها، سواء في مشابهته ومقداره ـ لأن ذلك من أعمال الطبيعة ـ فلذلك وجب علينا ألّا نورد إلى أجسامنا ـ ونحن نريد أن نغذوها ـ ما بَعُدَ عن مشابهتها بُعداً كبيرا، لكن نجتهد في أن يكون ما نورده من المأكول والمشروب أشدها مشابهة لأجسامنا، وأقربها من نوعها، وأسرعها استحالة[٣] إليها، وبغير شكّ أنه من لم يُحْكِم معرفة مِزاج جسمه، ويُحْكِم معرفة أنواع

---

(١) وردت «الجريه».

(٢) وردت «تحل» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

(٣) الاستحالة: تعني عند الحكماء والاطباء استبدال حال الشيء في ذاته، أو صفة من صفاته، لا دفعة واحدة بل يسيرا يسيرا، الامدي: المبين في شرح معاني الفاظ الحكماء والمتكلمين، الكلمة رقم ١٣٦ ص ١٠٠. وعرفها الخوارزمي بقوله: ان يخلع الشيء صورته، ويلبس صورة أخرى، مثل الطعام الذي يصير دما في الكبد. مفاتيح العلوم ص ١١٤.

المأكولات والمشروبات، ويعلم مقدار مزاج مزاجٍ من جميع ذلك أنه لا يقدر على معرفة ما يحفظ صحته من الأغذية والأشربة، ولا يحسن تقدير ما صلح منها لنفسه ولا لغيره، وأيضا فإذا كانت المأكولات والمشروبات القريبة الشبه لأبداننا الموافقة لأمزجتنا، ولو أنه على غاية ما يمكن من المشابهة، ولا تغذو أبداننا، ولا تلصق بأعضائنا، الا من بعد طبخ أعضائنا لها ونضجها، وبعد تميز الطبيعة لها، لتدفع إلى كل عضو ما (/) يشاكله ويشبهه، فلا بد من فضلات[1] لا تصلح لتغذية الأعضاء، فيجب بروزها، فلذلك أعد الباريء تعالى في جسم الإنسان مواضع يجتمع فيها، وطرقا تبرز منها، لئلا تفسد بكثرتها وطول مقامها، لذلك صار واجبا على حافظ الصحة أن يتفقد [2] هذه الجوائز والطرق: هل أفعالها جارية على الأمر الطبيعي؟ وهل هي في خدمتها لطبيعة ذلك البدن على ما ينبغي أم محتاجة إلى معاونة من خارج؟ فإن من أفعال الطبيب تَفَقُّدَ ذلك، وإعانة الطبيعة بجميع الوجوه على إخراج ما كثر، وإصلاح طرقها بحسب طاقته. ١٧/أ

فقد بان إذَن مما قلناه أن الطبيب يلزمه العلمُ بما يورده إلى البدن بنوعه وبسائر حالاته وإصلاحاته، وبالحالات التي بالطريق التي يرد فيها، وبإصلاحاتها، كالذي ذكرناه فيما يبرز من البدن.

وقد بين القدماء من الأطباء أن الغذاء إذا ورد إلى المعدة فإنه ينطبخ فيها طبخاً أولَ فإذا جذبت الكبدُ إليها صفوته بالعروق المسماة الماساريقي[3] - وتفسيرها المصافي - فإن الثُّفْل الذي يبقى يترك في الأمعاء [4]، ويجتمع في المِعَىٰ الأعور، ثم يبرز بآخره [5]، وأن الصافي النافذ إلى الكبد ينطبخ أيضا فيها طبخا ثانياً، وبعد إنفاذها إلى الأعضاء ما يصلحُ لكلٍّ واحدٍ منها، بقي

(١) وردت «تفاضلات» والصحيح ما أثبتناه.
(٢) ورت «يعتقد».
(٣) الماساريقي: سماه ابن سينا الماساريقا. القانون ج ٢ ص ٣٧٣.
(٤) وردت «الامعا».
(٥) ما أورده المؤلف هنا من معلومات عن طريقه هضم الطعام وإخراجه مرتبكه والصواب كما هو معروف غير ذلك. ولمعلومات أولية ومبسطة عن طريقه هضم الطعام واخراجه انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٩٨.

منه فَضَلات تنفذ الى الكُلىَ، ثم إلى المثانة، ثم يبرز بالبول، ومايرد إلى عضوٍ عضوٍ ينطبخ أيضا طبخاً ثالثا في ذلك العضو قبل أن يتشبه به، ثم يلصق بالعضو ما شابهه، وما لم يشابهه برز عنه بالعروق والتحليل الخفي عن الحس.

وإذا كان ذٰلك كما قلنا فالواجب على الطبيب أن يتفقّد ما يخرج ويبرز، بنوعه وكميته وكيفيته ووقته، وأن يعين الطبع على بروز ما يبرز بالرياضة الـدلك (/) والدهن، ولكل واحدٍ مما ذكرناه أنواع مختلفة، تفعل أفعالاً ١٧/ب مختلفه، يصلح كل صنف منها لبدن من الأبدان، وفي زمان ومكان، وبحسب حال ليس هو للأبـدان الأخرِ، فاجتهـد أيها الطبيب في معرفة ذلك، وأتقن علم أصـول ذلـك من الكتـاب الـذي ألفـه معلمنـا جالينوس في «تدبير الأصحاء»[1] وهو ست مقالات.

وأيضـا مما ينبغي أن نذكره قبلَ ذكر التدابير المصلحة للأعضاء، وواجب على الطبيب علمه، هو أن الأعضاء على ضربين، منها ظاهر للحس كالعينين واليدين والرجلين، ومنها باطِنَة كالمَعِدة والرئة والكبد. وأيضا من الأعضاء أعضاء رئيسية، هي أربعة: الدماغ، والقلب، والكبد، والأُنْثَيان[2]. ويجب ألّا يهمل تفقد صنفٍ صنفٍ منها، ولكن تكون العناية بتفقد الباطنة منها أوكد، لاستتارها عن الحس.

فلنأخذ الآن في ذكرها، ونذكر تدابيرها ومصالحها التي لا يسع الطبيب الجهل به، لا في نفسه ولا في غيره. ولنبدأ منها بالأشرف، ثم نتبع ذلك بالقول في عضوٍ عضوٍ على ترتيبٍ بعون الله وتوفيقه.

---

(١) كتاب تدبير الأصحاء: نقله الى العربية حبيش وهو ست مقالات. ابن النديم: الفهرست ص٤٠٣.

(٢) في الأصل الأنثيين: *وهما الخصيتان بالنسبة للرجل، والمبيضان بالنسبة للمرأة. ابن سينا، القانون* ج ١ ص٥٠، *ابن القف: العمدة في الجراحة* ج ١ ص١٢٣ ـ ١٢٤.

القـــول في الدماغ ومصالحــه[١]

أبدأ بالعناية بإصلاح الأمور الحافظة للدماغ أولا، لأنه مُقدّم في الشرف والأفعال الحيوانية والإنسانية.

أما فعله النافع العام لسائر الحيوان فهو الحس وحركة الانتقال، ولولا ما يثبت من الدماغ من الأعصاب التي ترد فيها القوى الحساسة المحركة إلى الحواس والأعضاء المتحركة لما أحس الحيوان، ولا انتقل من موضع إلى موضع.

وأما فعل الدماغ النافع للانسان خاصة مع تلك الأفعال فهو أنه به (/) ١٨/أ يتم التمييز والحفظ والذكر والتَّخَيُّل، وليست هذه الأفعال تامة كاملة إلّا للإنسان الذي هو النوع التام الكامل، الذي خصه الله تبارك وتعالى بأعدل الأمزجة بإضافته إلى سائر أنواع الحيوان، فلذلك قيل: إن مزاج دماغه أعدل من سائر أدمغة الحيوانات، ولذلك أيضا قيل: إنه صار مَحَلّاً لقُوَى النفس الناطقة الإلٰهية الشريفة، التي خص بها نوع الإنسان، فصار نوعا شريفا، يعلم بها العلوم، ويستخرج بها دقيق المهن ومحاسن الصنائع.

وإذا كان هذا العضو هذه أصول منافعه وجمل أفعاله فواجب على كل عامل أن يعنى بحفظه، لأنه للجسم ولسائر أعضائه بمنزلة ما الملك عليه من التدبير والاهتمام بمصالح سائر من في ملكه ومدينته، فكما أن الملك إن أغفل تمييزه، وقلَّ اهتمامه بأمر خواصه وعوامه فسد حالهم وحاله، كذلك

(١) الغالبية العظمى من كتب الطب والفلسفة عند العرب والمسلمين تناولت بالدراسة الدماغ البشري في أقسامه، وكيفية عمله، وأثره في الجسم، تشريحه وأمراضه، وتطبيبه، وهي أكثر من أن تحصى في هذه العجالة. انظر ابن سينا : القانون ج ٢، المجوسي: الكامل في الصناعة الطبية، رسائل الكندى الفلسفية، عيون الحكمة لابن سينا . رسالة في العقل وماهيته لهبة الله بن ملكا، الرازي: رسائل فلسفية، ابن سينا ، رسالة في العقل، الفارابي: رسالة في العقل، الكندي: رسالة في العقل، كيفية الدماغ، الرازي: المنصوري، المحاسبي، ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه، يعقوب الكشكري: كناش في الطب مخطوط.

الدماغ، إن تغير مِزاجه، أو ساءت حاله، وفسد تمييزه بمرض من الأمراض، اضطرب سائر الجسم، وفسدت حالاته. ولا يقدر على حفظِ الدماغ إلّا من عرف مِزاجه وطبعه، وكذلك يجري الأمر في أمر حفظ سائر الأعضاء، فعليك أَيُّها الطبيب أن تعنى بعلم[1] مزاج الانسان، وتميزه من أمزجة سائر الممتزجات، ثم تعنى أيضا بتعرف الأمزجة الخاصة بشخصٍ شخصٍ، وكم أصنافها وخواصها وعلاماتها، ثم تعرف ما يختص به عضو عضو من أعضاء البدن من تلك الأصناف، ليمكنك أن تصيب في حفظها على حال صحتها، و تكتسب لها الصحة عند مرضها[2].

واعلم أولا من أمر سائر أدمغة الحيوان أنها خلقت مائلة الى البرد والرطوبة، وذلك بإضافة مزاج دماغ الحيوان إلى باقي (/) أعضائه ـ أي حيوان كان ـ فلذلك قيل: إن مِزاج دِماغ الإنسان بارد رطب. وقالوا: إن الله تعالى خلق الدِّماغ من الحيوان باردا رطبا، لئلا يفسد بدوام حركاته، وبدوام ما يتصاعد إليه من البخار الحار. ١٨/ب

وإذا كان لِمزاج دِماغ كل إنسان من الناس من البرودة والرطوبة مقدار يخالف سائر مقادير أمزجة الأدمغة، فبغير شك أنه يلزم الطبيب أن يعرف مِزاج دِماغ شخص شخص، وكم مقدار ما لذلك الدِّماغ من البرودة، ليحفظها عليه، لأن بحفظ ذلك المزاج يتم أفعال ذلك الدماغ.

وقد بين القدماء أنْ من أفعال الدِّماغ ما يفعلها بذاته، أعني بغير واسطة، وهي ثلاثة أفعال، أحدها: التَّخَيُّل، وهو يتم بجزئه المقدم. والثاني: التمييز، وهو يتم بجزئه الأوسط. والثالث: الحِفْظ، وهو يتم بجزئه المؤخر.

ومن أفعال الدَّماغ ما يفعلها بتوسط العصب الثابت منه، وهذه الأفعال صنفان، أحدهما: أفعال الحواسّ، وهي خمسة: حِسُّ البصر، وحِسُّ الشم، وحس السمع، وحس الذوق، وحسّ اللَّمْس، والثاني: حركات الأعضاء

---

(١) وردت في الأصل «بمعلم».

(٢) انظر ما كتبه الرازي عن المزاج واعتداله. المرشد ص٢١ ـ ٢٥، ابن سينا: القانون ج ١ ص٦ ـ المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج١ الورقة ١٠ب حتى الورقة ٢١أ.

الانتقـالية. وبيَّنوا أيضاً أن هذه الأفعال والمنافع إنّما تتم للدِّماغ بشيئين: بصحة مِزاجه، وبصحة هيئته.

فاختبر أيُّها الطبيب من كمال هذه الأفعال والمنافع جودة مزاج الدماغ ورداءته، وصحة هيئته وفسادها، لتقدر على صلاح نفسك أولا ثم صلاح غيرك.

واعلم أن الدماغ قد تتغيرُ أفعالهُ بحسب أشكاله، وأشكاله أبدا تتبع شكل جملة الرأس، فتفقد ذلك ليصح لك تَعَرُّف أفعال الدماغ. وتعرف أيضا حالات الأمزجة التي للدماغ، من الشعر النابت على الرأس وفي الوجه، ومن حالات الحواس، ومن حركات الأعضـاء(/). ١٩/أ

وضع لك أيها الطبيب المِزاجَ القريب من الاعتدال أيضا، ميزانا[١] تزن به وتقيس عليه ما خـرج عن الاعتدال من الأمزجة، وما بَعُد عنها، وكذلك فافعل في تَعَرُّف مِزاج عضوٍ عـضوٍ.

ومثالُ ذلك الرأس، فإنَّ الشكلَ له القريب من الاعتدال هو أن يكونَ مستديرا كأنه قد غمر من جنبته فظهر له نتوء من مقدمه، ونتوء من مؤخره، وأن يكون معتدِلا في الكبر والصغر، وأن يكون الشعر النابت عليه وفي الوجه معتدلا في الخشونة واللِّين، والتَّلززُّ[٢] والتفرق، والكثرة والقلة، يبدو في الصغر أصهب ثم يسود ويبطيء شيبه، وأن تكون أعضاء الوجه متناسبة في مقاديرها ووضعها، فالعينان منه مُعْتَدِلتان لا بالكبيرتين ولا بالصغيرتين، ولا بالسريعتي فكذلك الحركة، ولا بالبطيئتي الحركة.

والأنف معتدل في طوله وقَنْوَته وغِلَظِه. والوجنتان معتدلتان إلى الحمرة ماؤهما، فلذلك فافهم في باقي الحواس، وبالجملة في سائر أجزاء الوجه.

ثم انظر بعد ذلك في أفعال عضو عضو من هذه الأعضاء كالنظر بالعينين إذا وجدته صحيحا قويا، وكقوة الاشْتِمام والاستماع والذوق وتَعَرُّف الطعوم على صحتهـا، وكـذلـك حقيقـة المَلْمُـوسات، مثل الحارّ والبارد، والرطب واليابس، وما يتبع هذه من الكيفيات، كالصَّلابة واللين، والخُشونة والملاسة،

(١) في الأصل: *وميزاناً*.
(٢) التلزز: اي التزاحم من «لزه» شده وألصقه. الرازي: مختار الصحاح ص٥٩٧.

وما شابه هذه، فإنّ بصحة هذه الأفعال ينبغي لك أن تقضي[1] على صحة الأعضاء الفاعلة لها، وبصحتها أيضا وبصحة الأعضاء الفاعلة لها، مع صحة التخيل، وجودة التمييز، وقوة الحفظ، فاقض على جودة صحة مِزاج الدماغ مع سائر ما تقدم من العلامات. وحينئذ فاعتن بحفظ الدماغ، وحفظه يتم بتعديل ما يرد إليه.

والأشياء الواردة على الدِّماغ منها (/) طبيعية، ومنها ما ليست طبيعية، ولأن التي ليست بطبيعية لا وجه لذكرها هاهنا اذ هي من أسباب الأمراض، فلذلك ينبغي أن أذكرك بالطبيعية فقط، وأعرفك من فروعها جملا، لتتخذها لك أصولا تفرع منها، وتقيس عليها ما لم أذكره، فيمكنك بذلك أن تحفظ على الدماغ وعلى سائر أعضاء البدن، ما بَطَن منها وما ظَهَر، صحتها، فافهم ذلك، واتخذه قانونا. ١٩/ب

والأمور الطبيعية هي هذه: حالات الهواء، والحركة والسكون، والمأكول والمشروب، والاستفراغ والاحتقان، والنوم واليقظة، والأعراض النفسانية، والبلدان، والأعمال، والعادات، وقوة الجسم، والسن، والسمنة، وطبيعة البدن.

واعلم أنك إذا عرفت مِزاج أي عضو، وأردت حفظ صحته من أعضاء البدن، أعني المزاج المعتدل وهو المسمى «صحة» ثم عَدّلت كل واحد من هذه الأمور الطبيعية بحسبه كانت أسبابا لصحته، وكذلك اذا صارت بها أمراضه كانت أسبابا لشفائه من أمراضه، فتَيَقَّظ لذلك، واجعل ما نذكره من منافعها مثالاً لك تستعمله في باقِي أعضاء البدن إذا قصدت حفظَ صحتها، أو علاج أمراضها.

---

(١) تقضي: تحكم.

القول في وصف محمود الأهوية للأصحاء والمرضى والمحمود من الأهوية للدماغ خاصة على طريق المثال[1]

الهواءُ جسم خفيف، وجوهره لطيف، فلذلك يرد إلى الجسم من مسامه ومن سائر منافذه، باختيـار الإنسان وبغير اختياره، ولذلك صار ما تغير منه تَغيُّراً غير موافق للأبدان أسرع ضررا لأجل صعوبة الاحتراز منه. ومثال ذلك ما يظهر من صلاح (/) الدماغ وسائر الحواس عند صفائه ونقائه واعتداله، ٢٠/أ وما يعرض من تَكَدُّرِها عند تَكَدُّرِه وفساده، و كذلك يعرض لسائر الجسم.

وأحمد الأهوية الموافقة في مِزاجها ما صَفا ونَقِيَ، ولم يكتسب روائح تفسده، بل ما عدلته وأصلحته الروائح الطيبة الموافقة؛ إذْ كان الهواء لا رائحةَ له في ذاته. وأيضا فإن الهواء، وان كانت حركة الطبيعة له واحدة، وهي الترقي إلى العلو لخفة جسمه، فإن له حركات عرضية يتغير بها مِزاجه، ويُغَيِّرُ بها الأبدان، كالذي يعرض له عند تحريكِ الرياح له، فإنّ الريح الشمالية، تُغَيِّرُ مِزاج الهواءِ إلى البرودة واليبس، والجَنُوبـ[ـية][2] الى الحرارة والرطوبة، وأما الشرقية والغربية فيعدلان مزاجه، ويكون تغيير هذه الرياح له أقوى اذا كانت المساكن مقابلتها، ووضع البلدان في جهاتها، وخاصة التي هي مقابلة[3] طرفي المحور[4]، والتي هي مقابلة جهتي الاعتدالين.

فأما ما يهبُّ من الرياح، وما هو من البلدان والمساكن فيها بين ذلك فأمزجتها تختلف بالأكثر والأقل، فافهم ذلك إن كنت ممن يحبُّ العناية البالغة بحفظ الصحة، ومعالجة الأمراض.

---

(١) في موضـوع الأهـوية والرياح وأثرها على الأصحاء والمرضى انظر الرازي: المرشد ص ٢٥، ابن سينا: القانون ج ١ ص ٨٠ ـ ٩١ المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة الخامسة، من الباب الثاني حتى الباب الحادي عشر الورقة ٨٦أ الى ورقة ١٤٨ب.

(٢) وردت «والجنوب» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

(٣) وردت «مقابلتي» خطأ والصحيح ما أثبتناه.

(٤) وردت «المحرر» خطأ والصحيح ما أثبتناه.

واعلم أن المعتدل من هذه الرياح والمتحرك منها حركة معتدلة يصفي الهواء وينقيه من البخارات التي تعلو في الأجسام الأرضية، الرطبة منها واليابسة، ولذلك صار ما اعتدل حركته من الهواء، وتوسط بين الحر والبرد، والرطوبة واليبس، ونقي جوهره، هو أصلح الأهوية للجسم الصحيح. ومثال ذلك ما يرى الدماغ عليه من جودة أعماله وقوة أفعاله، وصفاء حواسه عند اعتدال الهواء. ولهذه العلة صار هواء الفصلين المعتدلين هو أحمد الأهوية التي تصل إلى الدماغ وإلى سائر أعضاء (/) البدن، أعني هواء الربيع وبعده هواء الخريف. ٢٠/ب

وإذا كان الأمر كذلك فقد يجب أن يجتهد في تعديل هواء الفصلين الآخَرَين، أعني الصيف والشتاء، وكذلك ينبغي أن تعدل كل هواء تجده خارجا عن الاعتدال، لتحفظ الاعتدال بالمعتدل، لأن الشبه يحفظ شبهه كما قدمنا بذلك القول، والضد أيضا يشفي ضده كما قال الجَلِيل بقراط.

القول في الموافق من الحركة والسكون لأبدان الناس وعلى طريق المثال للدماغ ولسائر الأعضاء[1]

إن الحركة الانتقالية التي يتحركها الإنسان باختياره هي على ضربين، أحدهما: معتدلة، وهي التي تسخن إسخانا معتدلا، فتنمّي الحرارة الغريزية التي يكون بها الهضم في المعدة وفي عضوٍ عضوٍ من أعضاء البدن، وبها تنفي الأعضاءُ عنها فضلاتِ ما يُنْفَى من الأغذية بعد الهضم، وبها تجذب الأعضاء إليها ما شاكلها من الأغذية، وبها تمسك الأعضاء ما صار إليها مما هو شبيه بها، فيكون ذلك زائداً فيها.

وأما الضرب الثاني من الحركة فهو الخارج عن الاعتدال، إما إلى الزيادة، وإما إلى النقصان. فإن نقصت الحركة عن الاعتدال لم تَقْوَ على الأفعال المقدم ذكرها على التمام، وإن زادت وأفرطت بردت لكثرة ما تستفرغه من الأعضاء.

فيجب عليك أيها الطبيب أن تعلم ذلك، وتتخذه أصلا لسائر أصناف الرياضة بالحركة التي الحاجة إليها ضرورية في حفظ صحةِ الأعضاء، وفي معالجة أمراضها، ولذلك يلزمك أن تعرف أوقاتها وترتيب أزمانها، وما ينبغي أن يتقدمها، وما ينبغي أن (/) يتبعها، إذ كانت طبيعية للأبدان، ضرورية في جودة الصحة والبقاء، لأن جالينوس قد حدد ذلك، فينبغي لك أن تحكمه من أقاويله. وأنا حاكٍ لك فصلا من قوله، لتتخذه أصلا في ذلك، قال: («إن أفضل أوقاتِ الرياضة هو الوقت الذي يكون فيه الغذاء لا مسيئاً قد

٢١/أ

---

(١) أكد جميع الأطباء المسلمين أهمية الحركة والرياضة للأصحاء وكذلك لكثير من المرضى بحسب حالاتهم، وسبق أن رأينا اهتمام علي بن رضوان الطبيب المصري بالرياضة حيث جعلها أهم فقرات جدوله اليومي، ولم يقطعها منذ سن الثلاثين حتى وفاته كما ذكر ذلك. وعليه فنجد أن أغلب الكتب الطبية للأطباء المسلمين أفردت فقرة أو بابا، أومقالة أو حتى كتابا في الرياضة وأهميتها في حفظ الصحة وسلامة البدن ومساعدة الطبيعة على سلامة الجسم من الأمراض. انظر: الرازي: المرشد ص ٣٦، ابن سينا : القانون ج ١ ص ٩٣ وهو الفصل الثاني عشر من موجبات الحركة والسكون.

استكمل انهضامه واستمراءَه في الموضعين جميعا، أعني في البطن وفي العروق، ويكون قد حضر وقت تناول غذاء آخر، فإن استعملت الرياضة قبل هذا الوقت أو بعده فإنك حينئذ إمّا أن تملأ البدنَ أخلاطا نية، واما أن تشحذ المرار الأصفر على التولد والتزيد، وقد تقدر على الوقوف على الوقت الذي أشرنا إليه بكون البول...») وأنا أحكي لك قوله الذي قاله في الاستدلال من البول في قول مفرد، لتقوى فيما بعد في حفظ الصحة وتقدير الرياضة والأغذية.

القول في الاستدلال على وقت الرياضة من البول

قال جالينوس: («إن ترتيب هذا القول بعد القولِ في الحركة والسكون، وأما التلون فإن فعله أبدا واحد، والزائد منه يتبعه البرودة، ويتبع البرودة الرطوبة، لعلة أن الحرارة تنفي[1] الرطوبة»). فالطبيب إذا عرف أصناف الحركات التي تخصها من جهة مقدارها، ومن جهة كيفياتها، ومن جهة مخالطة السكون لها، بلغ غرضه في حفظ الأصحاء وفي معالجة المرضى.

فالحركة التي كيفيتها شديدة قوية عنيفة، تسخن الأعضاء وتجففها وتصلبها، والحركة الضعيفة أفعالها أضعف وأقل. واختلاف الحركة من جهة (/) مقدارها يكون على ضربين أيضا، إمّا لأن زمانها ممتد فتسمى كبيرة، وفعل هذه فعل القوية، وإمّا أن تكون قصيرة المدة فتفعل فعلَ الضعيفة. واختلاف الحركة من جهة مخالطة السكون لها تكون على ضربين أيضا، أحدهما: بأن تكون سريعة متواترة، وهذا الصنف يفعل ما تفعله الحركة القوية، والضرب الثاني: أن تكون بطيئة متفاوتة، وهذا الصنف يفعل ما تفعله الحركة الضعيفة. ٢١/ب

وبعدَ معرفة الطبيب لفعل الحركة على الإطلاق، وفعل السكون، وما يفعل كل نوع من أنواع الحركات في بدن الإنسان جملة، فعليه أن يعرف ذلك في عضوٍ عضوٍ من أعضاء البدن، ولا يتمُّ له ذلك دون أن يعرف حركات الأعضاء التي يتم بها أفعال الأعضاء ليحفظها من الحركات بما شابهها وجانسها، فتقوى وتدوم[2] لها صحتُها.

وأنا أمثل لك كيف ينبغي أن تفعل ذلك من أمر الدماغ، وفي حاسَّة

---

(١) وردت «تقنى» خطأ والصحيح ما أثبتناه ما دامت الرطوبة تتبع البرودة، فهذا يعني أن الحرارة تنفي الرطوبة.

(٢) وردت «ويدوم» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

من الحواسّ الخمس، لتتخذه أصلا تتمثل به باقي أعضاء البدن إن كنت ذا قريحة وفطنة.

فأقول: إن القدماء قد بينوا أن النفس الناطقة التي خُصَّ بها الإنسان تفعل أفعالها بالدماغ، وبيّنوا أن أفعال هذه النفس منها ما يتم بأجزاء الدماغ نفسه، وهي ثلاثة: التخيل، وهو يتم بجزئه المُقَدّم، والتمييز، وهو يتم بجزئه الأوسط، والحفظ وهو يتم بجزئه المُؤَخَّر، وهذه الأفعال الثلاثة لا تتم الا بحركات تخص هذه الأجزاء من الدماغ، ليظهر بها ما في القوى من الأفعال[1].

ومن أفعال النفس [2] أيضا ما لا يتم بذات الدماغ، لكن بقُوىً تسري إلى سائر أعضاء البدن في الأعصاب الثابتة منه. وهذه الأفعال هي الحس، والحركة الانتقالية، وبغير شك إن هذه الأفعال أيضا لم تتم إلا بحركة القوة النفسانية التي سرت في الأعصاب (/) إلى الأعضاء. ٢٢/أ

فقد بان أن معرفة هذه الحركات ومقاديرها وكيفياتها على الطبيب أوجب ضرورة، ليمكنه حفظها، فاقصد إذَنْ أيُّها الطبيب في تعديل حركات الدماغ إلى أوسطها، ليعدل بذلك مزاجه، ويجود به أفعاله، فإن لتقدير الحركات والرياضات المختلفة في إصلاح أمزجة الأعضاء حظا وافرا في تدبير الأصحاء، وفي معالجة المرضى.

وإذا كنت أيها المحب لصلاح دماغه تعلم أن أفعاله الصحيحة إنما تتم بصلاح مزاجِه، ومزاجُه مع مزاج جميع الأعضاء إنما يتم ويصح باستعمال الموافق من المأكول والمشروب، والهواء، والحركة والسكون، وسائر الأشياء المُقَدَّم

---

(١) انظر معلومات موسعة ومفصلة عن أقسام العقل وعمل كل قسم في: الفارابي: رسالة في العقل ص٨ وما بعدها الى ص٣٦، الكندي: رسالة في العقل ص١ ـ ٥. ضمن «رسائل فلسفية» تحقيق عبدالرحمن بدوي، المحاسبي: شرف العقل وما هيته، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ.

(٢) وهو ما ذكره الفارابي وما عبر عنه «بقوة النفس» التي يحصل للإنسان اليقين بالمقدمات الكلية الصادقة الضرورية لا عن قياس أصلا ولا عن فكر بل بالفطرة والطبع، من حيث لا يشعر من أين حصلت وكيف حصلت. الفارابي: رسالة في العقل ص٨، الكندي: رسالة في العقل ص٢.

ذكرها التي نحن في شرحها. ثم إنك [إذا][1] أصلحت مزاج دماغك مثلا وعَدّلته، وصَحّت لك أفعاله فاحذر أن تفرط في حركاته جميعا، فيفسد بذلك مِزاجه. ومثال ذلك أن تأخذ نفسك كثيرا في تخيُّل ما بَعُدَ ودَقَّ من المِهَن والعلوم العزيزة[2] الوجود، البعيدة المرام. وبالجملة تخيل جميع ما عسر مكانه، كالذين[3] يكدون خواطرهم وأفكارهم في طلب علم الكيمياء والعزائم، وأعظم من ذلك بعدا تخيل قوم وتصورهم لأرواح تخاطبهم من الجن وغيرهم، وقد يستعمل ذلك قوم عن طريق الحيلة للتَّكَسُّب، ويظهرون أنه حق، فيظن قوم أن لذلك حقيقة، فيرومون تَخَيُّله، فيكون ذلك سببا لفساد الجزء المُقَدّم من الدماغ، لكثرة ما يفرط عليه من الحركة التخيلية، فيؤول الأمر إلى فساد التخيل، وكذلك القول في الإفراط في التمييز والحفظ، فإن أناساً أيضا قد أكثروا من أخذهم لنفوسهم تصنيف العلوم والكتب، وحب المذاهب وعشق الآراء، وقوم بنظم الشعر، وقوم بحِفْظه وحِفْظ كثير من الأقاويل الدنيوية لطلب المراتب والرئاسات، فأفسد عليهم إفراطُهم (/) في ذلك، وسهرهم وتعب أدمغتهم، فلذلك يجب أن تحذر من إفراط هٰذه الحركات والأفعال، وتَجَنَّبْ مباحثةَ من ساء عقله، وقَبُح مذهبه، وفسدت أفعاله منهم.

٢٢/ب

فأما التعلم[4] من العلماء، ومفاوضة الأفاضل الأدباء وتخيل الحقائق، وتمييزها من الأقاويل الكاذبة والآراء الفاسدة، وحفظ ذلك واقتناؤه باعتدال وتوسط، فإنّه يُقَوّي الدماغ، ويحد الخاطر والتخيل، ويُجَوِّد الفكر والتمييز، ويزيد في قوة الحفظ، فالنفس الناطقة بذلك تسر وتنير، وكالذي قلناه في أفعال الدماغ وحركاته الذاتية، فمثله افهم أيضا في أفعاله التي يفعلها بغير ذاته، وهي على ضربين، أحدهما: أفعاله الحركية، وهي التي تمسك أيدينا، وتمشي أرجلنا. وبالجملة سائر الحركات الإرادية التي في أجسامنا فإن هذه

(١) لم ترد «اذا» في الاصل مع وجود جوابها فأثبتناها ليستقيم المعنى.
(٢) وردت «العزه» خطأ وما اثبتناه هو ما يستقيم به السياق.
(٣) وردت في الاصل «كالذي» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٤) وردت «المتعلم» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

أيضا ما استعمل منها على غير اعتدال وموافقة أضَرَّ بالدماغ، كالحِصار[1] المُفْـرط، والصياح المفـرط، وأخذ الانسان نفسه بأن يتحرك على استدارة بإفراط. ومن هذا الجنس الصراع والقفز وما شابه ذلك.

فأما الرياضات الموافقة لكل واحد من الناس، التي تخرج بها عن الإعياء والتعب، فإنها تقوّى الدماغ على قبوله للغذاء، وعلى نضجه، وعلى إنفائه عنه فضلاته التي لا حاجة به إليها، وكذلك تقوّي أيضا الحواس بأسرها، وتجوِّد حركات الأعضاء وأفعالها. ويجب أن تعلم أن الرياضة جنس يعم أنـواعـا كثـيرة من الحركات لأن الدَّلك نوع لها، والركوب على اختلاف أصنافه[2] نوع لها، وكذلك المشي والحِصار والصِّراع، ومما يدخل في جملتها أيضا الدهن، والتمريخ، والاستحمام، والدلك، وأشباه ذلك من الحركات القوية، وذلك أن ليس كل حركة رياضة، لكن الرياضة هي الحركة القَويّة (/) عند المرتاض، من قِبَلِ أنَّ حركةً ما قد تكون قويَّةً عند إنسان، ضعيفَةً عنـد آخـر، فلذلك ليس[3] كل حركة رياضة، والحد للرياضة[4] هو مع ابتدائها في تغير نفس المتحرك إلى العظم والسرعة والتواتر، فإنها حينئذ تسمى تعبا ورياضة، ولذلك قال جالينوس: ((إن اسم الرياضة في لغة اليونانيين مشتق من العُرْي، لأن الذين يعملون الأعمال المتحركة يعملونَها عراة)). وقال: ((إن منافع الرياضة جنسان، أحدهما: استفراغ الفضول، والآخر: جودة بنية الأعضاء الأصلية)). ٢٣/أ

والـرياضـة تحدث ثلاثـة أمـور، أحدها: صلابة الآلات لاحتكاك بعضها ببعض[5]، ونمـو الحرارة الغريزية، وتزايد يحث في حركة الروح. فأما منافعها الجـزئية فهي قوة الجـذب، وجودة الاستحالة، وجودة الاغتذاء، وانحلال الفضـلات الصلبة، ورقة الرطوبات، واتساع المجاري والمسام، واستفراغ

---

(١) الحِصار: هو الخوف الشديد. ابن منظور: لسان العرب مادة: (حصر).
(٢) وردت «اصناف» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٣) وردت «ليست» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٤) وردت «الرياضة» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٥) وردت «لمحاكيها بعضها البعض» وما أثبتناه هو ما يستقيم به معنى الجملة.

الفضول، وجودة الدفع. ولأجل أنها تنشر الغِذاء في البدن، فلذلك ينبغي أن يحذر قبل هضم المعدة والكبد والأعضاء ما ورد إليها[1] من الغذاء، لكن وقتها ينبغي أن يكون قبل الغِذاء كما قال بقراط في «الفصول»[2]: («إن التعبَ ينبغي أن يُقَدَّم على تناول الغِذاء.»)

وأنت إذا أردت معـرفة أصناف ذلك ومنافعه تعلمه من كتاب معلِّمِنا جالينوس الذي عنونه «بتدبير الأصحاء»، وهو ست مقالات واجب عليك قراءته.

أما الضرب الثاني من أفعال الدِّماغ ـ التي لا يفعلها بذاته لكن يفعلها بتوسط الآلات الأخر ـ فهي أفعاله الحِسِّيّة التي يفعلها بتوسط الحواس، وقد ينبغي ها هنـا أن نذكر واحداً واحداً من الحواس وأفعاله، ليعلم بذلك حركاته، فيصح حفظها بما يوافقها من الحركات والمتحركات والمحسوسات.

---

(١) وردت «اليهم» وما أثبتناه هو الصحيح.

(٢) الفصول: وهو سبع مقالات، ضمنه تعريف جمل الطب لتكون قوانينه في نفس الطبيب يقف بها على ما يتلقاه من اعمال الطب، وقد فسره جالينوس، وترجم تفسير جالينوس للفصول الى العربية حنين بن اسحاق. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠١، ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء ص ٥٤.

(/) القول في حاسة البصر وما يوافقها[1]

٢٣/ب

أما صحة البصر فإنها تتم بصحة العين، وذلك أن العين كعضو مركب من طبقات ورطوبات وعضل تمسكها وتحركها، وأعصاب مختلفة الصور، لأن واحدة منها مجوفة الداخل، وهي التي يرد فيها النور، والقوة النفسانية التي يكون بها الحس للمبصرات، ولأن لكل جزء من أجزاء العين فعلا يخصه، ومنافع لأجلها خلق على ما هو عليه.

وينبغي للطبيب أن يُعْنَى بمعرفته، ليقدر على حفظه، فلذلك يجب أن يكون المتولّي لحفظ صحة العين وعلاج أمراضها منفردا بذلك، شديد الحرص على تعلمه؛ إذ هو عضو جليل الخطر، عظيم النفع في مصالح الجسم.

فأما أنت أيها الطبيب الطبيعي فيجب عليك أن تنظر في أفعال العين ومنافعها الظاهرة، فتحرسها من مضارها ومؤذياتها الواردة عليها من خارج، والواصلة إليها من داخل، فأما ما يصل إليها من داخل فأنت تمنعه بتعديل الأغذية والأشربة والحركات، والنوم واليقظة. وبالجملة باستعمال الموافق من

---

(١) في باب العين وتشريحها واحوالها وأمراضها ومعالجتها صُنفت مجموعة من الكتب الطبية في الإسلام سواء ما كان منها ملحقا ضمن كتاب عام في الطب أو مصنفا خاصا بالعين، من هذه المصنفات: ابن سينا : القانون ج ٢ ص ١٠٨ ـ ١٤٨، المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة الرابعة والمقالة السادسة. مخطوط. وأما أشهر المصنفات العربية في طب العيون فنجد منها ما كتبه حنين بن إسحاق «كتاب العشر مقالات في العين» قام بنشره وتحقيقه المستشرق ماكس مايرهوف، وعلي بن عيسى الكحال: تذكرة الكحالين. طبع مع ترجمة لاتينية باعتناء الاستاذ «هل» ونشره في درسدن سنة ١٨٤٥م كما نشر بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٩٣٤م بعناية وتعليق «غوث محيي الدين القادري. وهناك أبوالقاسم عمار بن علي الموصلي أشهر طبيب في الاسلام في ميدان الكحالة حيث اشتهر شهرة واسعة بمداواة أمراض العين، وكان له دراية بعمليات العيون الجراحية أشهر ما صنف «كتاب المنتخب في علاج أمراض العين» الذي تُرجم إلى عدة لغات أوربية، وهناك أبوجعفر أحمد الغافقي صاحب كتاب «المرشد في الكحل» حققه المستشرق ماكس ما يرهوف ونشره في برشلونه سنة ١٩٣٢م. وهناك العشرات من المصنفات الطبية في مجال العين لعدد من مشاهير أطباء العرب والمسلمين لايسمح المجال بسردها هنا وهذه المصنفات منها ما نشر، وهو قليل، وأكثرها ما زال مخطوطا موزعا في مكتبات العالم.

الأمور الطبيعية التي نحن في وصف جملها. وأما ما يرد إليها من خارج فأنت تقدر على تعديله لها، واستعمال الموافق لها، إذا أنت عرفت منافعها وفعلها، وكيف يفصل فعلها.

وأنا أريك من ذلك جملا تستدل منها على كثير من أجزائها[1]. فأما أحكام جميعها فلا يقدر عليه إلّا من قرأ كتب الأطباء، فاقصد كتب الفاضل جالينوس في «منافع الأعضاء»، وكتبه في التشريح[2] (/) لتصل إلى غرضك. ٢٤/أ

فأما ها هنا فلا تطالبني بذلك، فإني لم أقصده، لكني قصدتُ ـ كما عرفتك أولاً ـ تنبيهَ العقلاء من أهل صناعة الطب على مقدار شرفها ونفعها، وحَثِّهم على علمها، وخاصة مع أن تكسبهم وتعيشهم بها ومنها، فمن لا يَشْتَقْ بما أذكره، ولا يتحرك به لقراءة كتبها، والتَّأَدُّب بآدابها، فهو الخاسر نفسه ودينه جميعا.

فارجع بنا ـ أيها المحبّ للحقِّ ـ إلى ما كنّا فيه، وافهم ما أقوله.

أقول: إن القدماء قد بَيَّنوا أن إدراك حاسة البصر للمبصرات إنما يتم بنفوذ النور المبصِر[3] الواصل إلى العين في الهواء المضيء، حتى ينفذ ويتصل بالمبصَرَات، فتدركها القوة الباصرة، وتخيلها القوة المخيلة للنفس، وكيفية هذا التصوير والقول فيه وحكاية ما رأته القدماء في ذلك لا يليق بهذا الموضع

(١) وردت «جرياتها» وما أثبتناه هو الصحيح.

(٢) من أهم كتب جالينوس في التشريح «كتاب التشريح الكبير»، وهو خمس عشرة مقالة لم يذكر حنين من نقله إلى العربية على أن ابن النديم يقول: رأيته بنقل حبيش «كتاب تشريح الحيوان الميت»، «كتاب اختلاف التشريح»، «كتاب تشريح الحيوان الحي»، مقالتان، «كتاب في علم بقراط بالتشريح»، «خمس مقالات»، «كتاب علم أرسطاطاليس في التشريح»، «ثلاث مقالات»، «كتاب تشريح الرحم» «مقالة»، وجميعها نقلها حبيش الى العربية. انظر ابن النديم: الفهرست ص٤٠٣ ـ ٤٠٤، عيون الأنباء ص١٣٨ ـ ١٣٩.

(٣) وردت «الباصر» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

ذكره، لطوله وصعوبة مرامه[1].

فأما ها هنا فإنا نقول: إنه إذا كان الأمر على ما قيل، وما هو مشاهد أيضا من أن الهواء والضوء هما واسطة بين الباصر والمبصر، ولا يمكن وصول صور المبصَرات إلى حاسّة البصر دونهما، فيجب أن تجتهد في تعديلهما وإصلاحهما، ليصح لحاسة البصر إدراكها. والهواء قد يقبل الضياء وقد يعدمه، والضياء فقد ينفذ نفوذا مستقيما في الهواء وقد يتعذر نفوذه، وذلك لأن الهواء قد يغلظ ويتكدر بما يخالطه من البُخارات الرطبة واليابسة، فيعوق ذلك لنفوذ النور فيه، وكذلك أيضا يعرض لنور البصر عند كدر الهواء ألّا ينفذ فيه نفوذاً مستقيما ولا يدرك المبصَرات إداركا حقيقا، فالواجب[2] إذَنْ ينبغي لك أن تُعنى بإصلاح الهواء المحيط بك، وتجتهد ألا يفسده عليك (/) بخار ولا دخان ولا غبار واجتهد أيضا في أن يكون مسكنك موضوعا قبالة الرياح الشرقية، فإن المُدُن التي وضعها هذا الموضع هي أقرب إلى الاعتدال، ولذلك هواؤها أصح وأرق، وأشد صفاء[3]، ولذلك نجد بقراط

٢٤/ب

(١) وهذا الرأي الذي أورده الرهاوي هنا عن كيفية الإبصار هو ما قاله المحققون بعلم الطبيعة الا أن عملية الإبصار قد أثبتها نظريا وعمليا العالم الطبيعي العربي المسلم الحسن بن الهيثم، أما أصحاب التعاليم فانهم عنوا بهذا العلم واستقصوا البحث، الا أنهم مع تفرق آرائهم، واختلاف طبقاتهم وتباعد أزمانهم اتفقوا على أن الإبصار انما يكون بشعاع يخرج من البصر الى المبصر وبه يدرك البصر صورة المبصر. وهذا رأى جانبه الصواب ولمعلومات موسعة انظر: كمال الدين الفارسي: كتاب تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر ج ١ ص ٥٣ ـ ٥٨ بتحقيق مصطفى حجازي، والدكتور محمود مختار. مع العلم أن كتاب المناظر هذا هو للحسن بن الهيثم حيث قام الفارسي بتنقيحه. ولقد كان العثور على كتاب المناظر لابن الهيثم ونشره مكسبا عظيما للإبداع العربي، وقد بقي الكتاب المنقول من العربية إلى اللاتينيّة مرجعا للأوروبيين في علم الضوء خلال القرون الوسطى وعصر النهضة، وبقي منهلا ينهل منه علماء أوربا مثل «روجر بيكون، وكبلر، وليونارد دافنشي» وغيرهم وهذا ما جعل الباحث ماكس مايرهوف يقول «إن عظمة الابتكار العربي تتجلى في بصريات ابن الهيثم «انظر: الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية تأليف مصطفى نظيف ج ١ ص ٢١٥.

(٢) وردت «فيواجب» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

(٣) اهتم المسلمون بمواقع المدن الإسلامية أثناء حركة التمصير والاعمار وكذلك اهتموا بتخطيطها مراعين في ذلك أهمية الناحية الصحية في مواقع المساكن واتجاهاتها، وقد أولى هذه المسألة عدد من أطباء العرب والمسلمين أهمية بالغة، ومثلنا على ذلك ابن سينا حيث ذكر في الفصل الحادي عشر من الجزء الأول «القول في موجبات المساكن» احكام المساكن، والمساكن الحارة، والباردة، والرطبة، واليابسة، والعالية، والغائرة، والحجرية، والجبلية والثلجية والبحرية، والشمالية، والجنوبية، والشرقية، والمغربية، واختيار المساكن وتهيئتها. القانون ج ١ ص ٩١ - ٩٣.

يفضل هذه المدن على غيرها، ويقول[1] بقراط في الموضع الشرقي من المدن في كتابه في «البلدان والمياه»[2]، هذا القول: («وأما ما كان من المدن موضوعا قبالة الرياح التي فيما بين مطالع الشمس الصيفية وبين مطالعها الشَّتوية، وما كان موضوعا منها على ضد ذلك، فهذه الحال فيهما، أما ما كان منها موضوعا قُبالة مطالع الشمس فيجب أن تكون تلك المدن أصح من المدن الموضوعة قُبالة الشمال ومن المدن الموضوعة قُبالة الرياح الحارة وكان البعد فيما بينهما ليس هو إلّا مقدار اسطاذيون واحد - وهو عند اليونانيين سُبْعُ مِيل - وذلك أنه في أول الأمر الحال فيما بينهما من الحرارة أقرب منها إلى الاعتدال فيما بينهما وبين البرد»). وقال: («ثم إنه يجب - ضرورة - ألّا يكون في تلك المدينة هواء غليظ، وذلك أن الشمس تمنع من ذلك إذا طلعت فوقع شعاعها عليه، لأن الهواء الغليظ إنما يكون في كل واحد من الأوقات في الغدوات على الأمر الأكثر»)، واحذر الإلحاح على تأمل الأنوار القوية الساطعة، كجرم الشمس، وما عظم من النيران، فإن ذلك يُضْعِف[3] نور البصر ويُفرِّقه، وكذلك يفعل البياض الساطع، فإنه يفرق البصر، كما أن اللون الأسود يجمعه، وكذلك يجب أن يُحْذَر الإدْمانُ على الأعمال الدقيقة والخط الدقيق، فإن ذلك يضعف البصر أيضا.

ومما ينقي العينين تنقيتهما (/) وغسلهما، وخاصة بعد النوم، وحفظهما مما يرد إليهما من العرق النازل إليهما، ولا بأس بتعاهدهما بما قواهما من الأكحال، كالإثْمد[4] ونظيره، وقد يفعل ذلك أيضا النظر إلى المبصرات 1/25أ

---

(1) وردت كلمة «مال بين كلمتي «ويقول» و«بقراط» ولا معنى لوجودها.

(2) وهو كتاب الأهوية والمياه والبلدان: ثلاث مقالات في أمزجة البلدان وما تولد من الأمراض البلدية، والمقالة الثانية يعرف فيها كيف نتعرف أمزجة المياه المشروبة وفصول السنة، والثالثة يعرف فيها كيفية ما يبقى من الأشياء التي تولد الأمراض البلدية كائنة ما كانت. وقد فسره جالينوس في كتاب ترجمه حنين الى العربية. ابن النديم: الفهرست ص٤٠١، ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص٥٤، ١٤٥.

(3) وردت «لضعف» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

(4) الإثمد: قال ارسطو طاليس: هو حجر يخالطه الرصاص في جسمه، وقال إسحاق بن عمران: هو حجر الكحل الأسود، وهو صلب ملمع، وبراق كحلي اللون. ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ص١٢، داود الانطاكي: تذكرة اولي الألباب والجامع للعجب العجاب ج ١ ص٣٧، أبوعمران: شرح اسماء العقار ص٦.

المحمودات والنافعات، كالخضرة وأنواع النباتات النضرة.

وعلى ما ذكرته لك فقس، واعدل ببصرك أيها العاني بمصلحته مع توفرك على جميع هذه الأشياء إلى قراءتك في الكتب، والالتذاذ بفوائدها، فإن هذه هي أول النعم التي وهبها لك بارئك تعالى، وأوصلك إليها بنور عينيك. فعليك وعلينا أن نحمده كثيرا ونُسَبِّحه دائما، ونصرف أبصارنا عن المحذورات والمذمومات، لتدومَ هٰذه النعمة لنا وعلينا.

القول في حس السمع والأشياء الموافقة له

وكذلك يجب أن تنظر في آلة السمع، فإنها حاسّة لطيفة أيضا محتاجة في تمام فعلها إلى الهواء، لأن بتوسطه تصل المسموعات إليها مما تحمله الأصوات، كالأقاويل والنغم والألحان والأخبار، وبالجملة جميع المسموعات، فلذلك يجب أن نعنى[1] بالهواء الذي هو الواسطة كالعناية التي وصَّيْتُ بها في حاسة البصر، وأَخَصُّ العناية ينبغي أن يكون بالهواءِ الذي داخل الأذن، فإن به يتم الاستماع أولا، ثم بالهواء الخارج عن الأذن باتصال أحدهما بالآخر، فاحذر من تكدر أحدهما لئلا يكدر الآخر المتصل به، والحذر على الهواء الذي داخل الأذن ينبغي أن يكون بما يتصاعد إليه أو يتصل به من بخارات المعدة وفضلات الدماغ أشد وأكثر ما يفعل ذلك هو ما يملأ المعدة والدماغ من الأطعمة والأشربة المجاوزة في الكمية والكيفية المقدار المقصود[2]، وكذلك القول في الحركات (/) والاستحمام وسائر الأمور الضرورية التي لا ينفك ٢٥/ب الجسم منها، غير أن إلينا تعديلها، فعَدِّلْها لجسمك بحسب ما يوافقه منها، ليصفوَ لأُذُنِك هواؤُها. وأما الهواءُ الخارج فقد سمعتَ القول في صلاحه واختيار المحمود منه، وكما هو في القول في العين، ويجب أَنْ تتوقى - مع ما قلناه هناك - هٰذه الأشياء أيضا، وهي مجاورة الصنائع والمواضع المُفْسِدة الهواء [كأماكن][3] الحدّادين والنّشّارين وأتاتِين[4] الحَمّامات، وغيرها من

(١) الأذن: واحدة من أعضاء الجسم اهتم بدراسته ودراسة السمع وآفاته وآفات الأذن وامراضها وتشريحها ومعالجتها وأدويتها اهتم بها أطباء المسلمين انظر مثلا ابن سينا: القانون ج ٢ ص١٤٨ - ١٦١، المجوسي: كامل الصناعة الطبية، المقالة السادسة، الباب ١٣ - المقالة التاسعة الباب ١٤. ابن القف: العمدة في الجراحة ج ١ ص ١٠٠.

(٢) وردت «المقصد».

(٣) لم ترد كلمة «كأماكن» في النص وأثبتناها ليستقيم سياق الجملة.

(٤) الأتاتين: جمع أتون وهو الموقد الكبير، كموقد الحمام والجيّار والجصاص. ابن منظور: لسان العرب مادة «أتن».

المواقد العظيمة، كمسابك الزجاج والنحاس، وكذلك توقَّ استماع الأصوات العظيمة، المهولة، كأصوات السِّباع وأصوات الدبادب[1] والطبول الدائمة والبوقات المتصلة فإن جميع ذلك يفسد القوة التي ترد إلى الأذن، ليكون بها الاستماع، ويعوقها عن الاسماع، فيضعف لضعف آلتها، وكلّما ضعفت الآلة قل قبولها لقوة النفس، كالذي يشاهد من ذلك عند الشيخوخة، وفي الأمراض العامة للبدن والخاصة للأذن، فتدبر ما قلناه، واعتن بمصالح أذنك، ونَقِّها مما يرد إليها من فضلات الدماغ[2]، فإنها هي وسائر المنافذ - مع ما لها من المنافع والإحساس - قد جعلت طُرُقاً لتنفيذ ما يصل إليها من الفضلات والبخارات[3]، واجعل تنفيذه بتنقيتك لها بعد خروجك من الحمام، لأن ما داخلها يلين ولا يخفف عليها، فإن العصب الذي في باطنها هو شديد الحس، وقريب من الدماغ، فتجنب الحك لها، وإدخال الأجسام إليها. ومع جميع ذلك فاجتهد ألّا يقرعَ آذانك من الأصوات الا أحسنها وألذها لسماعك، وما وافق نفسك من الأقاويل والألحان، فإن في ذلك تعديلا لأخلاقك. فأما ما خرج عن الاعتدال الموافق فاجتنبه ما أمكنك، فإن لصناعة التلحين أن يعدل الأخلاق، وللموسيقار الحاذق أيضا بصناعة التلحين أن يميل أخلاق النفس إلى حالات (/) ليست أيضا بالطبع، فتجعل من كان جباناً شُجاعا، ومن كانَ محزونا فَرِحاً، وكذلك في أضداد هذه، وفي باقي المتضادات من حالات الأخلاق، ولذلك أجمع[4] الأطباء في حفظ الأخلاق المحمودة على[5] استماع ما يسرّ النفوس، كاستماع أخبار الأفاضل، واستماع علوم العلماء، الإلٰهية منها، أعني الشرعية والعقلية، وأخبار المَتَدَيِّنين

٢٦/أ

(١) الدبادب: قال أبوعمرو الدبداب: الطبل، وقال: الدبادب صوت كأنه دب، وقال ابن الاعرابي: الدبادب: الكثير الصياح والجلبة. ابن منظور: لسان العرب ج ١ ص ٣٧٢.

(٢) وتنقية فضلات الدماغ يكون باستفراغها بالعطوس والغراغر والأدوية التي لها صعود إلى الرأس. الرازي: المرشد ص ٩٦.

(٣) البخارات: وهي الروائح الكريهة المتولدة في الفم أو المعدة أو الرئة. انظر ابن سينا: القانون ج ٢ ص ١٨٢.

(٤) وردت «اجماع» وما أثبتناه هو الصحيح.

(٥) في الأصل *«إلى»*.

وأهلِ الورع والطهارة، لأن في استماع جميع ذلك سروراً للنفس الفاضلة ولذةً، لأنها أفعال يصدر عن جوهرها الشريف، وهي يجب أن تكون بتلك الحالات وبعينها، وكذلك تجدها تكره استماع المحالات، وتستشنع الكذب والأقاويل المذمومة، والأفعال القبيحة، وتَغْتَمّ من ذكر أهل هذه الأحوال، فضلا عن مشاهدتهم واستماع كلامهم، فاجتهد أيها الحدث أن تقاوم طبعك المذموم الداعي لك إلى المذمومات، وتمنعه لذاته، فإن مع كل لذة محسوسة جسمانية آفة خَفيّة، مكروهة، لا يقوى على كشفها إلاّ العقل، فخذ نفسك بما يسوقك إليه عقلك لا طبعك، لئلا تعتاد وتألف لذات الطبع، فيحرمك لذات العقل الدائمة السرور، المأمونة من الشرور. واحرص (على)[1] أن تعود نفسَك قلة الكلام مع كثرة الاستماع النافع، فإنْ حظَّ المرءِ في أُذُنِه، والحظ لغيره في لسانه. وتجنب استماع الآراء المُفْسِدة، كمذاهب المتدَهِّرَة والمُلْحِدة، وكذلك توقَّ مشورات الجهلة والحسّاد، فإنها تسوق إلى هلاك النفوس والأجساد، فتأمل ما قلته لك، وقس عليه ما لم أقله ترشد إن شاء الله تعالى.

(١) وردت «في» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

القول في حاسة الشمِّ والأشياء الموافقة لها[1]

(/) وأما حاسة الروائح فليست تكون ما يراه ظاهرا من المنخرين، لكنها تكون داخل القِحف[2] من البطينين المتقدمين من بطون الدماغ، وذلك بالروح النفساني الذي فيهما من الدماغ، ولكن لما كانت حاسة الشم لا تتم أيضا إلا بتوسط الهواء الحامل للبخارات والروائح إلى هذين البُطَينين، وكان الهواء قد يحمل أيضا مع ذلك أجساما ما لطافا، وكانت أيضا الحاجة الى استنشاق الهواء في بقاء الحياة على الحيوان ضرورية، وكان أيضا مع ما ينقيه الدماغ من فضلاته، قد يحدره بالمنخرين من جهة هذين البطينين، لأنهما مطلين على المنخرين ـ لطف الخالق تعالى للحيوان بحاجز يحجز دون هذين البطينين اللذين هما آلة الشم، وخلقه مثقبا كثقب الإسفنج، ليصفو منه فضلات الدماغ، ويصل إليه من ذلك الثقب الروائح مع الهواء، ودائما ينفذ فيها الهواء ويخرج منها ما ينقيه الدماغ من البخار بنفخه وحركته الدائمة، مع ما يبعثه من الروح النفسانية، إلى الحواس وإلى غيرها من الأعضاء عنه، فالهواء قد يصل إليه مفردا بغير روائح، وقد يصل مع الروائح، وليس هذا اللُّطْف العجيب في آلة الشم فقط، لكنه موجود في آلة السمع أيضا، فإن آله السمع لما احتيج أن تُجْعَلَ أيضاً داخلَ الرأس لتقرب من الدماغ، وجعلت الأذن لها حاجبا وساترا وكان الهواء يريد أن ينفذ في داخلها، ولم يؤمن من أن يصل معه غير الصوت من أجسام صغار وغيرها، جعل داخل الأذن معوجا ومستديرا كاللولب[3]، ليصل الهواء والصوت، ولاتنفذ الأجسام. فتأمل

٢٦/ب

(١) كان للأطباء المسلمين أيضا بحوث ودراسات على عضو الأنف تشريحا وجراحة وأمراضا وتطبيبا. انظر ابن سينا: القانون ج ٢ ص ١٦١ ـ ١٧٤، المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة السادسة: الباب الخامس عشر، المقالة التاسعة: الباب الخامس عشر، ابن القف: العمدة في الجراحة ج ١ ص ٩٨.

(٢) القحف: وهو الجمجمة وهي ساترة وواقية للدماغ من الآفات. ابن سينا: القانون ج ١ ص ٢٥. ابن القف: العمدة في الجراحة ج ١ ص ١٧.

(٣) انظر تشريح آلة السمع، ابن القف: العمدة في الجراحة ج ١ ص ١٠٠.

لطف الباري تعالى بالحيوان وحكمته، وإتقان صنعه، وليس ذلك من الحيوان فقط، لكن في كل مصنوع.

ومن لُطْفِه ـ تبارك (/) وتعالى ـ أن جعل للحيوان من آلات الحسّ زوجاً زوجاً، كالعينين اثنتين، والأذنين والمنخرين، واللسان مقسوما قسمين، ليكون إن دخلت على أحدهما آفة بقيت الأخرى للفعل. ٢٧/أ

وإذا كنتُ قد وصفتُ جُمَلاً من خلقـة المنخرين وآلة الشم وغيرها من الحـواس، ولَـوَّحت لك من منافعها تلويحا، لتشتاق بذلك إلى معرفة بنية جسمك، ومنافع أعضائك، فلا تقتصر على ما ذكرته ها هنا فقط، بل اقصد كتب المعُلِّم الفاضل جالينوس في التشريح، وكتابه الذي وصفه في منافع الأعضاء، فإنك تحظى من هنالك بعلم ذلك بأسره.

فارجع بنا إلى القول في آلة الشم، واعلم أن الواسطة في اشتمام الروائح هو الهواء، فلذلك يجب أن تعدله، وتحتاط في صلاحه، للسبب الأعظم الذي هو الحياة والبقاء، فإنّه من المنخرين يصل إلى الدماغ وإلى الرئة، فيروح عنها، ويُمِدُّها بالصافي النقِيِّ منه.

والسبب الثاني: أن به تصل الروائح إلى البطينين[١] المُقَدَّمَيْن من الدماغ اللَّذَين[٢] بهما يكون الشم. والوجه الأخير: أنَّ في فساد الهواء قد تقدم لنا القول به عند القول في حاسة البصر وفي حاسة السمع، ومع ذلك فإني أقولُ أيضا: إنك، وإن بعدت من القرب من مواضع الروائح الرديئة، فانه ينبغي أن تحتال لموضعك ولهوائك المحيط بك في أن تكسبه روائح موافقة طيبة، ليصل إلى دماغك دائما بالشم ما يصلحه ويصلح الروح النفسانية[٣] التي فيه، وتزكيها بالبخورات وأنواع الطيب، ولذلك نجد الأفاضل يُكْسِبُون ثيابهم وأجسامهم بالبخورات وغيرها من هذه الروائح، ليدومَ استنشاقهم لها، فتعمّل لذلك ولا تهمله، فإنك قد تنتفع (/) بذلك بوجه آخر، وهو أنك قد تحضر عند مرضى تنال من روائحهم ما يؤذيك، ولا يمكنك أن تنفك ٢٧/ب

(١) وردت «البطين» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سِياق الجملة.
(٢) وردت «الذي» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٣) وردت «النفساني» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

منه، فتلك الروائح التي قد أكَسَبْتَهَا لكسوتك تمنع عنك، وتقاوم لك تلك الروائح، ومع ذلك فإن في ذلك راحةً ما، وقوة نفس عاجلة للمريض إذا اشتم روائحك، فهٰكذا ينبغي أن تصلح هواءك، ولذلك يجب أن يكون تعلّمك للطب[1] لا لغيره، ثم اجتهد في أن يكون ما يرقى من المعدة إلى آلة الشم من البخارات محمودا، وإنّما يتم ذلك باحترازك من كثرة الأغذية والأشربة وفساد كيفياتها، وسوء ترتيبها. وقد ذكرت فيما تقدم من ذلك طرفا، فخذ نفسك باستعمال الموافق لك من جميع ذلك، لِيُنَقِّي دماغَك وسائر حواسك بذلك.

وخذ نفسك أيضا بتنقية المنخرين اللذين قد خلقا (كالمجريين)[2] لتنفذ فيهما الفضلات، وتعاهدهما بالغسل والدهن في أوقات ذلك.

واختر لنفسك النوع الموافق من الرياضة، والدلك والاستحمام، فإن في جميع ذلك تنقية للدماغ والحواس من فضلاتها، وتوق عند ممارستك العلاج من روائح الأدوية المنكرة الروائح، فإن تكن لا توافق مزاجك ولا مزاج دماغك ما تزيد معاناته منها فتقدم إلى غيرك في صنعها بحضرتك، فإن الضرر الداخل من ذلك ليس هو على الدماغ وعلى آلة الشم فقط، بل وعلى القَلْب والرِّئَة فاعلم ذلك.

واجعل البرهانَ لك على صحة ما ذكرته ما أمر به بقراط في كتابه «في الغذاء»[3] فإنه يأمر هنالك بشم الروائح الموافقة الطيبة المقوية للنفس لمن أراد تغذيته تغذية لطيفة، وقد عاقنا عن إعطاء هٰؤلاء من الأغذية اللطيفة عائق ما، فأمر باستعمال الروائح فيها[4] فقال (/) هذا القول، قال بقراط: ((من احتاج بدنه إلى زيادة سريعة فأبلغ الأشياء في رد قوته الشيء الرطب، ومن احتاج من ذلك إلى ما هو أسرع فتقويتهُ تكون بالشمّ»). ٢٨/أ

(١) وردت «للطبيب» خطأ وما أثبتناه هو الصحيح.

(٢) وردت «كالمحرابين» من اخطاء النساخ وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

(٣) وهو كتاب الغذاء، اربع مقالات، وهو يهتم بعلل الأغذية وأسبابها. ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص ٥٥.

(٤) وردت في الأصل «فيهم» وما أثبتناه هو ما يستقيم به السياق.

القول في حاسة المذاق والأشياء الموافقة لها[١]

حاسَّة المَذاق تتم باللسان واللَّهاة[٢] والحَنك، وذلك بالعصب المبسوط على هذه الآلات من الفم، والفم لما كان يشتمل على الأسنان وعلى جميع أجزائه التي خلقت فيه لأنواع من مصالح الجسم، كتعرفه لأصناف الطعوم، وكيف طبعه للأغذية، وكسر ما صلح أن يكسر منها، ثم طحن ما يصلح للطحن بالأضراس وتقليب اللسان لذلك الغذاء وترطيبه بالريق ليتم طحنه، وتساوي أجزائه لتكون صورته واحدة في اللين، ليسهل نفوذه بالمرىء. وأيضا مما ينتفع به الحي في صلاح حياته بالفم ما يَرِدُ منه من الهواء إلى الرئة والقلب، ليروح عن حرارته الغريزية، ويمدها بما صفا ونقي من الهواء.

ومن منافع الفم وآلاته خُروجُ الصوتِ منه إلى الحيوانات، وخاصةً في الإنسان الذي خصه البارىء تعالى بالقوة العاقلة القادرة على تفصيل صوته، وتقطيعه بآلات الصوت وبآلات الفم، حتى صحت له النغم والحروف، وقدر تلطيف تمييزه على جميع تلك الحروف حتى صح له القولُ الدالُّ المعبِّرُ في نفسِه من الأمور المتصورة، فقدر بذلك النطق على الأقاويل المختلفة، والعبارات المتباينة في أصناف العلوم، فالفم إذَن بابُ يدخل منه ويخرج ما ينفع الانسان في مصالح نفسه وجسمه، وكما أن بحاسّة الذوقِ ـ وما خلقه البارىء تعالى من القوة النفسانية المميزة للطُّعُوم ـ يمكن للعاقل أن (/) يعرف الغذاء من الدواء، ليستعمل كل واحد منهما في وقته، ويعلم أيضا أَنَّ مِمّا يبرزُ من الفم كثيرا من حالات البدن، كالبُصاق والجُشاء[٣] والقَذْف، وما ٢٨/ب

(١) لقد كثرت أيضا دراسات أطباء العرب والمسلمين حول الفم واللسان والحنجرة والأسنان في ميدان التشريح والجراحة والأمراض والتطبيب. انظر ابن سينا: القانون ج ٢ صص ١٧٥ ـ ٢٠٨. المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة السادسة: الباب الرابع عشر، المقالة التاسعة: الباب السادس عشر.

(٢) وردت «اللهوات» واللهاة جوهر لحمي معلق على أعلى الحنجرة، ومنفعته تدريج الهواء لئلا يقرع ببرده الرئة فجأة وليمنع الدخان والغبار، وليكون مقرعة للصوت يقوى بها ويعظم. ابن سينا: القانون ج ٢ ص ١٩٦.

(٣) جشأ: أي رد وأرجع وهو الاستفراغ. ابن منظور: لسان العرب.

جانس ذلك، في كل واحد من هذه الفضلات عدة علامات يستدل بها على صحة المعدة وسقمها، وكذلك حالات غيرها من الأحشاء. كذلك أيضا يستدِلُّ العاقل من الناس من الألفاظ والأقاويل الصادرة عن النفس على قدر شرفها وعلو فضلها، أو على خساستها وسُقوط منزلتها. وإذا كان ذلك كذلك فيجب أن يُعْنَى كل عاقل بنفسه وجسمه؛ لئلا يرد إليها إلاّ محمود موافق لهما، ولئلا يصدر عنهما إلا مرضيٌّ ممدوح.

وأعظم ما أعان على ذلك صلاح الحواس، وخاصة الفم الذي هو الآلة للذوق والنطق، فإن مَنْ أنعم الله جل اسمه ـ عليه بالمنطق المستقيم، فقد شرَّفه، ونفع به الناس أجمعين. ومن حُرِم النطق عَدِم فضائل السامعين، كما أن من ساءَ نطقُه كان مرذولاً حَقِيراً بينَ الناطقين، وأيضا فإن من فَسَدَ ذوقهُ بمرضٍ أو بعَرَضٍ من الأعراض لا يلتَذُّ بطعامه ولا بشرابه، (وما)[1] لا يلتذه الذوق كرهته المعدة ودفعته، إذا بقَي البدنُ بغير غذاء هلك الحيوان وفسد، فسبحان مَنْ نِعَمُه على خلائقه دائمة.

ولأنَّ الفمَ ـ كما قلنا ـ مركب من أجزاء مختلفة، فلذلك يجب أن يخص كل جزء من أجزائه بتدبير موافق لذلك الجزء في مصالحه، سوى إصلاح الأمور العامة له بأسره وأول الأمور العامة التي بصلاحها تصلح أفعال الفم، وبفسادها تفسد، هو الهواء، فإنه دائما يرد عليه، وهو دائم الاختلاف، لأنه قد يتغير في اليوم الواحد إلى الحر والبرد (/)والرُّطوبة واليُبْس، عِدَّةَ تغيرات، ٢٩/أ فضلاً عما يتغير إليه في الفصول. وبحسب هُبوبِ الرِّياح. فيجب أن تتوقَّى وتحذر على فِيكَ أن يدخُلَه هواءٌ غيرُ موافق بحسبِ طاقتك، وقد علمتَ مما قدمناه من القول في الحواسّ الأُخَرَ ما هي الأهوية الرديئة، فاحذرها بأسرها، واحذر أيضا مع ذلك ورود هواء قد حمل إليك بخارات الجيف، والزُّبُول المُتَعَفِّنة، وأبخرة ما ينفثُهُ أصحابُ العِللَ القاتِلة، كالذي ينفثُهُ أصحابُ قرحة الرِّئَة[2]،

---

(١) وردت «ماو» معكوسة خطأ.

(٢) قرحة الرئة: واسمها ذات الرئة وهي تسبب ضيق النفس. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ١٣٢، والمراد هنا المصابون بالدرن الرئوي.

والـرديء من نَفْثِ أصحـابِ ذات الجَنْب[1]، فإن المنتن من ذلـك يُفسِد ويُعْدِي، وكذلك احذر أيضاً ما خالطَ الهواء من أبخرة البرَاز والقِرْف، وما خرج من النَّزَلات والخُراجات الرديئة، وسائر ما برز من الجسم. وكذلك فاحذر أيضا من أن يرد إلى فيك من الطعوم ما يُفْسِدُ بكيفيةٍ له رديئة مَذاقَكَ، أو جزءاً من أجزاءِ فيك، كالأسنان واللِّسان والحنك، أو ما سوى ذلك كذوات الطعوم الشديدة الحمض، أو الشديدة القبض، أو الشديدة المَرارة، فإن هذه تضرُّ بآلات الذوق، وآلات الفم، وخاصة الأسنان، واجتهد في تنقية هٰذه الآلات بالدَّلْك والسِّواك والجلي[2]، واعتَمِد في جلائها على دَلْكِها بالعسـل، فإنّـه يُنَقِّي الأوسـاخ واللُّزُوجة التي تجتمع عليها، وخاصة على الأسنان، واجتهد في أن لا يرقى من معدتك إلى فيك إلا بُخار محمود، فإن الأبخـرة الرديئة تفسد الفم، وإنما يتم لك ذلك بإصلاحك لأغذيتك في كميتها وكيفيتها وترتيبها. واجتهد أيضا في صون أضراسك وأسنانك من (أن تكسر)[3] بها الأشياء الصُّلْبة، لئلا تَثْلِمَها وتُهَشِّمَها، فإن ما عدم منها أو انثلم لم يعد، واحذر أيضا عليها من الأشياء (/) العَلِكَةِ، ومن البرودة المفرطة كالثلج، ومن ورود الأشياء الباردة بعقب الحارة. ٢٩/ب

ومع جميع ما وَصَّيْتُك به فاجتهد أَلّا يبرز من فيك نطق إلا محصلا نافعا، وصُن ما تنطق به من العُلوم، ولا تُسْمِعْه إلّا أهْلَه ومستحقه، وقل كما قال أفلاطن حين جلس يوما وحوله تلامذته سوى أرسطوطاليس، فقيل له: تَكَلّم

---

(١) ذات الجنب: وتسمى شوصة برساما وهي ورم في نواحي الصدر: إمّا في العضلات الباطنة أو في الحجاب المستبطن للصدر وإمّا في الحجاب الحاجز وهو الخالص أو في العضل الظاهرة الخارجة أو الحجاب الخارج بمشاركة الجلد أو بغير مشاركة. ابن سينا: القانون ج ٢ ص ٢٣٨. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص١٣٢. الرازي: المرشد ص١١٣.

(٢) الجلي: أي التنظيف.

(٣) وردت «الكسر» وما أثبتناه هو ما يستقيم به معنى الكلمة وسياق الجملة.

يامَعلم، فقال: لو وَجَدْتُ مستمِعاً لتَكَلّمت، فقيل له: حولك أيها الحكيم ألف تلميذ، فقال: أريد واحداً كألف[1].

وإذ قد ذكرت هذه الجمل في الحواس فقد آن لي أن أرجع إلى تمامِ القولِ في تلك الأمور الطبيعية.

---

(١) درس أرسطو طاليس على يد أفلاطن عشرين سنة، ولما عاد أفلاطن إلى صقلية في المرة الثانية كان أرسطو طاليس خليفته على دار التعليم المسماة أقاديميا، ثم لما عاد أفلاطن من صقلية انتقل أرسطو طاليس إلى لوقيون واتخذ هناك دار التعليم المنسوبة الى الفلاسفة المشائين. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٨٧.

القـــول في المأكـــول[1]

وإذا كان ما ذكرنا من مصالح الحواس الخمس نافعا فيما نحن في الكلام فيه من إصلاح حالات الجسم، وكان ذلك قد توسط الكلام في الأمور الطبيعية على طريق المثال والإرشاد والتنبيه. وكنا قد ذكرنا من الأمور الطبيعية أمر الهواء، وأمور الحركة والسكون، فيجب أن نتبع ذلك بالقول في أمور المأكول على الطريق الذي قلناه (بشيء)[2] من الإيجاز، وذكر الجمل النافعة. التي تحث وتشوق إلى تقصي العلم بذلك من مواضعه وكتبه.

فأقول: إن المأكولات تسمى أغذية على طريق الاستعارة، ولأنه قد يكون منها أغذية أيضا، فأما الأغذية الحقيقية فإنما هي الجوهر الذي قد تميز من المأكولات بالطبخ الأول والثاني والثالث[3]، وفارقته فضلاته التي لا تَغْذُو، وبقي ذلك الجوهر الذي يصلح أن يلصق بالمغتذي، ويخلف عليه عوض ما تَحَلّل منه، وهو الزائد في كميته، لئلا يتحلل دائما فيهلك. (/) ١/٣٠

وإذا كان الأمر كذلك فأنت تجد المأكولات مختلفة الطعوم والكيفيات، وبحسب اخْتِلاف حالاتها تؤثر في البدن، فيجب أن تتعرف جواهرها وأفعالها، وتعنى أيضا بمعرفة البدن ومِزاجه الطبيعي له، ولا بد لك مع ذلك من معرفة مزاج المعدة الطبيعي لها أو المكتسب، وقد حَثَّنا وأرشدنا إلى ذلك معلمُنا

---

(١) ويقصد بذلك الأغذية. وقد صنف فيها أطباء المسلمين عشرات الكتب في كناشاتهم والكتب الطبية المختصة بالأغذية، وتوسعوا في دراسة الغذاء وفضلوا العلاج بالأغذية قبل الأدوية. انظر: الرازي: منافع الأغذية ودفع مضارها، المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١، المقالة الخامسة من الباب ١٤ حتى الباب ٢٨.

(٢) وردت كلمة غير مقروءة وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.

(٣) يقصد هنا عملية امتصاص الجسم للمستفاد من الأطعمة في المعدة أولا، ثم عمل الصفراء ثانيا ثم عمل العروق ثالثا. انظر ١٧أ من هذا الكتاب.

الفاضل جالينوس في كتابه «في الأغذية»[1] فإنه قال: («وإنّما ينبغي أن يقصد للعناية بمعرفة الأمور، وقد نجد الأغذية تبطىء أو تسرع في الانحدار، إمّا. من قِبَل ما عليه طبيعة المعدة منذ أول أمرها، وإمّا من قِبَلِ جواهر الأشياء التي تؤكل وتشرب، لأن بعضها رطب وبعضها يابس، وبعضها لَزِج وبعضها سريع[2] التفرّق والتقسيم، وبعضها فيه حِدّة وحرافة[3]، وبعضها فيه حموضة أو مرارة أو حلاوة أو ملوحة أو قَبْض أو عُفُوصَه[4].

وقد يوجد في بعضها قوة[5] ما من القوى الموجودة في الأدوية [فـ]ـقوى[6] هذه الأغذية داخِل في جنس الأدوية السهلة»).

والعناية بما ذكره جالينوس من ذلك ينبغي أن ينصرف إليه الطبيب انصرافا شديدا تاما، إذ الصناعة إلى هذا الجزء من علمها في بقاء الإنسان عظيم جدا. قال جالينوس: («وذٰلك أنّ العلم بقوى الأغذية قريب من أن يكون أنفعَ علوم الطبِّ كلِّها، إذ كانت الحاجة إلى استعمال سائر ما يستعمل في مصلحة البدن ليست في كلِّ وقت، فالحاجة إلى الغذاء دائمة أبداً في وقت

(١) وهو كتابه في قوى الأغذية: وهو ثلاث مقالات من نقل حنين بن إسحاق، عدد فيه جالينوس ما يتغذى به من الأطعمة والأشربة ووصف ما في كل واحد منها من القوى. ابن النديم: الفهرست ص٤٠٤، ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص١٤٣.
(٢) وردت «يسرع» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٣) الأطعمة الحريفة: وهي الحارة بطبعها كالتوابل والابازير والفلافل، وقد عددها الرازي في كتابه. منافع الأغذية ودفع مضارها ص١٨٧ -١٩٧.
(٤) عفوصه: يقال طعام عَفِيصٌ اي فيه مرارة وتقبض. ابن منظور: لسان العرب مادة (عفص).
(٥) وردت «قوى» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.
(٦) وردت «قوى» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

الصحة ووقت المرض، إذ كانت الحياة لا تبقى إلّا معه»)[1].

وليس ينبغي لك ـ أيها الطبيب ـ أن تأخذ أمر قوى الأغذية وحالاتها وما تفعـل[2] من أفعالها في البدن تقليدا ممن ذكره في كتاب، فإن لأصحاب التجربة كتباً قد وصفوها في ذلك على رأي التجربة، والتجربة في ذلك غير كافية، إذ كانت تقضي على الأمور من ظاهر حالاتها، وأنت تجد من (/) الأشياء المتشابهة ما يعمها بأسرها شيء واحد. وبه تشابهت، ولا تصلح لأجل ذلك الشيء أن تقضي عليها بقضايا أُخَرَ عامةٍ لها كلها، ومثال ذلك أنك تجد عدة أشياء تُسَهِّل، أو تُدِرّ البول، أو غير ذلك من الأفعال، وتجد بعضها باردا وبعضها حارا، وقد تقدم بتعليمهم[3] ذلك جالينوس ومن كان قبله من علماء الأطباء، كالذي حكاه جالينوس عن ذيوفليس[4]، وهو هذا القول،

٣٠/ب

(١) نلاحظ أن أطباء العرب والمسلمين اهتموا اهتماما كبيرا بمعرفة قوى الأدوية ولا سيما المركبة منها، وعولوا على المعالجة بالغذاء ما أمكن، ثم الدواء المفرد، ثم المركب، قال الرازي: «لو أمكن في كل موضع العلاج بدواء مفرد، لاستغنى عن تركيب الأدوية» المرشد ص ٦٠ وقال أيضا «إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة» عيون الأنباء ص ٤٢١.
قال ابن أبي أصيبعة عن ابن وافد المتوفي بعد سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م «وله في الطب منزع لطيف، ومذهب نبيل، وذلك أنه كان لا يرى التداوي بالأدوية ما أمكن التداوي بالأغذية، أو أما كان قريبا منها، فإذا دعت الضرورة إلى الأدوية فلا يرى التداوي بمركبها ما وصل إلى التداوي بمفردها، فإذا اضطر إلى المركب منها لم يكثر التركيب بل اقتصر على الأقل مما يمكنه منه» عيون الأنباء ص ٤٩٦. وقال سلمويه «أول الطب معرفة مقدار الداء حتى يعالج بمقدار ما يحتاج إليه من العلاج...» القفطي: أخبار العلماء ص ٢٥٢. وقال ابن رضوان «اذا دعيت الى مريض فأعطه ما لا يضره إلى أن تعرف علته فتعالجها عند ذلك». عيون الأنباء ص ٥٦٥. والاستشهادات على ذلك أكثر من أن تحصى في هذا المجال. فلقد كان للأطباء المسلمين ـ ولا سيما الرازي ـ مبدأ مهم في العلاج ذلك أن « الطبيعة تجاهد العلل وتعاركها وتروم إحالتها، ومتى كانت وافية بالعله لم يحتج إلى معونة الطبيب» الرازي: المرشد ص ١٠٠ ـ ١٠١، ولقد كان العامل المهم في اهتمامهم بالأغذية دون الأدوية المفردة والمركبة هو إدراكهم عن طريق التجربة والمشاهدة ما لتلك الأدوية من قوى ذات تأثير بالغ في المناعة الطبيعية، ولذلك قال الرازي «لاتلتفتن إلى الأدوية الغريبة والمجهولة ما أمكنك، إلّا أن يصحّ عندك أمر أقوى بالتجربة والمشاهدة» المرشد ص ٩٣.

(٢) وردت «ما تفعلها» وما أثبتناه هو أنسب لسياق الجملة.

(٣) وردت «بتلعيمهم» خطأ.

(٤) ذيوفليس: ذكره ابن أبي اصيبعة ضمن الحكماء الذين عاشوا ما بين بقراط وجالينوس. عيون الأنباء: ص ٦٠. وكان من تلامذة برمانيدس الذي رذّل التجربة وكان مع ذيوفليس ثاسالس وافران وجميعهم تلامذة لبرمانيدس وقد وقعت المنازعات بين هؤلاء الثلاثة حول قضية التجربة التي رفضها استاذهم، فقال افرن بالتجربة وحدها، وقال ذيوفليس بالقياس وحده، وقال ثاسالس بالحيلة. المبشر بن فاتك: مختار الحكم ص ٤٥ ـ ٤٦.

قال ذيوفليس («أما من ظن بأن الأشياء المتشابهة في الطعوم، أو في الروائح، أو في الحرارة، ـ أو في غير ذلك مما أشبهها ـ قوتها واحدة فبئسَ ما ظَنَّ»)
وذاك أنه قد يقف الانسان من هذه الأشياء المتشابهة في هذه الأشياء على أشياء كثيرة مختلفة القوى، وليس ينبغي أيضاً أن يعمل على أن كل شيء مما يُطْلِقُ البطن أو يُدِرّ البول، أو له قوة أخرى سواها بين القوتين، فإنما صار كذلك من قِبَلِ أنه حار أو بارد، أو مالح، وذلك أنه ليس كل الأشياء الحلوة أو المالحة أو غير ذلك مما أشبهها قوية قوة نظيره في الطعم، ولكن ينبغي أن يعمل على أن السبب الذي من أجله يحدث كل واحد من الأشياء ما من شأنه أن يحدث عنه، وهو جملة طبيعة ذلك الشيء، على أن تقطع على شيء من الأغذية أو الأدوية من حيث صورته للحِسّ مفردة بأنه يفعل فعلا واحدا، فإنك قد تجد ما صورته واحدة وهو يفعل أفعالا متضادة، كالذي يفعله العَدَس والكُرُنْب، فإنهما يُطْلِقان بعض البطون، ويَحْبِسان بعضها، وإنّما يفعلان ذلك لأن خلقة كل واحد منهما من أصل تركيبه ومزاجه قد اجتمع فيه جوهران مختلفان قال جالينوس: (« وأما السببُ الذي صار له العدس يُطْلِقُ بطنَ بعضِ الناس ويُلِينه ولا يَحْبِسهُ ويعقله (/) فهو ما أصف، أقول: إني قد بَيّنت في «كتاب الأدوية المفردة»(١) أن كثيراً من الأنواع التي يظن بها بسيطة مفردة وقد ركب في أول خلقتها من جواهر مختلفة، وقوى متضادة، بمنزلة ما نؤلفه نحن بالصفة، فتعمل أنواع كثيرة مختلفة نوعا واحدا مؤلفة، وقد نجد ذلك في كثير من الأغذية، كالعدس والكرنب وجميع حيوان البحر ذوات الجلود، فإن طبيعة كل واحد منها مؤلَّفة من قُوىً متضادة، وذلك أن جرمها الصلب بطيء الانحدار، حابس للبطن، وما فيها من الرطوبة يطلق البطن، وبيان ذلك ما نجده في طبيعتها، وذلك أن مَرَقَ كل واحدة منهايطلق البطن، وجِرْمه الصُّلْب يحبس البطن، ومن ثَمَّ اختلف الناس في أمرها»). ثم انظر أيضا مع ما تنظر من حالات الأغذية في حالات المعدة،

١/٣١أ

(١) الأدوية المفرده: ترجمة حنين بن إسحاق الى العربية، وهو في احدى عشرة مقالة. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٤، ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص ١٤١.

فإنك قد تجد من المِعَدِ ما الغالب عليها الحرارة النارية، إمّا لأن مِزاجها من أجل خلقتها كذلك، أو لأنّ مِرارا أصفر ينصب اليها، مما قد مال من أصل الخلقة عن طريقه الذي كان إلى الأمعاء، فصار ينصب إليها، فإن المعدة التي هذه حالها تهضم من الأغذية غليظها، كلحم البقر ونظيره، ويفسد فيها ما لَطُف كلحوم الدُّرّاج[1] والفَراريج، فليس ينبغي لك أن تمتحن وتجرب الأغذية، وتقطع عليها بأن بعضها سريع الانهضام وبعضها بطيء الانهضام بحسب حالات هذه المعدة. وما سواها مما بَعُدَ عن الاعتدال بُعْداً كبيرا لا يصح القضاء على الأغذية من جهتها.

ويجب أن تنظر في أمر الأغذية نظراً آخرَ، وهو أن من المأكولات ما اكثر ما فيها ما يَغْذُو لمشابهتها لجسم المغتذي، وذلك كالحنطة والشعير والأرز وما شابه هذه الحبوب، وكلحوم الحيوان العذبة الطعم، السريعة النضج والانهضام، فإن جميع ذلك وما جانسه يغذو (/) الإنسان إذا أجيد إصلاحه ٣١/ب غذاء كثيرا، فأما ما وجد من المأكولات غير مشابه لجسم المُغْتَذِي فإنه مع أنه لا يغذي غذاء محمودا فإنه قد يُمْرِض إذا لم يفهم الآكل له وجه استعماله، وذلك كالمأكولات التي قد غلب على بعضها الحُموضة المفرطة، والمُلوحة المفرطة والحلاوة المفرطة، أو القبض المفرط، فإن هٰذه إلى طبائع الأدوية هي أميل، وقد يوجد بين المأكولات المشابهة والخارجة إلى الأطراف خروجا كثيرا متوسطات مختلفة المراتب إذا حسن إصلاحها غَذَت المُغْتَذِي بها ولم تضرّه. وأيضاً فإن من هٰذه الخارجة عن التوسّط في الطعوم ما يصلح أبدانا كثيرة، كالذي يفعله العَسَل، فإنه يُصْلح أبدانَ المشايخ، وخاصة من كان مِزاجه منهم بارداً، ومن غَلَب عليه البلغم، وكذٰلك أصحاب الأمزجة الباردة وفي الأزمان الباردة، وفي البلدان الباردة، فافهم ذلك وقِسْ عليه باقي المأكولات ذواتِ الطعوم الظاهرة المختلفة، وإذا صحَّ لك معرفة الغذاء الموافق فاحذر من الزيادة والنقصان، وتَوَخَّ التوسط، فإنه أسلم وأوفق، وإلى ذلك

(١) الدُّرّاج: طائر معروف طيب اللحم ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ٩٢. الغساني: المعتمد ص ١٥٤.

أشار بقراط بقوله، قال بقراط: («كلُّ كثير عدوٌ للطبيعة، والقليل قليلا ثقة») وقال بقراط: («لا الشبع ولا الجوع ولا غيرهما من جميع الأشياء بمحمود إذا كان مُجاوزاً لمقدار الطبيعة») وقال بقراط: («أيضا متى وردَ على البَدَن غذاء خارج عن الطبيعة كثيراً فإن ذلك يُحْدِث مرضاً، ويدل على بُرُوئه») وقال: («يضطرك الأمر في تقدير الغذاء لبدن المغتذي إلى النظر في أمر الفصل من الزمان الذي أنتَ فيه، وذلك أن الصيف والخريف فصلان لا يحتمل الجسم فيهما الزيادة في الغِذاء، فأمّا فصلا الشتاء والربيع فيحتَمِلان من الغذاء الكثير») وإلى ذلك أشار بقراط في هذا الفصل (/) من قوله، قالَ بقراط: ٣٢/أ («أصعبُ ما يكون احتمال الطعام على الأبدان في الصيف والخريف، وأسهلُ ما يكون احتماله عليها في الشتاء، ثم بعده في الربيع») وبين ذلك جالينوس، وفسر بهذا القول، قال جالينوس: («إنّ الأبدانَ تبتدىء في الخريف تبرد وتجتمع وتتكاثف وتبتدىء في الربيع تسترخي وتستخف») وقال بقراط أيضا: («الأجوافُ في الشتاء والربيع أسخنُ ما يكون بالطبع، والنوم أطول ما يكون») فينبغي في هذين الوقتين أن يكونَ ما يُتَناول من الأغذية أكثر، وذلك أن الحار الغريزي في الأبدان في هذين الوقتين كثير، ولذلك يحتاج إلى غذاء كثير، والدليل على ذلك الأسنان و(. . . .)[1].

وأيضا، مما هو ضروري في علم زمانِ الغذاء هو معرفة أوقات التغذية الجزئية، أعني التي ينبغي أن يتغذى فيها من اليوم والليلة مثلا، وكم مقدار الزمان بين الغذاءين، فإن معرفة ذلك إنما يكون من جهة المغتذي وسرعة هضمه، ونقاء معدته من الغذاء الأول، ومن الأخلاط المُفْسِدة، والكثرة الزائدة.

وقد أجمل ذلك بقراط في قوله هذا في «أبيديميا»[2] في المقالة السادسة منه،

(١) ما بين الحاصرتين كلمة غير مقروءة.
(٢) ابيديما: أي الأمراض الوافدة، وهو سبع مقالات ضمنه تعريف الأمراض الوافدة وتدبيرها وعلاجها. وقد فسره جالينوس، ونقل ذلك إلى العربية عيسى بن يحيى. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠١، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٥٤.

حيث رَتّب الغذاء بعد الرياضة وقبل النوم، فقال: ((التعبُ والطعامُ والنومُ والجِماع ينبغي أن تُسْتَعْمَلَ كلها بالقَصْدِ))[1] ومع ترتيبه له الترتيب الطبيعي نبه في قوله: «بالقصد» عن الاجتهاد في تقدير كميته لكل مغتذٍ[2]، قال بقراط: ((البدن ليس بالنقي كلما غذوته، إنما تزيده شرا)).

ولأن من المأكولات ما كثيرُها يغذي غذاء قليلا كالبُقول، ومنها ما قليلُها يغـذّي غذاء كثـيرا كلُحُوم الحيوانِ، وما صلب من الحبوب، ومنها ماهي متوسطة بين ذلك كلُحُوم الجِداء والفَرارِيج (/) والدُّرّاج وأمحاح البيض ومـا شاكل ذلك، فلذلك يجب أن يعنى بعلم ذلك ليستعمل منه الأوفق بحسب الحاجة. وأيضا لأن من المأكولات ما يسرع إليه الفساد لاستحالتها[3] سريعا، ومنها ما يبطىء فسادها لصلابتها، فلذلك يجب أيضا علم ذلك على الطبيب، لترتيب الغذاء بحسب ذلك، وبحسب حال المعدة، فإنه على أكثر الأمر ينبغي أن تُقَدَّم الأغذية السريعة الاستحالة قبلَ البطيئة النضج، ليسهل نفوذ الصلبة. وأيضا لئلا يفسد إن قُدِّمَت على السريعة، فإن تقديمَ أكل البطيخ والمشمش وما شاكلها على الخبز والمأكولات الأخر أحمدُ، ولذلك صار أكل أمثال هذه بعد الطعام مفسِداً للطعام والمعدة والأخلاط، ولا تهمل مع ما قدمته لك النظر في الأسنان والبخر والبلدان والعادات والأعمال والحالات، فإن علم جميع ذٰلك واجب ضرورة على كل من أحب إصابة الطريق المحمود في تغذيته لجسمه ولغيره، فتدبَّر ذٰلك، وقس عليه.

٣٢/ب

---

(١) القصد: التوسط والاعتدال.

(٢) وردت في الاصل «مغتذى».

(٣) يقصد بالاستحالة هنا التحلل، والفساد.

القـــول في المشروبـــات[1]

وأما المشروبات فالعلم بقُواها وأفعالها واجب أيضا، ليستعمل نافِعُها ويحذر ضارُّها، ولا يقدر على ذلك من جهة أمزجتها وطبائعها، ولأن الماء أقدمها كلها في الشرف والطبع والمرتبة، والنفع، فلذلك يلزم العناية بعلم حالاته التي بها يغير الأبدان، وذلك أن حاله الطبيعية له هي واحدة لا تختلف، وذلك أنه جوهر لا لوَن له ولا طعمَ ولا رائحة، ولكنه بارد رطب، وخلق جسما لا ثَبات له، ولا اتّصال لأجزائه، إلاّ بضامٍّ يضمها (ولما كان ثَباتُ أجزائِه بعضها عند بعض يخربه)[2] فلذلك لا يغذو (/) غير أنه نافع في نضج الغذاء ونفوذه الى أجزاء الجسم، فأما ما وجد من المياه مخالفا لما ذكر فبغير شك أن جسمه قد خالط غيره من الأجسام ذوات الكيفيات، واكتسب بذلك كيفيات لم تكن، كالمياه الكِبْرِيتية[3] والبُورَقِيّة[4] والشَّبِّيَّة[5]، وأشباه هذه المياه المختلفة الطعوم والأفعال، ولذلك صار له طعم ورائحة أو ثقل عن وزن غيره، ولأجلِ ذلك يصير مُغَيِّراً للأبدان، ومؤثرا (بتأثيرات)[6] مختلفة فيها، فيجب على الطبيب أن يُعْنَى بمعرفة قوى المياه واختلافها، فإن الضرر الداخل على الجسم من إهمال أمر الماء عظيم جدًّا، لأجل الحاجة إليه في

٣٣/أ

(١) في المشروبات التي يستخدمها الانسان كغذاء وعلاج، انظر: الرازي: منافع الأغذية ودفع مضارها. المرشد أو «الفصول» ص٥٧، المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة الخامسة الأبواب ٢٩ ـ٣٠ ـ ٣١. وذلك على سبيل المثال فقط.

(٢) وردت هذه العبارة مرتبكة في الأصل، وما أثبتناه يستقيم به المعنى.

(٣) المياه الكبريتية: قال الخليل بن أحمد الكبريت عين تجرى فإذا جمد ماؤه صار كبريتا أصفر أو أبيض. ابن البيطار: الجامع ج ٤ ص٤٩. الغساني: المعتمد ص ٤١٠.

(٤) المياه البورقية: قال ارسطو طاليس أنواع البورق مختلفة ومعادنه كثيرة، منه ما يكون ماء جاريا ثم يتحجر. ابن البيطار: الجامع ج ١ ص١٣٥، الغساني: المعتمد ص ٤١.

(٥) المياه الشبية: قال ذيسقوريدس اصناف الشب كثيرة والداخل منها في علاج الطب ثلاثة المشقق والرطب، والمدحرج... ابن سينا: القانون ج ١ ص٤٣٦، ابن البيطار: الجامع ج ٣ ص٥٣، الغساني المعتمد ص٢٥٧.

(٦) وردت «بايثارات» خطأ والصحيح ما أثبتناه.

البقاء، واستعماله دائما، وأمره وأمر الهواء وأمر فصول السنة إذا اختلفت، وأمر الرياح في عمومها للأبدان أمر واحد في الضرر الداخل على الأجسام منها، ولذلك قال بقراط هذا القول، قال بقراط: (من أرادَ طلبَ الطِّبّ على طريق مستقيم[1] فينبغي أن يفعل هٰذه الأشياء التي أنا واصفها، وهي أن تفكر أولاً في أوقاتِ السنة ما الذي (تقدر أن تفعل)[2] وذلك أن بعضها لا يشبه بعضا، لكنها مختلفة جدا في أنفسها وفي تغيرها، ثم ينظر بعد ذلك في الأرياح، الحارة منها والباردة، وخاصة ما يَعُمُّ منها جميع الناس، ثم ما يخصُّ منها كل واحد من البلدان. وقد ينبغي له أيضا أن يفكر في قوى المياه، فإنه كما قد تختلف المياه في الطعم وفي الوزن كذلك قوة كل واحد منها مخالفة جِدًّا لغيره.

وإذا تدبرنا ما أَمَرَنا به بقراط بأفكارنا، علمنا أن الماء عظيم النفع في حفظ الصحة إذا كان موافقا، وعظيم المَضَرَّة إذا كان غير موافق، ولا يقدر على تمييز ذلك وتحصيله أكثر مما ميزه (/) القدماء، وأشدهم تحصيلا لذلك بقراط، فاستمع لتعليمه، واعن بحفظه، لتصل إلى بغيتك في صناعة الطب، قال بقراط: («وأريدُ أن أخبرَ عن سائر المياه ما كان منها أقربها إلى إحداث الصحة، وأنا واصف ما يجب أن يحدث عن الماء من الآفات، وما يحدث عنه من الماء المالح، وذلك أن حظَّ الماء في المعونة على الصحة عظيم جدا، فأقول: إنه ما كان من المياه حامِياً قائما وغائصا، فيجب ضرورة أن يكون في الصيف حارا غليظا ذا رائحة، من قبل أنه لا يجري فينفذ، لكنه لما كان من المطر لا يزال يمده دائما فلا تزال الشمس تحرقه، وجب ضرورة أن يكون مائل اللون رديئا مولدا للمرار، وأن يغلب عليه في الشتاء الجمود والبرد والكدورة من قبل الثلوج والتجمد، حتى تكون هذه المياه أقربَ إلى توليد البلغم، وأولاها بإحداث البحوحة، ولذلك يحدث لشرابها دائما أطحلة

٣٣/ب

(١) وردت «المستقيم» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٢) وردت العبارة «يقدر ان يفعل» وما اثبتناه هو ما يستقيم به السياق.

عظيمة صلبة») ثم قالَ بعد: («فالأمر عندي في هذه المياه أنها رديئة في جميع الأمور») وقال: («ثم من بعدُ: هذه المياه التي ينابيعها من مواضع صخرية[١]، وذلك أنه يجب ضرورة أن تكون هذه المياه خَشِنة، وكذلك المياه التي تنبع من أرض فيها مياه حارة أو يتولد فيها حديد أو نحاس أو فضة أو ذهب أو كبريت أو شَبّ أو بُورَق، فإن هٰذه كلها إنما تتولد عن حصر الحرارة، فليس يمكن أن يتولد عن هذه الأرض مياه مالحة، لكنه يجب أن تكون خشنة ملهبة عسرة الدرور[٢] بالبول، مانعة لانْطِلاق البِراز»)، وقال: («وأفضلُ المياه هي الجارية من مواضع مشرفة عالية، ومن جبال منحدرة[٣]، فإن تلك المياه مياه عذبة صافية، والذي تحمله من التخمر (/) ٣٤/أ قليل، وتكون في الشتاء حارة وفي الصيف باردة، فإنها إذا كانت كذلك كانت من أبعد الينابيع غورا») وقال أيضا ـ يصف المياه الفاضلة ـ: («أما ما كان منها ينابيعه مقابلة لمشارق الشمس فتلك المياه أفضل المياه، ثم من بعدها: ما يكون من المياه فيها بين مطالع الشمس الصيفية، وبين مَغاربها، وخاصَّةً ما كان منها مقابِلا لمطلع الشمس، ثم الثالثة بعدها المياه التي فيها بين مغارب الشمس الشَّتوية وبين الصيفية، وأردؤها المياه التي تقابل الجُنوب، وهي التي تقابل ما بين المشرق الشتوي وبين المغرب، وهذه المياه تكون في أوقات هبوب الرياح الجنوبية رديئة جدا، وتكون عند هبوب الرياح الشمالية أجود»)[٤] وقال: («وينبغي أن تستعمل هذه المياه على هذا الطريق، أما من كان صحيحا قويا فلا ينبغي له أن يميز بين المياه، لكن يشرب منها ماحضره») وقال يمدح ماء المطر: («إن ماء المطر أخفُّ المياه وأصفاها، وأعذبُها وأرقها، وذلك أولا من قبل أن الشمس إنما ترفع من الماء وتسلب منه أرقه وأخفه») ومما يدلك على ذلك أمر المَلّاحات، وذلك أن الجزء المالح من الماء يبقى

---

(١) وردت «الصخورية».
(٢) وردت «الدور».
(٣) وردت «مدرنه» خطأ.
(٤) انظر في أمر المياه وانواعها. المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة الخامسة الباب التاسع والعشرون.

فيهـا بسبب غلظه وثقله، فيصير ملحا، وتسلب الشمس أرق الماء لخفته فترفعه، والشمس ترفع ذلك لا من المياه العذبة فقط لكن قد ترفعه من ماء البحر أيضا ومن جميع الأجسام، وترفع من أبدان الناس دائما أرق ما فيها من النداوة وأخفه. ومما يدلّ على ذلك أعظم الدلالة أن الإنسان إذا مشى في الشمس أو جلس فيها، وعليه ثوب، فإن ما كان من جسده بارزاً لا يعرق، وذلك أن الشمس تسلب دائما ما يَبْرُز من العرق فترفعه، وما كانَ مُغَطًّى بالثوب (/) وبغيره، ـ أي شيء كان ـ فإنه يعرق، وذلك أن الشمس تخرج العرق قَسْراً، والجُبَّة تحفظه وتبقيه حتى لا تبيده الشمس، فإذا انتقل ذلك الإنسان الى الظل عرق بدنه كله على مثال واحد، وذلك أن شعاع الشمس عند ذلك لا يقع عليه. قال: («ولذلك صار ماء المطر أقرب المياه الى العفونة، وإلى أن يصير له رائحة رديئة، لأنه إنما يجمع رطوبات كثيرة جدا، فهو مختلط بها، فيجب من ذلك أن يكون أولى المياه بأن يختمر»)[1]. ٣٤/ب

ثم لما أورد[2] بقراط بعد هذه الأقاويل كيف يتكون المطر، قال: («فإن لم يفعل به ذلك صارت له رائحة رديئة، وأحدث لمن يشربه بُحُوحَة وسُعالاً وثقل صوت»)، وقال بقراط: («وأما ماء الثلوج والماء المجمد فكله رديء، وذلك أن الماءَ إذا جمد مرة لا يعود إلى طبيعته الأولى، لكن ما كان منه صافيا خفيفا عذبا انعصرِ وباد، ويبقى منه أعكره وأقربه من العائم»)[3].

وإذ قد ذكرت في هذا الموضع هذه الفصول من كلام بقراط ليستدل منها على ما الحاجة إليه ماسة، من أمر الماء، ولتكون أيضا حاثَّةً لك على تَقَصِّي علم ذلك من مواضعه من كتب أبقراط وجالينوس، فاني عائد الى القول في المنافع بالاستحمام بالماء، وأقول: ان المنافع بالاستحمام بالماء مختلفة أيضا للأصحاء والمرضى، وذلك أن من الأبدان الصحيحة ما يوافِقُها الاستحمامُ بالماء العَذْب البارد، وكذلك قد يوافق بعضَها المائلةُ إلى الملوحة وإلى البُورَقية

(١) انظر ما قاله المجوسي في استشهاده بقول ابقراط في المطر: كامل الصناعة الطبية: المقالة الخامسة الباب التاسع والعشرون.
(٢) وردت «أورا» والصحيح ما أثبتناه.
(٣) انظر أيضا ما قال الرازي على ماء الثلوج. المرشد ص ٣١.

وإلى الشبيّة، وغير ذلك من هذه المياه ذوات الطُّعُوم الأُخَرَ الحارة الموجودة في الحَمّات[1] (/) وغير الحارة، وكذلك قد يوافق هذه الأصناف من المياه لبعض المرضى دون بعض، ولأسنان دون أسنان، وفي بلدان دون بلدان، وللعادات في ذلك أيضا حظ عظيم، فيجب عليك اختبار ذلك وتقصيه. واجتهد في التقصي على محمود المياه من مذمومها بالأوجه التي وصفها بقراط، وبهذه الأوجه التي نذكرها هاهنا وهي هذه:

1/35

اجعل دلالتك التي تستدل [بها][2] على خفة الماء وجودته سرعة برودته وسرعة سخونته، وهذا هو قول بقراط في ذلك قال: ((«الماء الذي يسخن سريعا ويبرد سريعا هو أخف المياه»). وفي الخامسة من كتابه «في الفصول» («وخِفّة وزنه بمقايسته لغيره، وسرعة جفاف ما يُعجَن به مع سرعة نُضْج[3] ما يُطْبَخُ»).

وبعد ذكري لهذه الجمل فقد ينبغي أن أتبعها بذكر الخمر، والنبيذ، لما في ذلك من المنافع، فإن للخمر منافع للأصحاء والمرضى[4]، فأما الأصحاء فإنه يغذي أسرع مما يغذي سائر الأغذية الباقية، لسرعة نضجه، ونفوذه إلى

---

(1) الحمّات: جمع حمّه: وهي كل عين ماء حاره تنبع من الارض ويُستشفى بالاغتسال من مائها. ابن منظور: لسان العرب ج ١٢ ص ٤

(2) لم ترد كلمة «بها» واثبتناها هنا ليستقيم سياق الجملة ومعناها.

(3) *وردت بالأصل «نضاج»*.

(4) في أمر الشراب والتداوي به انظر الرازي: في الشراب ـ المرشد ص ٥٧، المجوسي: كامل الصناعة الطبية: المقالة الخامسة. الباب الثلاثون والمصنف هنا يتابع نقله عن جالينوس وغيره من قدامى حكماء اليونان، ومعلوم أن الإسلام حرم الخمر، لأضرارها المتعددة، ولقد ثبتت حرمتها بالنص الصريح من الكتاب والسنة قال، تعالى: ﴿يا أيها الذي آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ المائدة «٩٠».
وروى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه قال: ﷺ: ان الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داءٍ دواء، فتداووا ولا تداووا بالمحرم» أخرجه أبو داود «٣٨٧٤» في الطب، وذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود: أن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم» أخرجه البخاري ١٠/٦٨. وأخرجه أحمد في كتاب الأشربة رقم«١٣٠». والأحاديث كثيرة جداً في النهي عن استخدام الخمر في الدواء، ولمزيد من المعلومات انظر ابن القيم: زاد المعاد جـ ٤ ص ١٥٤ «فصل في هديه ﷺ في المنع من التداوي بالمحرمات». عبداللطيف البغدادي: الطب من الكتاب والسنة ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.
هذا عدا ما أثبتته الدراسات الحديثة والتي قام بها أطباء من الشرق والغرب عن الخمر ومضارها وما تسببه للإنسان من مضار في بدنه وفي نسله مما لا يدع مجالا للشك في عدم جدواها في التطبيب، وسيورد المصنف قريبا طائفة من مضارها وما تفعله.

الكبد واستحالته، لما له في خاصة مِزاجه من الحرارة، فهو لذلك يكثر الدم ويصفيه، وينفي عنه بالبول كثيرا من الرطوبات المخالطة له، وهو ينضج ما صادف في المعدة والكبد بحرارته من البلغم، وما لم يستحكم نضجه من الأخلاط، وكذلك صار أصحاب الأمزجة الباردة، والمِعَد الكثيرة البلغم ينتفعون به، وخاصة عند أخذهم القليل منه في جملة أغذيتهم، وبما له من الفضائل صار يقوي البدن، ويكسبه خِصْبا ولوناً مشرقا، ونشاطا للحركات والأعمال، ولذلك أيضا فهو يكسب النفس سرورا وفي بعض الأمزجة يُجَوِّدُ الخاطر، ويحد القريحة.

جميع (/) هذه المنافع إذَنْ يفعلها في الأصحاء مع ما له من المنافع في المرضى إذا استعمل منه ما جاد في جوهره، واعتدل في كميته وكيفيته، وبحسب الأصلح ليستعمله في حال طبعه وسِنّه وعمله وعادته، والوقت من السنة، والبلد الذي هو ساكنه، وغير ذلك مما لابد من النظر فيه، فأما إن أهمل النظر فيه، أو في واحد من هذه الأشياء، أو في أكثر من واحد، كان الضرر الداخل على الإنسان في نفسه وجسمه بحسب ذلك، وخاصة إن جعل شاربه غرضه من شرب الخمر والنبيذ الالتذاذ به، وطلب السكر منه، ودوام ذلك، فإنه سيؤول به الأمر من المَضارّ العاجلة إلى ما يكثر تعدده ووصفه، وأنت إن افتقدت المضار والعيوب التي يجلبها على من داومه بكثرة وجدتها[1] ظاهرة، يعرفها من ليس هو طبيبا بسهولة عندما يجعلها باله، فكم من جسم صحيح قد أمرضه، وكم صنوفا من الموت قد أحدثها، وكم أدمغة قد أفسدَها، فذهب بحفظها، وأساءَ تمييزها، وكَدَّر تخيلها، وكم أعصاب قد يَبَّسَها، وأعضاء قد أرعشها، وحواس قد أضعفها، وكم صِنْفٍ من التغايير الرديئة تحدث للنفس في يومه، فكيف إذا تمادى بصاحبه الإدمان على كثرته، لأنه ينقل شاربه بعد سروره إلى الطرب واللعب كلعب الصبيان، ثم ينتقل الإنسان إلى ظَنِّه بنفسه الشجاعة، ويحمله على التَّهوُّرِ في المهلكات، ويصور

٣٥/ب

(١) وردت «وجدها» وما اثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

له القبائح بصورة المستحسنات، ثم آخر أمره يؤول بصاحبه إلى العجز عن الحركات المستقيمة إلى الحركات المضطربة، حتى ربما قذفَ وبالَ بين الحضور وهو لا يعلم، فتصير منزلته في وقته ذلك منزلة الأطفال الذين تجري هذه (/) الأفعال منهم مَجْراها من البهائم بغير عقل ولا تمييز. فهذه جمل من عيوب شرب الخمر، وجمل من منافعه، ولك أن تفهم منها من فروعها ما لم أر للتطويل بذكره وجها.

٣٦/أ

وبعد ما ذكرته فقد بقي أن أقول لمن أراد استعماله: فمنافعه أن ينظر في اختلاف أصنافه، فإن الخمر الأسود الغليظ القابض هو مضادٌّ للأبيض الرقيق الماء، فأما الأحمر المائل إلى الصفرة فهو متوسط بينهما، وأعني أن الأسود مضادّ للأبيض في أفعالها، لأن الأسود لغلظه لا ينفذ عن المعدة بسرعة، بل يبطىء فيها، وهو يُغَلِّظ الدم ويغذي.

فأما الأبيض فيفعل أضداد هذه الأفعال، وهو أشد إدراراً للبول، لسرعة نفوذه، وأقل إسخانا للبدن، وإذا كان الأمر في هذين الطرفين كذلك فأفعال المتوسط بينهما متوسطة أيضا، ولأن من الخمور ما هي متوسطة أيضا بين هذا الأوسط وبين الأطراف بمراتب كثيرة مختلفة فمنها ما هو قريب من المتوسط، ومنها ما هو قريب من الأطراف، فلذلك ينبغي أن يميز أصنافها، ويقيسها بالمتوسط الذي هو أعْدَلُها، ليعلم طبعه وتأثيره في أجسام الأصحاء والمرضى.

ويتبع الخمر من الأشربة ما عمل من الزبيب، فإنه أقرب إليه مما عمل من التمر وغيره من المُسْكِرات، على اختلاف صنعتها، فقِسْ جميع تلك بما ذكرته من أمر الخمر، وأنت تقدر على تعرف فعلها في الجسم من اختلاف طعومها، وكذلك فافعل فيما لا يُسْكِرُ من الأشربة، لكنه ينفع في حفظ الصحة ومعالجة الأمراض، كالمشروبات المستخرجة من الثمار، كماء الرُّمّان، وماء التّفاح، وماء السَّفَرْجَل، ونظائر ذلك، وما يركب (/) من هذه، وما يعمل أيضا من السكر والعسل وغيرهما من الأشربة المختلفة أصنافها، المتغايرة أفعالها، فكذلك يجب أن تأخذ نفسك في تعرف أصنافها، وتَقَصِّي وجوه تراكيبها، وما تؤثره في صنفٍ صنفٍ من الأمزجة، لتستعملَ منها ما احتجت

٣٦/ب

إلى استعماله على ثقة، واعن بمعرفة شراب العسل، وأصناف تراكيبه، فإنها كثيرة بحسب الحاجات إليه، والحاجات إليه في حفظ الأصحاء وفي معالجة المرضى عظيمة جدًّا، واعلم أن اختلاف أفعاله في حل الطبع وعقله، وإدراره البول وقلة إدراره، وقطعه للعطش، وزيادته في العطش، وإنضاجه للأخلاط وقلة إنضاجه، وتغذيته للبدن وقلة غذاه، جميع ذلك يفعله بحسب كثرة مزاجه بالماء وقِلّته وتوسُّطِه، وبحسب وجه استعماله من الحار والبارد، ووقت استعماله أيضا، فإن النظر في جميع ذلك يعينك على تقدير ما يستعمل منه، وعند أيِّ الحالات، ويَدُلُّك على الموافق من المشروبات لكل واحد من الناس، وفي حالة واحدة من حالات الجسم.

فدَبّر ذلك، وقس عليه، والتمس جميع ما أحببته منها من الكتب التي وصفت فيها هذه الأشربة، وتفقدها في كل صنف منها من المفردات، فإنك بذلك تصل إلى حقيقة مطلوبك.

القــول في الاستفراغ والاحتقـــان[1]

نظرُ الطبيب في أمر الاستفراغ والاحتقان يجب أن يكون على وجهين، أحدهما للحاجة إليهما في أمر حفظ صحة الأصحاء، والثاني في أمر معالجة المرضى.

فالاستفراغ والاحتقان في حال الصحة هما طبيعتان، وفي حال المرض هما عرضيتـان، وذلـك أن الباريً تعالى جعل للأجسام المغتذية النامية قوة تجذب إليها ما يوافقها من الأغذية، وقوة أخرى (/) تحفظ عليها ما انجذب إليها ‎٣٧/أ‎ إلى أن ينهضم، وبعد ذلك يغتذي منه بما وافقها، وما فضل مما لا يوافقها يندفع عنها بقوة أخرى خلقت في الأعضاء لدفع ذلك عنها، فإذا كان الجسم صحيحـا فعلت هذه القوى الأربع أفعالها في الأوقات التي تخصها، وإذا ضعفت أفعالُ هذه القوى، أو لم تفعل أفعالها البتة، أو فسدت، أو تأخر فعـل بعضها عن وقته، دَلّ ذلك على مرض بالجسم، فلذلك يجب على الطبيب أن يعنى بأمر الاستفراغ والاحتقان في تدبير جسم الإنسان، إذ كان غذاء الجسم ليس هو جميع ما يأكله الإنسان ويشربه، لكن اغتذاء أجسامنا إنّما هو بالذي يصير شبيها بها فقط، فأما ما لم يكن فيه المشابهة فإنما يبقى فضلا ينتفي بقاؤه في الأعضاء المغتذية، فلذلك خلق الباريء جل وعز في كل جسم مغتذ منافذ وطرقا تبرز منها تلك الفضلات، تدفع بالقوة الدافعة لها عن المغتذي، وذلك كمنفذ البراز، ومنفذ البول، ومنافذ العرق، والأثقاب

(١) الاستفراغ: وهو من وسائل الأطباء المسلمين في معالجة الاحتقان وسوء الهضم واضطرابات المعدة والأمعاء وأمراضها. والمعدة تستفرغ بالقيء والإسهال، ويكون من جهتين أما من فمها، فبالقيء والغراغر، وأما في تقعرها فبالإسهال. ويستخدم الاستفراغ لاعضاء اخرى في الجسم كالدماغ، والكبد، والرئة، والقلب وقل ما يحتاج أن يستفرغ، واستفراغ فضول الطحال وفضول الأمعاء، وفضول الكي، وفضول المثانة، وفضول الأرحام، انظر الرازي: المرشد صص ٩١ ـ ٩٩. ابن سينا: القانون ج ١ ص ١١١، ج ٢ صص ٣٣٨ ـ ٣٤٤.

التي يبرز منها فَضْلُ عضوٍ عضوٍ، كالفمِ والمَنْخِرَيْنِ والأذنين. وبالجملة سائر الأثقاب التي أعدت لذلك.

وإذا كان الأمـر على ما قلنا فقد يلزم الطبيبَ العنايةُ بمعرفة نوع ما يستفرغ من البدن في حال الصحة، فإن وجده يبرز عن البدن بالمقدار الذي يجب، وفي الوقت الذي ينبغي أن يبرز فيه، وهو الوقت الذي قدرته الطبيعة للبروز اكتفى بفعلهـا، وكَفَّ عن معـاونتهـا. وإن وجـد مايبرز من تلك الفضلات قد خرج عن الأمر الطبيعي وجب عليه أن يَرُدَّ ما خرج عن الأمر الطبيعي إلى مَجْراه الطبيعي، إذ كان الطبيب خادما للطبيعة.

وخروج ما يبرزُ من البدن عن الأمر الطبيعي هو على ضربين: إمّا أن يكونَ ما يبرز من البدن أكثر مما ينبغي؟ أو أقل؟ فإن (/) كان أكثرَ وجب عليه قطعه ومنعه، وإن كان أقَلَّ وجب عليه إسهالهُ ودفعُه، ولن يقدر الطبيب أن يأتي في ذلك الأمر المستقيم إلاّ من بعد أن يعلم لِمَ[1] احتبس ما كان من عادة الطبع دفعه، ولِمَ اندفع ما لم تجر لعادة الطبع دفعه. ٣٧/ب

ومثال ذلك البراز والبَوْل، فإن نوعيهما ـ وما ماثلهما من فضلات الجسم ـ من شأن الطبع أن يدفعها عن الجسم، ويخرجها في أوقات معلومة بمقادير مناسبة لما يرد إلى البدن من الأغذية، وبكيفيات متشابهة، هذا اذا كان البدن صحيحـا والتدبير موافقا، فأما ما لم يجعل له الطبع استفراغا بنوعه البتة فكـالدم من الذكور، ولو قيل: من الإناث أيضا لكان قول حق، إذ الحيض المنبعث من الإناث ذواتِ الحيضِ إنما هو فضل من فضول الدم والبدن.

ولا يمكن أيضـا للطبيب أن يستعمـل الأمـر الـواجب في الاستفـراغ والاحتبـاس دون أن يعلم الأشياء التي يكـون بها الـدفـع والحبس، فانه وإن علـم مثلا أن البراز قد احتبس لكيفيته هو في نفسه مثلا، أعنى ليبسه، أو لغير ذلك من الكيفيات المانعة له من الخروج، أو لأن القوة الدافعة قد ضعفت عن دفعه، أو لأن مانعا قد سد طريقه ومنفذه، كورم قد عرض

(١) وردت «لمن» خطأ.

في بعض الأمعاء، فان علمه بذلك وأمثاله لا يغنيه في استفراغ ما قد اعتقل دون أن يعلم بأي شيء ينبغي أن يكون الاستفراغ، وكالذي قلناه فيما احتبس فكذلك ينبغي أن يفهمه أيضا فيما استفرغ.

وإنما ذكرت هذه النكت في هذا الكتاب لتكون مُنَبِّهة لك أيها الطبيب وحاثَّةً، حتى تعرف أصولها وفروعها من الكتب التي وضعها قدماء الأطباء في ذلك، فإن بقراط قد ذكر جُمَلا من أمر الاستفراغ وحالاته، واجب علمها على من عُنِيَ بحفظ صحة الأصحاء، وبمعالجة (/) المرضى، منها قوله هذا، قال بقراط: («أيضا إن كان ما يُسْتَفْرَغُ من البدن عند استطلاق البطن والقيءِ اللَّذَيْنِ يكونان طوعا من النوع الذي ينبغي أن يُنَقّىٰ منه البدن تفتح ذلك وسهل احتماله، وإن لم يكن كذلك كان الأمر على الضّدِّ») وكذلك خلو العروق، فإنها إن خلت من النوع الذي ينبغي أن تخلوَ منه نفع وسهل احتماله، وإن لم يكن كذلك كان الأمر على الضدِّ. قالَ بقراط أيضا - في المقالة الرابعة من هذا الكتاب، أعني كتابه في الفصول - («إنّما ينبغي أن يستبقى من الدَّواء ما يستفرغ من البدن من النوع الذي إذا استفرغ من المِعَى[1] نفسه نفع استفراغه، فأما ما كان استفراغه على خِلاف ذٰلك فينبغي أن يقطعه»).

١/٣٨

وكما أنك أيها الطبيب مضطر عند استفراغِك لفَضَلات أخلاط البدن وفُضُوله إلى النظر في مِزاج البدن وسحنة ذلك الإنسان، وسنه وعاداته وصنعته، والزمان الحاضر، وحال الهواء أو حال البلد، وكذلك يجب أن تنظر أيضا في هذه الأشياء - يوماً فيوماً - عند قصدِك استفراغ ما قد احتبس من فضلات أغذية البدن عُضْواً عضواً من أعضائِه، واستعن في دفعك لما تريد إخراجه بالحَركة، فإنها تُثِير ما يقصد لدفعه، وبضد ذلك السكون ولهٰذه العلة يأمر بقراط من شَرِبَ دواءً مُسْهِلا بالحركة، لأنها تحمي أخلاطه فتُرقّها، ولذلك يكون جذبُ الدواءِ لها ودفعه أسهل وأسرع. قال بقراط: («إذا

(١) وردت «المعا».

سقيت إنسانا خربقا[٢] فليكن قصدك لتحريك بدنه أكثر، ولتنويمه ولتسكينه أقل ») وقد يدل ركوب السفن على أن الحركة تثير الأبدان. ومع ما للحركة المُوافقة، والرياضة المعتدلة من دفع الفضلات واستخراجها، فإن للاستحمام بالماء المعتدل الحرارة أيضا في ذلك حَظًّا، وكذلك للدَّهْن والدَّلْك وأخذ ما (/) يؤكل ويشرب من الأشياء الموافقة في الاستفراغ والاحتقان، فاستند على تعلم هذه الأمور من كتب جالينوس وغيره من القدماء، فإن جالينوس قد صَنّف لما ذكرناه من أمر الاستفراغ والاحتقان ولتصنيف الرياضات، وبالجملة سائر ما ينتفع به الأمعاء من ذلك، كتاباً قسمه ستّ مقالات، وسماه «كتاب تدبير الأصحاء» أنت تحظى منه بجميع غرضك.

٣٨/ب

(١) خربق: وهو نوعان: خربق أبيض: وهو نبات له ورق شبيه بورق لسان الحمل، أو ورق السلق البرى، إذا شرب نَقّى المعدة، وأخرج منها أشياء مختلفة، وله منافع مختلفة التأثير والتطبيب. وهناك الخربق الأسود: وهو نبات له ورق أخضر يشبه ورق الدلب. والخربق الأسود يعدّ من الأدوية المسهلة. ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ٥٤، أبوعمران: شرح أسماء العقار رقم الكلمة ٣٩٩ ص ٤٢، الغساني: المعتمد ص ١٢٢ - ١٢٣.

القــول في النــوم واليقظـــة[1]

ومما ينبغي للطبيب أيضا أن ينظر فيه من أمر النوم واليقظة هو أن يعلم ما الذي يفعله كل واحد منهما في أجسام الأصحاء ثم في المرضى، ليقدر لكل بدن من أبدان الحيوان بحسب حالِهِ المقدار الكافي الموافق في حفظ الصحـة وفي معالجة المرض، لأن النوم أحد الأمور الطبيعية التي لا قوام لصحة الإنسان إلاّ به، فلذلك له وقت محدود فيما بين الأمور الطبيعية، وزمان معلوم بَيَّنَه الجليل بقراط في المقالة السادسة من كتاب أبيديميا فقال: («التعب والـطعـام والنـوم والجماع ينبغي أن تستعمل كُلُّها بالقَصْدِ») قال جالينوس: («إن قوله: «بالقَصْدِ» هو اشارة إلى تحديده مقاديرها لشخصٍ شخصٍ، ولذلك صار النوم يوجد في سائر أسنان الناس بالطبع»). فنقول: إن من لطف الباريء تعالى بالحيوان أنه جعل له النوم والراحة لجسمه، وليعود إلى البدن به عوضُ ما تحلل منه في اليقظة، وذلك أن اليقظة تستثير معها الحرارة الغريزية إلى ظاهر البدن، وإلى سائر أفكاره، ويبسط معها الدم الذي هو مركبها، وينشره في البدن، فيتحرك الحيوان بقوة الحرارة لأعماله ومعيشته (/) وكلما تحرك تَحَلَّلت من بدنه من الرطوبات جزء بعد جزء، وما يكسبه ذلك يُبْساً، ولو دامت عليه الحركات، واتصلت اليقظة لأفرط اليبس على بدنه، وهلك، فلذلك جعل الله تبارك وتعالى زمان النوم بين أزمان اليقظة لتجتمعَ الحرارة في وقت النوم إلى باطن البدن، فتستوليَ البرودة على ظاهره، وتسترخيَ أعضاء الحيوان، وتُعَطَّلَ حواسُّه، فيسكن من أعماله، وتأخذ الحرارة في هضم أغذيته وإصلاح رطوباته ليوافقَ الأعضاء فيأخذَها بقوتها الجاذبة

٣٩/أ

(١) عن النوم واليقظة وأثرهما في بدن الإنسان انظر الرازي: المرشد ص ٤٠ ـ ٤١، المجوسي: كامل الصناعة الطبية المقالة السادسة الباب الخامس والثلاثون.

فيترطب بها، ويكون ذلك خَلَفَ ما تَحلَّل، وتقوى أيضا بالنوم القُوَّة الماسِكة، والقوة المُغَيِّرة، والقوة الدافعة.

ومعلوم أن بصلاحِ هٰذه القوى الأربع، وجودة أفعالها يكون البدن صحيحاً، وأفعاله مستقيمة، وأيضا فإن النوم، مع أنه يقوي القوى الطبيعية، فإنه يُضْعِف القوى النفسانية، لأن الحواس وقوى العقل فيه تضعف، لامتناعها من أعمالها، فإذا كان ذٰلك كذلك فقد يجب على الطبيب إذا علم ذلك أن يعلم المقدار من النوم واليقظة لكلِ إنسان، إذ كان لكل إنسان منهما مقدار طبيعي بحسب مزاجه وعادته وأعماله وأغذيته، وبحسب السن والفصل وحال الهواء، فإذا خرج أحدهما عن حاله الطبيعية ـ في كميته أو وقته ـ دَلّ ذلك على أمر رديء خارج عن صحة ذلك الجسم، ولذلك قال بقراط: ((النومُ والأرَقُ إذا جاوز كل واحد منهما المقدار القصد فتلك علامة رديئة)). وأيضا فإن الطبيب إذا رأى النوم مثلا قد خرج عن اعتداله استدل بذلك على مرضٍ ما قد حدث بالدماغ، إذ كان النوم إنما هو حال خاص (/) بالدِّماغ، يحدث مع برده ورطوبته المعتدلين، فإن أفرط عليه أحدثا به السَّرْسام[1] البارد، ولذلك قال جالينوس: ((وبعد النوم يكون من برد الحاس الأول أعني الدماغ، وذلك البرد إذا كان قويا ثم خالطه رطوبة حدث منه المرض الذي يسمى ليبرعش[2] وهو السَّرْسام البارد، ومتى كان معه يبس حدث منه المرض الذي يسمى قاطاليس[3] وهو الجُمُود)). وكذلك الأرق يكون من سخونة الحس الأول، الا أن تكون تلك السخونة إما أن تكون مزاجا رديئا مجردا، واما أن تكون لغلبة من المِرّة الصفراء. ٣٩/ب

وقال بقراط: ((إذا كان النوم في مرض من الأمراض يحدث وجعا فذٰلك من علامات الموت، وإذا كان النوم ينفع فليس ذلك من علامات الموت))،

---

(١) السرسام: كلمة فارسية تعني ورم الرأس وهو ورم حجاب الدماغ إذا كان حارا. ابن سينا: القانون ج ٢ ص ٤٤، المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ٢ الباب الثاني عشر.

(٢) ليبرعش: وترجمته النسيان. الرازي: الحاوي ج ٢٢ ص ١٦٣. ابن سينا: القانون ج ٢ ص ٥٠

(٣) لعله يقصد به قرانيطس وهو السرسام الحار. ابن سينا: القانون ج ٢ ص ٤٤.

وقال بقراط أيضا: («متى سكنّ النوم اختلاط الذهن فتلك علامة صالحة»).

فاجعل استدلالك من النوم واليقظة بحسب ما ذكرناه لك من حالاتها وماذكره القدماء في ذلك، واعلم أن النوم إن كان يتبعه احتباس ما يستفرغ، ويتبع اليقظة استفراغ ما هو محتبس فإنهما يفعلان ذلك بحسب اختلاف حالات أخلاط البدن، وذلك أن النوم إن صادف في البدن خلطا لم ينضج، وغذاء لم يُسْتَمْرَأْ[1]، أنضج وجَوَّدَ الاستمراءَ وسخّن ورَطّب، وإن وجد البدن نقيا محتاجا إلى غذاء قوي الحرارة يفني ما صادفت من الرطوبات فلذلك يعقب قلة المادة برودة البدن، فأما إن صادف مادة معتدلة قوي بها الحرارة الغريزية، وكان نفعه عظيما، كما أنه إن صادف مادة كثيرة عسرة النضج قاهرة للقوة، كان النوم ضرره عظيما، كالذي يعرض في ابتداء نوائب الحميات (/) ٤٠/أ النائبة[2]، ولذلك يأمر الأطباء في مبتدأ النوبة بترك النوم.

فاستعمل النوم واليقظة بحسب هذه القوانين. وقد قال بعض القدماء: («إن النوم فيه مماثلةٌ ما للموت، لأن الإدراك بالحواسّ والتمييز يبطلان معهما، ولا يكون معهما علم المحسوس») فلذلك ينبغي لطالبي العلوم والفضائل أن لا يتوفروا على النوم، بل يتوفرون[3] في مدة حياتهم على إصابة الحقائق من العلوم والفضائل، وإلاّ كانت[4] يقظتهم نوما، وحياتهم موتا.

(١) الاستمراء: من مرأ، يقال مرأني الطعام وأمراني اذا لم يثقل على المعدة وانحدر عنها طيبا. ابن منظور: لسان العرب ج ١ ص ١٥٥.
(٢) انظر أنواع الحميات واصنافها في ابن سينا: القانون ج ٣ صص ٢ ـ ٦٤.
(٣) في الأصل: *بل يتوفروا*.
(٤) وردت «كان».

القــول في الأعــراض النفسانيــة[1]

ومن الواجب على الطبيب أيضا أن يعلم ما الأعراض النفسانية؟ وكم أصنافها؟ وعن ماذا يحدث كل صنف منها؟ فإنه إن لم يعلم ذلك لم يقدر على حفظ الطبيعي منها، ولا على نفي ما ليس بطبيعي.

وقبل جميع ذلك يجب أن يعلم أن للإنسان قوة يميز بها ويفكر، وقوة أخرى يغضب بها ويحرد، وقوة ثالثة يشتهي بها ويشتاق إلى اللذات، وأن هذه الثلاثة قوى بها يتم للإنسان حركاته وأفعاله، والقدماء يسمونها قوى نفسانية، لأنهم وجدوا الأخلاق والعوارض النفسانية أنواعا لهذه الثلاثة الأجناس من قوى النفس.[2].

وأيضا ينبغي أن يعلم ما الذي يريده[3] القدماء بقولهم: عارض[4]، ولأن جالينوس قد شرح ذلك وبيَّنه فيجب أن أحكي قوله بلفظه، قال جالينوس: («إنه ما دامت[5] نفس الإنسان باقية على حالها فتلك الحالة لها كالسكون والهدو، فإن تغيرت حالها تَوَهَّمنا ذلك التَّغَيُّرَ كالحركة لها، لأن الحركة منها ما يكون من نفس المتحرك، ومنها من (/) قِبَلِ غيرِه، سمينا الحركة التي ٤٠/ب تكون من نفس المتحرك فعلا، وسمينا الحركة التي تلحقه من قبل غيره عارضا، والمثال في ذلك أنه إن أخذ شيئا فنقله من موضعه إلى موضع آخر

---

(١) موضوع النفس ودراستها، كان مجالا لدراسة عدد كبير من علماء الفلسفة القدماء، وقد اختلفت وجهات نظرهم في طَرْق جوانب الموضوع، لا سيما في ماهية النفس وأفعالها ومصيرها... الخ وكان أشهر العلماء الذين تطرقوا لهذا الموضوع أرسطو وأفلاطون في العصر اليوناني وجالينوس في أوائل العصر الروماني، والفارابي، والرازي، وابن سينا، وابن رشد في العصر الإسلامي. انظر في موضوع النفس على سبيل المثال لا الحصر: الفارابي: رسالة في العقل. ابن سينا: الشفاء، الطبيعيات، النفس، الاشارات والتنبيهات ج ٣ ص ٢٦٤ - ٢٩٤، ابن رشد: تفسير ما بعد الطبيعة، تلخيص كتاب النفس، كتاب النفس ضمن رسائل ابن رشد، هبة الله بن ملكا: المعتبر في الحكمة ج ٢ ص ٣٠٧، الرازي: الحاوي في الطب، الطب الروحاني، ابن سينا: القانون، المجوسي: كامل الصناعة الطبية، ابن هبل: المختارات في الطب.

(٢) انظر في القوى وأصنافها. ابن سينا: القانون ج ١ ص ٦٦ - ٧٢.

(٣) وردت «يريدون» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

(٤) انظر في تفسير العرض. ابن سينا: القانون ج ١ ص ٤ - ٧٣ - ٧٤ الرازي: المرشد ص ٦٣.

(٥) في الأصل: *إنه متى مادامت*...

كانت حركة اليد فعلا لذلك الإنسان وليَدِهِ، وكانت حركة الشيء عارضا للشيء، هذا حكم الفعل والعارض في حركة المكان. وأما في التغير فإنه متى سخن بدن الإنسان من نار أو من حر الشمس كانت السخونة عارضة للبدن، والإسخان فعل الشيء الذي أسخن»).

ولما قدر الخالق تعالى لمصلحة[1] بدن الإنسان من هذه القوى ومن أفعالها مقداراً ما، وجب أن يكون ذلك المقدار هو الطبيعي لذلك الإنسان، وما نقص عنه أو زاد عليه فهو غير طبيعي، ولذلك يكون الطبيعي صحة لتلك القوة ولذلك الجسم، وغير الطبيعي مرضاً لهما. ولأن النفسين البهيميتين اللتين في الإنسان كثيرا ما تضران بالنفس الناطقة، وخاصة الشهوانية منهما لأجل اللذة المقرونة بها، فلذلك وجب أن يكون للذة وقت محدود، وقدر معتدل، ومتى جاوزت ذلك المقدار ضرَّت وأمرضت، ولذلك صارت النفس العاقلة هي المصلحة لهذا الفساد بتقديرها وتحديدها أوقاتا للفعل ومقاديره. وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن يعلم فعل كل نفس من هذه الأنفس على الانفراد أولا بغير معونة من النفسين الأخريين[2]، ثم ما تفعله بمعونة.

فالنفس الناطقة فعلها على الانفراد هو وجود اتفاق الأشياء واختلافها. ومثال ذلك أنها اذا سمعت قولين وقعت على ائتلافهما من اختلافهما، وعرفت الحق من الباطل. وأما فعلها بمعونة غيرها لها فهو أنها إذا رأت النفس الشهوانية قد أفرطت (/) في بعض حركاتها استنجدت بالنفس الغضبية، ٤١/أ وهي الحيوانية، لأن لهذه النفس الجلدَ والبطشَ، ولولاهما لم يمكن[3] النهوض بثقل، ولا البلوغ إلى غاية. وجالينوس يقول: إن هذه النفس، أي الغاضبة، جوهرها هو الحرارة الغريزية، وهذا قوله بلفظه، قال جالينوس: ((«وجوهر هذه القوة التي يقوى بها الإنسان على الصبر والثبات في الأعمال فيما أرى الحرارة

(١) وردت «المصلحة» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٢) وردت «الأخراتين».
(٣) وردت «مال مكن».

الغريزية، لأن حركة الحرارة الغريزية كلما كانت أقوى كان الإنسان (أكثر حرارة)[1] وكما أن البرد يورث الكسل والسكون والضعف كذلك الحرارة تورث النشاط والحركة والقوة على الفعل، ولذلك صار الشباب والخمر يبعثان الإنسان على الحركة والبطش، والشيخوخة والأدوية الباردة يُورِثان الكسل والضعف، فإن تمادى بهما الزمان أبطلا الأفعال والحركات»).

فإذَن اعتدال النفس الناطقة هو أن تكون ذكية كثيرة الفهم والحفظ، مشتاقة إلى الأفعال الجميلة، وخروجها عن الاعتدال هو ما قاله جالينوس من أضداد هذه. قال جالينوس: («لابد أن تكون النفس الناطقة بليدة قليلة الفهم والحفظ، غير مشتاقة إلِى الأفعال الجميلة، وكانت النفسان البهيميتان قويتين عسرتي الانقياد (لا)[2] يمكن أن تعتدل فقد تحتاج ـ إذَن ـ أن تكون النفس الناطقة محبة للجميل، مشتاقة إلى الحق، عارفة باتفاق الأشياء واختلافها، وأن تكون النفس الغاضبة، وهي الحيوانية، قوية سلسة الانقِياد، وتكون النفس الشهوانية، وهي النباتية، ضعيفة لأن هذه النفس غير منقادة للنفس الناطقة، كما وصفها فلاطن، وشبهها بسَبُعٍ ضارٍ، وقال: ان الذي يُحتاج إليه من النفس النباتية ضعفها لا أدبها، لئلا تمنع النفس الناطقة من أفعالها») (/). وإذا كانت قوة هذه النفوس تابعة لمزاج البدن فما يعرض إذن ٤١/ب لأفعالها واختلافها من الأعراض التي تُغَيِّرها وتخرجها عن الاعتدال والأمر المحمود، إنما يحدث عن تغاير الجسم، والذي يدل على ما يعرض لمن فزع أو حزن أو سرق [أو][3] لمن شرب الخمر ولغيرها، ولا ممن تغير مزاجه بضرب من أمثال هذه الأسباب أنه يخرج بذلك السبب والتغيُّر العارض منه عن خلقه وحالات نفسه التي قد عرفها لنفسه في حال صحته، وسكون نفسه من تلك الحركة ومن ذلك العارض. فيجب لذلك أن يكون الطبيب مرتاضا بتعرف أجناس الأمزجة وأنواعها، ليقدر بذلك على معرفة مِزاج الشخص الواحد من

---

(١) وردت «أحر» وما أثبتناه هو الأفضل.

(٢) وردت «لم» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

(٣) وردت «لمن» وأضيفت «و» لاستقامة الجملة.

الناس الذي غرضه حفظ المحمود من أخلاقه وقوى نفسه، أو تقويم ما خرج عن الأمر المحمود منها، وأن يكون أيضا خيراً، كثير التفقد بما يعرض للنفوس من الأعراض، إن كان قد يستدل من الأعراض على قوى النفوس، وعلى أمزجة الأبدان، فإن من كان من الناس بالطبع حيياً ليس حال نفسه ولا مزاج نفسه، كحال من كان بالطبع قليل الحياء، وإنما استثنيت بقولي: «بالطبع» لأن الأدب قد يغير الطبع بعض التغيير، فإذا أردت امتحان ما في طبع الإنسان وأعراض النفوس وأخلاقها فامتحنه في من لم يتأدب بعد، ولا صلحت[1] نفسه بالفضائل والعلوم، كالصبيان مثلا، فإنك تجد هذه الأعراض والأخلاق منهم مفردة، وخاصة فيمن لم يعود العادات المحمودة، ولا أخذ في تأديبه، وذلك أنه يفعل ما في طبعه فقط. وقد وصف جالينوس من هذه الأخلاق في الصبيان طرفا ينبغي أن نحكيَه بألفاظه، وعلى المشاهد من ذلك قد كان (/) يعني ذوي الفطنة والنهى، قال جالينوس: (« إنه قد يكون من الصبيان الصغار من لا يكذب البتة، ومنهم من لا يصدق البتة، ومنهم من لا يستحي، ومنهم من هو كثير الحياء، ومنهم جبان، ومنهم جريء، ومنهم نهم وغير نهم، ومنهم سَخِيّ مُواسٍ بما يملك، ومنهم بخيل غير مواسٍ، ومنهم من يحب الظلم والغضب، ومنهم من يحب العدل، ومنهم من يرحم ويرقّ للمضروب من الصبيان، ومنهم من يُسَرُّ بضربه ويضحك لذلك، وقد يخالف بعضهم بعضا اختلافات أخر من الأخلاق »). ٤٢/أ

وإذا كان الأمر على ما قيل في ذلك، فقد يجب على الطبيب معرفة الخلق الطبيعي، وما الفرق بينه وبين الخلق التأديبي، ليمتحن حالات النفوس وأعراضها بالطبيعي، لئلا يغلطه الخلق الذي قد أصلحه الأدب والعادات المحمودة. وكما أن مصاحبة الأخيار والأفاضل تكسب الفضائل وصلاح النفس، كذلك مصاحبة الأشرار وأهل العادات المذمومة قد تفسد أخلاق كثير من الناس، وتنقلهم عن جيد الطباع إلى غيره، فلذلك يجب أن يأخذ

(١) وردت «انصلحت».

الطبيب نفسه أولا، ثم من قصد تدبيره بإصلاح النفس وأعراضها، ويهتم بذلك أكثر من غيره، إذ كان تمام الانسان بنفسه، والتامُّ أشرفُ من المُتَمَّم.

وفيما ذكرناه من هذه الجمل تنبيه على استيفاء هذا الغرض من كتبه، وحث على الاهتمام به وقراءة ما قاله جالينوس وغيره في ذلك، فإن جالينوس قد بين في «كتابه في القوى الطبيعية»[1]، وفي كتابه «في آراء أبقراط وفلاطن»، وفي كتابه «في أخلاق النفس»[2]، وفي مقالته التي بين فيها أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن، أصولاً على أفعال النفس وأخلاقها، وسائر أعراضها، وبين أيضا أن هذه القوى (/) الثلاثة التي سماها[3] كثير من القدماء نفوسا، أعني النفس الناطقة، والنفس الحيوانية، والنفس النباتية، لكل واحدة منها مسكن تختصه بأفعالها، فمحل النفس الناطقة الدماغ، ومحل الحيوانية القلب، ومحل النفس النباتية، وهي الشهوانية الكبد[4]، وبغير شك أنه بصحة هذه الأعضاء يصح لهذه النفوس أفعالها وبمرضها تفسد، فإذا كان ذلك كذلك فقد وجب ما قلناه فيما تقدم، وهو أنه يلزم الطبيب علم حالات هذه الأعضاء إذا أراد معرفة الأعراض النفسانية.

٤٢/ب

ولما كان كلامنا في الأعراض النفسانية الآن إنما هو لأجل أنها أحد الأمور الطبيعية التي عددناها فيما تقدم وهي حالات الهواء، والحركة والسكون، والمأكول والمشروب، والاستفراغ والاحتقان، والنوم واليقظة، والأعراض النفسانية، والبلدان والأعمال، وسائر ما تبقى فيها مما قدمنا ذكره، وكان ذكرنا هذه الأمور الطبيعية ضرورية في حفظ صحة البدن بأسره، وفي صحة عضو

---

(١) كتاب القوى الطبيعية: نقله حنين بن إسحاق العبادي الى العربية. وهو ثلاث مقالات. وغرض جالينوس فيه: أن يبين ان تدبير البدن يكون بثلاث قوى طبيعية وهي القوة الجابلة، والقوة الجابلة المنمية، والقوة الغاذية. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٣، ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٦.

(٢) لعله كتاب الأخلاق: نقله الى العربية حبيش بن الاعسم، وهو أربع مقالات: وغرض جالينوس فيه أن يصف أصناف الأخلاق، وأسبابها ودلائلها ومداواتها. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٥، ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص ١٤٧.

(٣) وردت «سموها».

(٤) في تفصيل موضوع هذه القوى انظر ابن سينا: الشفاء، الطبيعيات «٦» النفس، القانون: ج ١ ص ٦٦ - ٧٢.

عضو من أعضائه، وكنا قد بدأنا على طريق المثال والتعليم لمحبي صناعة الطب أن نرى[1] كيف ينتفع الطبيب بهذه في حفظ الصحة أو عن تعلمها، وجعلنا مثالنا لذلك من الدماغ، إذ كان أشرف أعضاء البدن، ووصفنا في كل باب مما ذكرناه من القول في هذه الأمور الطبيعية جملا وأصولا تحث المتعلمين، وتذكر العلماء بما قيل في كل معنى منها، ولم نتمها بأسرها، ولكنا تكلمنا على بعضها، فلذلك يجب أن نأتي على ما تبقى منها، كالذي فعلناه فيما مضى، ليكون القول على تدبير الدماغ ـ الذي جعلناه لنا في الأعضاء على طريق المثال ـ تاماً. ثم ننتقل إلى تدبير عضو عضو من باقي أعضاء البدن بطريق وجيز (/)، وقول مختصر، لئلا يُمَلَّ الكلامُ لطوله، والله المعين بجوده. ٤٣/أ

(١) وردت «يوري».

القول في تغاير البلدان للأبدان بحسب أوضاعها[1]

ولما كانت المساكن ضرورية في البقاء، وكانت أوضاعها ومواقعها من الأرض مختلفة، وكانت الأبدان تتغير بحسب أحوالها وأمزجتها، وكانت أيضا أمزجة البلدان قد تخرج عن حالاتها الطبيعية فتُمْرِض سكانَها، وجب لذلك على الطبيب أن يعرف حالات مدينته التي هو ساكنها، وإلى أي الأمزجة هي أميل، أعني: هل الحرارة واليبس أغلب عليها؟ أم البرودة والرطوبة؟، أم البرودة واليبس؟، أو الحرارة (والرطوبة)؟[2]، وما الذي أوجب لتلك المدينة ذلك المزاج، فإن بقراط قد بين الأسباب المغيرة لحالات البدن في أمثلة أربعة وضعها لمواقع المدن التي في الجهات الأربع، وبين كيف تكون أمزجة هذه المدن وكيف تكون حالات سكانها، فمن فهم ما وضعه بقراط من هذه الأمثلة أمكنه أن يجعلها أصلا وقانونا يتعرف به في الحال في أي مدينة دخلها، ولذلك أمر بقراط من دخل مدينة لم يكن عرفها أن يتعرف وضعها، ومهب الرياح عليها ويقيسها ويضيفها إلى تلك المدن، فيعلم بذلك حالها، وأنا أحكي لك ما أمر به بقراط قال: «إذا ورد الوارد مدينة لا خَبَرَ له بها فينبغي له أن يتأمل ويتفقد وضعها، وكيف هي موضوعة في مقابلة الرياح، أو في المشرق، وذلك أنه ليس حال المدينة الموضوعة قُبالة الشمال، وحال المدينة الموضوعة قُبالة الجنوب حالة واحدة بعينها، ولا حال (/) المدينة الموضوعة قُبالة الشمس وقت غروبها حالة واحدة بعينها» وقال أيضا: «ينظر في أمر الأرض: هل هي مكشوفة من الشجر عديمة المياه؟ أم كثيرة الشجر كثيرة المياه، وهل هي في موضع عميق، أي وهدة[3] أم هي في موضع مشرف فهي باردة». وليس يخفى عمن أحسن التفقد لما قاله بقراط في هٰذين

٤٣/ب

(١) في هذا الموضوع انظر ابن سينا: القانون ج ١ صص ٨٠ - ٩٣ ولقد سبق الحديث عن الأهويه ومواقع المدن والمساكن. كما وانظر المجوسي: كامل الصناعة الطبية. ج ١ المقالة الأولى، الباب العشرون.

(٢) وردت «واليبس» وما أثبتناه هو الصحيح.

(٣) وهدة: الوَهْدُ: المطمئن من الارض، والمكان المنخفض كأنه حفرة، والوَهْدُ يكون اسماً للحفره. ابن منظور، لسان العرب مادة «و هد».

الفصلين أنه قد بين فيهما أسباب تغايير البلدان، وهي تأثير الشمس في تلك المدينة ومقابلتها لشروقها عليها وغروبها، والثاني: هبوب الرياح عليها، والأشبه أن يكون إنما ذكر الرياح الشمالية والجنوبية لقوة تأثيرها في البلدان الموضوعة قُبالتها أكثر من تأثيراتها[1] الشرقية والغربية في البلدان المقابلة لها، اذ كان تأثير الشمس في هاتين الجهتين هو الأغلب والأظهر، وطبيعة الرياح الهابّة من المشرق وهي مؤثرة أيضا في البلدان الشرقية من جنس ما تؤثره الشمس، وكذلك طبيعة الريح الغربية أيضا، فإنما عدل بقراط إلى السبب الأول في تغيير أمزجة البلدان الشرقية والغربية، وإلى العلة الأقوى، ثم إنه لما كانت البلدان قد تعرض من انكشافها وقلة الأشجار فيها، والتأثر لما يمر بها من الرياح وحر الشمس، ما يوجب لها قبول التأثير أكثر مما تقبله من ذلك إذا سترتها الأشجار، وجعل ذلك سببا ثالثا، وكذلك حال كثرة المياه وقلتها، وكذلك [ما][2] يعرض للبلدان من جهة ارتفاعها في العلو، ووضعها على الجبال العالية، ومن جهة انخفاضها ووضعها في مواضع مُسْتَفِلة عميقة أن يختلف لذلك قبولها لحر الشمس ويبسها، ولتأثير الرياح بحسب أمزجتها، ولذلك تختلف صور سكان المدن وأخلاقهم وأفعالهم، وأكثر حالاتهم، كما بين ذلك بقراط، فقال: («وفي بلادِ أوروفي[3] أممٍ يخالف بعضها بعضا في مقادير الجثث، وفي (/) الصور والشجاعة») والأشياء التي تغير هذه الأمور قلناها فيما تقدم. ٤٤/أ

قال («وأنا أشرح ذلك شرحا أَبْيَنَ من هذا فأقول: إن من كان مأواه في بلد جبلي مشرفٍ كثير المياه وتغاير الأوقات تكون عندهم مختلفة اختِلافا كثيرا فيجب أن تكون جثثهم جُثَثًا عِظاما، وتكون مستعدة للكدّ، والشجاعة

---

(١) وردت «تأثيرها» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

(٢) لم ترد «ما» في النص وأثبتناها ليستقيم به المعنى.

(٣) بلاد أوروفي: قال البيروني: إن اليونانيين يقسمون المعمور من الأرض ثلاثة أقسام، تصير أرض مصر ونواحيها وتسميها لوبية، وما مال عنها الى الشمال فاسمه أورفي ويحدها من المغرب والشمال بحر أوقيانوس ومن الجنوب بحر الشام والروم ومن المشرق النهر الذي يخرج من بحيرة ماوطيس الى بحرنيطس وخليجه الذي يمر على القسطنطينية. ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٢٧٨. ويتضح من كلام ياقوت هنا أنه يقصد بأوروفي هم أهل منطقة الصرب، والنهر المذكور هو نهر الدانوب.

الشائعة[1] في أصحاب هذه الطبائع أكثر منها في غيرهم. وأما الذين يسكنون في مواضع عميقة رحبة[2] وهدة، وتهب عندهم من الرياح الحارة أكثر مما يهب عندهم من الرياح الباردة، ويستعملون مياها حارة، فإن جثثهم لا تكون عظيمة ولا مُعَضّدة، لكنها تكون آخذة عرضا، ويكون اللحم منها كثيرا، وتكون شعورهم سوداء، ويكون الأغلب على ألوانهم الأُدْمَة أكثر من البياض ويكون غلبةُ المِرَّةِ عليهم أكثر من غَلَبةِ البَلْغم»). فهٰذه الأقاويل بَيِّنة في الدلالة على حاجة الطبيب إلى تعرف حال البلد الذي يحتاج أن يدَبّر سكانه، وكذلك أقاويل أخر لبقراط، لم أر إطالة هذا الباب بذكرها، إذ كان فيما أحضرته كفاية لمن له قريحة، وسيبعثه ذلك على طلب ما لم نذكره في مواضعه، ليكمل هذا الباب ولله الحمد كثيرا.

(١) وردت «الشيعيه» خطأ وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.
(٢) وردت «مرحبة».

القول في تغايير الصنائع والأعمال للأبدان

وإذا كانت أعمال الناس وصنائعهم لها من القوة في إحالة الأبدان ونقلها من كيفيات إلى أضدادها، كالمِزاج الحار يصير بارداً، والبارد يصير حارّاً، والرطب يابسا، واليابس رطبا (/) واللين صُلْبا، والصُّلْب لينا، وغير هذه من المتضادات، فلذلك يلزم الطبيب أن يعلم ما تفعله كل صناعة من الصنائع في مِزاج كل واحد من الناس، الصحيح منهم والمريض، ليحفظ الصحيح بما شابهه، ويشفي المريض بما ضادّه، فالصنائع التي تعاني النار والشمس مثلا تكسب الأمزجة الحارة[1]، كصنائع السَبّاكين[2] والحدّادين والزجّاجين والكَلاّسين[3]، وأشباه هذه من المهن، فإن هذه ونظائرها تفعل في الأبدان بحرارة النار لقربهم منها، وبالبعث في معاناتها، وأضداد هذه الصناعة في تبريد الأبدان للصنائع التي تعاني الماء، كالغَوّاصين والمَلاّحين والصَيّادين من الماء ونظائر هذه الصنائع. فأما الصنائع التي تُيَبِّس الأبدان فهي الكثيرة الكد والتعب، وخاصة في الشمس كالبنّائين، وقطّاعي الحجارة، والنّجّارين، والمصارعين، والنَقّالين، ونظائر هذه. ٤٤/ب

فأما التي ترطب الأبدان فذواتُ الدَّعَة وقِلْة التعب والتي يتوفر فيها اللذات على البدن، كمهنة العطر، ومهنة الموسيقى، والمدمنين على الحَمّامات، ونظائر هذه.

وما ينبغي للطبيب أن يعنى بمعرفة أمر الصنائع ذوات الكيفية الرِّديئة المُضِرّة بالأبدان، وما نوع الضرب الداخل منها على جملة البدن، وعلى عضو عضو من أعضائه، كالصنائع التي تفوح منها الروائح الرديئة، مثل الدباغة،

---

(١) وردت «الحرارة» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

(٢) السباكين: وهم الذين يعملون في سبك الذهب والفضة ونحوه من الذائب وتفريغه في القوالب. ابن منظور: لسان العرب مادة «سبك».

(٣) الكلاسين: الكلس: وهو الجير، وقيل هو ما طلي به حائط. والمقصود هنا بالكلاسين هم الذين يعملون في صنع طلاء الأبنية مثل الجص وأمثاله. ابن منظور: لسان العرب (كلس).

وتنقية طرق المياه، والأثفال[1]، فان هذه وما ماثلها تضر بالحواس وبالدماغ، وخاصة اذا اتصلت وتتابعت، وكالغربلة للحبوب ودق الكتان ومشطه وعمل الصابون، والصنائع التي يعاني أربابها الدخان كثيرا، فإنّ هذه وما شابهها كثيرا ما تضر بالصدر والرئة، وتكسب ضيق النفس، وكالذي يعرض أيضا للنقالين [وما][2] (يفوح)[3] من العروق التي تسمى (......)[4] (/) وما يعرض لأمثال هؤلاء من أوجاع الأوردة[5] وعرق الأنساء، وغير ذلك من الأمراض المزمنة الرديئة. ٤٥/أ

وقد يضطر الطبيب أيضا في عِلاجه وحفظه للصحة إلى علم الأخلاق والنفس، محمودها ومذمومها، ليستدل بذلك على حالات النفس، وهل هي من النفوس التي تصلح للعلوم والآداب، أم من التي لا توافق ذلك، ولكن أجسامها غليظة عَبْلَة، توافق المِهَنَ الصُّلْبة والأعمال الحسنة، لكي يعلم ما يوافق كل نفس وكل جسم، وما يخالفها، ليحفظها بالشبيه ويصلحها بالمضادّ، وبذلك يقدر الطبيب أن يختار لمجالسته ومذكراته وإفادة علمه الموافق، ويحذر خلافه ومضاده.

(١) الاثفال: الثفل ما رسب خثارته وعلا صفوه من الأشياء كلها، أو ما سفل من كل شيء، والثافل هو الرجيع. ابن منظور: لسان العرب مادة «ثفل».
(٢) ما بين الحاصرتين زائدة ليستقيم المعنى.
(٣) وردت «والفيوح» وما اثبتناه هو ما يستقيم به المعنى. ويريد بالفيوح هنا أي السيلان أي ما يسيل من العروق. ابن منظور لسان العرب ج ٢ ص ٥٥١.
(٤) لم استطع قراءة الكلمة بين الحاصرتين، ولم أجد ما يشابه رسمها في اسماء العروق والضوارب وغير الضوارب من كتابي القانون، وكامل الصناعة الطبية.
(٥) وردت «الأوراد».

القــول في العــادات[1]

وللعادات أيضا قوة عظيمة في حفظ الصحة على الأصحاء، وفي معالجة المرضى، وذلك أنه كما أن في شخص نوع الناس آحاداً قد اعتادوا استعمال الأشياء بمقادير وفي أوقات بحالات بأعيانها، فألفوا تلك الأفعال، فصارت أمزجتهم تحتملها، وأبدانهم صحيحة عليها. [و][2] متى انتقلوا عنها تغيرت صحتهم ومرضوا، واضطربت أبدانهم، كذلك قد يوجد أيضا من سكان البلدان الموضوعة في الجهات المختلفة قد ألفوا واعتادوا أفعالا مختلفة، وأغذية مختلفة وأشربة مختلفة، ومساكن مختلفة، وغير ذلك من الأشياء التي هي طبيعية ضرورية في بقاء الأجسام، فضلا عما ليست بطبيعية، فصارت أجسامهم صحيحة على تلك العادات، وقد أَلِف بعضهم أخلاقَ بعض، ورضي بعضُهم بأفعال بعض، وعلى أن تلك الأفعال والأخلاق عند أصناف أُخَرَ من الناس غيرُ محمودة ولا مرضية.

ومثال ذلك أن في أجساد الناس من قد (/) اعتاد أكل خبز الشعير، والمواظبة على أكل الألبان والأجبان، وكذلك تجد قوما قد ألفوا شربَ الكثير من الخمر صِرْفاً، على أن أمزجتهم حارة، فتحتمله أبدانهم، وتوافق صحتهم. ونحن نشاهد أيضا ممن أمزجتهم هذه الأمزجة الحارّة لا يقدرون على شرب ذلك المِقدار من الخمر والأدوية بكثير، وليس ذلك إلّا للعادة، وكذلك تجد قوما قد رتبوا منذ صباهم في الصنائع الشاقة والصعبة المرام، وأجسامهم مع ذلك نحيفة ضعيفة، وهي تحتمل ذلك الكَدّ والتعب على تواتره وتتابعه عليهم، ونجد أجساما هي أَعْبَلُ وأقوى كثيراً من تلك، لاتصبر على تلك الأعمال لأنها لم تتعودها[3]

٤٥/ب

(١) في العادات انظر المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة الأولى، الباب ٢٣.
(٢) اضيفت «الواو» ليستقيم سياق الجملة.
(٣) وردت «يعتدها» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

ألا ترى أن الأبدان التي قد اعتاد أصحابها أخذ أغذيتهم بمقدارٍ ما متى ازدادوا من الغِذاء زيادةً على ذلك المقدار ضرهم ذلك، وكذلك القولُ فيمن اعتاد أن يأكل مرة فأكل مرتين ناله [من][1] الضرر ما يمرضه. وقد قال بقراط في هذا المعنى أقاويل كثيرة، أنا أحضر منها قولين، أحدهما: مثال التغاير والعادات للأشخاص، والآخر هو قول أعم، ومثال الحال الأمم المختلفة التي قد اعتادت أشياء ألفتها فصارت لها كالطبيعة لا يصلح أن يُنْتَقَل عنها، فأما القول الذي ينبغي أن يتعلم منه حال عادات الأشخاص فهو هذا، قال بقراط: ((ومعرفة ذلك سهلة، أعني أن التدبير الرديء بالمطعم والمشرب الشبيه بعضه ببعض أوثق بالجملة في جميع الأوقات في حفظ الصحة من الانتقال بغتة إلى تدبير آخر أجود منه، من ذلك أن انتقال من جرت عادته أن يأكل مرة واحدة بغتة إلى ضد ما كان عليه، يحدث عليه ضررا وضعفا، ولم يكن عادته أن يتغذى فتغذى أضعف ذلك على المكان، وأثقل بدنه، وكسّله وأرخاه، فإن العشاء مع ذلك (/) أيضا عشاء حامض، ومنهم من يعرض له لين الطبيعة، والسبب في ذلك ما أثقل معدته على خلاف ما جرت عليه طبيعته، وذلك أن العادة جرت عنده أن تكون المعدة منه خالية، وأن لا تمتلئ من الطعام مرتين ولا يهضم الطعام أيضا مرتين. ٤٦/أ

وقد ينتفع هؤلاء بأن يخفف عنهم ما ينالهم عند انتقالهم في التدبير إلى ضده، وذلك أنه ينبغي أن يناموا بقدر ليلة تامة بعد عشائهم، أما في الشتاء فمع تَوَقٍّ من البرد، وأما في الصيف فمع حذر من الحر، فإن لم يمكنهم أن يناموا مشوا مشياً كثيرا رفيقا من غير أن يقفوا، فإذا كان بعد ذلك إما ألّا يتعشوا، وإما أن يتعشوا عشاء خفيفا لا يضرهم ويشربوا أيضا شرابا قليلا غير ممزوج بالماء)).

فهذا القول من كلام بقراط كاف في البيان والمثال لما ذكرنا من تغير الأبدان عند انتقال العادات في أشخاص الناس المفردين، وإن أنت أحببت استماع جميع ما قاله بقراط في أمر العادات وما قاله جالينوس في تفسيره لذلك

---

(١) أضيفت «من» هنا ليستقيم سياق الجملة ومعناها.

فاقصد كتاب بقراط الذي عنونه بكتاب «ماء الشعير»[1] المفسر بتفسير جالينوس.

وأما المثال العام فهو هذا، قال بقراط: (« وأُعْطِيك دليلا من أعظم الدلائل على رطوبتهم، وهو أنك تجد كثيرا من الصَّقالِبَة[2] أو كلهم - من الأمة المعروفة منهم بالراعية - بهم كيٌّ على أكتافهم وأعضادهم وأرساغ أيديهم وأوراكهم ومقدم صدورهم، وليس ذلك لشيء سوى رطوبة طبعهم ولينه، وذلك أنهم لا يقدرون على توتير القَنَا، ولا على الرمي (با)[3] لَمزاريق[4] بأكتافهم، بسبب رطوبتهم وضعفهم، فإذا كووا جَفّ من مفاصلهم تلك الرطوبة، وصارت أقوى مما كانت وأشد (. . . . .)[5] بالمفاصل ويكونون قدعا عراضا، أما أولا فمن (/) قبل أنهم لا يُشَدُّون بالأطمار[6] في حال الطفولة كما يفعل بمصر، ولا ذلك جار على سنتهم بسبب (ركوبهم الخيل)[7] ثباتاً عليها، ثم من بعد ذلك بسبب القُعود، وذلك أن الذكورة منهم ما داموا لا يقدرون على ركوب الخيل، إنما هم قعود أكثر مدة زمانهم، وقَلَّما يستعملون المشي لثقلهم وتصرفهم، والإناث منهم أعجب من حالهم في القدعة والغلظ»). ٤٦/ب

وقال أيضا: («فأقول: إنهم يعتريهم من ركوب الخيل العِلّة التي تسمى باليونـانية (قادماطا)[8] لتعلق الرجلين دائما على الخيل، ثم إنهم يَعْرَجون

(١) كتاب ماء الشعير: وهو نفس كتابه «كتاب الأمراض الحادة» هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية ورقة ٢٢٢ ب.

(٢) الصقالبة: هم جيل حمر الألوان صهب الشعور يتآخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم. ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ٤١٦، ولمعلومات موسعة انظر ابن فضلان: رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩ هـ/ ٩٢١ م. اصدار مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م.

(٣) ما بين الحاصرتين وردت «على» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

(٤) المزاريق: من الرماح، رمح قصير وهو أخف من العنزه. ابن منظور: لسان العرب مادة «ز ر ق».

(٥) الكلمة بين القوسين غير مقروءة. ولم أستدل لها على معنى بها قبلها أو بعدها.

(٦) الأطمار: وهو الكساء أو الثوب الخلق منسوج من غير الصوف. ابن منظور: لسان العرب مادة «طمر».

(٧) وردت «ركوب الخيل لهم».

(٨) قادماطا: لعله يريد «قرمطا» أو «قومطا» يقول الرازي: هو داء يعرض للترك، ولمن يكثر الركوب مع مزاج بارد في الورك يلزم معه خمع وعرج. الرازي الحاوي ج ٢٢ ص٣٢٣.

ويحرون أوراكهم متى اشتدت بهم العلة، يداوون أنفسهم بهذا الطريق أول ما تبتدىء بهم العلة، يعمدون إلى عرقين خلف الأذنين فيفصدونهما من الجانبين، فإذا جرى الدم استولى عليهم النوم بسبب الضعف فينامون ثم ينتبهون وبعضهم قد برىء، وبعضهم لم يبرأ، وأنا أرى أن بهذا العلاج يفسد المني، وذلك أن عند الأذنين عرقين إن فصدهما لم يولد لمن يفصدان له، فأحسبهم إنما يفصدون هذين العرقين»).

وإذ قد أثبَتّ لك جميع هذا الكلام الثاني فقد أوجدتُ لك الطريق إلى تعرف تغاير العادات في أجساد الأصحاء والمرضى، وإن أحببت أن تسمع من كلام بقراط في العادات، وكيف يكسبها سكان البلدان ـ بحسب تغاير الأهوية والمياه والبلدان عليهم ـ فاقرأ ما قاله في كتابه في البلدان والمياه والأهوية[1]، فإنك تحكم منه كثيرا من أمر العادات واكتف بما ذكرته لك هاهنا منبها ومحركا.

(١) وهو كتاب الأهوية والمياه والبلدان: ترجمة حنين بن إسحاق وهو ثلاث مقالات. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠١، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٥٤.

القــول في قــوى الجســم وأفعالها[1]

وقد يلزم الطبيب أن يعنى بمعرفة قوى الجسم إذ كانت أفعال الحيوان إنـما تتم للجسم (/) بهذه القـوى وبصحتها، ومتى فسدت القوى فسد الفعل، من ذلك العين للإبصار، وللمنخر الشم، وللفم[2] الذوق، وللأذن السمع، ولسائر أعضاء البدن الحساسة حاسة اللمس، ولا يمكن لعضو[3] من هذه الأعضاء أن يعمل عمله الا بقوة تخصه، وقد أحكمها الباريء تعالى، وأعدّ لها آلات في ذلك العضو، فما كان من تلك الأفعال طبيعيا أو حيوانيا أو نفسانيا فله قوة تلازمه، تبعث إليه في مجار وطرق تصلح لتلك القوة، لا يخالط بعضها بعضا، يرد إلى ذلك العضو من أصل وينبوع لتلك القوة. ٤٧/أ

وقـد بين القـدماء أن هذه المعادن[4] ثلاثة، وهي: الدماغ، والقلب، والكبد، فالدماغ: ينبوع القوة النفسانية، والقلب: ينبوع القوة الحيوانية، والكبد: ينبوع القوة الشهوانية، وبينوا أيضا أن الجسم إنما يقال فيه: إنه قويّ على الإطلاق إذا كانت هذه القوى ترد إلى الأعضاء من أصولها معتدلة في كميتها وكيفياتها، وبغير شك أنها لا تكون كذلك إلا باعتدال أصولها ومعـادنها. وقالوا أيضا: إن كل عضو من أعضاء الجسم يقال له: قوي صحيح إذا كانت قواه التي تخصه معتدلة أيضا، فأما إن خرجت في كميتها أو في كيفيتها عن الاعتدال قيل: إنه غير معتدل ولا قوي، ووجه معرفة اعتدال القوة وصحتها يُعْلَم من قوة الجسم بأسره، ومن قوة كل عضو من أعضـائه على انفرادها بأفعالها، فإن وجدت الأفعال لا يشوبها تقصير ولا

---

(١) لقد سبق الحديث في غير موضع عن القوى الطبيعية عند الإنسان ولمعلومات أوسع انظر ابن سينا: القانون ج ١ ص ٦٦ -٧٢. المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة الرابعة «في ذكر القوى والأفعال والأرواح» وهي عشرون بابا.

(٢) وردت «والفم» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

(٣) وردت «العضو» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

(٤) هكذا وردت ويقصد بها الأعضاء.

فساد، فاستدل بذلك على صحة قوة الجسم والعضو، وإن و جدتها مُقَصِّرة أو فاسدة فاقض بفساد القوة بتقصيرها، وليس يقنعك أن تعلم أن أجناس القوى ثلاثة على ما ذكرنا دون أن تعلم ما تحت كل جنس من هذه الأجناس من أنواع القوى، فتعلم أن القوة الطبيعية أربعة أنواع من القوى، وهي: القوة الجاذبة، والقوة (/) الماسكة، والقوة الهاضمة، والقوة الدافعة، وأن ٤٧/ب لجنس القوة الحيوانية القوة التي يكون بها النبض والنفس، والقوى التي يكون بها الأنفة والغضب وحب التَّرؤُس. وأن القوة النفسانية نوع القوى الحساسة الحسية، ونوع التخيل والتمييز، ونوع الذكر، ونوع القُوى المحركة بإرادة.

وبعد تحصيلك لأنواع هذه القوى بفصُولها وخواصّها، وما لكل عضو من الأعضاء منها، فحينئذ تكون قد أتقنت أمر قُوَى الجسم، فبذلك تقدر على حفظها على الجسم بأسره، وعلى عضوٍ عضوٍ من أعضائه، وتقدر على إصلاح ما فَسَد منها، أو زيادة ما نقص، أَوْ نقصان ما زاد، وذلك أمر ضروري في الطب، ويلزم الطبيب أن يعلم من أمر القوى أيضا متى تفعل أفعالَها، ومتى تمسك عن أفعالها، لتخدم كل قوة في وقت فعلها بما تستحقه من الخدمة، فإن القوة المولدة لا تزال تفعل التوليد إلى تمام الشيء المتولد وكماله، ثم يتبتل للفعل قوة أخرى إن احتيج الى ذلك.

ومثال ذلك فعل المولدة لتصوير الجنين إن كان ذكرا، ففي ثلاثين يوما أو خمسة وثلاثين يوما [وإن كان][1] أنثى ففي أربعين يوما، ثم تمسك المولدة عن فعلها، وتفعل المربية فعلها إلى تمام عظم الشيء المتربى، كتربية أعضاء الإنسان إلى تمام منتهى الشباب، وهو خمس وثلاثون سنة فأما الغاذية ففعلها دائم ما دام الشيء المتولد موجودا والحيوان يحيا.

فأما اختلاف الأسنان فإن علمه واجب أيضا على الطبيب، إذ كان لكل سِنّ من الأسنان من التدابير ـ في حال صحته وحال مرضه ـ غير ما للآخر، وذلك أنه إن لم يعلم المزاج الطبيعي الخاص لكل سن لم يقدر أن يعلم مثلا الغذاء له، ولا الشراب، ولا غيرهما من الأشياء الحافظة للصحة

(١) لم ترد العبارة «وان كان» في الأصل واثبتناها ليستقيم سياق الجملة ومعناها.

بمشابهتها، وإذا لم يعلم ذلك كان أجدر ألاّ يعلم الأشياء (/) الدافعة ٤٨/أ
للأشياء بمضادتها.

من ذلك أن سِنَّ الصبيان لما كان أرطب الأسنان لكون الجنين من الدم والمني، وهٰذان جميعا رطبان، وإنما يتكون الجنين بإنفاذهما من الغذاء الشبيه بأمزجتهم، كاللبن للرضيع وما جانس ذلك، والمقابل في الطرف الأبعد لسن الصبيان سن الشيوخ، لأنها يابسة جدا، لأن الأعضاء تبلغ في الشيخوخة الغاية القصوى من الجفاف، والمتوسط بين هذين الطرفين هو سن الشباب الذين هم في عنفوان الشبيبة، فلذلك يكون هذا السن وسطا في المزاج، فهي أيبس من سن الصبيان وألين من سن الشيوخ، فهذا حال اختلاف الأسنان في الرطوبة واليُبْس.

فأما اختلافها في الحرارة والبرودة فواجب تبيينه أيضا للطبيب[1]، غير أنا نذكر من ذلك هاهنا كالذي ذكرناه من أمر الرطوبة واليبس، إذ كان ما نذكره من هٰذه[2] الجمل يحث المحب لصناعة الطب، إن كان له ذكاء وقريحة محمودة، على استيفاء علم جميع [ما][3] نذكره من كتبه التي ألفت لعلمه، فنقول: إن سن الصبيان حادّ جداً لقرب عهدها من مبدأ التكون[4]، من المني والدم والروح التي كلها حادة، وذلك موجود حسا، وسن الشيوخ باردة لبعدها من الابتداء المقدم ذكره، ولانطفاء الحرارة في أبدان الشيوخ، واستيلاء البرد عليها، صاروا يجدون ـ ويسرع إليهم ألمه ـ ما لا يجده غيرهم من ذوي الأسنان الباقية، ولذلك صارت أبدانهم تحضر وتسرع إلى قبول الأمراض الباردة، وإذا لُمِست أبدانُهم وجدت باردة. فأما سن الشباب فلم يختلف الناس في حرارتها(. . . .)[5] ولا يليق بهذا الموضع ذكره، لكن الوصول إلى فهم ذلك أنت تقدر عليه من كتاب جالينوس في المِزاج، وفي مواضع أخر

(١) وردت «على الطبيب» وما أثبتناه هو الأفضل.
(٢) وردت «هذا» وما اثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٣) لم ترد «ما» في الاصل واثبتناها ليستقيم سياق الجملة.
(٤) وردت «الكون».
(٥) ما بين الحاصرتين وردت العبارة «فقد اختلفوا» وحذفت لاخلالها بالمعنى.

من كتب بقراط (/) أيضاً، فأما جالينوس فيرى أن قوة الحرارة في سن الصبي ٤٨/ب
وفي سن الشباب كلتاهما سواء، إلا أن حرارتهما تختلف في المقدار، لأن حرارة الصبي توجد أكثر مقداراً من حرارة الشباب وألين، وحرارة الشباب أقل مقدارا وأحَدَّ كيفية.

وقد قسم قوم السن إلى أربعة أقسام، وقالوا: إن مزاج كل واحد مشابه لمزاج أخلاط البدن، وأركانه وفصول السنة، فقالوا: إن سن الصبي. حار رطب مشابه لمزاج الدم والهواء وفصل الربيع، وسن الشباب حار يابس كمِزاج الصفراء والنار وفصل الصيف، وسن الكهولة بارد رطب كطبع البلغم والماء، وفصل الشتاء، وسن الشيوخ بارد يابس كطبع السوداء والأرض وفصل الخريف، من الوثاقة كوثاقة القسمة الأولى، غير أن التدرب بمعرفة أصناف القسم نافع جدا في ذلك.

القـول في سحنـة البــدن[1]

فأما سحنة البدن فإنها تابعة لمزاجه، فلذٰلك يجب على الطبيب أن يحكم معرفة السِّحْنة، وأول ما ينبغي أن يعلمه من ذلك مزاج جملة البدن، يعرف منه خمسة أشياء، وجميعها داخِلٌ تحت اسم «السحنة» ومعنى كل واحد منها غير معنى الآخر.

وأحد هذه الخمسة كيفية الجوهر، والثاني: مقدار لحم البدن وشحمه، والثالث (. . . .)[2]، والرابع: حالات شعره ومقداره والخامس: لونه.

فأما كيفية الجوهر فإنه إذا كان حارّ الملمس فإن البدن حار المزاج، وإن كان باردا فالمزاج بارد، وكذلك القول في المعتدل. فأما قوامه فهو إن كان صلبا فهو يابس، وإن كان لينا فهو رطب، (/) وان كان بين ذلك فهو معتدل. ٤٩/أ

وأما مقدار لحمه وشحمه فإنه إن كان لحيما فهو رطب، وإن كان معرقا فهو يابس، وإن كان بين ذلك فهو معتدل، وأيضا فإن البدن ان كان سَمِينا فهو بارد، وإن كان لاشحم له فهو حار، وإن كان بين ذلك فهو معتدل.

فأما ما يعرف من حال البدن من جهة شعره فهو يدل من ثلاثة وجوه، وهي مقداره وشكله ولونه. فأما مقداره فهو أن يكون كثيرا أو قليلا، أو غليظا أورقيقا، فأما كثرته وغلظه فيدلان على البرودة، واعتداله في الجميع دليل على اعتدال المزاج. فأما شكله فهو ان كان جَعْداً[3] دل ذلك على اليُبْس، وإن كان سَبْطاً[4] دَلّ ذلك على الرطوبة، وإن كان بين ذلك دل على الاعتدال. فأما ما يدل على لون الشعر فهو إن كان أشقر أو أحمر فهو يدل على

(١) يقصد بسِحْنة البدن: أي حالته بين السمنة والتوسط والهزال. انظر المجوسي: كامل الصناعة الطبية المقالة الأولى من الجزء الأول الباب السابع عشر، الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٤٣.

(٢) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل.

(٣) جعدا: خشنا.

(٤) سبطا: ناعما.

الاعتدال، وإن كان أسود دل على الحرارة وإن كان أبيض دل على البرودة، وإن كان كَمِداً كان برده أقوى وأشد، وإن كان أسودَ دل على الحرارة[1] واليبس.

ومع علم الطبيب بالاستدلال بهذه الأصول مع فروعها واختلاطها، وتعرفه لمزاج جملة البدن بها، فانه قد ينبغي أن يعلم أيضا أن معرفة مزاج عضو عضو من أعضاء البدن يكون من هذه بأعيانها، ولا يكفيه أن يعلم من هذه ما ذكرناه فقط دون أن يقسم كل واحد منها إلى ما ينقسم إليه، ويعلم ماذا يحدث كل قسم، ليعلم بذلك على ماذا يدلّ، وذلك كخِصْب البدن وكثرة لحمه، فإنها نوعان، أحدهما: تابع للمزاج الطبيعي، وهو المزاج الرطب باعتدال، والآخر: المِزاج المكتسب من التدبير المرطب للبدن، وكذلك ينبغي أن تقيم في (/) الشحم وغيره، وكذلك يلزمه أيضا أن يعلم أن هذه القضايا ٤٩/ب لا تصحّ له إلاّ في البلاد المعتدلة، فأما في البلدان الخارجة في المِزاج عن الاعتدال فلا يصدق، فلذلك ينبغي أن يستثنى في قضاياه بذلك، ويحكم على ذلك ليصح له استدلاله، وكذلك قد يخطىء كثيرا مَنْ يستدل على مزاج جملة البدن من عضو من أعضائه، كالذين قَضَوْا على الأفطس أنه رطب المزاج، وعلى الأَقْنَى[2] أنه يابس المزاج، وعلى الأَعْيَن[3] أنه رطب، وعلى الصغير العينين أنه يابس المِزاج وبارده أيضا، وذلك أنَ الذي يقضي بذلك على الإطلاق لم يعلم أن القوة المصورة التي طبعها البارىء تبارك في الحيوان قد تصور أعضاءه بحسب ما يتهيَّأ لها من كثرة المادة وقلتها، وبحسب كيفياتها الجيدة والرديئة، وقد يقصد أيضا أن يجعل حالات الأعضاء بحسب أخلاق النفس وقُواها، فإذن واجب إحكام ذلك.

(١) كذا، وقد تقدم قوله: «وإن كان اسود دل على الحرارة».
(٢) الأقنى: القَنَى في الأنف: طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه. ابن منظور: لسان العرب ج ١٥ ص ٢٠٣.
(٣) الأعين: عظم سواد العين وسعتها. ابن منظور: لسان العرب ج ١٣

القـــول في طبيعـــة البـــدن[1]

وأما أمرُ تَعرُّف طبائع الأبدان فأمر واجب معرفته على الطبيب بالضرورة، لأنه إذا كان قصده حفظ صحتها، أو معالجة أمراضها، وكانت صحة البدن إنما تحفظ بما شابهها، فلا سبيل إلى معرفة ما يشابه مِزاج البدن، أو يعرف مِزاج البدن أولا، وهو الذي أرادوا في هذه المواضع بقولهم: طبيعة البدن، إذ كان اسم الطبيعة عند بقراط وعند سائر الأطباء اسماً مشتركا، لأنه قد يقع على مزاج البدن كما قلنا، وقد يقع على هيئته وقد يقع على القوة المُدَبِّرةِ لأفعاله، وبالجملة فإن المقصود إليه من اسم الطبيعة ها هنا إنما هو المِزاج الذي يخصُّ البدن، فإذا يلزم الطبيب أن يعرف مزاج البدن الذي يقصد لحفظ (/) صحته، أو لعلاج مرض به. وقد بين القدماء أن إعطاء علامات يتعرف بها مِزاج شخصٍ شخصٍ من الناس ممتنع، لأن الأشخاص بغير نهاية، وأمزجتهم أيضا كذلك، وما لا نهاية له فمحال الإحاطة بعلمه. ٥٠/أ

فلما كان ذلك كذلك التمسوا معرفة أنواع الأمزجة وأجناسها، وحصَّلُوا ذلك، وميزوا كل جنس ونوع بخواصه وفصوله التي ينفصل بها عن غيره، ليكون ذلك قانونا لسائر من أراد أن يعرف أيّ مِزاج من الأشخاص قصد لحفظ صحته، أو لعلاج مرضه، فمن لم يحكم من الأطباء معرفة هذا القانون وما سواه من قوانين هذه الصناعة كان بالواجب ممرضا للأصحاء، قاتلاً للمرضى، ومن تأدَّب وانتبه لما يلزمه من واجب الفعل والشرع، وأحب لنفسه المصلحة وللناس، فإنه سيأخذ نفسه بالتماس ما جهله من هذه الأصول في القوانين التي لا يمكنه إذا أنصف نفسه أن يتسمى طبيبا دون معرفتها، التي أحدها ما نحن بسبيله في هذا الباب، وهو علم أجناس المِزاج، وهي تسعة.

فأحدها: هو المِزاج المعتدل، والثمانية خارجة عن الاعتدال، وهذه الثمانية الخـارجـة عن الاعتـدال منها أربعة مفردة، وهي: الحار والبارد، والرطب

---

(١) في طبيعة البدن ومزاجه انظر: الرازي: المرشد ص٢١، ابن سينا: القانون ج ١ ص٦ ـ ١١، المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة الأولى من الباب السادس حتى الباب الثالث والعشرين.

واليابس، وأربعة مركبة وهي: الحار الرطب، والحار اليابس، , البارد الرطب، والرطب اليابس.

ولا يغني الطبيب أن يعلم ذلك كذلك دون أن يعلم أن لطبائع الأبدان طبقات، أوسطها المعتدل الطبع، وأنّ عن جنبي هذا الوسط طبقات من الأمزجة الصحية والمرضية، إلى أن ينتهي إلى نهاية ما يمكن من الفساد ما لا يحصى. وأن يعلم أيضا ما لكل نوع من هذه الطبقات من العلامات التي يستدل بها عليها. ومثال ذلك: العلامات التي ذكروها للمِزاج الحار والمزاج (/) البارد، وإن كانت كأنها تدل على شيء واحد فإنها بالحقيقة هي بأعيانها تدل على أشياء كثيرة، لأنها تدل على نوع المِزاج الحار هو واحد، وبكثرتها وقلتها وشدتها وضعفها وتغايير أزمانها تدل على أمزجة أشخاص النوع كلها، وذلك أن علامات المِزاج الحار اليابس مثلا هي أن يكون الصدر واسعا، والعروق واسعة، والنبض عظيما، والنَّفْس ذات شجاعة ونجدة، والبدن كثيف العضل وثيق المفاصل مقاربها، والجلد أسود وآدم صلباً، والشعر كثيراً أسود، والشحم قليلاً، والبدن قصيفاً، وامتداد هذه العلامات هي علامات البدن البارد الرطب، فكما أن الأمزجة الحارة اليابسة، والباردة الرطبة، في الشدة والضعف كثيرة لا تحصى، كذلك هذه العلامات وأمثالها من علامات باقي أنواع المزاج الثمانية، لها طبقات ومنازل بعضها أشدّ من بعض لا تحصى، تدل الطبيب على أمزجة[1] الأشخاص الذي قصده حفظ صحتهم أو علاج أمراضهم ولا يليق بقولنا إحضار علامات الطبائع، إذ ليس لذلك قصدنا بكتابنا هذا، وإنما ذكرنا ما ذكرنا على طريق المثال والتشبيه للعقلاء من أهل صناعة الطب، وحثا للمتعلمين، فأما أفاضل هذه الصناعة فإنهم بما قد قرَؤوه[2] من كتبها يستغنون عن كثير من ذلك، فلنكتف بما ذكرناه في هذا الباب، ولنعد إلى مقصدنا فنقول:

أما إذا فرغنا من ذكر جُمل وعيون الأمور الطبيعية التي كانت حاجتنا إلى ذكرها ماسّة في ذكر مصالح البدن وإصلاحه، وما تدعو الضرورة للطبيب

٥٠/ب

---

(١) وردت «أمزاج».

(٢) وردت «قروه».

٥١/أ خاصة ولسائر من قصد صلاح جسمه إليه (/) إذ كان أول قصدنا من تأديب الطبيب إنما كان لصلاح نفسه وتقويم أخلاقه أولا، وقدّمنا ذلك على مصالح جسمه لتقديم النفس بالشرف على البدن جعلنا لذلك بابا مفردا، وهو الباب الأول الذي قبل هذا، ثم لما قصدنا في هذا الباب الثاني ذكر مصالح البدن؛ لأنه الجزء الثاني من شخص الإنسان، وقلنا فيما تقدم من هذا الباب: إنه لا يسع الطبيب الجهل بمعرفة أعضاء البدن وبمراتبها إذ كان منها شريف مخدوم، ومنها خادم أيضا، ومنها ما خلقت آلات وخدما للنفس الناطقة، ومنها ما خلقت مع ذلك آلات وخدما للطبيعة، وقلنا: انها مختلفة الأمزجة والهيئات، وأن من قصد حفظها، وعلاج مرض إن عرض لواحد منها، فهو محتاج إلى معرفة جميع الحالات، فإن الطبيب أحوج الناس إلى ذلك ليصلح حال جسمه هو أولا، ثم حالات أجسام الناس، كما أنه ينبغي أن يؤدّب نفسَه أولا قبل التعرُّض لما ذكرناه من هذه الصناعة الشريفة، فلذلك دعتنا الضرورة أن نرى لتدابير الأعضاء قانونا يقدر ذو الفطنة اللطيفة، والقريحة الصافية، أن يستعمله في جملة البدن، وفي عضوٍ عضوٍ من أعضائه، ولم يكن لنا بد في ذلك من اتّخاذ مثال الطريق الذي يجب أن نسلكه في ذلك القانون، فاتخذنا من جملة الأعضاء الدماغ مثالا، وذكرنا من الطرق الواجب ذكرها ومن الأمور الطبيعية التي هي ضرورية في نقاء الشخص، وكيف ينبغي أن نختار منها الأصلح، غير أنا قصدنا بذلك تنبيه الطبيب على مالا بد له من علمه.

وإذا كان ذلك قد تم فقد ينبغي لك أيها المحب لهذه الصناعة أن تنقل ما ذكرناه في الدماغ إلى باقي الأعضاء الشريفة، أعني القلب والكبد، وإلى بقية الأعضاء النافعة في البقاء، وهي آلات النفس وآلات الغذاء، كالمَعِدة والكبد، وبالجملة إلى عضو عضو من سائر أعضاء الجسم ما كبر وما (/) ٥١/ب صغر من الأعضاء الاليّة، وإلى سائر [الأ]عضاء[1] المتشابهة الأجزاء، لتختار لكل عضو من أعضاء الجسم ما أصلحه من تلك الأمور الطبيعية، أعني حالات الهواء والحركة والسكون والمأكول والمشروب، والاستفراغ والاحتقان،

(١) وردت «أعضاء» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

والنـوم واليقـظة، والأعراض النفسية، والبلدان والأعمال، والعادات، وقوة الجسم، والسن والسحنة وطبيعة البدن، فيختار من كل واحدة من هذه لجملة البـدن، ولعضـوٍ عضـوٍ من أعضـائه ما يوافقه بالكمية والكيفية، والزمان والمكان، على النحو الذي قدمنا ذكره في باب باب لكل واحد مفرد، على تقصي فروع كل أصل من هذه الأصول، فإن كان إنسان من الناس إلى ذلك محتاجا، وهو يستعمله في حال صحته وفي حال مرضه دائما (مادام على قيد الحياة)[1] وإنما الفضيلة، لأهـل هذه الصنـاعـة، ولأفاضل الناس الذين يقتدون برأي الأفاضل من الأطباء، هي أنهم يختارون من كل واحد من هذه أوفقه وأنفعه، ولا يستعملون منه الاّ ما لا بدّ من استعماله للبقاء بالشخص أو بالنوع.

ومثال ذلك ما يستعمل لبقاء الشخص المأكول والمشروب وسائر تلك الأمور الطبيعية المقدم شرح عيونها، فإن الفاضل لا يأكل إلاّ ما حاجته إليه ماسة، وفي الوقت الموافق، والمقدار الكافي، وكذلك ما يشربه، وكذلك يفعل في سائر أعماله وحركاته وسكونه، ونومه ويقظته، وبالجملة سائر ما يدعوه الطبع إلى استعماله، فإن فضيلته في ذلك هو أن لا يأخذ منه بحسب اللذة، لكن بحسب الحاجة، فإنه من أقبح الأمور أن تكون البهائم لا تستعمل من هذه الأمور إلا بحسب حاجتها، ويكون من يرى بنفسه أنه عاقل يستعمل منه فوق حاجته، وأشد من ذلك قبحا من يجهد في الوصول منها إلى ما فوق طاقتـه، كالـذين يتخذون المعاجين والجوارشنات[2] ليقووا من الجماع على المقـدار الكثـير، (/) وهـذا للانسـان مهلك، وأشباهه ـ مع ذلك ـ قبيح بالعقلاء فانه أعظم قبحا وأسمج بالطبيب المدّعِي تدبير الخواص والعوام من الناس[3]، فاستعن أيها الحبيب على طبعك بعقلك، وعلى تفهيم[4] قلة

٥٢/أ

---

(١) وردت «مهما هو حي» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.

(٢) الجوارشنات: المعنى بالفارسية: هاضم الطعام، واكثر ما يقع هذا الاسم على المعجونات التي فيها الأفاوية والزنجبيل.

(٣) كما وانظر هذا القول في الشيرازي: رسالة في بيان الحاجة الى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم ص ٨٩. ميكروفيلم مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقم ٣٦ طب.

(٤) وردت «التفهم» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.

بصيرتك بمنافعك بقراءة كتب المتقدّمين، وعلى التفهم لأقاويلهم بلُقْيا الخبيرين بها، لتزداد بذلك علما، وتقدر على العمل المحمود، فبالعمل مع العلم تُنال الصالحات وتُبْلَغ الخيرات.

وأرى أنه من الصواب بعدما قدمته من هذه الجمل أن أذكر جُمَلا من الوصايا التي تحث الطبيب على ما يصلح بقية أعضاء البدن الكبار، ويستدل بها على إصلاح باقي الأعضاء، ثم أتبع ذلك بوصف سيرة الطبيب: كيف ينبغي أن يكون؟ وكيف يرتب تدابيره لجسمه يوما يوما سائر أيام حياته؟ وبذلك يتم هذا الباب.

القول في الحث على مصالح الأعضاء وأقدمها بعد الدماغ[1]

القلب، وينبغي للطبيب أن يعني بأمر صَلاح القلب العناية الشديدة، لأنه معدن الحياة، ومحل الروح الحيواني، ومنشأ الحرارة الغريزية، ومنه تسري الروح الحيوانية في العروق الضوارب النابتة منه إلى سائر البدن، ومن لطيف دمه يصعد إلى شبكة الدماغ مع لطيف القوة الحيوانية، لتتحول هناك وتتهذب، فيكون الدم للدماغ غذاء وللروح الحيوانية وللروح النفسانية مادة وأُسْطُقُسّا.

وخلق القلب بشكل صنوبرة، كشكل الجوهر الناري الذي فيه، والعناية بصلاح القلب مأخوذة من أصلين: أحدهما بصلاح ما يرد إليه من خارج من الهواء المروح عن ناريته وبها يمد الروح الحيوانية التي فيه. والثاني بصلاح الدم الواصل إليه ليغذيه، وينمي ويحفظ القوة الحيوانية والحرارة الغريزية، كما ينمي ويحفظ النار الزيت، فلذلك (/) ينبغي للطبيب أنْ يعنى دائما بصلاح الأغذية التي يتولد عنها الدم ويُبين[2] أن مما يطيف بهذين الأصلين ويتمِّم صلاحهما تقويم تلك الأمور الطبيعية المقدم ذكرها في تدابير الدماغ والأخذ منها بحسب صلاح القلب. ٥٢/ب

وقد بين القدماء أن القلب آلة للقوة الغضبية، وبصلاحه تستقيم أفعال هذه القوة وتعدل الأخلاق، وتضعف القوة الغضبية، لأن الدم يصفو، والنفسانية تقوى، وبفساد القلب تفسد الغضبية، وتصير الأخلاق شقية.

(١) في أحوال القلب وتشريحه وأمراضه وتطبيبه انظر ابن سينا: القانون ج ٣ صص ٢٦١ -٢٧٩. المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة ٣ الباب ٢٠، المقالة ٩ الباب ٢٣، ج ٢ المقالة ٦ الباب ١٦.

(٢) وردت في *الأصل* «بين».

فالذي به يستدل أولاً على حالات القلب ـ ثم على حالات سائر أعضاء البدن ـ هو نَبْضُ العروق. وعلم النبض[1] للطبيب في حفظ الصحة وفي معالجة المرض علم عظيم النفع، لأنه كما قال جالينوس مخبر لا يكذب، فلذلك وأشباهه ينبغي أن يتوَفّر على حفظ القلب.

(١) في علم النبض انظر: ابن سينا: القانون ج ١ ص ص ١٢٣ ـ ١٣٥. الرازي: المرشد ص ٧٣. وكان لمعرفة النبض أهمية بالغة لدى أطباء المسلمين الذي أكدوا ضرورة معرفة الطبيب له يقين المعرفة، حيث لا يتأتى إلّا لِمن ارتاض وتعلم ومارس ذلك كثيرا. يقولُ هبة الله بن يوسف: «وجالينوس يقول إنه أقام سنينَ كثيرة عديدة يتأمل النبض بحرص شديد، واجتهاد عظيم، حتى أدرك انقباض العرق إدراكا يثق به، وإدراك انقباض العرق مبدأ من مبادىء علم النبض، وأبو علي الحسين بن عبدالله بن سِينا يقول: إن في النبض طبيعة موسيقية... مشابهة للأمور التي تألف منها علم الموسيقى، لأن النسَب التي هي أزمنة النبضات، في السرعة والتواتر، كالنسَب التي بين أزمنةِ النقرات، والنسب التي بين أحوال النبضات، في القوة والضعف، ومقادير انبساط العرق، كالنسب التي بين أحوال النغم في الحِدّة والثقل...» المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الطبية الورقة ٢٢٧أ.

القول في الكبد[1]

والكبد أيضا هو عضو رئيس، خلق لتكوين الدم، وذلك أن الكبد تجذب إليها بالقوة الجاذبة التي خلقها الله جل وعز فيها ـ وفي كل مغتذ ـ الصافيَ من الغذاء، الذي[2] قد طبخته المعدة وأنضجته نضجاً أولَ، فإذا انطبخ فيها أعني في الكبد، ونضج نضجاً ثانياً صار بالقوة المغيرة في مدة من الزمان الذي قد مسكته القوة الماسكة دماً، وبعد ذلك تنفذه وتدفعه إلى الأعضاء، وترسل ذلك في العروق الثابتة منها إلى كل عضو ما يشاكله وبحسب كفايته، بعد أن تأخذ منه هي غذاءها، وتنفي منه ما لا يصلح لغذائها، ولا لغذاء الأعضاء، من عكر وزبد وماء، وذلك تقدير العزيز الحكيم، وخلقت الكبد بشكل هلالي ذي زيادات، محدودب الظاهر، أخمص الباطن ليمكن بذلك احتواؤها (/) بتقعيرها وبأصابعها الزائدة على المعدة، لتسخنها وتعينها على طبخ الغذاء، فيكون مثالُها مع المعدة مثالَ القدْرِ الموضوعة على الموقد. ٥٣/أ

وبالقوى الطبيعية التي في الكبد يتم الكون لأن منها قُوىً أولى وهي المصورة والمربية، وثوان. وهي الجاذبة والماسكة، والهاضمة والدافعة، وبصلاح الكبد تصلح جميع هذه وتصلح حال الحي، فلذلك يجب على الطبيب العناية بها فيما يرد إليها من الأغذية والأشربة، وما يبرز عنها، وبالجملة في تقدير الأمور الطبيعية بحسب مصلحتها كالذي تقدم به القول.

---

(١) في الكبد انظر ابن سينا : القانون ج ٢ ص ٣٤٩ ـ ٣٩٨. المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة ٣ الباب ٢٨، المقالة ٩ الباب ٣٠، ج ٢ المقالة ٧ الباب ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤-٣٥.

(٢) وردت «التي» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

القــول في المعــدة[1]

وبعد العناية من الطبيب بالأعضاء الرئيسة، أعني الدماغ والقلب والكبد، فإنه ينبغي أن يُعْنَى بتنقية الأعضاء التي هي خدم لهذه الرئيسة، ونفعها عام لسائر الجسم، وأشدُّ هذه تقدماً المعدة، لأن الطبخ الأول للغذاء فيها يكون وبها[2]؛ وإذا كان ما يفعله الفم والأسنان والأضراس واللسان من تقطيع الطعام وطحنه وأشباه ذلك لا يستحق أن يسمى هضماً ولا طبخاً، إذ كان منزلته منزلة ما يصلحه الطباخ من التقطيع والدقّ قبل طبخه، فالمعدة بالحقيقة هي أول آلات الطبخ، ولذلك جعل ليفها الآخذ عرضا ليفاً مؤرباً[3]، لكي تحتوي به وتقبض على الطعام، ليتم لها سحقه وطبخه في مدةٍ ما من الزمان، وتتعـاون على ذلك قوتان: إحداهما الماسِكة، والأخرى المغيرة وهي الهاضمة، وهاتان القوتان فعلاهما يتلوان فعل القوة الجاذبة حتى لا تفعلان ـ هاتان القـوتـان[4] ـ شيئـا، كما أن القـوة الدافعة ثالثة في فعلها للقوتين المتوسطتين، ولذلك جُعِل للمعدة طريقان: أحدهما ينجذب اليها منه ما يرد إليها وهو المتصل (/) بالمريء، والآخر المسمى البواب وهو الثقب المتصل بأول المعى المسمى الاثني عشر. والمعدة من أسفلها الذي هو أوسع جرمها لحمي لأجل أن أكثر النضج به يكون، وأعلاها عصبي لأجل أن أكثر الحس لها به يكون. ٥٣/ب

وإذا كان نفـع المعـدة ما ذكـرنـا، فبحق يجب على الـطبيب أن يعنى بصلاحها، وأول صلاحها هو نقاؤها ونظافتها مما قد بقي فيها، أو تولد فيها من الفضلات العفنة؛ ليرد الغذاء إليها على نقاء، كما أن أول صلاح طبخ

(١) في المعدة ودراستها وتشريحها وكيفية عملها وهضمها الطعام ومعرفة أمراضها ومداواتها انظر ابن سينا: القانون ج ١ ص ص ٢٨٣ ـ ٣٤٨ المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة ٣ الباب ٢٤، المقال ٩ الباب ٢٤-٢٥، ج ٢ المقالة ٧ من الباب ٢ إلى الباب ٢٠

(٢) في كيفية هضم المعدة للاكل وعلل ذلك وما يتصل به انظر ابن سينا: القانون ج ٢ صص ٣٢١ ـ ٣٢٦.

(٣) مؤرباً: ورب الشيء فأنورب جعله مؤرباً، أي منحرفاً وملتوياً فانحرف والتوى. المنجد في اللغة والأعلام ص ٨٩٥.

(٤) وردت في الأصل «هاتين القوتين».

الـطبـاخ هو نظافة قدره وآلات الطبخ، وبعد ذلك فأحمد الأمور للمعدة ـ ولسائر الأعضاء ـ هو ألّا يورد إليها إلا ماوافقها من الطعام والشراب وغيرهما مما يرد إليها، والموافق لها يحتاج أن يكون موافقا في الكمية وفي الكيفية، وفي الترتيب، وفي الوقت. فإن الطعام والشراب إذا لم يكونا في مقداريهما فوق مقـدار الحـاجـة، وكانت كيفيتهما موافقة في الحرارة والبرودة مثلا، ورتبت الأغذية ترتيبها الموافق، فقدم مثلا الطعام اللطيف السهل الهضم قبل الطعام البطيء الهَضْم، وقدم أيضا الطعام قبل الشراب، وكذٰلك أيضا إذا حفظ زمان الهضم ولم يورد على المعدة طعام آخر كان جميع ذلك مع سائر ما يقدر للمعدة من باقي الأمور الطبيعية أعني الحركة والسكون، والنوم واليقظة، والاستفـراغ والاحتقان، وسائر ما تَبَقّى من ذلك مُصلحاً لحال المعدة، ولحال سائر البدن، فلذلك يلزم الطبيب العناية بها.

وأيضا مما يحتاج أن يُذَكَّرَ به الطبيب ـ ليعنى بعلمه من أمر المعدة ـ هو ما ذكرناه أولا من استنظافها مما يتولد فيها، والمتولد فيها نوعان من الأخلاط، فأحدهما: يمكن صلاحه ونضجه من الأغذية حتى يصل إلى الكبد ويتولد منه دما، والنوع الآخر من أخلاطها: لا يمكن أن يكون منه دم (/) ولذلك يجب العناية بإخراجه عنها، إمّا بالإسهالِ أو بالقَذْف. ٥٤/أ

فالنوع الأول الذي يمكن كونه دماً هو البلغم، ولذلك يجب أن يعنى بنضجه وإصلاحه، كالذي يأمر به المشايخ وأصحاب الأمزجة الباردة الرطبة، ومن يتـولـد في معدهم البلغم كثيرا لتخلف هضمهم، تبرد معدهم بأكل العسل وما وافقتهم من الجوارشنات، وشرب اليسير من الخمر الصرف في جملة أغذيتهم، ونظائر ذلك.

وأما النوع الثاني من الأخلاط المتولّدة في المعدة التي لا تستحيل دما ولا يمكن صلاحها فهو ما يتولد فيها، أو ينصب إليها من الصفراء أو المِرَة السوداء، أو من الأخلاط الصفراوية والأخلاط السوداوية، وإخراج هذين الخِلْطين من أسفل يكون بما يسهلهما من الأدوية المسهلة لهما إذا مالا إلى أسفل، أو بالقذف إن مالا إلى ناحية فوق. فقِسْ على ما ذكرته لك، وأحسن التقدير توفق إن شاء الله.

القول في الأمعاء والطحال والمرارة والكلى والمثانة[1]

وينبغي للطبيب أيضا أن يصرف عنايته إلى علم جواهر بقية الأعضاء الخادمة، وما منافع كل واحد منها، ليعلم بذلك بما يصلحه، فإنه لا يغنيه في بقاء الجسم، وحفظ صحة صلاح حالات المخدومة دون صلاح الخوادم، وهذه الأعضاء هي من الخوادم التي جعلها البارىء تعالى في الرتبة الثالثة لخدمة المعدة والأمعاء الدقاق الثلاثة، أعني المتصل بالبواب، والاثنى عشري والصائم، مع ما جعلت طرقا، ليتقدم منها ما قد فرغت المعدة عن عمله، فإن لها منفعة أخرى وهي أن العروق الدقيقة التي يرد إليها من الكبد المسماة الماساريقي، وتفسيرها المصافي، خلقت لتجذب صفو الغذاء إلى الكبد ليصير فيها دما، ولذلك عوّجت هذه الأمعاء (/) تعويجا كثيرا، فأما باقي الأمعاء فهي الغلاظ، فالمنفعة منها أنها طرق فقط لتنقية ما تبقى من الثُفل، ولذلك يجب العناية ببروزه وخروجه منها إن قصرت الطبيعة عن إخراجه، ولذلك يلزم الخادم للطبيعة وهو الطبيب (أن)[2] يعلم كيف ينبغي أن يكون إخراجه، وذلك أن إخراج الثُفل، وتسهيل بروزه، يحتاج إلى تَفقُّده يوما يوما، فإنه كما أن الحاجة إلى الغِذاء يوما فيوما، كذلك الأمر في خروج أثفاله، فأول مُعِين في بروز الثفل بسهولة هو أن يكون الغذاء سريع الهضم، ولا يصعب على المعدة إنضاجه، لكي يكون قد أنضج وسحق بعد النضج بالطبخ، والطبخ من خارج، ثم بالفم، ثم ينبغي أن يكون الغذاء في مزاجه مشابها

٥٤/ب

(١) انظر: دراسة بعض أطباء المسلمين في:
الأمعاء: ابن سينا : القانون ج ٢ ص ٤١٨، صص ٤٣٧ - ٤٧٨، الرازي: كتاب القولنج، المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة ٣ الباب ٢٦، المقالة ٩ الباب ٢٦ - ٢٧ - ٢٨، ج٢ المقالة ٧ الباب ١٦.
الطحال والمرارة: ابن سينا : القانون ج ٢ ص ٣٩٩ - ٤١٨. المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة ٣ الباب ٢٩ - ٣٠، المقالة ٩ الباب ٣٢ - ٣٣، ج ٢ المقالة ٣ الباب ٤٠.
الكلى والمثانة: ابن سينا : القانون ج ٢ ص ٤٨٨ - ٥١٦، المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة ٣ الباب ٣١ - ٣٢، المقالة التاسعة الباب ٣٤ - ٣٥، ج٢ المقالة ٧، الباب ٤٢ - ٤٣ - ٤٤.
(٢) وردت «وهو» خطأ.

لِمزاج المغتذي به إذا كان صحيحا، ومما يعين [على][1] خروج البراز في الأمزجة الباردة وفي المعد المستولي عليها البرد والبلغم خلط الأشياء الملطفة بالأغذية ليعين على تولد الصفراء وتحريكها، وصبها إلى الأمعاء، لحَثِّ البراز على الخروج، وهذه الأشياء الملطفة هي الأشياء الحريفة كالكمون[2] والكراويا[3] والدارصيني[4] والزنجبيل[5] والفلفل[6]، والعسل فيما ذكرناه أعظم فعلا، لأنه مما يلطف بنضج البلغم، ويُعين على كونه دما. ومما ينفع في ذلك منفعة عظيمة شرب الخمر وهو صرف، أو قريب من الصرف، وفي الشتاء يكون مزاجه بالماء الحار والأنبذة المائلة إلى الحلاوة نافعة في ذلك.

وإن تخلفت الأمعاء عن دفع البراز لبرد مِزاجها، أو لبلغم قد كثر وغلظ فيها، أو ليبس ما صار إليه من الثفل، أو لعظم رياح قد تولدت من نوع الغذاء - فيلزم الطبيب حيلة لإخراجه بالحقن بالأشياء المسخنة للأمعاء، والمذيبة للبلغم، والطاردة للرياح، والمزلقة أيضا، كالخطمية[7] المضروبة في ماء العَسَل والزيت، وكما قد طبخ فيه كمون وخطمية أو حلبة[8] ويكون خلط مع ذلك العسل والزيت وحقن به، وذلك (/) وأمثاله نافع في حفظ الصحة ٥٥/أ

(١) لم ترد «على» في الاصل واثبتناها ليستقيم المعنى.

(٢) الكمون: ابن البيطار: الجامع ج ٤ ص ٨١، أبوعمران: شرح أسماء العقار رقم ١٩٣، الغساني: المعتمد ص ٤٣٢.

(٣) الكراويا: بزر صغير الحبة، فيه حرافة معتدلة، طيب الرائحة يطرد الرياح ويدر البول، مسخن جيد للمعدة. ابن البيطار الجامع ج ٤ ص ٦٤، أبوعمران: شرح اسماء العقار رقم ١٩٥ الغساني: المعتمد ص ٤٢٠.

(٤) الدارصيني: أي شجر الصين، والدار صيني على ضروب، ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ٨٣، أبوعمران: شرح أسماء العقار رقم ٩٥، الغساني: المعتمد ص ١٤٥.

(٥) الزنجبيل: عروق تسرى في الأرض، وليس بشجر، وهو معروف. ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ١٦٧، أبوعمران: شرح أسماء العقار رقم ٣٥٣، الغساني: المعتمد ص ٢٠٧.

(٦) الفلفل: شجرة تنبت في بلاد الهند وهو معروف. ابن البيطار الجامع ج ٣ ص ١٦٦، أبوعمران: شرح أسماء العقار رقم ٣١٠، الغساني: المعتمد ص ٣٦٧

(٧) الخطمية: ويقصد به الخطمي: منه بستاني ومنه بري، وله زهر شبيه بالورد، وهو يحلل ويرخي، ويمنع حدوث الأورام ويسكن الألم، ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ٦٣، أبوعمران: شرح أسماء العقار رقم ٣٩٠.

(٨) حلبة معروفة. ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ٢٥، الغساني: المعتمد ص ٩٩، أبوعمران: شرح أسماء العقار رقم ١٥٣.

وتنقية الأمعاء، والرياضة وتعديل الأمور الطبيعية، كلها في ذلك أعظم نفعاً، ولا ينبغي أن يهمل منها شيئا.

وأمـا الطحال، وهو عضو له منافع كثيرة، أظهرها وأعظمها هو تنقيته وجذبه لعكر الدم من الكبد، ثم طبخه لما صار إليه حتى يصير منه المرة السوداء، ثم إنفاذ جزء من هذه المِرّة إلى فم (المعدة)[1]، يسدها بها فيها من القبض، وبها في هذه المرة من الحمض وتحرك الشهوة للطعام، ثم ليعين الطحال على امتحان المعدة للطبخ باحتوائه على جرمها، كما يحتوي الكبد من ناحية اليمين، وكما يجللها الثوب من قدامها، جميع ذلك لإسخانها.

ولهذه المنافع والأفعال من الطحال يجب الاهتمام بإصلاحه وتنقيته إذا وجد الطبيب منه تخلفا في فعله، كما يعطى الأشياء التي تجلوه وتقوي حدته وتخرج ما فيه، مثل السكنجبين[2] العسلي والعنصلي[3] والكبر[4] المعمول بالخل ونظائر ذلك.

وكذلك يجب على الطبيب النظر في أمر المرارة، فإنها آلة خلقت لتجذب من الـدم ما يعلو على ما طبخه الكبد من الزبد، كالذي يأخذه الطباخ بالمغرفة من الزبد الطافي على الطبيخ لتنظيفه منه، ومن ذلك الزبد اللطيف الخفيف يكون المرار الأصفر بطبخ المرار له، وهي مع ذلك بعد تغذيها منه في عرقين إلى أسفل المعدة، وإلى الأمعاء، لتعين المعدة، على الهضم بحرارته، وأيضـا ليعـين البـواب على إخراج ما نضج، وليعين الأمعاء الغلاظ على دفع الرجيع، ويخليها دائما من البلغم الذي يكثر فيها لبرد مِزاجها، فلذلك يجب العناية بالمرارة وبتفقد حال ما يتكون منها، وما هي عليه من قوة الجذب

---

(١) وردت «البلغم» خطأ وما أثبتناه هو الصحيح.

(٢) السكنجبين: وهو المركب من الخل والعسل، ثم يسمى بهذا الاسم، وان كان مكان العسل سكر ومكان الخل لب السفرجل أو غيره. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٤٠. وأنواعه وأنواع أخلاطه كثيرة. انظر ابن سينا: القانون ج ٣ ص ٣٦٤ - ٣٦٥، ابن هبل: المختارات في الطب ج ٢ ص ٢٨١.

(٣) العنصلي: هو بصل البر وله ورق مثل الكراث منبسطا، وله في الأرض بصلة عريضة. ابن البيطار: الجامع ج ٣ ص ١٣٨، أبوعمران: شرح أسماء العقار رقم ٦٠، الغساني: المعتمد ص ٣٤١.

(٤) الكبر: شجرة مشوكة منبسطة على الارض باستدارة، مركب من قوى مختلفة متضادة. ابن البيطار: الجامع ج ٤ ص ٤٥، أبوعمران، شرح أسماء العقار رقم ١٩٧، الغساني: المعتمد ص ٤٠٧.

والـدفع، بتعديل الأطعمة والأشربة والحركات والاستحمام، وبالجملة سائر الأمور الطبيعية.

كالقول في المرارة كذلك القول في الكُلَى (/) والمثانة، فإنهما عضوان خلقا ليجذبا إليهما مائية الدم، فهما بعد أخذهما منه ما يغذيهما يخرجانه بالبول، فلذلك ينبغي للطبيب أن يتفقد ما يخرج من البول[1]، وينظر في أمر البول في كميته، أعني في كثرته وقلته، وفي كيفياته على اختلاف ضروبها، كألوانه وقوامه وسهولة خروجه، وغير ذلك مما هو داخل في باب الكيفية، وفي أوقات خروجـه، فإن علم الاستدلال من البول على حالات آلات الغذاء كلها خاصة، وعلى حالات سائر البدن عامة في حال الصحة وحال المرض عظيم النفع للطبيب، فلذلك يجب أن يعنى بعلم دلائله، وبقراءة ما ألفه الأطباء من الكتب، ولذلك أيضا يجب العناية بتفقد الكُلىَ والمَثانة، لما لهما من الأفعال والمنافع بتعديل الأغذية والأشربة خاصة، وسائر الأمور الطبيعية.

٥٥/ب

(١) انظر عن البول ما ذكره ابن سينا : القانون ج ٢ ص ٥١٦ ـ ٥٣١ الرازي : المرشد ص ٦٨.

القـــول فـــي الرئـــة والصـــدر[1]

ومن الأعضاء الخوادم للأعضاء الشريفة النافعة في بقاء الحي الرئة، فإنه عضـو له منـافـع، منها صون القلب والترويح عنه لإنفاء بخار الحرارة النارية التي فيه، ولاستجلاب الهواء الصافي البارد إليه، ولتصفية حرارته، كالذي تفعله المروحة من استجلاب الهواء إلى النار لتنفي عنها ما اجتمع عليها من الدخان والرماد، فيصفو بذلك، كذلك تفعل الرئة، ولذلك خلقت اسفنجة خفيفة، ولشرف نفعها أحرزت بصونها بسور يحيط بها، مركب من عظام وعضل وأغشية وغير ذلك وهو الصدر، ولها من المنافع للحي أنها مع الصدر أكثر الأسباب في تولد الصوت وكونه.

فلذلك يجب على الطبيب الاهتمام بمصالحه جميعا، وذلك بتعديل الأغذية والأشربة، وخاصة الهواء المحيط بالشخص وبحركاته، فإن ذلك أسرع إليهما. وبالجملة (/) ينبغي أن يصلح لهما جميعا الأمور الطبيعية ليدوم لهما بذلك ـ ولسائر أعضاء البدن ما ذكرناه، وما لم نذكره ـ السلامة[2] والصحة. ٥٦/أ

ولم نذكر ما ذكرناه من هذه الأعضاء إلاّ على طريق التنبيه والمثال للطبيب على ما يجب أن يعمله في سائر أعضاء البدن، فلذلك ينبغي له أن يعرف أعضاء البدن كلها الآلية. ويعلم أعضاءه التي هي في المرتبة قبل الآلية، وهي المتشابهة الأجزاء، لأنها هي الأصول للأعضاء الآلية، ثم يلزمه أن يكون عالما بما منه ركبت الأعضاء المتشابهة الأجزاء، ليعلم كيف يحفظها، فيلزمه أن يتقدم عند العلم بأمر الأخلاط، وقبل العلم بالأخلاط العلم بالمزاج لتكون الأخلاط من الاسطقسات، فلذلك قالوا: إن هذه الأشياء هي الأمور الطبيعية للجسم مع أسبابها وعلاماتها.

---

(١) في الرئة، وتشريحها، وعملها، وأمراضها، ومداواتها. انظر: ابن سينا : القانون ج ٢ ص ٢٠٨ ـ ٢٦١، الرازي: المرشد ص ٧٦، المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة ٣ الباب ٢٥، المقالة ٩ الباب ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠، ج ٢ المقالة ٦ الباب ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ١١ ـ ١٢.

(٢) وردت «وللسلامة» خطأ وما أثبتناه هو الصحيح.

ولهذه العلل ـ ولكثرة بحوثها، وتفنن طرق العلم بها ـ صنّف القدماء لكل فن منهـا كتبـا، فإن أحببت علم ذلـك ـ على إتقان ـ فيجب أن تلتمسه على ترتيب ونظام، فتقرأ كتب فنٍّ فنٍّ منه على توالي الأمر الطبيعي لبدنِ الإنسان.

وأجمل ما قرأته في ذلك كتب جالينوس، ومنها خاصة الستة عشر كتابا التي رتبها الإسكندرانيون للمتعلّمين لهذه الصناعة. وسنذكرها على ترتيبها وبأسمائها فيما بعد بمشيئة الله تعالى.

فيجب أن تصرف العنـاية إلى درسهـا على من يفهمهـا، فإن كتـاب الأسطقسات منها مُقَدّم قبل المِزاج، والمِزاج مُقَدّم قبل علم التشريح، ومنافع الأعضاء، وهذه مقدمة[1] قبل القوى الطبيعية، وكذلك أجرى القول في ترتيبها.

فإذ قد انتهى بنا القول إلى ها هنا فلنرجع إلى ما ينبغي للطبيب أن يأخذ نفسه به من التدابير والسياسة لبدنه ولنفسه يوما يوما، فنذكره لتكون مصالحه تامة، وسيرته كاملة، وبذلك يكون كمال هذا الباب.

---

(١) في الأصل .(مقدم).

القول في التدابير والسياسة التي ينبغي للطبيب أن يُدَبِّر نفسهُ بها في كل يوم مدة حياته[1]

٥٦/ب

فنقول: إنه ينبغي بعد إتقان ما قدمنا ذكره مما يلزمه علمه، أن يبدأ في كل يوم باستنظاف ما يبرز من سائر منافذ بدنه، كالذي يبرز من منخريه وعينيه وفمه ونظائرها، وتزكيتها بالماء، وليس يكثر في هذه المنافذ الفضلات إلا لكثرة الأكل والشرب وسوء ترتيبها، فلذلك يكون أنفع الأشياء في تزكية الحواس ونقائها هو تعديل المأكول والمشروب.

وأيضًا: فإن الطبيب مضطر إلى حضور مَجالس الأفاضل والأدباء، والأدب لائق، وليس من الأدب التنحنح والتبصّق والتثاؤب والتَّمَطِّي وأشباه هذه الأشياء[2]، وجميع هذه ونظائرها إنما تأتي على التَمَلِّي من الطعام والشراب، فينبغي للطبيب أن يحذر ذلك، وما يملأ الرأس ويفعل هذه الأشياء العَشاء، فيجب أن يتوقّاه، وبعد ذلك فينبغي أن يعني بفمه بالسّواك والسنونات التي تجلى الأسنان، وتطيب النكهة، وتشد اللِّثة[3] كالسعد[4]

---

(١) لقد سبق الحديث في أمر تنظيم وترتيب الطبيب لوقته وحياته عامة، وورد ذكر علي بن رضوان الطبيب المصري حين قال: «وكنت منذ السنة الثانية والثلاثين إلى يومي هذا أعمل تذكره لي وأغيرها في كل سنة إلى أن قررتها على هذا التقرير الذي استقبل به السنة الستين، من ذلك أتصرف كل يوم في صناعتي بما يغني ومن الرياضة التي تحفظ صحة البدن، واغتذي بعد الاستراحة من الرياضة غذاء أقصد به حفظ الصحة.» ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص٥٦١ - ٥٦٢.

(٢) يقول الشيرازي «ومن الآداب التي يجب أن يتأدب بها الطبيب أن لا يصف بصفات يخرج فيها عن حسن الأدب، ولطافة الكلام لا سيما عند الأكابر، رسالة في بيان الحاجة إلى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم ص٩١، مصور مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقم ٣٦ طب.

(٣) يقول الرازي «ينبغي أن يكون الطبيب نظيفا في بدنه ووجهه وشعره وسائر أعضائه، وتكون ثيابُه نظيفة» الرازي: محنة الطبيب ص٥٠٣ مجلة المشرق العدد ٥٤ سنة ١٩٦٠م. وقال ابن هبل في شروط الطبيب الناجح: «وأن يتطهروا ويتزينوا ويتطيبوا كما يجد المريض عند مشاهدتهم الراحة منهم.» المختارات في الطب ج ١ ص٣. وقال داود الانطاكي: «ويجب اختيار طبيب حسن الهيئة صحيح البنية نظيف الثياب طيب الرائحة يسر من نظر اليه» التذكره ج ١ ص٨. ويقول علي بن رضوان «واجعل ثيابي مزينة بشعار الأخيار والنظافة وطيب الرائحة». ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص٥٦٢.

(٤) السعد: معروف وأجوده ما كان ثقيلا عسر الرض، خشنا طيب الرائحة مع شيء من حدة. ابن البيطار: الجامع ج ٣ ص ١٥، الغساني: المعتمد ص ٢٢٥.

والإِذْخَر[1] ونظائرهما، ويأخذ في فيه من العود ما يمضغه قليلا قليلا، ليطيب بذلك نكهته، وتقوى معدته ودماغه، وكذلك من المُصْطَكَى[2] ونظائرها.

ولذلك قال جالينوس: («فقد كانَ رجلٌ به رائحة رديئة من فيه، فعني بعلاجها حتى نقصت وقَلَّتْ بالقيء والإسهال، وشرب الأدوية التي تصلح لها، ثم كان بعد ذلك في كل يوم يلقى في فمه حَماحِماً[3]. وأحيانا شيئا من الساذج[4] وأحيانا غير ذلك من الأشياء الطيبة الرائحة، ولم يكن يخرج من منزله إلا بعد أن يفعل ذلك»).

ثم يجب عليه أن يتبع ذلك بتفقد روائح سائر أعضائه (/) فما أنكر منها من رائحة قابله بما يزيل تلك الرائحة كالتوتياء[5] لروائح الإبط، والذرائر[6] التي تقمع الروائح الرديئة. 1/57أ

وكذلك يلزمه أن يتفقد كل ما فضل عن أعضائه مما لا حاجة ضرورية للجسم اليه فيزيله، كالزائد من الأظافر، والفاضل من شعر رأسه ووجهه، وغير ذلك مما شابهه.

ويتلو ما ذكرنا عناية الطبيب بلباسه، فإنه ينبغي له أن يتعمد شيئين أحدهما النافع كاللين والمسخن في الشتاء، وكالرقيق الناعم في الصيف، والآخر ماجمل وحسن عند أبناء نوعه ولم يخرج عن طبقة مثله، فإن الطبيب الخادم للسلاطين يحتاج من الكسوة والطيب أكثر مما يحتاج إليه طبيب العامة.

ويجب للطبيب أن يحرس حواسه كلها، ولا يستعملها الا فيما اجتلب نفعا،

---

(1) الأذخر: معروف، ويدخل في عمل الطيب ورائحة زهره شبيهة برائحة الورد. ابن البيطار: الجامع ج ١ ص ١٥.

(2) المَصْطَكى: وهو علك الروم معروف. ابن البيطار: الجامع ج ٤ ص ١٥٨.

(3) وردت «حماما» خطأ وتصحيحه ما أثبتناه، والحماحم: هو الحبق البُسْتاني العريض الورق. ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ٣٣. أبوعمران: شرح اسماء العقار رقم ٤٨، الغساني: المعتمد ص ١٠٦.

(4) ساذج: قيل هو ورق الناردين الهندي، له عدة استطبابات، كما يوضع تحت اللسان لتطييب رائحة الفم، الغساني: المعتمد ص ٢١٦.

(5) التوتياء: منها ما يكون في المعادن، وهي قاطعة للصنان. الغساني: المعتمد ص ٥٤.

(6) الذرائر: جمع ذَرُور، ولعله يقصد به هنا ما يُذَرّ من النباتات ذات الرائحة الطيبة على الجسم والملابس.

أو دفع ضررا[1]، فإن نطقَ نطقَ عن علمٍ وتحصيل، ولا يسمع منه لفظة مكروهة، وينبغي أن يتحفظ في ألفاظه، خاصة في مجالس الملوك والرؤساء، فلا يسأل إلاّ عما يعنيه أمره، ولا يجيب إلاّ عما سئل عنه، وكذلك يلزمه حراسة بصره، وذلك بأن لا ينظر إلى حرمة ليست له بمحرم نظراً هو عنه غني، ولا إلى غلام، ويجتهد في أن يكون نظره دائما في كتب صناعته، وفي ديوان شريعته، فان كتب الشرائع تقوم الأخلاق، وتبعث على الأعمال المحمودة، وكتب صناعته تكسبه علماً بها.

ويجب على الطبيب حراسة سمعه، وذلك بأن لا يصغي[2] إلى محادثة الجُهّال، ولا إلى استماع أقاويل الأشرار، ومذاهب الآراء الرديئة، وحسم ذلك عنه هو بأن لا يجالس أهل هذه الأمور ولا يخالطهم، ولا يجادلهم ما أمكنه[3]، فان تهيأ له مذاكرة فاضل، والا كان الأنس بالوحدة والخلوة بالدرس له أعظم الأنس.

وهكذا ينبغي للطبيب أن يأخذ نفسه في حِراسة حواسّه الباقية، وذلك بأن يحرس نفسه من اشتمام الروائح (/) المكروهة المفسدة لدماغه، أو ملامسة الأعمال المُفْسِدة لبدنه. وينبغي أن يجتهد في تعديل هواءِ مسكنه ومجلسه، وذلك بأن لا يجاور ما يفسد[4] هواءه، من مسبك نحاس، أو أتُّون حَمّام، أو مجمع ماء رديء، أو مدبغة، أو ماأشبه ذلك. ٥٧/ب

ثم يجب على الطبيب أن يقسم يومه وليلته أقساماً بحسب حاجاته ومصالحه[5]، ويجتهد في أن يكون وقت نومه أقلَّ الأوقات، وبحسب الحاجة

---

(١) قال ابن هبل في صفات الأطباء: «وكذلك يأخذون عليهم العهود في حفظ الأسرار، فانهم يطلعون على ما لا يطلع عليه الآباء والأولاد من أحوال الناس، وأن يلزموا العفة وغض الطرف، واذا دخلوا بيوت الناس لا تكون هممهم مصروفة إلا إلى ما يعود بمصالح المرضى». المختارات في الطب ج ١ ص٣. وقال الحكيم أبوالقاسم عبدالرحمن بن علي النيسابوري «الطبيب الحقيقي من عالج بالفضائل نفسه، ورأى مضرته في الرذائل، ثم يهبط بعد ذلك إلى معالجة الأجسام «البيهقي: تاريخ حكماء الاسلام ص١١٦.

(٢) وردت «يسغى».

(٣) يقول صاعد بن الحسن المتطبب «وفي جميع هذه الأحوال فليجتهد الطبيب في التباعد عن السوفسطائيين ويهرب منهم ولا يكلمهم بشيء من العلم ليسلم من قبائحهم وأغاليطهم وتمويههم وبهتهم بما يضيق صدره ويضيع زمانه..» التشويق الطبي اللوحة ٢٠.

(٤) وردت «أفسد».

(٥) انظر تقسيم ابن رضوان ليومه وليلته. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٥٦٢.

فقط، لأن النوم كأنه موت ما، والأعمال فانما تتم باليقظة، فلذلك يجب أن يكون زمان اليقظة أكثر من زمان النوم، وينبغي أن يجري زمان أعماله بجرية يحسبها. ومثال ذلك أن أول الأفعال التي ينبغي للعاقل أن يفعلها بعد قيامه من نومه، ونظافة جسمه وحواسه ـ على ما تقدم به القول ـ هو الصلاة، فإن الشكر للمنعم، والإقرار له بالوحدانية والخشوع بين يديه، إذ هو العِلّة لكل خير، والقادر على كل فعّال من الواجب عقلا وشرعا، وبالتَّنَصّل والإقلاع عن العيوب مع نقاء القلوب، يُمَحِّص الربُّ الذنوب، ويجيب الدعوات، ويوصل إلى كل محبوب، فلذلك وأمثاله ينبغي أن يكون أول الأفعال الصلاة، وذلك يكون في الجزء الأخير من الليل، ثم يجب على الطبيب أن ينعطف من صلاته إلى قراءة جزءٍ من كتب شرعه إذ هو الآمر له بالخيراتِ، والباعث له على الصالحات، ثم يعدل إلى قراءة ما قد رَتَّبه (لنفسه)[1] من كتب الطب حسب ترتيب القدماء، لذلك، فإذا توجب له الخروج إلى مرضاه عادَ فصَلّى صلاة الصبحِ النهارية، وسأل الله تبارك وتعالى أن يُنجح سعيَه، وأن يَشفي المرضى على يديه، وخرج بنية صادقةٍ إلى مَرْضاه الذين قد نالتهم أنواع المكاره، وعيونهم ساهرة من عظم البلاء في حال ما كان هو نائم مُعافىً، فيحمد الله على ما وهبه له كثيراً، ويسأله المعونة على بُرْئهم، فإذا وافى المريضَ، وسأله عن (/) حاله، وعرف أخباره، طيب نفسه، ووَعَدَه بالبرء والسلامة[2]. ١/٥٨

فإن يكن المريض، أو من يخدمه، يَعُون ويفهمون وصف أدويته وأغذيته، بل أثبتها لهم، فإن ذلك أسلم له ولهم، وإن لم يكن من يعي تولى هو إصلاح ما يحتاج إليه بيده، فإن لم يتهيّأ له ذلك لم يصف له شيئا، لأن سكوته عن وصفته لمن لا يعي ولا يؤمن منه الخطأ هو أصلح للمريض وللطبيب.

---

(١) وردت «له».

(٢) يقول الرازي «ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدا الصحة، ويرجّيه لها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس». ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٢٠ ـ ٤٢١. وهذا ما أكد عليه أطباء المسلمين لما رواه أبوسعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ) «اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل، فان ذلك لا يرد شيئا، وهو يطيب نفس المريض» أخرجه ابن ماجه «١٤٣٨» باب ما جاء في عيادة المريض، والترمذي «٢٠٨٧».

وبعد أن يستوفي العيادة لمرضاه، فيجب أن يعود إلى مجلسه المرسوم له، فيجلس لمن يجيئه من المرضى، ويحسن المساءلة[1].

ولم أذكر هنا كيف ينبغي أن تكون مساءلته للمرضى، ولا كيف ينبغي أن يكون المرضى، ولا كيف ينبغي أن يكون خدمهم، لأني قد أفردت لكل معنى من ذلك باباً وسمته به، يأتي فيما بعد بعون الله. ولكن على الطبيب أن يوسع خلقه، ويحتمل من المرضى ضَجَرَهم، وأي كلام سمعه منهم بغير تحصيل لم يحفل به، ولكن عليه أن يحصل من جميع ما يسمعه ما ينتفع به في برء المريض، وما سوى ذلك لا يفكر به، وليس ينبغي للطبيب أن يمنع المريض من كثرة ما يشتكيه[2]، فيظهر ضَجَرا من ذلك، لأنه ربما أوردَ في كلامه علاماتٍ يستدل منها الطبيب على ما ينتفع به، ويستشهد بها على صحة مرضه.

وينبغي للطبيب أن تكون فيه رحمة، ولا يتم ذٰلك إلّا بتقى وخوف من الله جلّ وعز، وإذا كان الطبيب كذلك لم يسمع منه إلا بالصدق، ولم يفعل إلا الخير مع سائر الناس كافة[3]. وإذا فرغ من حوائج الناس، ثم أخذ في مصالح جسمه، من استحمام وأكل وشرب، فعليه أن يعدل ذلك لجسمه حسب ما يوافقه بالكمية والكيفية، وبحسب الزمان والمكان، وإن احتاج إلى الأكل مع غيره فلا يتبع في أكله وشربه محاب الأصحاب، بل يأخذ من كل أمر طبيعي بحسب الواجب، وبمقدار الحاجة لا بحسب اللّذّة، ويكون هو

---

(١) يقول الرازي: «ينبغي للطبيب أن لا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج ثم يقضي بالأقوى» ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٢٠.

(٢) يقول صاعد «وليحسن إنصاته واستماعه لما يشتكي إليه المرضى ومن يهمه أمرهم مع رفق بهم وتوقف عليهم في إفهام ما يصفه لهم... ولا يكون حنقا عليهم ولا مكافئا لهم بقبيح ربما ظهر منهم إليه أو بتقصير فيَ مجازاة له بجميل» صاعد: التشويق الطبي. اللوحة ٢٤ وقال أيضا «وإذا دخل على المريض فليقعد قريبا منه بحيث يرى وجهه ويقابله، ويسمع كلامه، ويسأله عما يجب أن يَسْأل عنه وينصت له» اللوحة ٢٢.

(٣) يقول الشيرازي في صفات الطبيب: «تأمل سيرة الطبيب فان وجدته ذا حياء ودين، وورع متين، فاستصلحه لنفسك» رسالة في بيان الحاجة الى الطب اللوحة ٨٢. ويقول ابن سينا في صفات الطبيب «... وليعلم ان أفضل الحركات الصلاة، وأمثل السكنات الصيام، وأنفع البر الصدقة... والحكمة أول الفضائل ومعرفة الله أول الأوائل» ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٤٥. ويقول ابن أبي اصيبعة عن الرازي «كان كريما

==

المعلم لغيره (/) الصواب في ذلك، وليُجدْ مضغَ ما يأكله، و ليمتصَّ ما يشربـه، والأحمد للطبيب أن لا يُجالِسَ شرُّاب النبيذ؛ لأنه يضيع زمانه، ويستشغل مكانه، وليحذر أيضا مخالطة الأحداث، وكثرة المزاح، فإنه يبسط عليه الجاهل والوقاح، ولا ينبغي للطبيب أن يُجاذب النساء، لئلا يقطعه عن العلم، ويكسبه الخسارة، ولا يصلح للطبيب التشاغل باللَّعِب والملاهي، لئلا يسخف ويصـير واهِياً، ولا يليق بالـطبيب المَلَقُ؛ فإنـه خُلُقٌ خَلَقٌ، ولا يحسن بالطبيب الحسد، فإنه يسقطه عن كل أحد. ٥٨/ب

وينبغي للطبيب إذا أراد شربَ النبيذِ ألّا يشربه إلّا للانتِفاع به، وأكبر ما يمكنه ذلك إذا شربه وحده، وأحمدُ أوقات شرب النبيذ له أول الليل بعدَ انهضام طعامه، لأنه حينئذ ينفذ الغذاء ويعين الكبد بحرارته المعتدلة على هضمها لصفوة الغِذاء دما، لأن الخمر أقرب الأشياء إلى كون الدم، ويجب أن يشرب من الخمـر والمـاء بحسب ما يوافقه ويكون شربه قليلا قليلا، ومنادمته لأهل علمِه، أعني قراءةَ كتبهم، ولا يزال تارةً يقرأ، وتارة ينسخ، وهو بين ذلك يشرب إلى حين النوم.

فهذا ما كان ينبغي أن أذكره من إصلاح الطبيب لجسمه، كما ذكرتُ إصلاحَه لنفسه في الباب الذي قبل هذا. وفيما ذكرته في هذا الباب من مصالح الجسم كفاية لذوي الألباب، والمحبين للآداب.

==

متفضلا بارا بالناس، حسن الرأفة بالفقراء والأعلاء، حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة، ويمرضهم» عيون الأنباء ص٤١٦. وقال يعقوب بن إسحاق الكندي: «وليتق الله تعالى المتطبب، ولا يخاطر، فليس في الأنفس عوض» ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٢٢٨. وقال علي بن رضوان «ولا يمتنع في حال من الأحوال مِن علاج الفقراء والإفضال عليهم، وليكن أمره على المرضى من غير قهر ولا قوة، بل يخاطبهم بألْيَن خطاب...» النافع في كيفية تعلم صناعة الطب ورقة ٢٠ ب. وقال الحكيم أبوالقاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني «من لم يتحصن بالشرع وعبادة الله فليس بإنسان» البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام ص١١٣. وقال علي بن سهل بن ربن الطبري «قالوا: إن الذي يصلح من التلامذه للطب من كان حسنا ذاهنا، ويجب عليه أن يكون وقورا رحيما جوادا» فردوس الحكمة في الطب ص٥٥٨ ـ ٥٥٩ برلين ١٩٢٨م. وقال الرازي «ولا شيء أجدى على العليل، من كون الطبيب مائلا إليه بقلبه محبا له... وينبغي للطبيب أن يعالج الفقراء كما يعالج الأغنياء» أخلاق الطبيب ص١٣٢. صاعد: التشويق الطبي اللوحة ٢٤ ـ ٢٥.

الباب الثالث

فيما ينبغي للطبيب أن يتوقاه ويحذره

وينبغي للطبيب ـ مع ما تقدم به القول من التحذيرات له والوصايا فيما يصلح نفسه وجسمه ـ أن يحذر أشياء أخرى كثيرة في حفظ الأصحاء، وفي معالجة المرضى، نحن نذكر منها هاهنا ما تهيّأ ليستدل به على ما لم نذكره. ٥٩/أ

فأول ما ينبغي للطبيب أن يحذره، وعليه الاحتراس منه، هو ألا يدبر أحداً في حفظ صحة، أو في معالجة مرض، أو تخيير عقل من يريد تدبيره، وعقل من يخدمه. وبعد ذلك إصلاح ما يوافقه في تدبيره، ثم حينئذ يأخذ في تدبيره، وإلّا فالأصلح له وللمريض هو ألا يدبره، فيسوق إلى المريض وإلى نفسه ضروبا من المكاره[1]، ويكون قد جهل في ذلك جهلاً يصعب عليه تلافيه، وذلك لمخالفةِ قول الجليل أبقراط حين قال: (« وقد ينبغي لك ألا تقتصر على توخّي فعل ما ينبغي دون أن يكون المريض ومن يحضره كذلك والأشياء التي من خارج ») فإن أبقراط قد أتى في هذه الوصية لمن تدبرها على جل الوصايا التي ينبغي أن يستوصي بها الطبيب، ويحذرها من أمر المريض في نفسه، وفي أمر خدمه وعواده، وذلك بقوله: «ومن يحضره» وأما قوله: «الأشياء التي من خارج» فإنه يفهم منه أمر موضعه الذي يسكنه، وهواؤه المحيط به، وأدويته وأغذيته، وأنواع تقديرها وإصلاحها، وجميع ما يدبر به المريض من استحمام ودَلْك ودَهْن ورياضة، وأشباهِ ذلك من التدابير والعلاج، التي إن استعملها الطبيب في غير موضعها، وبغير المقدار الذي

(١) انظرما قاله الرازي في هذا المعنى في كتابه المرشد أو الفصول فقره ٢٧٠ ص ١٢٢.

يحتاج إليه بها، ضر المريض ولم ينفعه، وكان بذلك قد ترك موعظة أبقراط المقدم ذكرها، والأخرى التي قالها في المقالة الأولى من ابيديميا، وهو قوله: قال: «وينبغي أن تلزم نفسك سُنَّتين إحد[ا]هما أن تنفع المريض، والأخرى ألا تضره» ولأن جالينوس قد ذكر في تفسيره لهذا الفصل قولا يليق بما نحن بسبيله، وينتفع (/) اقتصاصه ها هنا ما يفعله، فلذلك أرى أن أتلوه اليك، ٥٩/ب فاستمعه وتدبره بغير ضجر. قال جالينوس: « وينبغي للطبيب ألا يتبع ارادة المريض اذا لم تكن موافقة لصلاحه، ولا ينبغي أن يحمله على ذلك رهبة منه ولا رغبة في ماله، بل من الله يجب أن يرهب، واليه ينبغي أن يرغب».

وينبغي للطبيب أن لا يكون حَقُودا ولا حَسُودا، ولا عَجُولا ولا مَلُولا، ولا صَلِفاً ولا شَرِهاً[1]، بل يكون للذنب صافِحا، وللناس مُسامِحا، ثابتا متوقفا، وبالأمر عارفا، لينا متواضعا، وإلى الخيرات مسارعا، قنوعا شكورا، وبحسن الثناء مسرورا، وعن المآثم عفيفا، وفي باطنه وظاهره نظيفا[2].

وإذا كان الطبيب آخِذاً لنفسه بهذه الأخلاق المحمودة، فإنه لا يرى أن يقابل جاهِلاً؛ لئلا يكونا في الجهل بالسوية، ولا يرغب في الحرام من الأموال؛ لئلا يكون مُحتالا، قال: فكم ممن قد أرغبهم الأشرار من الرجال والنساء ببذل الأموال والمواعيد وأنواع الخدم فلشرههم وجهلهم أعطوا أدوية قَتّالة، ومذرحات أسقطت الأجنة، وأشباه ذلك من الأمور المُهلكة. جميع ذلك جهلا بالعواقب، وكفرا بالمنعم، فلو سعدوا بصحة الفكر وجودة التمييز

---

(١) يقول الرازي في هذا المعنى «ولا تتخذَنَّ طبيبا غليظ الطبع، ولا متهورا مبادرا عجولا ولا قاسيا حربا، ولا وقاعاً بين الناس حسودا لهم بل تحر، ويجب أن يكون من أضداد هذه المعاني في الغاية» المرشد الفقرة ٣٤٦ ص ١١٢.

(٢) كما انظر هذه الصفات ومثيلاتها للطبيب الناجح على سبيل المثال لا الحصر. ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص ٦٦ ـ ٢٨٨ ـ ٤٤٥ ـ ٥٦٤ ـ ٥٦٥ ـ ٥٦٥ ـ ٦٩٢ ـ ٦٩٣ ـ ٧٤٦. الرازي: أخلاق الطبيب ص ١٢٨ ـ ١٣٠ ـ ١٣٣ ـ ١٤٣. البيهقي: تاريخ حكماء الاسلام ص ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٥٨ ـ ١٥٩.

الشيرازي: رسالة في بيان الحاجة الى الطب اللوحة ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ٣٤ ـ ٣٥. داود الانطاكي: التذكرة ج ١ ص ٨. نظامي عروضي سمرقندي: جهاز مقاله ص ١٦٩ ترجمة محمد بن تاويت الرباط ١٤٠٣هـ. المجوسي: كامل الصناعة الطبية ح ١ المقالة الأولى الباب الثاني. ابن هبل: كتاب المختارات في الطب ج ١ ص ٣ ـ ٤ ـ ٥. صاعد: التشويق الطبي، اللوحة ١١ ـ ١٢ ـ ١٣.

لعلموا أن الخالق ـ تبارك ـ عادل لا جوَر عنده، وأنه يكافىء المرء بحسب دينـه، فمن قَتَل قُتِلَ، ومن أفقر أُفْقِر، ومن سَلَب سُلِب، ومن أَمْرَض أُمْرِض، ومن خَدَع خُدِع. ولو علموا أيضا بأن الإمهال من البارىء تعالى للمذنب تدريج وحجة عليه لسارعوا إلى الإقلاع عن الذنوب، وزهدوا من الدنيا من كل محبوب، وكان الخير الحق هو عندهم المطلوب.

فإن لم تكن أيها الحبيب ممن قد نصب بفهمه لهذه الأقاويل، ووهبت له السعادة فاقبل وصايا الجليل بقراط، فإنه قال: («إنه لا ينبغي لك أن تُخْدَع بجَزَع امرأةٍ تَراها مكروبةً فَزِعة من حملها فترحمها وتعطيها دواءً (/) يُسْقِط جَنِينها، فإنه لم يفزع من الله تعالى»)(١) ولا وجه لقَتْل الجنين، بل يجب تربيتـه، ولـتربيته أجر عظيم، فأمّا أُمُّه الرديئة، فلا تستعمل معها الرحمة، فإن فضيحتها سبب لصلاح غيرها من النساء، فاحذر أن تعطي مثل ذلك، اللهم إلاّ أن ترى أنت إعطاء ذلك خشيةً على الحامل وعلى الجنين من التلف، ولا فرق بين أن تعطىَ الدواءَ أو تشتريه، ويجب عليك أن تبدأ قبل تعرضك لعلاج الطب بقراءة كتب بقراط في عهوده(٢)، لتفهم وصـاياه، وتلزمك عهوده، وتدخل تحت أَيْمانه التي حلف بها، واستحلف المنتحلين لصناعة الطب أيضا، ليلزمهم ذلك جميع شروطها(٣).

٦٠/أ

وأنا أحكي لك فصلا من ذلك الكتاب، وتفسير جالينوس له، لتستدل به على غرضه، وعلى كثير مما قصدنا له في هذا الباب، قال بقراط: («وأقصد في جميع التدبير ـ بقدر طاقتي ـ منفعة المرضى، فأما الأشياء التي تضرهم، وتدني منهم بالجور عليهم فأمتنع عليهم بحسب رأيي») قال جالينوس: («إن بقراط يحلّفنا كيف يستعمل صناعة الطب طلبا لمنفعة المرضى، وذلك أن الـطـب قد يمكن فيه بتلك الأشياء بأعيانها التي ينتفع بها أن تضـر، فيجب

---

(١) انظر وصية ابقراط وعهده، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٤٦ ـ ٤٧ ـ ٥٦٤ ـ ٥٦٥.
(٢) من كتب ابقراط «كتاب العهد، ويعرف أيضا بكتاب الايمان» ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٥٥.
(٣) انظر قسم أبقراط ووصيته في ابن أبي أصيبعة ص٤٥ ـ ٤٦.

إذن على من كان شأنه أن يكون طبيبا[1] فاضلا أن يكون تصرفه فيما ينتفع به المرضى. وما أحسن قوله في استثنائه في قوله: «بقدر طاقتي» وذلك أن كثيراً من الناس تجده يضر بالمرضى، ولا ينفعهم كثير منفعة بغير إرادة، فأما الذين يمكنهم أن ينفعوا المريض ولا يفعلون ذلك فقوم سوء أشرار، وذلك أن الفكر منهم رديء لإضاعتهم، وهم الذين يجيزون على تجاوز هذه الأيمان، وأما بقراط فبحسب رأيه يضمن أن يمنع من جميع الأشياء التي تضر، ويعطى جميع الأشياء التي تنفع. وقد أحسن بقراط في استثنائه (/) وقوله: ((«بحسب رأيي») وذلك أنّ ما اتحن في جميع الأشياء إنما هو الرأي، وهو الذي منه يظن الإنسان أنه خَيِّرٌ أو شِرِّير، ترى من ذلك أنا نجد خلقا كثيرا فعلوا فعلا رديئا، ولم يجازوا على ذلك عندما احتجوا، فإن ما كان منهم بغير إرادة ولا معونة، وكثير من الناس فكروا في فعل الشر فلم يفعلوه فنزل بهم الحكم. ثم قال: ((«إن من أمكنه أن يمنع الأشياء التي تضر ولم يحب أن تفعل فهو الإنسان الشرير المجاوز للعهد، وأما الذي يحب أن يفعل الخير غير أنه لا يمكنه فعله فليس هو سببا للبلية، لأنه لم يمكنه صرفها»)).

٦٠/ب

وينبغي لك أن تستوصى بوصية بقراط التي وصى بها نفسه، فإنه قال: ((«لا أشقّ أيضا في مَثانته [عن][2] حجارة، بل اترك لمن كانت صنعته هذا العمل، وليس ينبغي لك أن تفعل ذلك في الشق عن الحجارة فقط، لكن في أمثاله، كقدح العين، وبزل الماء، ونظائرهما، من أعمال اليد التي لها قوم قد تفردوا بها، لئلا تدخل نفسك فيما ليس من عملك، فتُهْلِك المرضى، وتَهْلَك»)).

ولا ينبغي للطبيب أن يعالج مريضا لم يتحقق عنده مرضه، لئلا يوقعه في مرض آخر، ولعله يكون أعظم من الأول، فيحتاج أن يعالجٍ من العلاج.

ولا ينبغي للطبيب أن يَسْقِي دواءً مُسْهلا إلا بعد حَذَر وتوقٍّ، فإن وجب عنده إعطاؤه فيجب أن يستجيده ويقوم على إصلاحه، ويختار له الزمان

---

(١) وردت «طبيا».

(٢) لم ترد «عن» في الاصل وأوردتها هنا ليستقيم المعنى.

والوقت، فإن الصيف والشتاء يكرهان الاستفراغ، وخاصة وسطيهما، وكذلك وسطي النهار والليل[1].

ولا ينفع الطبيب مدحُ الأشرار وأهلِ الخداع له، فلذلك لا ينبغي له أن يُسَرَّ بذلك؛ لأنهم مخادعوه بحمدهم، ومحتالون لاستعباده، واستقراض (رجله)[2] بشكرهم.

ولا ينبغي للطبيب أن يحفل بذمٍّ ذامّ له على صواب أتاه، ولا يَنْتَهِ عن الصواب (/) ولو ناله مكروه، ولا يلتفت إلى قول يسمعه من المريض ولا يرضيه، فإن كثيرا من الأمراض يفسد التخيّل والتمييز، بل ينبغي له أن يعمل ما يجب ويتبع في ذلك قول بقراط حين قال: («إذا فعلت ما ينبغي ولم يكن ما ينبغي فأنت عن فعل ما ينبغي لا تقلع ما دام الأمر كذلك»). ٦١/أ

ولنكتف بما قلناه في هذا الباب من هذه الجمل والتذاكير مع ما تقدم، ولنُتْبِع ذلك بما جانسه من الوصايا التي يلزم الطبيب أن يتقدم بها إلى خَدَم المريض.

(١) انظر الرازي: المرشد ص ٩٧ - ٩٨ في استفراغ المعدة والأمعاء.
(٢) هكذا وردت.

الباب الرابع

فيما يجب على الطبيب أن يوصي به خَدَمَ المريض[1]

وإذا كانت الضرورة تدعو في معالجة المرضى إلى من يخدمهم ـ لعجزهم عن خدمة نفوسهم، ولأن الطبيب لا يمكنه خدمتهم على الكمال ـ فقد يجب أن يكون لهم من يقوم بمصالحهم الموافقة لعلاج الطبيب، وتدبيره للمريض، ولأن خادم المريض لا يمكنه علم ذلك إلّا من الطبيب، فلذلك يجب على الطبيب أن يتقدم إلى الخادِم بما يحتاج إليه وقتا بوقت، ويجب أيضاً على الطبيب أن يَتَفَقّدَ على الخادم حسن طاعَتِه له، وهل يفي في عقله وبطشِه بالقيام بما يُؤْمَر به، فإنه ليس كل عاقل يصلح لكل عمل، ولا كلُّ من يحب أعمال المريض يصلح لخدمته، وذلك أن الخادَم يحتاج أن يكون عاقلا أديبا شفيقاً، له دُرْبَة وبطش بالأعمال الموافقة للمريض، ويحتاج أن يكون له هيبة على المريض، ومتى لم تكن هذه أوصافه دخل الضرر على المريض في نفسه، وعلى الطبيب في صناعته من المرضى، وأما ما يدخل من الضرر من جهة رداءة الأمانة والدين فهو عظيم أيضا، لأن القليل الأمانة من الخدم قد يدعوه شرهه ورغبته (/) إلى هلاك المريض، إمّا بما يبذله له المريض نفسه ليبلغ شهوته، أو بما يبذله له أعداؤه، وكذلك أيضا متى لم يكن الخادم للمريض شفيقاً عليه لم يؤمن منه التهاون بخدمته، وبغير شك أن من لم تكن له دُرْبَة بالأعمال التي يَحتاج إليها المريض كان من ذلك عليه أعظم

٦١/ب

(١) انظر في العلاقة بين الطبيب والمريض ومن يخدمه. هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الطبية الورقة ٢١٦ ب أ ـ ب. ميكروفيلم مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة برقم ٨/ ١٧٩ مجاميع.

ضررا، كالذي رأيتُه من جهلِ خادمٍ تولى إصلاحَ ماء الشعيرِ لمريضٍ كنت أشرتُ عليه بأخذه، وكان المريض من أهل الأدب، فوثقت بعلمه ودربته، فأمر خادمه بإصلاح ماء الشعير، وأخذ منه ما أخذ، فلما كان بعد أربع ساعات، وأتاني رسوله مذعوراً، فوافيته وهو في كرب، فسألت عن السبب في ذلك فقال: لم أجد غير ماء الشعير، فحدست على أن البلية جاءت من إصلاحه، فقلت: إن كان تبقى منه شيء فهاتوه، فجاؤوني منه بشيء جامد أبيض يشبه النشا المطبوخ إذا برد، فسألته كم شربت من هذا؟ فقال: رطلين بالبغدادي[1]، فبادرت وقذفته فرمى به وقد بدأ يفسد ففرج عنه، وكانت الخيانة الأولى منه جهل خادمه بصنعته، والثانية كَثْرَة ما أخذ منه.

ولأن من المرضى[2] من لا يمكنهم تعريف الطبيب ما يجدونه، اما لأجل المرض في نفسه كأصحاب السكتة والبِرسام[3] ونظائرهم، أو لأن المريض طفل لا يعقل، أو أعجمي، أو أخرس[4]، وأمثال هٰذه الموانع، فلذلك يحتاج الطبيب إلى معرفة حالات هٰؤلاء ممن يخدمهم، ولا يتم ذلك[5] لخدمهم إلا بما يوصيهم وينبههم عليه الطبيب، من تفقد الحالات والعلامات التي يحتاج إليها.

---

(١) الرطل: تعريب من اليوناني Ltra ومثله في الرومي، والرطل من الأوزان التي شاعت في بلاد العرب منذ عهد الجاهلية. قال ابن الأعرابي الرطل: اثنتا عشر أوقية بأواقي العرب، والأوقية أربعون درهما فذلك اربعمائة وثمانون درهما. ابن منظور: لسان العرب مادة «ر ط ل».

(٢) وردت «المريض» وما اثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.

(٣) البرسام: لعله يقصد السرسام قال ابن سينا: «ومن الناس ممن لا يعرف اللغات يحسب أن البرسام اسم لهذا الورم أن السرسام أخف منه وليس ذلك بشيء فان البرسام هو فارسي و«البر» هو الصدر و«السام» هو الورم. والسرسام أيضا فارسي و«السر» هو الرأس و«السام» هو الورم. القانون ج ٢ ص ٤٤.

(٤) ونجد أن جل أطباء المسلمين أكدوا على هذه المسألة وهي عدم قدرة المريض على إفهام الطبيب ما يشعر به لأي سبب كان، أولحيائه، أو لعدم ثقته في طبيبه يقول الرازي «إنه ربما يقع بالإنسان من العلل المستحى منها، ما يحتاج الطبيب أن يأمر بعلاج في ذكره كراهة... فإذا لم يكن الطبيب مقرّباً تمنعه الحِشْمة أو الجبن أن يشير عليه بذلك العلاج» أخلاق الطبيب من ٤٧-٤٨. ويقول صاعد: «ويقابله ويسمع كلامه... وينصت له، ولا يقنع بقوله حتى يستشهد عليه بقول من يخبر أمره وتدبيره، فإنه ربما استحى أو فزع... وربما كان العليل لا يحسن أن يعبر عما يجد، إما لسوء تصرفه في العبارة، أو لغموض العلة». التشويق الطبي اللوحة ٢٢-٢٣.

(٥) وردت «الا» زائدة بين كلمتي «ذلك» و «لخدمهم».

ومتى لم يمكن الطبيب أن يتولى إصلاح دواء المريض أو يصلح بحضرته فيجب عليه أن يوصي المتـولّي لخدمته ـ بعد علمه بفهمه ـ: كيف يصلح دواءه وغذاءه، ومقدار كل واحد منهما، وزمانه، وغير ذلك من سائر تدابيره. ولأن منزل المريض ربما كان غير موافق له، لمجاورته بما يُؤذيه من روائح أو أصوات أو غير ذلك من المُضِرّات (/) به، فيجب على الطبيب أن يأمر بنقله من ذلك المنزل إلى الأوفق له، ويجب أن يحذر المواضع التي تحتقن فيها الأهوية والبخارات الرديئة، كسُفْلِ الدور التي لا تخترقها الرياح، ولا ينقى هواؤها، فإن ذلك مفسد جدا، أو ليختر له من البيوت الرياح الموافقة له، ويأمر أيضا بإصلاح هوائه المحيط به بما يوافقه من البخور والزهور والرياحين، بحسب ما يوجبه مرضه والوقت، مع جميع ذلك يجب ألا نترك حول المريض ـ ولا بقربه ـ ما يبرز من جسمه، كبراز أو نفث، وخاصة ما له رائحة كريهة، فإن ذلك يضر به في مرضه، ويمرض خدمه، ويجب على خادم المريض ألا يخبره بما يغمّه، ولا بما يحزنه، ولا يسمعه ولا يريه ما يكرهه.

٦٢/أ

وبالجملة فإن جميع ما يعمل مع المريض ممّا لا يوافق عمل الطبيب فهو يفسد عليه علاجه، فيجب أن نحذر من ذلك، كما حذر منه وتقدم بالقول فيه الجليل بقراط في الفصل المقدم ذكره، وهو قوله: ((وقد ينبغي لك ألا تقتصر على توخي فعل ما ينبغي دون أن يكون المريض ومن يحضره كذلك والأشياء التي من خارج)).[1] فقد جمع هذا الفصل ما بسطناه، وما لعله قد يبقى مما لم نذكره فتدبره، وقس بجميع ما شرحناه ما لم نشرحه، لتصل بذلك إلى الغرض بعون الله تعالى.

---

(١) أيضا استشهد بقول بقراط هذا هبة الله بن يوسف اثناء حديثه عن المضار الداخلية والخارجية التي تعوق الطبيب وصناعة الطب وعلق على ذلك بقوله «ومن هذه الأشياء ما يمكن الطبيب مقاومته من جهة ما هو طبيب، ومنه ما لا يمكنه مقاومته لأن صناعة الطب يقف عنده ولا يلزمها أمن لأنها إنما تتضمن فعل ما يمكن لا فعل ما يمتنع «المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الطبية الورقة ٢١٧ ب.

الباب الخامس

في آداب عواد المريض[1]

ولأن حالات المرضى مختلفة حسب الأمراض، وذلك أن من الأمراض ما يذهب معها تمييز المرضى كالوسواس والسكتة وما جانسهما، فلذلك ينبغي ألا يُعادَ هٰؤلاء، بل يُسأل عن حالاتهم فقط.

ومن الأمراض أمراض تقلق المريض ولا يمكنه معها كلام الناس لاستحيائها له (/) إلى ما تدفعه الطبيعة بتواتر، أو بتغاير روائح فلذلك يجب ألا يُعادَ هٰؤلاء أيضا؛ لئلا يلحقهم المكروه والأذى بصبرهم على ما يحركهم على الخروج، من براز وقذف وغير ذلك. ولمثل ذلك ينبغي ألا يعاد من سُقِيَ دواءً مسهلاً، ولا من عرض له إسهال المرضى في يوم شربه للدواء. ٦٢/ب

ومن الأمراض أمراض حادة سريعة التنقل والتغيير، تحتاج إلى مبادرة في التدابير من الطبيب ومن خدم المريض، فيجب أن يتقدم الطبيب أيضا إلى أهل المريض ألا يَدَعُوا عائداً ولا أحداً يدخل إليه إلا بمن يخدمه فقط، ليتوفر من يخدمه[2] على خدمته، ولا يشغل زمان التدابير، بما لا ينفع المريض.

ومن الأمراض أيضا ما يبعث المريض على قول مالا يريده، وأيضا على أفعالٍ لا تصلح، كالذي يعرض كثيرا لكثير من أصحاب السوداء[3]، ومن

---

(١) عيادة المريض من الآداب العامة التي دَعَا إليها الإسلام، ونجد الأحاديث في هذا مفرقة في كتب السنن الستة. انظر عبداللطيف البغدادي: الطب من الكتاب والسنة ص٢٤١ وما بعدها.

(٢) وردت «ما خدمه».

(٣) السوداء: مرض نفسي مثله مثل المالنخوليا. يصحبه هذيان واختلاط في الذهن. ابن سينا: القانون ج ٢ ص ٦٠.

حدث بهم ضُروب من المالنخوليا[1]، فلا وجه لعيادةِ هٰؤلاء. فكم عائد قد خرقت ثيابه فضلا عن الشتيمة.

وإذا كان أمثال هٰؤلاء المرضى لا يجب أن يُعادُوا، فإذَن يحتاج العائد بما سوى هؤلاء من المرضى أن يعلم إذا عاد مريضا كيف ينبغي أن تكون عيادته، فأول ذلك هو أنه يجب ألا يُطيلَ عند المريض الجلوس، ولا يدخل إليه إلا بثوب نقي، ورائحة طيبة، لتقوى بذلك نفسه وتحركه وتسوقه إلى التشبه به، ولا ينبغي لأهل الصنائع الرديئة أن يعودوا المرضى؛ لئلا يضروهم بروائحم، ويفسدوا عليهم الهواء، كبائعي[2] الكبريت والقطران، والدَّبّاغ[3] والقَصّاب[4] وغيرهم[5]، ولا ممن تعلق بهم الروائح الرديئة، فالأنفع للمريض ألا يَعُوده هٰؤلاء وأمثالهم.

وقال جالينوس ـ في تفسيره لقول أبقراط في ابيديميا ـ وما ينظر إليه، يعني ما ينظر إليه المرضى: («إنه ينبغي أن يطيل اللُّبْثَ عند المريض من عُوّاده أصدقُهم إليه، وأقربهم إلى قلبه، فأما غيرهم فالتدبير فيهم أحد أمرين: إما أن لا يدخلوا إليه أصلا، أو أن لا يراهم طويلا»). وينبغي للطبيب (/) إذا دخل إلى المريض من يستثقله أن يلبث قليلا، ثم يقول: إنه ينبغي للمريض أن يهدأ، ليقوم من عنده، فان ذلك يحدث في فكره لذة، وفي حس بصره قد يلتذ برؤية أشياء، من ألوان وأشكال وزهر النبات، وأصناف النبات، والصناعات والصور ما لا يلتذ رؤيته أو يكرهها غيره، فقد ينبغي للطبيب أن يسأل أهل بيت المريض عن الأشياء التي كان يلتذ بها، فيأمر بإدخالها عليه إلى البيت الذي فيه المريض، ولا يخبره بما يغمه من خبر تجارة

٦٣/أ

(١) المالنخوليا: وهي تغير الظنون والفكر عن المجري الطبيعي الى الفساد والى الخوف. ابن سينا: القانون ج ٢ ص ٦٥، وقال الخوارزمي «المالنخوليا: ضرب من الجنون وهو أن تحدث للانسان أفكار جريئة ويغلبه الحزن والخوف وربما صرخ ونطق الأفكار الرديئة وخلط في كلامه» مفاتيح العلوم ص ١٣١. المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ٢ المقالة الخامسة الباب ٢٢.

(٢) وردت «كبيع»

(٣) وردت «دباغ» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الكلام.

(٤) وردت «قصاب» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الكلام.

(٥) وردت «وغيرهما» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الكلام.

خسرت له منها سبب[1]، ولا يذكر بحضرته ذكر ميت ولا خبرا رديئا لمريض آخر. ولا ينبغي للعائد أن يستخبر عن مرضه استخبار متقَصٍّ، فإن ذلك لا ينفع المريض من العائد إلا أن يكون طبيبا، ولا ينبغي له أيضا أن يشير عليه بدواء ولا بغذاء، فيضرّ به، ويفسد على الطبيب عمله، وربما كان ذلك سببا لهلاك المريض. ولا ينبغي للعائد أن يعارض الطبيب بحضرة المريض متى لم يكن من أهل العلم، فيوقع له الشك فيما وصفه الطبيب، كالذي رأيته من بعض المشايخ وذوي النبل عند نفوسهم، وقد حضر عند مريض كنت أُدَبِّرُهُ، فبدأ يسائل المريض عن حالاته، وحال دوائه وغذائه في مساء[2] يومه الذي كنا فيه، ثم حضرت قارورته فتكلم وأنا في جميع ذلك ساكت، ليحس بسوءِ أدبه، فما انتبه لذلك، بل وصف دواء، فلما فَرَغ من وصفته قمتُ منصرِفا، فقال لي المريض: تقوم وما وصفتَ لي شيئاً، ولا سمعتُ منك يومي هذا كله، قلت: صدقت وكذا[3] يجب، قال: ولم؟ قلت: أولاً فلان هذا الشيخ قد ناب عني وما بقى لي شيء أقوله، والثانية: لأنك قد قنعت بذلك، وأصغيت إليه فلا وجه لكلامي. فأما الشيخ فإنه خَجِل، وما عاد إلى مثل ذلك، وكذلك المريض اعتذر، فتأدبا جميعا (/) ٦٣/ب بذلك وجميع من كان بالحضرة ومن سمع أيضا، وإنما أحضرت ذلك هاهنا لينتبه به ويتأدب من لم يكن يعلم ذلك. فلنكتفِ بما ذكرناه في هذا الباب.

---

(١) هكذا وردت.
(٢) وردت «أمس» بالأصل وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.
(٣) وردت «وكذى».

الباب السادس

فيما ينبغي للطبيب أن ينظر فيه من أمر الأدوية المفردة والمركبة وفسادها[1]

ولأن الأدوية أعظم الأسباب في شفاء الأمراض، فلذلك يَلْزمُ الطبيبَ العناية بمعرفتها أولا، ثم الجيد منها والرديء. والأدوية على ضربين: منها مفردة، ومنها مركبة. فلذلك تكون الأسباب الجالبة الفساد على الأدوية المركبة هي أكثر من الأسباب التي منها يدخل الفساد على الأدوية المفردة، وذلك من جهة إنحاء الخطأ في التركيب، وقلة الحذق بصنعة التأليف والتركيب والمزج والخلط، فأصغ لما أذكره أيها الطبيب فإنك مضطر إلى عمله.

فأول ما يجب أن يعلمه الطبيب، ويعنى بالخدمة فيه، أمر الأدوية المفردة، ولا يتم له ولا يصح بقراءته ومعرفة ذلك من الكتب[2] لكن بخدمته للأستاذِين من أصحاب الأدوية وحافظيها وخزنتها.

(١) إن معرفة الطبيب لقوى الأدوية المفردة والمركبة وتمييز جيدها ورديئها وخالصها ومغشوشها مهمّ جدا وضرورة ملحة على الرغم من اختلاف وجهة نظر الرازي في ذلك حيث يرى أنه أحرى وأزين للطبيب وليست بضرورة. الحاوي ج ٢٢ ص ١، ووجهة نظر الرازي تنطلق من باب إيمانه بالتخصص حيث يرى أن للطبيب عملا وللصيدلاني عملا آخر. على أن أغلب الأطباء أكدوا على ضرورة معرفته لقوى الأغذية والأدوية، المفردة والمركبة وكيفية مقاديرها وتراكيبها، انظر الرازي: الحاوي ج ٢٢ ص ١ وما بعدها. ابن سينا: القانون ج ١ ص ٢٢١ ـ ٢٣٨ الرسالة الألواحية. وهي رسالته في ترتيب الأدوية المفردة ألواحا بحسب قواها وأفعالها ومنافعها المتعلقة بالأعضاء والأمراض. تحقيق الدكتور محمد سويسي، الدار العربية للكتاب، المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ٢ المقالة الثانية في الأدوية المفردة وهي سبعة وخمسون بابا ـ انظر في قوى الأدوية المفردة وطبائعها من باب ١ حتى باب ١٩. وانظر ج ٢ المقالة العاشرة الباب ١ ـ٢ ـ ٣.

(٢) وردت «كتب» وما اثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

والأدوية المفردة على كثرة أصنافها يدخل عليها الفساد من وجهين: أحدهما: فيما يخص جواهرها، والآخر: فيما يخص أعرافها، فأما الفساد الداخل على جواهرها فهو في اجتنائها، وما قطع من الحشائش والأشجار، واستخرج من البذور، وقلع من الأصول والصموغ، وأشباه ذلك قبل كماله الطبيعي، وما أخذ كذلك من الثّمار كان فِجًّا، ومن البذور كان كثير الرطوبة ضعيفا، فلذلك يجب أن لا يختزن منها شيئا أو تحكمه الطبيعة ويتم نضجه.

وما قلناه من ذلك هو بَيِّن لمن تأمل الفواكه والحبوب والبقول، فإن الناس دائما ينتظرون بها للبلوغ إلى كمال نضجها، لقلة الانتفاع بها قبل النضج (/) فعلى الطبيب أن يعرف أزمنة ذلك. ٦٤/أ

وكذلك أيضا يجب ألّا يَدعَ الأدوية بعد نضجها إلى أن تأخذ في الفساد، فيجري أمرها مجرى ما نضج من الثمار. فلم تقطف، فتعمل الحرارة الفاضلة، فسادا، فهذا هو الفساد الداخل على جواهر الأدوية وأمثاله.

فأما الأعراض التي تلحقها بعد ذلك فهي من جهة خُزّانها وقلة علمهم بذلك، أو تهاونهم بحفظها، وذلك كالذي يعرض لها من العفن إذا خزنت نَدِيّة فكبس بعضها بعضا، وكذلك يعرض لها من المواضع التي تخزن فيها إذا كانت المواضع ندية، كسُفْلِ الدُّور، وخاصة إذا لم تكن الأهوية تخترقها، والشمس تطلع عليها، فلذلك يجب أن تجَفّف أولا في الظل؛ لأن الشمس تضعف قُواها، والدليل على ذلك نقصان ألوانها وروائحها، وبعد جفافها تخزن في المواضع المعتدلة الأهوية، وكذلك ينبغي أن تحفظ الأدوية الأرضية، كالأطيان والأحجار والأملاح والزاجات والعصارات، فإن المواضع الندية تبطل[1] هذه وتفسدها كما قلنا قبل.

ويجب أيضا على الطبيب أن يحذر من الأدوية ما عَتُقَ وطال مكثه، لأن قوى هذه تضعف، وأفعالها تنقص، وكثير منها يفسد فيفعل الفساد لهرمها، ومنها ما يسرع إليه الفساد لما فيه من الدهنية، ولذلك تريح وتتغير باليسير

---

(١) وردت «تحصل».

من الندى، كبزر الخَشخاش[1]، وبزر الكتان[2] والفجل، وأشباه هذه.

ويجب أن يحذر خزن دواءين أو أكثر في إناء واحد، لأن أحدهما يغيّر الآخر، والأقوى يفسد الأضعف، ويدل على ذلك اكتساب أحدهما من الآخر روائحه وطعمه، ولذلك لا ينبغي أن يجعل دواء في اناء قد كان فيه آخر إلا بعد نقَائِه من الأول.

فهٰذه الأشياء وأشباهها تفسد الأدوية بتقصير خُزّانها وتوانيهم، فتفسد بغير قصد منهم لفسادها، فيكون الضرر الداخل على المريض في (/) علاجه، ٦٤/ب وعلى الطبيب في عمله عظيما، لا يستهان [به][3].

فلذلك يجب على الطبيب أن يتيقظ لذلك، ولا يُعَوِّل إذا وصف دواء على أن يأخذه من الصيدلاني من اتَّفَق ممن يخدم المريض، بل يجب على الطبيب أن ينظر إليه قبل استعماله[4].

وأما ما يجري من فساد الأدوية بتعمد وقصد فهو أعظم ضررا مما يجري بغير قصد، وذٰلك أن من الصيادنة القليلي الأمانة من يخلط الدواءَ (الغالي الثمن)[5] بدواء يشبهه قليل الثمن، كالذين يغشون الأفيون[6] بدقيق الشعير

---

(١) الخشخاش: منه بستاني، ومنه بري، بزره ينوم تنويما معتدلا، والبري من جنس الأدوية ويدخل في تركيبها. ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ٥٩ الغساني: المعتمد ص ١٢٧.

(٢) بزر الكتان: انظر عنه ابن البيطار: الجامع ج ١ ص ٩٠، الغساني المعتمد ص ٢٢.

(٣) لم ترد «به» في الأصل واثبتناها ليستقيم المعنى.

(٤) ولقد حذر علي بن رضوان الطبيب المصري (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) من جهل الصيادلة وتجار الأدوية، وعدم معرفة عامة الناس لهذه الأدوية وحقيقة أسمائها، وأورد في هذا المعنى حوادث عدة منها أنه قال «ولقد انفذت عام الأول غلامي الى الصيادلة وأمرته أن يشتري لي دواء فجاءني بغيره فرددته وكتبت معه رقعة باسم الدواء الذي وصفت فجائني بآخر مرارا كل مرة يرجع بدواء غير ما التمست فلو كان غيري لاستعمل ما دفعه الصيدلاني كائنا ما كان» ابن رضوان: النافع في كيفية تعلم صناعة الطب الورقة ٣ ب »

(٥) وردت «الغرر المثمن» خطأ.

(٦) الأفيون: هو لبن الخشخاش الأسود. ابن الجزار: كتاب الاعتماد في الادوية المفردة، الورقة ٧٧ ب. ابن البيطار: الجامع ج ١ ص ٤٥.

وعصارة الخس[١]، والمحمودة[٢] بالعنزروت[٣]، والزنجار[٤] بالملح، والكافور[٥] بالرخام وبالأرز[٦] وأشباه ذلك كثير.

ومنهم من يستحلّ أن يعطي بدل الدواء دواءً يشبهه في المنظر وإن ضادّه في الفعل، فيقتلون المرضى، كالذي أعطى من دِقّ ورق الدِّفْلَى[٧] لإنسان طلب منه شيئا فقتل مريضه. وللدُّهاة القليلي الدين منهم حيل في عمل أدوية تشبه أدوية بضروب من الحيل والتركيب لا أحصيها، ولا يصلح ذكر ما نعرفه منها، لئلا يتعلَّمه الأشرار. ولقد جاءني بعضهم بطباشير[٨] عرضه عليّ وقد كان باع منه لجماعة من الصيادنة، فتأملته وشككت فيه، فلما ذقتُه وجدته معمولا من الشب[٩]، وعرفت بالحيلة فيه، فتكلمت به ومنعته من بيعه، وأنذرت من اشترى بالقِصّة. ومن هذا النوع من يعمل بالقرنفل[١٠] والزعفران[١١] والمسك[١٢] وأشباه هذه من أصناف العطر، فإذا استعمله الطبيب

(١) عصارة الخس: معروف جيد للمعدة، مبرد منوم، مدر للبول. ابن البيطار ج ٢ ص ٥٨، الغساني: المعتمد ص ١٢٦.

(٢) المحمودة: هي السقمونيا. ولم يذكرها جالينوس. وهي لبن حشيشة تشبه اللبلاب. ابن البيطار: الجامع ج ٤ ص ٤١، الغساني المعتمد ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٣) عنزروت: وهو الأنزروت بالفارسية وهو صمغ شجرة تنبت في بلاد الفرس شبيهة بالكند. ابن البيطار: الجامع ج ٤ ص ١٤١، الغساني: المعتمد ص ٣٤١ - والأنزروت ص ١٠.

(٤) زنجار: منه مصنوع، ومنه معدني، وأجوده المعدني المتولد في معادن النحاس. ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ١٦٨، الغسائي: المعتمد ص ٢٠٨.

(٥) كافور: وهو أصناف منها القيصوري، والرياحي، ثم الازاد، والاسفرل، والازرق. ابن البيطار: الجامع ج ٤ ص ٤٢، الغساني: المعتمد ص ٤٠٤.

(٦) ارز: وهو ذكر الصنوبر. الغساني: المعتمد ص ٥٥٨.

(٧) الدفلى: هو شجر ورقه يشبه ورق اللوز، وزهره شبيه بالورد الأحمر، وحمله شبيه بالخرنوب الشامي، في جوفه شيء شبيه بالصوف. ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ٩٣. الغساني: المعتمد ص ١٥٤.

(٨) طباشير: وهو شيء يكون في جوف القنا الهندي، وأجوده أشده بياضا. ابن البيطار: الجامع ج ٣ ص ٩٦، الغساني: المعتمد ص ٣٠١.

(٩) شب: أصنافه كثيرة، الا أن الذي يستعمل منها في الطب ثلاثة أصناف، الصنف المشقق والصنف المستدير، والصنف الرطب، وأجودها المشقق، وأجوده ما كان أبيض شديد البياض شديد الحموضة ليس فيه حجارة. ابن البيطار: الجامع ج ٣ ص ٥٣ الغساني: المعتمد ص ٢٥٧.

(١٠) القرنفل: هو ثمرة وعيدان يستعملان جميعا، ويؤتي به من أرض الهند. الغساني: المعتمد ص ٣٨٠.

(١١) الزعفران: من أسمائه الجادي والجاد والريهقان والكركم أيضا ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ١٦٢، الغساني: المعتمد ص ٢٠٢.

(١٢) المسك: يستخرج من الظباء ولا سيما من أرض التبت والصين، وأجوده وأطيبه ما خرج من الظباء بعد بلوغه النهاية في النضج. ابن البيطار: الجامع ج ٤ ص ١٥٥، الغساني: المعتمد ص ٤٩٥.

على سبيل الدواء دخل على المريض منه من الضرر ما لا يدخل مثله من جهة العطر، ولذلك لا ينبغي لطبيب لم يكن خدم في الصيدنة بين يدي حُذّاقهم ومشايخهم أن يتولى شراء دواء من صيدلاني أو عطّار، ولا يعالج به مريضا، فكم من صيدناني قد طمع في أطباء فدفع إليهم بدل دواء آخر، ولم يعلم ذلك الطبيب، كما رأيت منهم من دفع إلى الطبيب (/) بدل كمون كرماني[1] بزر خس، وحب البان[2] بدل الفلفل الأبيض، فلم يعلم الطبيب بذلك، وبينهما تضاد عظيم في القوة والفعل، وكذلك رأيت من أعطى ميويزجٍ[3] بدلل فطراسالينون[4].

٦٥/أ

وأما إعطاؤهم العصارات والصموغ بعضها بدل بعض فكثير لا يحصى، لما بينها من التشابه، فكم من مريضٍ قد هلك فيما بين عمى الطبيب وقلة دين الصيدلاني، فهذا وأمثاله يجرى في أمر الأدوية المفردة، فيجب على الطبيب الاحتراز من أنواع فسادها.

وأما فساد الأدوية المركبة فأكثر وأعظم، لأن أصناف تراكيب الأدوية كثيرة جدا، ولكل نوع من التركيب غرض قصد نحوه، وبه يقع النفع، فإن تغير عن صورته ونوعه - بقصدٍ أو باتّفاقٍ - دخَلَ الضرر منه بحسب خروجه عن الغرض.

من ذلك أن ما عمل من الحبوب المسهلة معجونا بعسل أو بغيره من الحلاوة فقد أفسد وصار يضر ضررا عظيما، لأن الحبوب ركبت حبوبا معجونة بمياه فقط، ليمكن جفافها، وعملت حبا لتبقى في المعدة فتحدث إليه بقواها الأخلاط، لأن الأعضاء لميلها واستلذاذها للحلاوة تجذبها إليها، فتحدث معها

---

(١) كمون كرماني: انظر عنه ابن الجزار: كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة الورقة ٦٠ ب. ابن البيطار: الجامع ج ٤ ص ٨١.

(٢) حب البان: البان شجر يسمو ويطول كالأثل في استواء، وثمرته تشبه قرون اللوبياء، وفيها حب، اذا انتهى انفتق وانتثر منه حب أبيض اغبر نحو الفستق، ومنه يستخرج دهن البان. ابن البيطار: الجامع ج ١ ص ٧٩، الغساني: المعتمد ص ١٧.

(٣) ميويزج: تأويله بالفارسية زبيب الجبل، وهو حب الرأس أيضا، وهو حب أسود كالحمص الأسود. ابن البيطار: الجامع ج ٤ ص ١٧٣، الغساني: المعتمد ص ٥١١.

(٤) فطرا ساليون: هو بزر الكرفس الجبلي، وهو حب أسود. ابن سينا: القانون ج ١ ص ٤٠٨، الغساني: المعتمد ص ٣٦٦.

الأدوية الحادة التي تقع في هذه الحبوب، وهذه الحبوب هي حب الاصطمخيقون[1] وحب القوقايا[2] وحب المفاصل[3] وما جانس هذه مما يقع فيه المحمودة، وشحم الحنظل[4] والشبرم[5] وما سوى هذه من الأدوية المسهلة الحادة ومن التغيير لصور أدوية مركبة أيضا الداخل منه الضرر العظيم ما عمل من الحبوب المسهلة حبا صغارا كصغار الفلفل لينحل بسهولة، وتنقى منه المعدة والأحشاء بسرعة، فإن جهل الطبيب علم هذه العلة فعمله حبا كبارا طال مكثه ولم ينحل بسرعة، وحل فوق (/) مقدار الحاجة، وربما أفسد بجذبه الأعضاء التي يطول مكثه فيها. وبضد ذلك ما عمل من الحبوب التي أمر الأطباء بعملها كبارا كالحمص ليطول مكثها، ولتبقى فتصل قواها إلى الدماغ الذي[6] قصد لتنقيته بها، وهذه هي حب الشبيار[7]، وحب الذهب[8]، والأرياج[9]، فإن الذي لا يعلم لم عملت كذلك متى عملها صغارا لم يبلغ ما أراده، وقَصّرَت عن عملها.

٦٥/ب

(١) حب الاصطمخيقون: مركب يسهل المرتين والبلغم وينفع من الصداع العتيق وينقي المعدة وينفع من وجع المفاصل وأخلاطه كثيرة. ابن هبل: المختارات في الطب ج ٢ ص ٢٦٠، ابن سينا: القانون ج ٣ ص ٣٩٣.

(٢) حب القوقايا: تركيبة لجالينوس يخرج الفضلات الرديئة وينفع من أوجاع الرأس البلغمية ويجلو البصر، وهو ستة أدوية مفردة ابن هبل: المختارات في الطب ج ٢ ص ٢٦٤.

(٣) حب المفاصل: لعله يقصد الحبوب المستعملة في علاج أمراض المفاصل وهي كثيرة. انظر ابن سينا: القانون ج ٣ ص ٣٩١ - ٣٩٦.

(٤) الحنظل: هو نبات يخرج أغصانا وورقا مفروشة على الأرض شبيه بأغصان ورقة القثاد البستاني ورقة مشرف وله ثمرة مستديرة شبيهة بكرة متوسطة مر شديد المرارة. ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ٣٦.

(٥) الشبرم: هو نبات قد يظن به أنه من أصناف اليتوع المسمى قبارسين، ولذلك يعد من أصنافه وله ساق طولها أكثر من ذراع، كثيرة العقد، وعليها ورق صغار حاد الأطراف... وقد كان القدماء يستعملونه في الأدوية المسهلة. ابن البيطار: الجامع ج ٣ ص ٥١.

(٦) وردت «التي» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

(٧) وردت «السبيار»: وهو اخلاط ينفع من أوجاع الرأس والمعدة. ابن هبل: المختارات في الطب ص ٢٦١.

(٨) حب الذهب: هو أخلاط ينقي البدن وينفع من أوجاع الرأس ويجلو البصر. ابن هبل: المختارات في الطب ص ٢٦٤.

(٩) الأرياج: يقول ابن سينا: الأرياج اسم للمسهل المصلح هذا تأويله وتفسيره الدواء الإلهي. القانون ج ٣ ص ٢٤٠. فهو تركيبة من الأدوية يغلب عليها المرارة والغرض منها تنقية الرأس والدماغ. ويقول الزهراوي: هو ما وقع فيه شحم الحنظل: التصريف لمن عجز عن التأليف الورقة ١٩٦ أ.

وكذلك مجرى الأمر فيما عمل من الأدوية ناعما وقد أمر الأطباء بعمله جريشا من السَّفُوفات[1] والجوارشنات، فإن جالينوس ذكر أنه أشار على إنسان يشكو وجعاً ما بجوارشن الكمون، فعاد إليه وذكر أنه قد عمله هو لنفسه على النسخة التي رسمها له جالينوس، وأنه زاده وجعا، قال جالينوس: فوجدت الفساد من جهة إصلاح الدواء في دقه، لأنه جعل دقه ناعما ثم عجنه، فأمره[2] أن يعيد عمل النسخة بعينها وينخلها بمنخل واسع لينحدر جريشها، ثم يعجنه ويأخذ منه ما رسمته له، فلما فعل ذلك ووجد نفعه جاءني معجَباً من ذلك، فأخبرته بالسبب، وأنه من جهة الإصلاح والتركيب، فهذا وأمثاله من تغير صور الأدوية المركبة كلها تجري هذا المجرى من الفساد.

وأما الضرر من جهة مواد الأدوية المركبة فهو ما أقول، أقول إن الفساد الداخل على الأدوية المركبة من جهة موادها ـ أعني الأدوية المفردة التي عنها يكون التركيب ـ يدخل عليها من عدة أوجه. أحدها أن يبدل الأدوية ويغير جواهرها كالذي رأيناه من قوم يجعلون في الطريفل[3] بدل الهليلج[4] الكابلي أصفر[5] لرخصه، وبين جوهريهما وفعليهما فرق عظيم، وأعظم من ذلك من لم يقنع بالأصفر حتى جعل بدله قشور رُمّان وحسبك بهذا شراً وفساداً.

والوجه الثاني من الفساد: هو إسقاط دواء أو أكثر من دواء من الدواء

---

(١) السفوفات: وهي الأدوية التي تؤخذ يابسة، غير معجونة و ملتوتة. الزهراوي: التصريف الورقة ٢٨٣ ب، ابن منظور لسان العرب ج ٩ ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) وردت «فامر به».

(٣) الطريفل: هو بالهندية ترى أبهل، أي ثلاثة أخلاط، وهي اهليج أصفر، وبليلج، واملج. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٤٠، ابن هبل: كتاب المختارات في الطب ج ٢ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦. ابن البيطار: الجامع ج ٣ ص ١٠١.

(٤) الهليلج: وهو أربعة أصناف وأجوده ما اصفر لونه وقرب من الحمرة. ابن البيطار: الجامع ج ٤ ص ١٩٦، الغساني: المعتمد ص ٥٣٦.

(٥) اصفر: ويقصد به هنا «أصابع صفر» وهو النبات المعروف بكف عائشة وبكف مريم... قال ابن سينا شكله كالكف أبلق من صفرة وبياض، صلب فيه قليل حلاة، ومنه أصفر مع غيره بلا بياض. ابن البيطار ج ١ ص ٣٨ ـ ٣٩، الغساني: المعتمد ص ٥٥٩. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٣٨.

المركب لغلائه، أو لقلة (/) وجوده. ولعل ذلك الدواء الذي أسقطه ـ بشَرَهِه ٦٦/أ
وجهله ـ هو عمدة الدواء وهو لا يعلم.

والوجه الثالث: هو الزيادة في الدواء ما لم يذكر فيه ظنا من المركب له أن يزيده نفعا بذلك، أو قصداً للزيادة في كميته. وان قصد أيضا أن يبدل ويزيد أدوية وينقص أخرى كان أعظم للآفة وأقوى للفساد.

والوجه الرابع من الفساد: هو الداخل من جهة كمية الأدوية المفردة في الوزن، وذلك كالأيارج الفيقرا[1] مثلا، فإن كمية أدويته من جهة عددها تسعة، ومن جهة وزن كل دواء من هذه التسعة، هو أن يكون ثمانية منها بالسواء في الوزن، والصَّبِر[2] بوزن الثمانية الأدوية الباقية، فيكون للدواء المركب صنفان من الكمية، متى خرجا من مقاديرهما فسد الدواء.

وللدواء المركب[3] أيضا من جهة الزمان نوع آخر من الكمية، يلزم الطبيب النظر فيه، وهو مدته وزمانه، فإن من الأدوية المركبة ما لا يصلح استعمالها دون بلوغها ونضجها، وذلك كالأقلونية[4] مثلا، فإن القدماء ـ وخاصة أوائل مركبيها ـ يأمرون بتركها ستة أشهر، ودفنها في الشعير ـ على ما ذكر قوم ـ ثم حينئذ تستعمل. ومنها ماله زمان يكون قوته فيه مبقيّة عليه، فإن جاوز ذلك الزمان ضعف فعله، وقصر عمله، وكان كالشيخ، وإن أفرط في البعد عن ذلك الزمان ماتت قوته وبطلت، وذلك كالدِّرياق[5]، فإنه إن جاز ثلاثين سنة، ضعف فعله، وكلما بعد عنها كان أضعف لفعله إلى أن يبطل.

---

(١) ايارج فيقرا: ومعناه المرينفع أمراض الدماغ، وغلبة الرطوبة وينقي المعدة. وأخلاطه مصطكى ودار صيني وزعفران وسنبل الطيب وسليخه واسارون وحب البلسان... الخ. ابن سينا: القانون ج ٣ ص ٣٤١، ابن هبل: المختارات في الطب ج ٢ ص ٢٥٦.

(٢) الصَّبر، والصَّبِر: شجرة لها ورق له رطوبة تلصق باليد، ثقيل الرائحة، مر المذاق جدا. ابن البيطار: الجامع ج ٣ ص ٧٧، الغساني: المعتمد ص ٢٨١

(٣) وردت «والدواء» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.

(٤) الأقلونية: هكذا وردت ولعله يقصد الفونيا، انظر ابن سينا: القانون ج ٣ ص ٣٣١.

(٥) الدِّرياق: وهو الترياق، مشتق من تريون باليونانية، وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالافاعي ونحوها. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٣٩. الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي ص ١٩٠. وأنواع تراكيبه كثيرة. انظر ابن هبل: المختارات في الطب ج ٢ ص ٢١٠.

وكذلك يجب أن ينظر الطبيب في الفروق بين التراكيب، فان ما عجن من الأدوية بالعسل كانت مدته وعمره أطول، لأن العسل يحفظ قوى الأدوية ويعين الأدوية بإيصاله لها، وإنضاجه وحلاه، مالا يوجد ذلك في أدوية أخرى من الأدوية الحافظة، وهذه الحافظة هي العسل والخل والثلج أيضا بحفظ ما (/) يجعل فيه، فأما ما عجن من الأدوية بالمياه كالحبوب والأقراص، فإن أعمارها قصيرة، لأن قواها وأفعالها تضعف سريعا، فلذلك يجب أن يتفقد الطبيب أمثال هذه الأشياء في النظر في أمر الأدوية. ٦٦/ب

ومع ما ينظر في أمر الأدوية ـ وجواهرها وكمياتها وكيفياتها وأزمانها كما قدمنا ـ فعليه أن ينظر أيضا إلى من هي منسوبة في عملها إليه، فإن من صُنّاع الأدوية من هو مشهور بالثقة والأمانة.

وأعظم نظر للطبيب، بعد جميع ما قدمنا ذكره من أمر الأدوية المفردة والمركبة، هو بحثه عن أفعال الأدوية، فإن أفعال الدواء الواحد قد تكون كثيرة، وذلك بحسب ما قد اجتمع فيه من القوى[1]، وذلك كالصبر مثلا الذي يفعل الإنضاج والجلي والتقوية والإسهال، وذلك بما فيه من القوى التي بها يفعل كل واحد من هذه الأفعال، وإذا كان الدواء المفرد له أفعال كثيرة لما جَعَلت الطبيعة فيه من القوى التي بها يفعل كل واحد من هذه الأفعال، وإذا كان الدواء المفرد له أفعال كثيرة لما جعلت فيه من القوى بحسب ماله من جهة مِزاجه فأحرى وأجدر أن تكون أفعال الأدوية المركبة أكثر كثيرا، لما قد اجتمع فيها من الأدوية المفردة ذوات القوى الكثيرة، وبغير شك أن الدواء المركب إنما سمي مركبا لفعلنا فيه التركيب بالصنْعة من الأدوية المفردة التي لم يكن لنا نحن فيها تركيب، فليس يُشَكُّ في أن الأدوية المفردة مركبة أيضا، ولكن تركيبها هو من فعل الطبيعة.

(١) انظر في أفعال الأدوية وقواها. ابن سينا : القانون ج ١ ص ص ٢٣١ ـ ٢٣٥، ابن القف: كتاب العمدة في الجراحة ج ١ ص ٢١٠.

ومع نظر الطبيب من أمر الأدوية وأمر باعَتِها وخُزّانها ما قدمناه، فإن على الطبيب أن يُحَذِّرَ الصيدناني من إعطاء النساء أدوية تسقط الأجنة وتدر الحيض مما لم يأمره الطبيب بذلك، وينبغي للصيدناني أن يَحْذَر إعطاء السموم[1] لأحد غير الطبيب الثقة أيضا كالذراريح[2] (/) والأفيون، والافربيون[3] والسقمونيا[4] ولبن الشبرم، وما شاكل هذه، وفيما ذكرناه في هذا الباب كفاية لمن اهتدى وقصد العدل.

٦٧/أ

(١) وردت «السمايم».
(٢) الذراريح: وهو سم قاتل جدا. ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ١٢٣، الغساني: المعتمد ص ١٧٨.
(٣) الافربيون: هو لبن القصاص، يستخرجه حذاق الأطباء. الغساني: المعتمد ص ٥٥٩ كما ينظر ابن سينا: القانون ج ٣ ص ٣٩٤ - ٤٠١، وهو يدخل ضمن مجموعة من الأدوية المركبة.
(٤) السقمونيا: وهي المحمودة. وهو نبات له أغصان كبيرة مخرجها من أصل واحد طولها نحو من ثلاثة أذرع، وهي من الأدوية المسهلة. ابن البيطار: الجامع ج ٣ ص ١٧.

البـــاب السابـــع

فيما ينبغي للطبيب أن يسأل عنه المريض وغيره ممن يتولى خدمته[1]

ينبغي للطبيب أن يكون ماهراً بالعلامات والأدلة التي بها يستدل على حالات الأصحاء، إذا كان قد تقدم بعلم علامات الصحة فهو عليه أسهل من استدلاله على حالات كثيرة من المرض، إذ كان كثير من المرضى يحول بينهم وبين إخبار الطبيب بما يجدونه أصناف من الموانع، غير أن هذه الموانع - وإن كثرت - تنضم إلى جنسين:
أحدهما: جهل المريض بما يسأله عنه الطبيب، والآخر: بما يعوقه عن الجواب.

ولأن من العلامات ماهي مُدْرَكة حِسّاً، ومنها معلومة استدلالا، وكان الاستدلالُ خاصا بالطبيب، ومعرفةُ ما يدركه الحس من علامات الأمراض وأعراضها، مشتركا عاما للطبيب والمريض، وكان الطبيب مضطرا إلى بعض هذه الأسباب والأعراض في تعرفه الأمراض من المريض أو من خَدَمه، وجب لذلك أن يكون الطبيب قد تقدم فعلم أجناس العلامات والأسباب

(١) أكد كثير من الأطباء المسلمين أهمية مساءلة المريض لاكتشاف علته، وقد أولى الرازي هذه المسألة اهتماما كبيرا في سبيل الوصول إلى علة المريض. انظر ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء ص ٤٢٠، الرازي: أخلاق الطبيب ص ١٣٥، القفطي: تاريخ حكماء الاسلام ص ١١٠، صاعد: التشويق الطبي اللوحة ٢٢، هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية الورقة ٢١٧ ب.

والأمراض، وبالجملة أجناس سائر حالات الأبدان وأنواعها وفصولها، ليعلم بكل واحدة من حواسّه ما لتلك الحاسة من هذه الأمور[1].

ولا يسأل المريض عما هو بَيِّن ظاهر لحِسّه، لأن ذلك من الطبيب عجز وجهل، وليستعمل ما يخصه من طرق الاستدلال والقياس، فيعلم بذلك مالا يمكنه علمه من جهة المريض، وأما ما لم يكن للحواس ظاهرا ولا بَيِّناً، والحاجة إليه ماسّة في أعمال الطب، لضرورة تدعو الطبيب إلى تعرفه بمساءلة المريض عنه أو من يخدم المريض (/). ٦٧/ب

ومثال ذلك، أن طبيباً دخل إلى المريض، فوجده يسعل ونفسه عليه ضيق، وجَسّ شريانه[2] فدل على أنه محموم، وقد كان معلوما عند الطبيب أن العلامات الخاصة بعرض ذات الجنب هي أربعة، هذه الثلاثة التي وجدها بهذا المريض، والرابعة هي نخس يجده المريض في جَنْبه[3]، ولأن النَّخْس ليس يظهر للحس، ولا يجوز له أن يقطع على وجوده من جهة العلامات الثلاثة المقدم ذكرها، إن كان هذا عرضا قد تعرض لغير ذات الجنب، فلذلك وجب ضرورة أن يسأل الطبيب ذلك المريض: هل يجدُ نَخْساً أم لا؟ فإن اجتمع وجود نخس الجنب عن السبب المحدث لهذا المرض ليصح له أي شيء من أنواع ذات الجنب، وهو بعد ذلك يأخذ في علاجه.

وهذا المسلك ينبغي للطبيب أن يسلكه[4] في تعرف سائر حالات الأبدان ليثق الأصحاء والمرضى بتدبيره، ويستسلموا في يده. وما ذكرناه، وإن كان بينا، فإن قول الجليل بقراط يزيده بيانا، قال بقراط: («إنّي أرى أنه من أفضل الأمور أن يستعمل سابق النظر»)، فقوله: «سابق النظر» يدخل تحت

---

(١) يقول الرازي ـ في معرض اهتمامه بالاستدلال على المرض من أحوال المريض ـ «أستخرج سبب الوجع من التدبير والسن والزمان والمزاج» الحاوي ج ٣ ص ٢٧٩. ويقول أيضا «يحتاج في استدلال على الأعضاء الباطنه الى العلم بجواهرها أولا بأن تكون شوهدت بالتشريح، وإلى العلم بمواضعها من البدن والى العلم بأفعالها، وإلى العلم باعظامها، وإلى العلم بما تحتوي عليه، وإلى العلم بفضولها التي تدفع عنها، لأن من لم يعرف ذلك لم يكن علاجه على صواب: «المرشد ص ٦٦.

(٢) وردت «شاريانه».

(٣) وهذه من طرق الاستدلال بأحوال المريض على معرفة مرضه. انظر الرازي: المرشد ص ١١٣.

(٤) وردت «يسلك» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

تقدمة المعرفة لجميع ما يحتاج إليه الطبيب في أعمال الطب، وبتقدمة معرفته بذلك يبين فضله وحذاقته، ولأن تقدمة المعرفة تعم ثلاثة أصول، وهي معرفة ما تقدم، ومعرفة ما هو حاضر، ومعرفة ما هو كائن، فلذلك قال بقراط أيضا في المقالة الأولى من كتابه الذي عنونه بابيديميا هذا القول، قال: («وينبغي أن يُخْبَر بما تقدم، ويعْلَم ما هو حاضر وينذر بما هو كائن») قال («وينبغي أن يدرس هذه الأشياء») كما سنبين ذلك في الباب الذي نصف فيه محنة الطبيب.

وبعد ما قدمته مما لا بد للطبيب من علمه في استخراج علم الحالات، فإني أتبع ذلك بتعريف الطبيب المدخل والمبدأ (/) الذي منه ينبغي أن يبدأ في تعرف الحالات، واجعل الكلام في تعرف حالات المرضى ليكون أبين وأنفع، فأقول: إنه[1] بعد معرفة الظاهر من العلامات والأعراض للحواس ينبغي للطبيب أن يجعل له مبدأ ثانيا، وهو ما يتشكاه المريض، وما يذكره من يخدمه من شكاويه وأوجاعه، أو يتخذ ذلك أصلا للمساءلة، ومتى لم يفعل ذلك بقي مدهوشا متحيراً، لأنه لا يدري عما يسأل عنه، ومثال ذلك طبيب رأى مريضا به إسهال قوي، ولم يكن عنده علم بأسباب الإسهال، فإن منه ما ينبغي أن يقطع، ومنه ما لا ينبغي أن يقطع بل منه ما يجب معاونة الطبع على دفعه، فبغير شك أن ذلك الطبيب يبقى حائرا دهشا، فأما إن كان حاذِقا فسينظر الى لون البراز وقوامه وما يجده من روائحه، فإن وجده مثلا أصفر استدل بأن صفراء قد اندفعت مع البراز، فيحضر خاطره أسباب اندفاع الصفراء، ويسمع من المريض ومن خدمه ما يقولونه من شكاوي المريض، فان وجدهم يذكرون أنه[2] كان به حُمّى غِبٍّ[3]، وكان المريض في صيف، وسنه سن الشباب وبُحْرانه[4] قد أزف، علم من جميع ذلك (أن

١/٦٨أ

(١) وردت «أن».
(٢) وردت «أن» وما اثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.
(٣) حمى غب: وهي الحمى التي تنوب يوما ويوما لا. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٣٤. ابن سينا: القانون ج ٣ ص ٣٤.
(٤) البحران: الذي يريد الاطباء بالبحران، تغير سريع يحدث للمريض عن حاله إما الى ما هو أجود، وإما الى ما هو أردى. الرازي: المرشد ص ٧٨. ابن سينا: القانون ج ٣ ص ٧٧.

الإسهال هو[1] لأن مرضه قد تَبَحْرَنَ، وأنه لا ينبغي أن يقطع، وإن وجدهم يذكرون أسبابا للإسهال غير تلك، فيقولون مثلا: إنّ الذي أحدث الإسهال أكل أشياء حارة حريفة[2]، وإدمان شرب شراب صرف أو ما شابه ذلك، تعلق بها سمعه منهم مع ما وجده من لون البِراز وغيره، وجعل جميع ذلك مبدأ يبحث منه عن السبب، فما بان لحسه لم يسأل عنه، وما لم يبن لحواسه سأل عنه بعد أن يستعمل الاستدلال، فإن سأل المريض: هل هذا الإسهال لبُحْران مثلا ضحك منه، وهزىء به، فقس على ما ذكرناه، واجعله لك أصلا وقانونا تستدل منه وتستخرج علم ما يُسأل عنه المريض والصحيح في تعرف حالاتهم. وبغير شك أن من كان (/) له ذكاء وفطنه سينتفع بما ذكرناه ٦٨/ب نفعاً عظيماً، وذلك بما يحثه ويبعثه إلى تعلم طرق الاستدلال، ومعرفة أصناف العلامات، فيصير بذلك ماهرا بالمساءلة للمرضى والتعرف لحالات الأبدان، وكثير من حالات النفوس، فقد اتَّضَح إذن نفع هذا المبدأ الثاني، أعني ما يتشكاه وينطق به المريض من شكوائه، وصار هذا المبدأ تابعا للمبدأ الأول المقدم قبله، وهو معرفة الطبيب لما تقع عليه حواسه، وصارا متقدمين في المرتبة والطبع لما يريد أن يسأل عنه الطبيب للمريض، إذ كانت المساءلة للمريض إنما تجب بعد أن يشاهد حاله، أو يشتكي المريض[3] حالة ما إلى الطبيب، فحينئذ يأخذ الطبيب في تعرف تلك الحال، ويبدأ بعلمها من جنسها، ويقسم أنواع ذلك الجنس بفصوله القاسمة للأنواع، والمحدثة لها، فيستدل من تلك الفصول والخواصّ اللازمة للأنواع على صورها، وبعد ذلك يأخذ في البحث عن أسبابها وعللها الموجبة لحدوثها، ليتمّ له بذلك إزالتها وحسمها.

ومساءلة الطبيب للمريض ها هنا يقع الاضطرار إليها في مواضع كثيرة، وذلك أن ما لا يدركه حس الطبيب من الأسباب، ولا أخبره به المريض،

---

(١) هكذا وردت والمقصود «أنه هو الاسهال».

(٢) حريفه: الحرافه طعم يحرف اللسان والفم. وقيل كل طعام يحرق فم آكله بحرارة مذاقه حريف. ابن منظور: لسان العرب مادة «حرف».

(٣) وردت «للمريض» وما أثبتناه هو الصحيح.

ولا نقل اليه خبره من خَدَم المريض أو غيرهم من المخبرين الثقات، فبغير شك أنه هو يحتاج أن يسأل عنه المريض، أو من يخدمه ويقدر على الجواب.

ومثال ذلك أن طبيبا استُدعِيَ إلى مريض به إسهال، فرأي صورة المريض، وتعرف من لون برازه أنه عن صفراء مفرطة، وكذلك استدل أيضا من سنه، ومن لون الزمان الحاضر، ومن سحنة المريض وعمله على أن جميع هذه قد أوجبت كثرة الصفراء في بدنه، إذ كان سنه سن الشباب، والزمان زمان القيظ، وسحنته تدل على أن مزاجه حار يابس، وكان مع ذلك عمله بعض أعمال النار، فقد صح للطبيب من جهة الحواس معرفة بعض أسباب المرض، ولأنه لم يشاهد (/) هذا المرض قبل ذلك الوقت، فبغير شك لا بدَّ له من مُساءلة المريض أو من يخدمه عن أشياء كثيرة لم يقدر عليها من جهة الحس، منها معرفة زمان ابتداء المرض ليعلم من ذلك كم قد مضى من الزمان منذ ابتدأ، وإلى ذلك الوقت، فيعلم كم مقدار ما نقصت، وكم بقي بحسب قوة المرض وضعفه من الثبات. ٦٩/أ

ومنها أيضا معرفة مقادير المجالس، وتواترها، وهل تختلف في الكثرة والقلة ليلا أو نهارا، ومنها معرفة بقية الأسباب التي لم يظهر له الحس، من ذلك مساءلته عن أغذية ذلك المريض، ما كانت؟ وكم كان مقدارها، وأوقاتها، وترتيبها؟ وكذلك أشربته ومنها: هل سُقِيَ دواء؟ أو كان له تدبير أوجب ذلك مما يعمله المريض وأشباه هذه الأشياء.

فإذا هو وجد الأسباب الموجبة لذلك الإسهال الصفراوي قد تشابهت صحَّ عنده علم سبب المرض، وأيضا فإذا كان المرض مثلا حُمّى غِبّ، وقد أوجبت كونها هذه الأسباب على ما قلناه قبل، ووجد الإسهال قد حدث في وقت بُحْران المريض، فقد اتضح له أن الإسهال هو لبُحْران ذلك المريض من مرضه.

وقد يضطر الطبيب في أوقات إلى مساءلة من يخدم المريض لا المريض، وذلك لأسباب تقطع المريض عن الجواب، إمّا لأنه قد أسكت أو ناله غَشْي أو ما شاكل ذلك، وأيضا فقد يحتاج الطبيب في أوقات إلى معرفة أشياء يضطر

إلى معرفتها في علاج المريض، من غير أهل المريض، وذلك كطبيب غريب دخل إلى بلد لم يكن عنده معرفة بوضع ذلك البلد، ولا بهوائه، ولا بمياهه وأشباه هذه الأمور، فدعي لعِلاج مريض، فبغير شك أن الضرورة تدعو إلى تعرف هذه الأشياء من أطباء البلد وأهل الخبرة بها، إذ كان علمها لا يصح ولا يمكنه إلا بعد زمانٍ طويل، وتقص شاف، إذ كان من الأمراض أمراض بلدية، وأمراض وافدة، وأمراض شخصية[1].

ومما (/) يضطر الطبيب إلى مساءلة من هم أبعد من أهل البلد في بعض الأحايين من أصابه في حرب سهم مثلا، أو من استأمن، أو غيرهم ممن يخبر: هل سهامهم مسمومة أم لا؟ فيعمل بحسب ذلك. ٦٩/ب

فقد بان أن هذه المساءلة للمرضى والأصحاء وأمثالها واجبة ضرورية لنفعها في حفظِ الصحة، وفي علاجِ الأمراض.

ولما كانت مساءلة الطبيب لمن يتولى تدبيرَه وعلاجَه يجب أن يكون على ترتيب طبيعي، لأنها داخلة في جمل أجناس المسائل الأربع التي بعضها يتقدم بعضا بالطبع، وهي: هل الشيء موجود أو غير موجود؟ ثم ما الشيءُ الموجود؟ ثم كيف حاله؟ ثم لم هو؟ وبغير شك أنه من قدم أحد هذه المسائل على ما قبله فقد جهل طريق المسائل، وأفسد البحث. ومن ترتيب الطبيب المسائل يُعْلَمُ حِذْقُه بما ذكرنا، وتَقَدُّمُه في صناعته.

ولما كنا عازمين[2] على إفراد باب للقول في محنة الطبيب، وكان هذا القول متعلقاً بذلك الباب، وجب ألاّ نُطِيل ها هنا في الكلام، في المسائل، وكيف يتقدم بعضها بعضا بالطبع خاصة[3]، وقد تقصَّينا الكلام في المسائل وأنواعها وترتيبها في مقالة مفردة، لذلك جعلتها مدخلا إلى علم الجدل، أنت تعرف منها جميع ما يحتاج إليه من ذلك، لكن نقطع هذا الباب هٰاهنا، وبه نختم المقالة الأولى ولله الحمد والمنة.

---

(١) يقول الرازي في هذا المعنى: «واذا كان ممن يقرأ الكتب ويفهمها فينبغي أن ينظر هل شاهد المرضى وقلبهم، وهل كان ذلك منه في المواضع المشهورة بكثرة الأطباء، والمرضى أو لا، فمن اجتمعت له هاتان الخلتان فهو فاضل..» محنة الطبيب، مجلة المشرق ٥٤ سنة ١٩٦٠م، ص٤٩٥.

(٢) وردت في الأصل «معزمون».

(٣) وردت «خاص» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

المقالة الثانية

الباب الثامن

فيما ينبغي للأصحاء والمرضى جميعا أن يعتقدوه ويضمروه للطبيب في وقت الصحة ووقت المرض

٧٠/أ (/) إذا كانت أبدان الناس دائمة الاستحالة والتغير لامتزاجها من متضادات يغالب بعضها بعضا، ولما طبعت عليه أيضا من قبولها للتأثر[١] من المؤثرات العلوية[٢]، فلذلك هي محتاجة إلى تعديل ما يفرط عليها من الزيادة والنقصان، وإلى مقابلة كل كيفية قوية بها ضادَّها، ليعتدل بذلك المزاج الاعتدال الذي يخص كل مزاج، ويتم لكل بدن أن يعمل أعماله الصحيحة التامة. وهذا التعديل وسائر ما انضم إليه من إصلاح ما فسد من نظم تركيب الأعضاء، ومن رَدِّ ما خرج منها في كمية عظيمة، أو تغيير شكله أو موضعه عن حالته الطبيعية، هو أعظم أصول الطب، والعالم به وبها يتبعه هو الطبيب.

وأيضاً لما كانت الأبدان الصحيحة هي التي يجب حفظها على صحتها، ولا يتم للبدن حفظه على صحته إلّا بما شابهه، ولا يقدر على ما شابه الجسم إلّا من عرف مِزاجه، ومقادير أخلاطه، وصورة اعتداله الخاص به، وما يخص عضـوا عضوا من المِزاج والهيئة والتركيب، فالاتصال والوضع المبنيّ عليه،

---

(١) وردت «للتأثير» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

(٢) الآثار العلوية: هي الأمطار والرياح والرعود والبروق ونحوها. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١١٠ ولمعلومات أوسع، انظر إخوان الصفا: الرسائل ـ الرسالة الرابعة «في الآثار العلوية» المجلد ٢ ص ٦٢، دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٣هـ.

ومعرفة النسب والمقادير التي بها يتم للشبه حفظ شبهه، وذلك بأسره مع ما يتبعه من لواحقه هي جملة أجزاء الطب، والقَيِّم بعلمها هو الطبيب، وهو الذي يقدر بذلك على حفظ الصحة وعلى اجتلابها إذا فقدت، فبواجب إذن أن الأصحاء والمرضى محتاجون إلى الطبيب في حالة الصحة وحال المرض[1].

وأيضاً لما كانت ذات الإنسان يجب أن تكون عنده أشرف أملاكه، وأشرف ما يملكه ويقتنيه لذاته هي الصحة، والصحة لا تثبت وتحفظ إلا بصناعة الطب، وجب لذلك أن يكون مقتني صناعة الطب عند العقلاء الأفاضل مُؤْثري الصلاح لذواتهم هو أشد الناس عندهم تقدما، وأرفعهم منزلة، وأجلهم قدرا، وأصدقهم قولا.

ولست أشير إلى من يسمى بالطب وهو عادم لمعناه، إذ كان[2] هؤلاء بالهوان أحق من الإكرام، لاستحسانهم الكذب (/) ورضاهم لنفوسهم بالمحال، لكني أرى أن الكرامة واجبة لمن عرف قدر ما وهبه الله جل وعز له من جزيل النعمة، وعلو القدر، أعني ما يفضل به على نوع الإنسان من علم صناعة الطب لعنايته ورحمته له. ولما مَنَّ بهذه الصناعة على نوع الإنسان لم يكن جملة أشخاصه يصلحون لتعلمها خَصَّ به آحاداً أفاضل، عقولهم صافية، وقرائحهم حادة، مُحِبّون للخير، ووافون بأبناء نوعهم، ذَوُو[3] رحمة وعفة، و لذلك وجب على من خَصّه الله بهذه النعمة أن يدمن شكره، ويحسن عبادته ويخلص له المحبة.

٧٠/ب

وبغير شكّ إن أخيار الناس وأفاضلهم يوجبون على نفوسهم لهذه الطائفة من الأطباء الإكرام والإعظام. وأن من أزرى على هؤلاء، ووَضَع منهم، وجَحَدهم حقوقَهم، فقد جحد نعم الله، وأصل منته، واستخف بإحسانه، ولم يشكّ عاقل في أن فاعل ذلك بنفسه استخف، وعلى جهله يبين. ومن

---

(١) إن اختيار الطبيب الحاذق من الأمور التي أكد عليها الأطباء المسلمون سواء للأصحاء أو للمرضى انظر هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية ورقة ٢٢٧ ب - ٢٢٨ أ، عبداللطيف البغدادي: الطب من الكتاب والسنة ص١٨٣ - ١٨٩. ابن القيم: زاد المعاد ج ٤ ص١٣٢.

(٢) وردت «كانوا».

(٣) وردت «ذو».

أدل دليل على جهله ما نراه عند المريض كيف لا يلتفت إلى والد ولا إلى ولد، ولا يرجو الصلاح من صديق ولا حميم، لكنه يستغيث بالله [ثم][1] بالطبيب، فإذا خلص من مرضه أساء[2] إلى الطبيب، واستهان بحقه، وليس ذلك فعل من ينبغي أن يُعَدّ في عِداد المذكورين بالعقل، بل بالبهيمة لهذا أشبه، وأوصافها به أولى، وكم من ناس قد أبغضوا الأطباء، وكرهوا قربهم، فضلا عن أن يحبوهم ويكرموهم لأجل منعهم لهم من شهواتهم، وتحذيرهم لهم من اتباعهم للذاتهم، فلذلك يكرهون اجتماعهم معهم، ويسبونهم ويكرمون دائما من تابعهم إلى شهواتهم، وفضل عندهم لذاتهم واستعمل معهم الملق وأكثر التردد[3] إلى منازلهم، ومالأهم[4] بالخدمة لهم فيما يهوونه، والمحادثة بما يستحسنونه. ولما علم أهل الخداع والحيل من الأطباء بما ينفق على كل صنف من أهل اليسار والرئاسة من هذه الخدع يعملون لصيدهم بذلك المعنى فكانت هذه الحيلة لهم بمنزلة الشبكة للصياد[5].

71/أ (/) وإذا كان الأمر على ما ذكرنا، وامتحان ذلك سهل على من أراد تفقده، وتأمل ما قد نصب من الفخاخ والشباك وأنواع المصايد، أعني بذلك ما يتزيّا به أهل الحِيَل من الزي، وما يعظمون لنفوسهم من المجالس، ويتخذون من الآلات والأمتعة في الدكاكين التي قد كبروها وزخرفوها ـ فليس ينبغي للعاقل أن تغره أمثال هذه الحيل، بل ينبغي له أن يفتقد من الطبيب ما يحسنه وما منزلته من صناعة الطب، وينظر في ماذا أفنى عمره، وكيف سيرته.

وبالجملة يجب أن يتأمل سائر ما نذكره في الباب الذي نذكر فيه محنة الطبيب، فإذا رآه من أهل صناعة الطب بالحقيقة فليعتقد فيه أنه من أولياء

---

(1) لم ترد «ثم» في النص حيث وردت «وبالطبيب»، والله سبحانه لا شريك له في شيء.
(2) وردت «يسيء» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الكلام.
(3) وردت «الترداد».
(4) وردت في الأصل *«وما يلهم»*.
(5) يقول هبة الله بن يوسف «وطائفة تخدع ذوي اليسار منهم بلزوم أبوابهم ومداخلة حذاقهم وملاطفة جلسائهم وأصحابهم حتى إذا مكنوا من الدخول عليهم، وأنسوا بهم كان أول ما به موافقتهم على شهواتهم ومساعدتهم على أغراضهم وتفريط أقوالهم وأفعالهم توصلوا الى معرفة ما ينقاد اليه كل واحد منهم فيتصيدونه من ذلك الوجه...» المقالة الصلاحية الورقة ٢٢٤ ٢٢٥ أ، كما وانظر صاعد: التشويق الطبي، اللوحة ٢٨.

الله(1)، ومن المكرمين عنده، ولذلك وهب له هذه الصناعة، وخصه بفضيلة سياسة أبناءِ نوعه، وجعله مصلحا لنفوسهم، ومُقِّوماً لأخلاقهم، ومُعدِّلا لأبدانهم، وحافظا عليهم صحتهم. هذا إذا كان طبيبا بالحقيقة أعني فيلسوفاً(2)، وإذا اعتقد العاقل في الطبيب الفاضل أنه من خواص الباريء - تبارك وتعالى - فقد وجب عليه إكرامه في الظاهر، والمحبة في الباطن، وإشراكه في نعمه، والمسارعة لقضاء حوائجه، إذ كان بصلاح حالاته تصفو نفسه، وتصح له أفكاره، ويتوفر على درس علم الطب، ويواظب على خدمتك في صحتك ومرضك، ولأنك أيّها العاقل من الناس دائما تحتاج إلى حفظ صحتك، إذ كانت الأسباب المغيرة لها دائمة التأثير فيك، وأنت أيضا غير آمن من حدوث الأمراض بك، فأنت دائما تحتاج إلى من يعرفك كيف تحفظ صحتك، وبماذا تحفظها، وكيف تتدبر في مرضك، وبماذا تعالجه، فإذَن واجب ضرورة عليك أن تجعل أفضل أطباء بلدك لك، وإنك لتوجب على نفسك بذلك قبول أوامره، وصديقا لتلزم نفسك الحياء منه، والإنصاف له، ومعلما لتستفيد منه، وتحفظ عندئذ(3) صناعة (/) الطب، والنافع لك من علمها، ويوجب عليه لك حقا يخص التلميذ من معلمه، وصلته أعظم من

71/ب

(1) ليس كل من التزم بصناعة الطب بالحقيقة، والتزم بآداب الطب هو من أولياء الله ومن المكرمين عنده لأنه تعالى يقول ﴿إنْ أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ الأنفال آية (34).

(2) الفلسفة هي أم كافة العلوم، والقدماء بما فيهم علماء العرب كان يجب على أحدهم اذا أراد التضلع من علم من العلوم الصرفة أن يدرس الفلسفة ويتقنها، والطب هو أحد اجزاء تلك العلوم المرتبطة بالفلسفة، ولذلك فقد صنف جالينوس كتابا عنوانه «كتاب في أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفا» وبقي الطب والعلوم الأخرى مرتبطة بالفلسفة حتى فترة العصر الذهبي للدولة الإسلامية بالمشرق حين ظهر مجموعة من علماء الطب ينادون بجعله علما قائما بذاته، ومنفصلا عن الفلسفة وكان أشجع هؤلاء الأطباء، وأقدرهم على انتهاج هذا المنهج الجديد هو الشيخ الرئيس ابن سينا حين قال كلمته مصنفا كتابه الشهير «الحد في قانون الطب» والذي فضله من جاء بعده من علماء الطب على ما سبقه من مؤلفات القدماء الطبية لما وجدوا فيه من حسن التبويب، والدقة العلمية، وما تميز به، مع الإشارة إلى خبرة مؤلفه وتجاربه. تراث الانسانية ج 4 ص 258. ولمعلومات موسعة عن فضل ابن سينا وفلسفته في فصل العلوم عن الفلسفة ولا سيما الطب انظر البحث الرائع لمؤلفه محمد علي الحلواني: القانون في الطب لابن سينا «أو اكسيومية العلوم الطبية». المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات «بيت الحكمة» تونس 1986م. وكذلك انظر بروان: الطب العربي ص 63.

(3) وردت «عند اذا».

وُصْلَة النسب والصداقة، وهي وصلة العلم والأدب اللذين بهما يصير الإنسان بالحقيقة إنسانا.

واعلم أنه كما يجد الحسن التدبير بمنزله يُعدّ له القوت والكسوة، ويصلح المسكن له ولعائلته قبل موافاة الشتاء، فكذلك يرى أيضا ملاح السفينة[1] يعد مصالحها قبل موافاة الريح والشدة لتكون مصالحه وما به يرجو الخلاص من الشدة عتيدا عنده، فكذلك أعدّ لنفسك طبيبا موافقا، واحفظه على نفسك بحسن العشرة والسيرة والكرم، ليكون لك عدة لأوقات هي أصعب وأخطر من شدائد البحر والشتاء، وفيما ذكرناه كفاية لذوي الألباب.

(١) هذا التشبيه بين الطبيب وربان السفينة نجده في مقولة لجالينوس، نقله هبة الله بن يوسف، المقالة الصلاحية الورقة ٢٣٧ أ، ب.

الباب التاسع

في أن الصحيح والمريض يجب عليهما القبول من الطبيب

وأقول أيضا لمن قد اختبر طبيبه، وصح عنده فضله في صناعته، وثقته في أمانته، وإخلاصه الود والنصيحة لمن يريد تدبيره: إنه يجب أن يستسلم في يديه، ويثق بقوله وعمله، ويتجنب مخالفته، إذ كان قصوره عن فضله في صناعته دليلا على بعده عن الصواب، ومن عجز عن الصواب فيجب أن يلتمسه من القادر عليه، ولا يعدل عن ذلك.

وأيضا فإن الأمانة مع العلم يدفعان الهوى، ويهديان إلى الحق، فمن بان علمه، واتّضحت أمانته، فقد وجب أن يوجد الحق عنده، ووجب اتباع أمره ونهيه، واتخاذه إماماً إلى الحق والهدى والمصالح، ومن عدل عن أوامره ونواهيه فقد رغب في الباطل والمحال، وسريعا ما يقع في المضارّ والمكاره، ولأن الحق والصواب قد يدخل الآفة على طالبهما من وجهين:

أحدهما: من قلة خبرته بالصواب، وسوء تحصيله للحق، فلذلك ربما وجده يظن أنه لم يجده (/) بعد، وربما توهم أنه قد أدركه وهو بالحقيقة لم يجده. ٧٢/أ

والوجه الآخر: أن طالب الحق ربما طال عليه الطريق إلى الحق، واعتورته في طريقه شكوك وشُبَهَ فناله الضجر والملل، فلا يصبر حتى يستوفي سائر طريقه، لكنه يقطع على شبهة من الشبه أنها هي الحق، فيفوته بذلك درك الحق.

فإذا كان هذان الوجهان هما أمان على طالب الحق فيجب أن يحذرهما، إما بنفسه إن وثق باختياره، أو بغيره من أهل الخبرة.

وإذا كان ما ذكرناه متجهاً في كل قولٍ ومعنى يلتمس حقيقته، وكانت حقيقة صناعة الطب وصواب علمها وعملها مستصعبة جدا، بغير شك أنه سيحتاج المختبر لصدق الطبيب في أقاويله، ولصوابه في أعماله، إلى زمان طويل، ودربة قوية، وحدس دقيق.

وإذا كان ذلك ممتنعا على عامة الناس فإن من أحمد الأمر للعوام والمتوسطين اذ كانت حاجتهم الى الأطباء كحاجة الخواص اليهم، أن يسلكوا في اختيارهم هذا الطريق، وهو أن ينظروا إلى أفاضل زمانهم وأهل الثقة والعلم من أهل بلدهم، بمن يثقون؟ ولمن يمدحون؟ وعلى من يعتمدون؟ فيعتمدون هم أيضا عليهم، فيطيعونهم ولا يخالفونهم، ويتبع ذلك أيضا أمر هو أشهر وأبين لهم مما يختبرون به الأطباء، وذلك بأن يتفقدوا ما يحكيه الثقات عن ذلك الطبيب في كثرة من عوفي على يديه، وحسن الثناء عليه، فإن في ذلك ما دلّ على سعادته في نفسه، وبركته على المرضى، وعلمه بما يعمله[1]، وإذ بان ذلك بعد الزمان الطويل فقد وجب ألا يخالف ذلك الطبيب، ولأجل ما يقع من الأغاليط أو سوء الفهم والتحصيل من المرضى ومن يخدمهم فيهلك بذلك كل من المرضى، فلذلك يجب أن يحذر الكل من ذلك، أعني الطبيب[2] (/) والمشاور له. ولأن في ذكر ما شاهدناه من ذلك دلائل على صدق ما قلناه، وفيه أيضا تنبيه إلى الصواب، وتحذير من الخطأ، فلذلك أنا أذكر من ذلك عيونا. ٧٢/ب

فمن ذلك أنني شاهدتُ طبيبا بمدينة حَلَب، حاذقاً بالطب، وقد أشار

(١) يقول الشيرازي: «فاذا أردت أن تخبر طبيبا فاخبر أولا سيرته، وتأمل طريقته فإن وجدته فيها مرضيا فاتخذه وليا، وإن كان بخلاف ما تهواه فمل عنه إلى ما سواه... وينبغي أن تعتمد منهم على ممارس الأعلاء، وصاحب الاطباء في زمان حداثته وسن شبيبته إلى وقت شيخوخته...». «إذا وجدت من الأطباء من طالت حنكته، وكثرت تجربته، فقدمه على من كان دونه». «وإذا رأيت طبيبا أجمع أطباء العصر على تفضيله، واتفقوا على تعظيمه وتبجيله، فلا تتخير عليه...» ص ٨٠ - ٨٤.

(٢) وردت العبارة «أعني الطبيب» مكررة.

على مريض بكبده مرض، أن يأخذ دانق[1] راوند[2] مع ماء الرازيانج[3] الرطب وسكنجبين، فاشتبه على خادم المريض اسم الراوند، فظنه زراوند[4] فاشترى بدانق زراوند، وأعطاه للمريض كرها، فمات آخر النهار، لأنه كان مقدار ما سقاه كثيرا، (فلما يجب)[5] عن ذلك الغلط بريء منه الطبيب والرسول والصيدلاني، لأنه جرى بغير قصد، وهلك الرجل. وكذلك رأيت من غلط في الاسم بين أفيون وأفتيمون[6]. وأمثال ذلك كثير.

فلأجل ذلك ينبغي أن يكون الطبيب شديد التفقد لتحصيل المريض، أو من يخدمه، إذا كان يريد أن يلزمه القبول منه، وألا يخالفه ليصح الأمر ويخلص.

وكذلك أقول أيضا لمن يريد الطاعة للطبيب أنه يلزمه أن ينفقد تحصيل الطبيب، لأن الرغبة والرهبة قد تغيرانه، وأيضا: هل الطبيب آخذٌ نفسه بالقبول من أفاضل صناعته، وملتزِمٌ واجباته، ومنته عما ينهى عنه؟، فإن وجد كذلك فليطعه، ويسلم نفسه وجسمه في يديه، وإن وجده يأمر بما لا يفعله، فلست أشير عليه بالاستسلام إليه، ولا بالطاعة له، إذْ كَرِه طاعة الحق، وأطاع لذاتِه وهواه، فلذلك سقطت طاعته عنه.

ومن الوصايا التي ينبغي أن يتحفظها، ويعمل بها من وثق بطبيب، واعتمد على عمل لا يجوز في رأيه، وذلك بأن يشاور طبيبا غيره سرا منه، لأنه لا يخلو[7] الطبيبان من أن يكونا في صناعتيهما بمنزلة واحدة، أو أحدهما

---

(١) دانق: ويجمع على دوانق، وأصلها من الفارسية دانه، ومعناها حبة استعمله المسلمون بوزن مقداره عشر حبات من الشعير. الكرمني: النقود العربية، وعلم النميات ص ٢٠٥

(٢) الراوند أصل أسود قريب إلى الحمرة، لا رائحة له، رخو الى الخفة، ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ١٢٩، الغساني: المعتمد ص ١٨١.

(٣) رازيانج: دواء يسخن إسخانا قويا يشبه بزر الكرفس في الكثير من أفعاله. ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ١٣٤، الغساني: المعتمد ص ١٨٢.

(٤) زراوند: منه المدحرج، يقال له الأنثى، ومنه الطويل ويقال له الذكر. منتن الرائحة، ويعالج الكثير من الأمراض. ابن البيطار: الجامع ج ٢ ص ١٥٩، الغساني: المعتمد ص ١٩٩.

(٥) *لعل المعنى «فلما أجيب عن ذلك».*

(٦) أفتيمون: هو زهر الصنف من النبات الصلب الشبيه بالصعتر وله رؤوس دقاق خفاف لها أذناب شبيه بالشعر. ابن البيطار الجامع ج ١ ص ٤٠.

(٧) وردت «أن» بين كلمتي «يخلو» و «الطبيبان» فحذفت لإخلالها بسياق الجملة.

(/) أفضل من الآخر، فإن اعتمد على الأدون فقد أخطأ إذ ترك الاعتماد على الأفضل، وإن اعتمد عليه ثم أراد رأيا مع رأيه ممن هو دونه فذلك أشنع وأقبح، إذ جعل الناقص (عيارا للثمام)[1] ولست أمنع من مشاورة طبيبين، وثلاثة، وما فوق ذلك لمن أحب مشاورتهم، ولكن يفعل ذلك من حيث يجمع بينهم؛ ليبحثوا عن الحق بعضهم مع بعض، ويشيروا بما يرونه صوابا على اتفاق منهم، فبذلك يسهل درك الحق. ٧٣/أ

واعلم أن مما يؤمن معه الاشتباه والنسيان، وتكون العاقبة فيه محمودة، ليستشير الطب[2] والطبيب جميعا، وأن يكتب عن الطبيب ما يشير به من الدواء، ثم أوثق من ذلك أن ينظر إلى ما أشار به، ويعاينه. وأشد ثقة من الجميع أن يتولى هو إصلاح الدواء، أو يصلحه من يثق به بحضرته، وهو يُقَدِّر كميته، ويشاهد دَقَّه ونَخْلَه أو عَجْنَه، أو طَبْخَه، أو غير ذلك من الإصلاح، فلست أحصي كم ضرر دخل على الطبيب وعلى مرضاه ومن يدبِّرهم، من اتّكاله في إصلاح الأدوية على حرم في المنزل و خدمه، وذلك أن المريض يسوء حاله، والطبيب يسوء ذكره.

ولقد رأيت مرارا من فساد ماء الشعير في قشره وفي طبخه وفي تقدير مائه، وتارة أنواع من الفساد ـ ولا يمكنني إحصاؤها ـ جَرَتْ من خدم المريض والطبيب لا يعلم، فأضرت بالمريض، وأفسدت على الطبيب تدبيره، على أن ماء الشعير هو من الأشياء التي [3]قد ألف الناس إصلاحها في منازلهم، كأصناف الحبوب والمعاجين، وغير ذلك من التي لها شروط في صنعتها، كتحبيب بعض الحبوب صغارا وبعضها كبارا، وكذلك بعض الأدوية ناعمة وبعضها جريشة، فهي كبعض المطبوخات التي يقع بعض حوائجها في حال طبخها، وبعضها بعد طبخها (/) فإني لا أحصى كم رأيت من الخطأ الجاري فيها، فلذلك ليس ينبغي لأحد أن يثق على صنعتها بأحد ممن في ٧٣/ب

(١) هكذا وردت. والعيار: هي الموازنة والمساواة. ابن منظور: لسان العرب مادة «عار». والثمام: هو الصالح. ابن منظور لسان العرب (مادة ث م م).
(٢) وردت «الطبيب» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.
(٣) وردت «الذي».

منزله، ولا من يخدمه غير طبيبه، أو من يرتضيه الطبيب من تلاميذه، أو الصيادنة الموثوق بهم عنده.

وإذ قد ذكرت في هذا الباب جملا من الوصايا التي ينتفع بها الأصحاء والمرضى عند قبولهم من أطبائهم، فإني ألحق ذلك بوصية عظيمة كثيرة النفع، وكثيرا ما يتجاسر[1] عليها الناس، والخطأ الواقع من جهتها ليس بالصغير، وهي كِتْمان المَرْضىٰ وخدمهم عن الطبيب ما يحدث وما يقع من الخطأ، وفي كشف ذلك للطبيب فوائد ومنافع كثيرة، لأنه يسارع إلى تلافي ما وقع فيه التفريط، وإصلاح ما حدث من الفساد، فيجب على كل عاقل ألا يكتم طبيبه شيئا من الحوادث التي قد تحدث عن الطبع، ولا من فعل أتاه هو بقصد، واتفق عليه بعرض.

(١) يتجاسر: أي يقدم. ابن منظور: لسان العرب مادة «ج س ر».

الباب العاشر

فيما ينبغي للمريض أن يتقدم به إلى أهله وخدمه

ولما كان الصحيح من الناس يمكنه أن يتولى تدبير نفسه لحفظ صحته، ويشاهد أيضا ما يتولى تدبيره من ذلك أهله وخدمه، وكان المريض لا يمكنه ذلك حالَ مرضه، وجب لذلك على كل عاقل من الناس، إذا كان يعلم أن الأمراض قد تعرض للأصحاء، أن يتقدم في حال صحته بإعداد أنواع مصالحه لمرضه، كالذي يفعله حكماء الناس من إعدادهم مصالح شتائهم قبل وروده، وكالذي يفعله أيضا الحاذق بتدبير السفينة في حال سكون البحر، من إعداد جميع مصالحها قبل هيجان الريح، ليكون ذلك عتيدا لديه عند الحاجة إليه، ولأن أنواع (/) مصالح المريض كثيرة مختلفة، وتعديد أشخاصها ممتنع، فلذلك يجب أن يذكر منها: هل هي أنواع لتلك الأشخاص، ومن العلم بتلك الجمل يمكن المريض [أن][1] يدرك علم ما يحتاج إلى التقدم به، والوصية إلى أهله وخدمه في حال صحته لحال مرضه. ٧٤/أ

وأول هذه الوصايا هي تقدم الإنسان مع ابتداء مرضه إلى أهله وخدمه بقبوله من طبيبه ما يأمرهم به من سائر تدابير مرضه، ويحذرهم من مخالفته. وبغير شك أن القابل للأمر، والطائع للأمر، إنما يقبل ويطيع رهبةً أو رغبةً، أولهما جميعا، والطائع رهبة فقط قد تفسد طاعته سريعا، وذلك يكون (مع انعدام سبب الرهبة)[2]. ومثال ذلك أن يكون الخدم والأهل طائعين قابلين فزعا ورهبة، فإذا اتفق للآمر المطاع مرض يصرعه، أو تغير تمييزه، زالت

---

(١) لم ترد «أن» في الاصل وأثبتناها هنا ليستقيم سياق الجملة.

(٢) وردت هذه العبارة مرتبكة في الاصل حيث وردت «مع عدم عليه كانت الرهبة».

هيبته عن خدمه[3]، وفسدت طاعتهم له، وأمكنهم بذلك أن يصنعوا به ما يشاؤون. فأما الخدم والأهل الطائعون محبةً، فطاعتهم ثابته لا تتغير، فالثقة بهم دائمة لدوام المحبة منهم، وإن انضاف إلى المحبة هيبة أكدت دوامها، وأيدت قوتها، وإذا كان الأمر كذلك فيجب على كل عاقل أن يبدأ أولا في حال صحته بالإفضال والإحسان إلى أهله وخَدَمِه، لتصح له منهم المحبة والشفقة، وليثق منهم بالقبول منه، والطاعة له والنصيحة، وعند مرضٍ إن عرض له فغير تمييزه، وأزال هيبته عنهم، وبعد ذلك فليأمرهم بالقبول من طبيبه، وليثق منهم بالطاعة له، والشفقة عليه.

ومن فروع هذا الباب ـ المقدم ذكره ـ أن الإنسان إذا استعمل العدل مع أهله وخدمه، علّمهم استعمال العدل معه عند حاجته إليهم، وإذا أفضل عليهم، وأحسن إليهم، وظهر لهم منه المحبة والشفقة دعاهم ذلك (/) إلى الشفقة عليه والمحبة له، وتعلّموا من أفعاله بهم ما يعملونه معه. ٧٤/ب

ومثال ذلك من اعتل له خادم فدعا له بطبيب حاذق ليدبره، فلم يثق في إصلاح أدوية مريضه ذلك بأحد، من سائر أهله وخدمه، بل تولى تدبيره هو بيده أو من يثق به بحضرته، وأقبل على الاستفهام من الطبيب جميع ما يحتاج أن يفهم منه، من أمر الدواء والغذاء، وجعل يواظب على تعرف مصالح المريض، ويقوم بها أتم قيام، حتى يبرأ خادمه من مرضه، فليس يشك عاقل في أن فاعل ذلك مع خادمه مع ما قد أكد له من الحمد والثناء والشكر، فانه قد عَلّم خادمه كيف يخدم المرضى في أمراضهم، وأول من يحظى بذلك منه هو في نفسه إن مرض، أو من يعنيه أمره ممن في منزله، لأنه إن كان ذلك الخادم ذا نفس زكية، وطبع محمود، كانت منزلته فيما عومل به منزلة ما بذر في الأرض النقية الزكية التي لا يضيع فيها بذر، فهو لذلك يحفظ ما عُلِّمَه، ويتذكر ما عومل به، ليقابل الجميل بمثله، والمحبة بمثلها، بل بأكثر منها، ويستعمل من الخدمة ما يعلمه. فأما من رام[2] الكفاية، والقيام بالخدمة الموافقة التامة من أهله وخدمه من دون الكفاية لهم، والقيام

---

(١) وردت «خدمته».

(٢) رام: طلب. ابن منظور: لسان العرب «ر و م».

بمصالحهم الموافقة الكاملة، والتبصر لهم علما وعملاً، فقد رام المُحال، والتمس الممتنع وما مثاله إلاّ كمن رام الخط الجيد من قلم [لم][1] يقم بإصلاحه.

ولقد رأيت من الناس أناسا دخل عليهم أصناف من الضرر من خدمهم وأهلهم، بسبب جهلهم بما ذكرناه. فمن ذلك أني رأيت رجلاً كان به ذات الجنب، فصح مرضه، ونفث جميع ما كان في صدره، وزال حمله، واستقامت نفسه، فأمرته بصب الماء، ومنعته من بعض الأغذية، فلما رأيته من غد وجدته قد حُمَّ، وقد حدث (/) به أعراض رديئة أنكرتها، فلما بحثت عن سبب ذلك عرفني بعض من يهمه أمره أن أمَّ ولده أطعمته ما نهيتهُ عنه، فعند إنكاري ذلك قالت: كأنكم تريدون من هٰذا - وهو رجل شيخ - [أن][2] يعيش؟ هذا لا يبرأ، وبان من كلامها أنها تريد الراحة منه.

٧٥/أ

وأما قوم كان أهلهم وخدمهم يتمنون موتهم، ويسرون بأمراضهم، لما كانوا عليه من الشح و قبح المعاملة لهم، فلا أحصيهم كثرة، حتى إن بعض خدم هٰؤلاء وأهلهم كانوا يتعمدونهم بالمكاره، ولا يطيعون أطباءهم، بل يعملون بضدٍّ ما يقوله الطبيب ويشير به.

وإذا كان البلاء والفساد الداخل على هٰؤلاء المرضى هو من سوء عقولهم وتدابيرهم فما عسى للطبيب أن يعمله؟ وكيف يتم له برء العليل والعليل أحد أسباب البرء؟ وذلك أن أسباب البرء التي لا يتم أمره إلا بها ثلاثة - على ما حكاه حُنَين عن بقراط وجالينوس - وهي: الطبيب، والمرض، والمريض[3] - والطبيب والمرض ضِدّان، لأن الطبيب خادم للطبيعة، والمرض عَدُوّ للطبيعة.

وأما المريض: فهو لا محالة إمّا أن يوالي الطبيب فيعاونه على برئه؟ وإمّا أن يوالي المرض فيعينه على نفسه؟ فإن هو والى الطبيب فأطاعه في جميع ما يأمر به رجوت له العافية؛ لأنه يجتمع على محاربة واحد مُحاربان، وإن والى

---

(١) وردت في الأصل (من قلم يقدم).

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة ليستقيم السياق.

(٣) يقول بقراط لعليل: (أنا والعلة وأنت ثلاثة: فإن أعنتني عليها بالقبول مني لما تسمع صرنا اثنين، وانفردت العلة فقوينا عليها، والاثنان إذا اجتمعا على واحد غلباه). ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٥١.

المرض باتّباعه الشهوات التي يجلبها عليه مرضه جنى على الطبيب جنايتين، إحداهما أنه يتركه منفردا بالحرب وقد كانَ يجب أن يكون معه ثاني اثنين، والأخرى أن يصير مع مرضه ثاني اثنين، وقد كان يجب عليه أن يتركه مفردا.

وجميع ما قِيلَ في هذا القول مجمل في فصل أتى به بقراط في المقالة الأولى من ابيديميا وهذا قوله بلفظه، قال بقراط: «قوام الصناعة (/) بثلاثة أشياء: المرض، والمريض، والطبيب. والطبيب خادِم الطبيعة، وينبغي للمريض أن يقاوم المرض مع الطبيب»[1] وبغير شك أنه قد يخفى كثير من ذلك فيؤول الأمر إلى هلاك المريض، وسوء ذكر الطبيب، ولأجل ذلك ينبغي للطبيب ألا يفعل ذلك، بل يهتم بتفقده، وينبه عليه. وفيما ذكرناه في هذا الباب من ذلك كفاية لأهل الفطن. ٧٥/ب

(١) انظر هامش «١».
وقال الرازي في هذا المعنى: «إذا كان الطبيب عالما، والعليل مطيعا فما أقل لبث العِلّه» المرشد ص ١٢٢.

الباب الحادي عشر

فيما ينبغي أن يعمله المريض مع عُوّاده

أما ما ينبغي أن يعمله العُوّاد مع المريض فقد ذكرنا جُمَلَه فيما تقدم في الباب الذي أفردناه لذلك، فأما ما ينبغي للمريض أن يعمله، وعن أي المسائل يجب أن يجيب، وعن أيِّها لا يجيب، فنحن نذكر من جُمَل ذلك أصولا يستدل منها على فروعها، فنقول: إن العادات التي قد ألف الناس استعمالها منها محمودة مستحسنة، ومنها غير محمودة وان استحسنها مستعملها، وإنما يُفَرِّق بين هٰذين الصنفين من العادات أهل العلم والفضل.

فمن العادات المذمومة ما قد جرت عليه عادات كثير من الناس عند مساءلتهم للمرضى إذا عادُوهم[1] عن أحوالهم أن يتبعوا ذلك بالمساءلة عن أمراضهم، حتى إن من العُوّاد للمريض من يبحث ويستخبر عن علامات المرض وأسبابه، كأنه طبيب ذلك المريض، وليس ذلك لأنه طبيب، ولا لأنه يعلم من الطب شيئا، ولكن ليوهم من حضر أنه عالم لا يخفى عليه شيء، ولعمري إن من حضر من العقلاء بذلك يستدل على جهله، وسوء عقله، إذ يسأل عما لا يعنيه أمره، ويبحث عما لا يصل إليه بفكره.

وأقبح من هذه المساءلة للمريض، والبحث عن مرضه من عائده، ما رأيته من مسارعة كثير من العواد إلى وصف أدوية للمرضى[2] وأغذية، وأنواع من التدابير يرسمونها ويرتبونها (/) لهم، حتى لا يكون بينهم في ذلك وبين الطبيب في الظاهر فرق البتة، كالذي حكيته من خبر ذٰلك الشيخ العائد لبعض المرضى في الباب الخامس من آداب عواد المريض، وإنما ذكرت هذا

٧٦/أ

(١) وردت «عاودهم» خطأ.
(٢) في الأصل: *أدوية المرضى*.

الخبر من جملة أخبار مستطرفة كثيرة جرت للعُوّاد مع المرضى، لئلا أطيل بذكر أمثاله، وأنقطع بذلك عن غرضي، وأيضا فلعلمي بنفع المرضى عوادهم بذلك وجب أيضا احضاره.

فلنعد الآن إلى غرضنا فنقول: إن المريض إذا عادَه عائد فليس يجب أن يجيبه عن كل سؤال يسأله، كما لا يجب أن يجيب كل سائل عن كل سؤال، وذلك أن من سأل عن مسألة هي مُحال فانه لا جواب له غير إفساد السؤال. ومثال ذلك سائل سأل طبيبا: لم صارت حمى الغِبِّ الخالصة تحدث عن عفن البلغم؟ أو لم صارت الحمى النائبة في كل يوم[1] تحدث عن عفَن الصفراء؟ أو لم صارت حمى سونوخس[2] تحدث عن عفن السوداء؟ وأمثال هذه المسائل المحالات، فإن الطبيب إذا سمع هذه وأمثالها، وعلم أنها محالات لا تستحق أجوبة، فإنه على المكان يعلم السائل أنه قد سأل عما لا حقيقة له، وسقط جوابه.

وكذلك أيضا ما ورد من المسائل في غير موضعه، لم يلزم المسؤول الجواب عنه، ولأن مواضع المسائل تختلف بحسب اختلاف السائل والمسؤول في أغراضهما ومواضعهما من العلم، وبحسب المكان والزمان ومرتبة السؤال في جنسه ونوعه وشخصه، فلذلك يجب تفقد وضعها.

ولما كان التمثيل على جميع ذلك، وتقصي شرحه، وقد أتى عليه أهل الجَدَل، وقد ذكرت أصوله في المدخل الذي ألفته للمبتدئين بعلم الجَدَل، ولا يمكننا إحضار الأمثلة على صنفٍ صنفٍ منها، لئلا نبعد عن غرضنا وقصدنا، فلذلك نكتفي بما لَوّحنا به فقط، لكن ليكون ما قلنا هاهنا أوضح فنحن نمثل على ذلك بأمرٍ هو مشهور بين أهل الأدب، وهو أنَّ الملوكَ تستثقل من عامتها وحاشيتها مساءلتهم لهم (/) عن أحوالهم، وأثقل من ذلك ٧٦/ب

(١) الحمى النائبة في كل يوم هي المسماة «الورْد» وهي كائنة من عفونة البلغم. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٣٤. الرازي: الفصول ص ٨٨.

(٢) حمى سونوخس: وهي أحد أنواع الحميات الكائنة من العفنة وسببها سخونة الدم. الرازي: الفصول ص ٨٧.

على الملوك تكلفهم الجواب عن ذلك، وإنما صار ذلك ثقيلا على الملوك لعلمه بأن السؤال له في غير موضعه، إذ كان الملك يعلم أن السائل له عن حاله، وهو غير قادر على نفعه في حفظ حالاته المحمودة وإصلاح المذمومة، لا وجه لسؤاله، فلذلك وما أشبهه وجب ألا يجيب المريضُ عُوّادَه عن كل سؤال يسألونه عنه، ولا يشرح حال مرضه، ولا شيئاً من شكايته إلا لطبيبه، لأنه لا يرجو دفع ضرر، ولا اجتلاب نفعٍ الا من جهته، وكذلك يجب أن يفعل خدم المريض وأهله، ولذلك ينبغي للمريض إن أحس من نفسه باضطراب، وخشي سوء تميزه، أن يوصى خدمه بكتمان حالاته إلاّ عن طبيبه، لأن كشفها لمن لا يعلم حالات مرضه، ومع ما قدمت ذكره، من عادات العواد والعوام من الناس، التي قد جرت بغير احتشام، وهي مبادرة كل واحد منهم بوصف دواءٍ أو تدبير يفسد على الطبيب تدبيره، وكثيرا ما يضر بالمريض، وربما كان ذلك يسبب هلاكه.

وإذا كان الأمرُ على ما وصفنا فقد ينبغي للأصحاء أن يتيقظوا لما قلناه، ويكون منهم ببال، ويتقدموا به إلى أهلهم وخدمهم، لتكون الوصية بذلك عَتِيدة لديهم، ومعلومة عندهم لوقت المرض. ولأن من الأمراض أمراضاً لايصلح للمريض فيها استماع الكلام الكثير، كالصداع والشقيقة ونظائرهما من أمراض الدماغ، وكالإسهال وما ماثله، فلذلك ينبغي للمريض وأهله أن يفردوا الموضع لتدبيره، وأن لا يتشاغلوا عن تدبيره[1] بمخاطبة عُوّاده، إذ كانت أوقات عيادةِ العُوّاد هي بعينِها أوقات تدبير المريض، وخاصة في أدويته ومشروباته، ويجب ألا يكتموا الطبيب حادثة من الحوادث كبرت أم صغرت، حسنت أم قبحت، كما يجب ألا يكشفوا ذلك لغير طبيبه، فإن من المعلوم أن المرضى كثيرا ما تسوء أخلاقُهم، فيكثر ضَجَرُهم، ويسرع حَرَدُهم [2]، وخاصّة إذا طالت بهم أمراضُهم، فلذلك يلحق (/) خدمهم وأهلهم منهم الضجر، فيستثقلون خدمتهم، ويُقَصِّرون في تدابيرهم، فربما آل ذلك إلى

٧٧/أ

(١) وردت كلمة «بمخالطة» بين كلمتي «تدبيره» و «بمخاطبة».
(٢) الحرد: أي الغضب.

الفساد على الطبيب في علاجه، وإلى هلاك المريض جملة، فالدواء لهذه البلية، والخلاص منها هو أخذ الإنسان لنفسه في حال صحته بضبطه لنفسه من الحَرَد والغيظ، ليألف الاحتمال، ويقتني حسن الخلق فيجد ذلك على نفسه في وقت المرض سهلا، واحتماله قريبا.

وكذلك القولُ فيمن عود نفسه ألا يتبع لذاته، ولا يُؤاتي شهواته في حال صِحَّته، فإن احتماله لما ينهى عنه في حال مرضه من الأغذية والأشربة يكون أسهل عليه وأخف، فلنكتف بما ذكرناه من هذا الباب.

الباب الثاني عشر

في شرف صناعة الطب[1]

ولما كان ذكرنا لشرف صناعة الطِّبّ، وتقدمها في المرتبة على سائر الصنائع والمِهَن يبعث أهل العقول والآداب على اقتنائها، أو ما تهيأ منها، ويرغبهم في اتباع أوامرها والبعد عن نواهيها، ويبعثهم على تشريف أهلها، وجب لذلك أن أذكر وجوها من شرفها، وعيونا من فضائلها. فأقول: إن سائر المِهَن والصنائع لا يتم ذكرها، ولا توصل إلى غاياتها إلا بعد تصور النفس العلم بها، ولما كان العلم للنفس الناطقة، والعمل للبدن، وكانت النفس إنما يتم لها العلم بالبدن إذا كان صحيحا، والصحة إنما تحفظ وتدوم، أو تجلب وتقوم بصناعة الطب، وجب لذلك أن تكون صناعة الطب، هي أشرف الصنائع، والعلم بها هو أقدم العلوم، وأيضا: فإن الآلات التي بها

(١) يقول العالم الألماني «البرت ديترش» كانت للطب عند العرب مكانة لا تنازع، وللأطباء كرامة لا تمس «فمكانة الطب عند العرب والمسلمين كانت مرموقة إلى درجة كبيرة. وإذا نظرنا إلى أغلب المصنفات الطبية الإسلامية وجدناها بدئت بمقدمة في شرف الطب وأهميته مستشهدين على قولهم بالقرآن والأحاديث النبوية وأقوال الفلاسفة والحكماء والسابقين والميدان لا يسمح بالمزيد، فعلى سبيل المثال لا الحصر انظر: المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة الأولى الباب الثالث، الشيرازي: رسالة في بيان الحاجة إلى الطب الورقة ١ ب ـ ٣ أ ب ـ ٧ ب ٩ أ ـ ١٠ ب ـ ١١ أ ـ ٥٥ أ ب. ابن هبل: المختارات في الطب ج ١ ص ٣، ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ٥٤، داود الأنطاكي: التذكرة ج ١ ص ٥ ـ ٨، هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الطبية الورقة ٢٠٩ أ الى ٢١١ ب، الرازي: كتاب المرشد، أو «الفصول» ص ١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٠، صاعد: التشويق الطبي ٣ أ ب ـ ٤ أ ب، ٥ أ ب، ٦ أ، وانظر ايضا: موقف الدين الإسلامي من الطب في: ابن القيم: زاد المعاد ج ٤، عبداللطيف البغدادي: الطب من الكتاب والسنة.

يستخرج المهن والصنائع آلتان: إحداهما القياس[1]، والأخرى التجربة، وغير ممكن من كل واحدة منها ولا من اجتماعها أن يقدروا على استخراج أصول صناعة الطب، اذا كان الحس لا يصل الى ذلك، وذلك لما نذكره (/) وهو أن أول شخص من المخلوقين حين خلق محتاجا الى الغذاء، ولم يعرف الغذاء من الدواء، وكانا كلاهما من نوع النبات، فإنه إن تناول أحدهما على أنه غذاء فقد خاطر بنفسه، وغرر بخبرته، لأنه إن عمد إلى حشيشة السقمونيا ـ مثلا أو غيرها من الحشائش القاتلة فأكلها هلك، وإذا كان الحِسُّ لا يَفِي بعلم ذلك، والعقل لا سبيل له إلى علم الأمور المحسوسة، ولا إلى تمييزها إلا من جهة الحس، فغير ممكن إذن أن يعلم أصول صناعة الطب بطريق الاستدلال والقياس.

٧٧/ب

فأما فروع هذه الأصول فبغير شك أن استخراج ما استخرج منها هاتان

---

(١) القياس: وهو منهج للمعرفة منسوب لارسطاليس، ولقد انتقد المسلمون المنطق الأرسططاليسي هذا لقيامه على المنهج القياسي، هذا المنهج الذي هو روح الحضارة اليونانية القائمة على النظر الفلسفي والفكري، ولم تترك الحضارة اليونانية للتجربة مكانا في هذا المنهج، وهي إحدى ركائز الإسلام الكبرى، وهذا ما يفسر لنا حقيقة نجاح المسلمين في كافة العلوم إلا الفلسفة، لأن الطريق الذي سلكوه في تعاملهم مع العلوم هو المنهج التجريبي، ذلك المنهج الذي ينكر أشد الانكار المنهج البرهاني القياسي.

وعليه، فالتجربة إذن هي ابتكار إسلامي أصيل، وإليهم يرجع الفضل في وجود هذا المنهج الذي أصبح الركيزة الأساسية للتعامل مع كافة العلوم في العصر الحديث، خلافا لما ادّعاه الكثير من المستشرقين الذين نسبوا المنهج الاستقرائي التجريبي إلى روجر بيكون، على الرغم من ان بيكون الذي قام في القرن الثالث عشر الميلادي بشرح هذا المنهج ليس إلا واحدا من تلامذة المدرسة العربية الاسلامية حتى إنّ ما اتى به في شرحه لهذا المنهج لا يحيد قيد أنملة عما ذكره العلماء المسلمون عنه أمثال جابر بن حيان، والحسن بن الهيثم. يقول بريفولت: «إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس هو ما قدموه لنا من اكتشافهم لنظريات مبتكرة غير ساكنة. إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا. إنه يدين لها بوجوده. وقد كان العالم كما رأينا عالم ما قبل العلم ان علمَ النجوم ورياضيات اليونان كانت عناصر أجنبية لم تجد لها مكانا ملائما في الثقافة اليونانية قد أبدع اليونان المذاهب، عمموا الأحكام، ولكن طرق البحث وجمع المعرفة الوضعية وتركيزها، ومناهج العلم الدقيقة، والملاحظة المفصلة العميقة، والبحث التجريبي كانت كلها غريبة عن المزاج اليوناني...

إن ما ندعوه بالعلم ظهر في أوروبا كنتيجة لروح جديد في البحث ولطرق جديدة في الاستقصاء طريق التجربة والملاحظة والقياس، ولتطور الرياضيات في صورة لم يعرفها اليونان، وهذه الروح وتلك المناهج أدخلها العرب إلى العلم الأوربي» النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام ص ٣٥٧ نقلا عن:

Briffaulf: Making of Humainty P.292.

ولقد كانت التجربة موضع أخذ ورد عند علماء اليونان، ولا سيما الأطباء خلال مئات السنين، ولمعلومات أوسع في هذا انظر: المبشر بن فاتك: مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٤٥ ـ ٤٦.

الآليان[1] استخرجته، ولا يوجد طريق آخر لا ستخراجه، اللهم إلا أن يقول قائل: إن الحكم والتكهن قد عرفا أدوية الأمراض، وتدابير وعلاجات كان الشفاء من تلك الأمراض بها، وحفظت واتخذت أصولا، كالذي حكاه جالينوس أنه رأى في منامه قائلا يقول له: افصد العرق الذي في ظهر كفك بين السبابة والبنصر،[2]، فإنك تبرأ من المرض الذي تجده، وكان يجد مرضا قد أعياه علاجه، ففصد ذلك العرق وبرىء من مرضه ـ فإنا نقول لهذا القائل: إن ما ذكرته من أمر الأشياء التي علمت من جهة الحكمة والتكهن، لسنا ننكره، لكنا نقول: إنه من نوع ما به علمت أصول صناعة الطب الذي ذكره قصدنا، وهو أحد الأسباب لشرفها. وهذا النوع من التعليم الذي منه علمت أصول هذه الصناعة هو الذي ذكره جالينوس في تفسيره لكتاب عهود بقراط وأيْمانه[3]، فإنا نقول: إن صناعة الطب تعليم من الله وهبه تفضلا على نوع الإنسان، ولأنا قد ذكرنا بعض ما قاله في هذا المعنى في صدر كتابنا هذا، فلذلك نستغني بما قيل هناك عن إعادته ها هنا، وإذا كان الأمر على ما قلناه فقد وجب أن تسمى صناعة الطب إلٰهيّة، وأن يسمى من اقتناها بالحقيقة، وأخذ نفسه باقتنائها، وسلك طرقها[4] إلٰهي، وكيف لا يستحق (/) هذا الاسم الشريف وهو حريص مجتهد في التشبيه بأفعال الباريء جلّ وعَزّ، إذ الكافة تعلم أن الخالق تَقَدّست أسماؤه جواد كريم رؤوف رحيم، شاف معاف، واهب الصحة للأصحاء، وحافظها عليهم، وشافي المرضى من أمراضهم، وبلطفه يكفيهم، فهو بالحقيقة القادر القدرة التامة على حفظ صحة الأصحاء وعلى شفاء المرضى. والطبيب معلوم أيضا أن قصده التماس الصحة، وغايته إحرازها، ولا يقدر على ذلك إلا بصناعة الطب الذي هذا قصدها وغايتها، وهي موهوبة من الله تعالى، والطبيب

٧٨/أ

---

(١) *لعلها «الآلتان»*.

(٢) وهو العرق المسمى «بالأسيلم» والصحيح أنه بين الخنصر والبنصر، الخوارزمي: مفتاح العلوم ص١٢٧.

(٣) تفسير كتاب عهد بقراط: وهو مقالة واحدة، ترجمة حنين بن إسحاق إلى السريانية، وأضاف إليه شيئا من جهة، وترجمه حبيش وعيسى ابن يحيى إلى العربي. ابن النديم: الفهرست ص٤٠١، ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ص١٤٤.

(٤) وردت «طرقا».

معلوم أيضا أن قصده التماس الصحة لخواص من خلقه، بأفعاله يقتدرون، ومن حكمته يستمدون، فبذلك يجب على كل عاقل يعرف قدر نفسه، ويؤثر الصحة لجسمه، أن يشرف الصناعة الإلهية المُصْلِحة للبدن، المقوية لأخلاق النفس، إذ أخلاق النفْس تابعة لِمزاج البدن.

ومما يوضح شرفَ الصناعة الطبية أيضا ما تثمره للناس كافة من المنافع التي تؤديهم على مقادير أفعالها أفهامهم إليها، فأول نفع يصل إليه الفهم بها هو الإقرار بتوحيد الباريء، والمعرفة للطيف حكمته، وعلو قدرته، وحسن عنايته لسائر خلائقة، وذلك عند تأمله مزج الممتزجات، وتركيب المركبات، من سائر المحسوسات الجامدات على اختلاف أصنافها، والناميات على كثرة فنونها، والحيوانات مع تباين أنواعها، ثم ما يختص به كل نوع من ذلك، وخاصة نوع الإنسان، فإن من انصرف من الناس إلى معرفة ذاته، وتأمل مِزاجه، وما أعضاؤه عليه من أشكالها ومقاديرها ووضعها، واتصالها وانفصالها، وأفعالها ومنافعها وأشباه ذلك علم بالحقيقة من حكمة الخالق تبارك وتعالى، ما يوضّح له ويبرهن عنده على أن له خالقاً واحِداً قادرا حكيما، قصد بخلائقه الأحكم والأوثق، والأحسن والأصلح، وحسب العاقل لذاذةً، هذه الثمرة، ونفع هذه الفائدة، ولها نفع ثان، وهو أنها أعظم معين في القيام بالشرائع، لأنها إذا (/) صححت الأبدان أمكن الانسان اقتناء العلم، وقدرعلى العمل من صوم وصلاة وغير ذلك، والى هذا أشار القائل («ان العلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان»)(١) فلشرف الطب عنده قدمه، ولنفعه في علم الأديان بدأ به، وحسبك بصناعة هذه حالها شرفاً ونفعاً، ولها نفع ثالث، وهو أن من التمسها لذاتها ولنفع الناس بها ـ لا للتكسب ـ أكسبته اللذة الدائمة، والمال النافع، والذكر الجميل، والثواب الجزيل، فنالك شرف مما قرب إلى الله وأرضاه، وأوصل إلى دنياه ونعماه، أترى: من من العقلاء لا يقر بصناعة

٧٨/ب

(١) يقول عبداللطيف البغدادي «ويروي عن النبي (ﷺ) أنه قال: «العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان» ولم يصح عنه، بل هذا قول الشافعي، رواه محمد بن سهل الطوسي عن الربيع عنه أنه قال: «صنفان لا غنى للناس عنهما، العلماء لأديانهم، والأطباء لأبدانهم». الطب من الكتاب والسنة ص ١٧٩.

الطب وشرفها، وأهل المذاهب المختلفة مجمعون على صحتها، متفقون على نفعها، وأيضا فأهل اللغات المتباينة، وسكان البلدان المتباعدة، والملوك من هذه الطوائف والرؤساء، والعلماء فيهم مع سائر متوسطيهم وعامتهم مذعنون بالإقرار للحاجة إلى صناعة الطب، والاضطرار إليها وإلى أهلها، فهم لأجلها مُشَرَّفُون. وكيف لا يقر لها بالنفع والشرف من يرى الأفاضل من أهلها وهم متقدمون بالإنذار بما يكون، وخاصة في أيام البحارين من الأيام المنذرة بها، وبما يقضون به على المريض من طوله وقصره، وسلامته وخطره، وسكونه وحركته، وذلك بمعرفتهم بطبيعة المرض منذ أول حدوثه، فينذرون بما يحدث من حركات المرض في الأزواج والافراد، حالات النضج، والإخبار بسلامة من يسلم، وعطب من يعطب.

وكيف لا يزداد الناس بالطبيب الحاذق عجبا، ولصناعته تشريفا، إذا رأوه قد قضى فأصاب، وأنذر فكان، وأخبر بما كان، كالذي أخذ جالينوس به لغلوقن[١] الفيلسوف لما حدثت به حمى ربع[٢] فأعطاه أطباؤه دِرياقا قبل النضج أن حُمَّاهُ تتركب فتركبت فتعجبوا من حِكَمِه حتى قالوا: ليس هذا من صناعة (/) الطب، بل من جنس النبوة[٣].

٧٩/أ

وكذلك أيضا ما حكاه من قصة الجارية العاشقة التي أخذ بنبضها، فأخبر بحالها[٤]، فذلك وكثير من أمثاله قد حكاه جالينوس في مقالة له مفردة عنونها بنوادر تقدم المعرفة[٥]، يقدر من يقف عليه من أحب علم ذلك من تلك

---

(١) أغلوقن: معنى أغلوقن باليونانية الأزرق ـ والصحيح أن معنى هذه الكلمة أخضر ـ وأغلوقن هذا كان من فلاسفة اليونان، وكان معجبا بجالينوس وبتصانيفه، فصنف له جالينوس كتابه «كتاب الى أغلوقن في التأني لشفاء الأمراض. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٢) حمى ربع: وهي التي تنوب يوما ويومين، ثم تعود في الرابع، وهي سوداوية. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٣٤.

(٣) الحدس ونظرية النبوة من القضايا الفلسفية التي ناقشها عدد من حكماء اليونان وفلاسفتهم. لمعلومات أوسع انظر ابن سينا: الشفاء، الطبيعيات، النفس ص ١٧٢ ـ ١٨٦. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٤) نفس هذه القصة ذكرت مع شيء من الاختلاف لعدد من الأطباء اليونانيين والمسلمين.

(٥) كتاب نوادر تقدمة المعرفة: مقالة واحدة، بحث فيها على تقدمة المعرفة، ويعلم حيلا لطيفه تؤدي الى ذلك، نقله الى العربية عيسى بن يحيى. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٤. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٤٣.

المقالة جميعه وسائر ما جانسه، ولم يقدر عليه إلا من قوة هذه الصناعة، فبذلك وأمثاله استحقت الشرف والتقدم على غيرها من الصنائع، ألا ترى إلى طاعة أهل المملكة لملكها، وطاعة الملك لطبيبه، ما لا يطيع أبويه ولا أحداً من حشمه وأهله، ويكشف [من][1] سره إليه ما لا يكشفه إليهم، لما يرجو عنده من النفع والمصلحة.

ولقد حكى عن جبريل[2] - طبيب المأمون - أنه قال له يوما: يا أمير المؤمنين، أنا مصلح أدمغة الملوك والقضاة منذ خمسين سنة، فكيف أقاس بغيري؟ فاستحسن ذلك منه. وأيضا فإنك تخدم حرم الملوك وغيرهم يكشفن للطبيب من أسرارهن ما لا يستجزن كشفه لرجالهن، فبذلك وأشباهه وجب لصناعة الطب الشرف، ولأهلها التقدم على سائر أهل الصنائع والمهن، ولعل قائلا يقول: إن الفلسفة التي هي مقومة النفوس أشرف من صناعة الطب، فنقول له: إن الفلسفة لعمري شريفة لشرف موضوعها، غير أنك لا تقدر [أن][3] تخرجها عن أن تكون طبا للنفوس، فإذن كل فيلسوف طبيب، وكل طبيب فاضل فيلسوف، فالفيلسوف لا يقدر على إصلاح غير النفس، والطبيب الفاضل يقدر على إصلاح النفس والبدن جيمعا، فإذن الطبيب يستحق أن يقال فيه: إنه المتشبه بأفعال البارىء تعالى بحسب طاقته، وهذا هو بعض حدود الفلسفة، وفيما ذكرناه من هذا الباب كفاية.

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة ليستقيم السياق.

(٢) جبرائيل: بن بختيشوع بن جورجس، كان طبيبا حاذقا نبيلا له تآليف في الطب خدم الرشيد ومن بعده، وحل محل أبيه عند الخلفاء، ونشأ في دولتهم، وهو من أهل (جند يسابور) المشهورة بحذق الأطباء، وحصّل اموالا طائلة من الخلفاء والأمراء. توفي سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م. وأخباره كثيرة جدا في كتب التراجم. القفطي: أخبار العلماء ص٩٣، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص١٨٧.

(٣) لم ترد «أن» في الأصل وأثبتناها لاقتضاء السياق ذلك.

٧٩/ب

الباب الثالث عشر

في أن الطبيب يجب له التشريف بحسب مرتبته من صناعة الطب من الناس كافة، ولكن تشريفه من الملوك وأفاضل الناس ينبغي أن يكون أكثر(١)

ونقولُ: إن من ذَمّ الطبيب في نفسه فمن الفضل كشف جهله، لأنه من أدون طبقات الناس، والدليل على ذلك أنك لا تجده يستغيث إذا عرض له مرض بأهل ولا بإخوان لكن بالطبيب فقط، فعند ذلك يفتضح رأيه هذا، ويبين جهله.

وأيضاً: فقد تقدم لنا القول بأن الله تعالى هو الشافي للمرضى، الحافظ

(١) لقد كان للطب والأطباء في الدولة الإسلامية مكانة عالية، ومقام رفيع، ومصادر طبقات الأطباء وكتب الأدب تعطينا صورة واضحة للتقدير والإجلال الذي كان يحظى بها الأطباء ـ لا سيما الكبار منهم ـ من عامة الناس ووجهائهم في المجتمع الإسلامي، فالمتوكل العباسي قال في حق بختيشوع بن جبرائيل «إن محله منا محل أرواحنا منا» ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء: ص٢٠٧، هذا إضافة إلى أن الكثير من الأطباء في الدولة الإسلامية قد وصلوا إلى مراتب عليا في الحكومة كالوزارة والإمارة، والمجال لا يسمح بإعطاء الأمثلة على ذلك فهي كثيرة جدا.

على أن الأطباء أنفسهم أكدوا على ضرورة تقدير الأطباء بالحقيقة، وجعلهم في المركز الملائم لهم، وهذا ما حدث بالفعل وإن كان جميع الأطباء الكبار في الدولة الإسلامية قد وجدوا مضايقات مستمرة وحرباً متواصلة من جهلة الأطباء والصيادلة وقليلي الأمانة، والذين نجحوا في أعمالهم وتمويهاتهم لأسباب كثيرة ذكرها اولئك الأطباء الكبار أمثال الرازي، وابن سينا، والمجوسي، وعلي بن رضوان... الخ وعلى رأس تلك الأسباب جهل الناس بالطب ومعاناة تحصيله، وحبهم لدرك شهواتهم بما يتعاطونه من جهلة الأطباء من أدوية مقوية للباه... الخ إن كبار الأطباء في الدولة الإسلامية جعلوا الدولة وكبار المسؤولين هم الذين يجب أن يقع على عاتقهم تحمل مسؤولية الحفاظ على مهنة الطب والأطباء. انظر على سبيل المثال: الرازي: محنة الطبيب وتعنيته، أخلاق الطبيب ص١٢٧ ـ ١٣١ ـ ٤٥. هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية الورقة ٢٢٧ ب ـ ٢٣٢ ب وما بعدها. صاعد: التشويق الطبي، ابن رضوان: النافع في كيفية تعلم صناعة الطب.

لصحة الأصحاء، فهو الطبيب حقا، وهو تبارك علم الناس ما به يحفظون صحتهم، وما به يعالجون أمراضهم، فمن ذم صناعة الطب فقد ذم أفعال البارىء عز وجل.

وأما من ذم من أهل صناعة الطب القوم الذين قد رضوا منها بالاسم والتكسب فقط، فإني لا ألومه على ذمهم، لأنهم قد جعلوا برسمهم بها خِداعا ومخاريق، وشباكا ومصائد يُصطاد بها كثير من الناس، ويكتسب بذلك دراهم، ولعمري إنهم للذم والسب مستحقون، ما لم يجهدوا أنفسهم في إصابة حقيقة صناعتهم. ولما عدموا حقيقتها صاروا يدبرون المرضى بجهل، فهم على المَرْضى أشد من الأمراض بما يكسبونهم من الآفات والعطب.

ولذلك وجب على أهل العقول إكرام المتحققين بصناعة الطب وقاصدي حقيقتها، ومن المعلوم أن هؤلاء هم أصحاب عدل وعِفّة، وشجاعة ورأفة، وقناعة ونصفة، يؤثرون الصدق، ويأبون الكذب ويكرهون الآثام، ويبعدون من الحرام، فكل عادل عفيف منصف رؤوف ذي أخلاق فاضلة فهو يعرف بما فيه من الفضل صناعة الطب وأهلها (/) ولما كان الملوك والرؤساء، ٨٠/أ بما خصهم الله به من أنواع السعادات، يؤثرون السعادات، ويحبون الفضائلَ وأهل الفضل أكثر من غيرهم ممن دونهم، وجب لذلك أن تكون عنايتهم بتقويم هذه الصناعة أكثر من غيرهم، لتتضح حقيقتها، ويظهر نفعها للخاص والعام، فيبين شرفها، فيكون الملوك العانون بتقويمها، وبكشف حقيقة ما فيها، أعظم نفعا للناس منها، مشكورين محمودين من سائر الناس، وعند الله مقدمين، ومنه مثابين، هذا مع ما تخلص لهم من النفع لأجسامهم، والفضل لنفوسهم، وحسب من حصلت له هذه الفوائد شرفا بها ونفعا منها، وحسب الطبيب بذلك بهذا الشرف، وبهذه المنزلة الجليلة عند الله وعند أوليائه وسائر أبناء نوعه، التي لا يفي بها غلاء الجواهر، ولا كثير الأموال. فأما من لم يكتف بهذه المرتبة العالية من الأطباء، لكنه رغب في منافسة أهل الدنيا عليها، فطلب جمع الذهب والفضة، وتشاغل بجمعها عن اكتساب فضائل صناعته، والبحث عن دقيق معانيها، ولطيف أسرارها، فقد بان بذلك جهله بمنزلتها، لأنه باع النفيس بالخسيس، والشريف الباقي

الدائم بالحقير الزائل الداثر، وانكشف بذلك قلة معرفته بسير أفاضل الأطباء، وبما يؤول إليه حال من رغب في علم هذه الصناعة، وعمل بعلمها من الدنيا والآخرة. فأما الجهلة بسير أفاضل أهلها ومخالفته لآرائهم فيها فيتبين مما نذكره من سيرهم في هذا الباب الآن، وفيما يأتي بعد في الأبواب الآتية من سيرهم وأخبار ملوك اليونانيين وغيرهم، وإن كان ما نذكره قليلا من كثير، من ذلك ما حكاه جالينوس عن بقراط لما وجه بعض الملوك إليه بقناطير كثيرة من الذهب، وبذل له كرامات كثيرة ليصير إليه (/) ولم يكن ذلك صوابا عنده لضرب من السياسة، وكبرت نفسه عن ذلك، ولم يلتفت اليه [1]. ومن ذلك أيضا جالينوس لما سلك طريق صناعة الطب في علاجه برومية لأوذيموس[2] الفيلسوف ولابن حاريلميس[3] صاحب المراقد ولغيرهما، ممن شفاهم الله على يديه، وبان فضله، وعرف قدر منزلته من الصناعة، فحسده أطباء رومية[4]. وأخذوا في عناده، ولم ير مقاومتهم، ولا سلوك طرقهم، ولا التفت إلى مكاسبه ورياسته، بل رأى الانصراف إلى بلده ليستعمل هناك الواجب[5]، مع قناعته بأهل بلده الذين كانوا أفاضل علماء أخياراً، لأن العالم الفاضل يرى أن موته خير له من كونه بين جهال أشرار، وإن سعدوا بالجَدّ.

٨٠/ب

وقد حكى جالينوس عن قدماء اليونانيين أنهم كانوا يصورون التابعين لذاتهم وأهل الكسل، والتراخي ـ وهم المتكلون على جَدِّهم فقط ـ بصورة

---

(١) هذا الملك هو أردشير بهمن ملك الفرس وكان قد أرسل الى قيلاطس ملك قو جزيرة بقراط فطلب منه إنفاذ بقراط إليه، والحّ قيلاطس على أبقراط في الذهاب إلى ملك الفرس إلا أن بقراط رفض كما رفض أهل مدينته. لمعلومات موسعة: انظر الرازي: الحاوي ج ٢٣ ص٢٩٣ ـ ٢٩٤، المبشر بن فاتك: مختار الحكم ص٤٧ ـ ٤٨، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٤٧ ـ ٤٨.

(٢) وردت «لأولاد يمس» خطأ والصواب ما ذكرناه وأوذيموس هذا مشائي معاصر لجالينوس ومن مشاهير فلاسفة عصره، وقد عالجه جالينوس من مرض أعيا سائر الأطباء مما أعلن شهرة جالينوس، وقد كافأ جالينوس بأن قربه الى الامبراطور الحاكم في ذلك الوقت وهو مارقس اورليوس. المبشر بن فاتك: مختار الحكم ص٢٩١. القفطي: اخبار العلماء ص٤٤.

(٣) هكذا ورد اسمه ولم أستطع معرفته بعد البحث في المظان.

(٤) روميه: وهما روميتان إحداهما بالروم وهي مدينة رياسة الروم، وبها يسكن البابا الذي تطيعه الفرنجة. ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص١٠٠.

(٥) عن أخبار سفر جالينوس الى روميه في المرة الأولى والثانية، انظر: المبشر بن فاتك: مختار الحكم ص٢٩٠ ـ ٢٩١. ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء ص١١٣ ـ ١١٥.

تدل على العجز، وقلة الفهم، ورداءة الطبع، وكثرة الجهل والشر، وهي صورة امرأة عمياء قائمة على كرة بيدها سكان سفينة، تدبر أهل تلك السفينة عند شدة قد لحقتهم، فلسوء بختهم اتَّكَلُوا في تدبيرهم على عاجز شرير، فإنه عن قليل سيهلكون، ولا ينفعهم من اتكلوا على تدبيره شيئا، بل يهزأ بهم، ويضحك عليهم، وكذلك حال من اتَّكل على سعادة محبه من الأطباء وغيرهم، فإنه عند زوال سعادته يبقى صِفراً من الفضائل، وخاصة عند الشيخوخة.

ويصورون الحريص على اقتناء الفضائل والعلوم والصنائع الشريفة بصورة تدل على العِفّة والعدل والخير وحب الجميل، وهي صورة شاب جميل الصورة جمالا طبيعيا[1] لا اكتسابيا، حسن الهيئة، جالس على جسم ذي ست سطوح معتدلة متساوية، ووجهه طلق، وحوله تلاميذه وطالبو[2] العلم مطيعين له، لا خلاف بين بعضهم وبعض، ولا يحسد بعضهم بعضا على (/) الأمور 81/أ الخسيسة، كحسد أهل المراتب الدنيوية وذو[ي][3] اليَسار بعضهم بعضا. قال: («وذلك أن الله تبارك وتعالى ليس يختار الفضيلة في الغنى واليسار، لكي يؤثر ويقدم من حسنت سيرته، وكان في صناعته متقدما عاليا، وكان تابعا لوصايا الله تعالى، لازما لها، ويعالج صناعته على المذهب اللازم للسنة والشريعة، فذلك الذي يكرمه الله ويحبّه، ويؤثره ويقدمه في المرتبة على سائر من يقف بين يديه، ولا يزال حافظاً له دائما»). وقال: («وهذا الجمع إذا تفكرت فيه، وأخطرت ببالك كيف هو، دعتك نفسك مع ما يدعوك إليه من التقبيل له، والامتثال لآثاره، إلى أن تجد لهم فضلا عما سوى ذلك، نحو سقراطيس وأوميروس وأبقراط وأفلاطون، ومحبي هؤلاء وأصدقائهم، الذين يكرمهم كما يكرم المتألهين. وأما سائر من يتبع الله، ويلزم سبيله، فليس منهم أحد يَخْذُلُه اللّهُ، لأنه ليس عنايته بمن في المدن من الناس المقيمين فقط، لكنه يعنى بمن يسير أيضا في البحر»)[4].

---

(١) وردت «جمال طبيعي» وما أثبتناه هو الصحيح.

(٢) وردت «طالبي» وما أثبتناه هو الصحيح.

(٣) وردت «ذو» وما أثبتناه هو الصحيح.

(٤) هكذا وردت على ما يبدو فيها من الغموض واللبس، ويبدو أن سبب ذلك هو النساخ.

فهذا من كلام جالينوس وأمثاله، مما يدل على أن أهل هذه الصناعة ينبغي أن يكونوا في الغاية القصوى من هذه الأوصاف المحمودة، ولا يرغبون في الدنيا، ولا يَتّكلون على سعادة الجَد فقط، بل يأخذون نفوسهم باقتناء الفضائل علما وعملا، كسيرة قدمائهم، ليكونوا عند الملوك وسائر الناس بالصورة التي يستحقونها، الجليلة الرفيعة. وكيف لا تكون منزلتهم عندهم كذلك، وقد ملَّك المَلِكُ الطبيب نفسه وجسمه، واطمأن اليه في روحه ومهجته، ووثقه على حرمه وأولاده، ولا شيء أعز من ذلك عند الملك، ولذلك يجب على الملك ـ وعلى جميع من لاذَ بِهِ ـ أن يعرفوا حق الطبيب، وقدر صنعته، فيجُلُّوه ويكرموه (/) ويأنسوا[1] به، ولا يدخلوا على قلبه رعبا، ولا يستقبلوه بما لا يحب، ولا يقبلوا فيه قولَ واشٍ ولا حاسد، ولا يتهموه، بل يفعلون معه كما فعل الاسكندر لما وجهت إليه أمه تحذره من طبيبه؛ لئلا يسمه، فدعا بالطبيب عند ورود الكتاب عليه بذلك، فقال له: جِئني بشربة لأشربها، فلما أحضر له الطبيب الدواء تناول الاسكندر الشربة مَن طبيبه بيمينه، وناوله الكتاب بيساره، وقال له: هٰذه منزلتك عندي، وهٰذه ثقتي بك، فازداد ذلك الطبيب من صرف همته وشغله ليله ونهاره بما يصلح شأنه من حفظ صحته وعلاجه[2].

٨١/ب

وكذلك يجب على الطبيب أن تكون همته ليله ونهاره للدرس والاهتمام بعلم صناعته، ليوجد عنده ما يُفْزَعُ إليه فيه، وبذلك ينال الرتب عند الله وعند الملوك، حتى يشركهم في رتبهم وأموالهم، كما حكى جالينوس عن ماليقس[3] الطبيب أنه عالج بنات أفروطس[4] اللواتي وسوسن بشرب خربق، وبرز [حتى][5] انه صار ختنا للملك وشريكا في الملك. وكذلك نال قوراليس[6]

---

(١) وردت «ويونسوا» وما أثبتناه هو الصحيح.
(٢) انظر نفس الحكاية في هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية الورقة ٢١١ ب.
(٣) ماليقس: لم أجده بعد البحث في المظان.
(٤) فروطس: لم أجده بعد البحث.
(٥) لم ترد «حتى» في الاصل وأثبتناه ليستقيم المعنى.
(٦) قوراليس: لم أجده بعد البحث في المظان.

الطبيب لما حملت الريح السفينة في البحر وصار إلى بلد فاريقي[1]، وعالج ابنة الملك لذلك البلد، وزوجه الملك بابنته، وورّثه ملكه بعده.

وكذلك حكى عن ارسطراطس[2] حين دعاه بعض ملوك الروم لعلاج ابنه، ولم يكن له سواه، فنظر الفتى وجس عرقه، ورأى ترتيب مجسته ترتيبا مستويا بانقباض وانبساط فخمن أن ألمه في نفسه لا في بدنه، فأمر الطبيب بكراسي جلس الملك والفتى والطبيب عليها، وأمر بعرض كل غلام وجارية في الدار عليهم، ونبض الفتى في يد الطبيب، وهو لازم لترتيبه، إلى أن مرت بعض الجواري فتغيرت المجسة، واضطربت، وفسد الترتيب، وارتَعَدَ الفتى، وتغير لونه، فلما فطن الطبيب لذلك، وعلم أنه عاشق لها[3] أمسك حتى (/) انفض المجلس، وسأل الطبيب عن تلك الجارية، فأخبر بأنها حظية الملك التي لا يرى الدنيا إلاّ بها، فانصرف ووعد الملك بالعودة في غد، فلم يعد كراهة أن يلقى الملك بذلك، فأحضره الملك، وسأله عن تأخره وقال له: أنت تعلم شغل قلبي بابني، وهو وارث الملك بعدي، ومحله من نفسي. قال له الطبيب: تأخرت حتى وقفت على دائه، قال: وما هو؟ قال: عاشق لامـرأتي، فأطرق الملك ثم قال للطبيب: فماذا ترى؟ قال: الرأي للملك لا لي، قال: أرى لك أن تؤثرني بها، قال له: أيها الملك، وتستحسن هذا؟ فقال نعم، ان الملك يعوض مكانها، ويخلفها عليك، ويعطيك أملك، فقال: ان كان الملك يرى هذا ويستحسنه، فإن الفتى إنما هو عاشق جارية الملك، فأورد على الملك من ذلك أمراً عظيماً، فأطرق الملك مفكراً طويلاً. قال له الطبيب: أيّد الله الملك، إن من النساء عوضا، وهن موجودات في كل وقت، ووارث الملك ولدك النجيب العاقل اللبيب ليس في كل دهر يتهيأ

٨٢/أ

---

(١) فاريقي: هكذا وردت ولعله يقصد «افريقي».

(٢) أرسطراطس: ذكره ابن أبي أصيبعة في عدة مواضع في ترجمته لجالينوس وذكر ان جالينوس شرح بعض كتبه مثل «كتاب في آراء اراسطراطس بالتشريح «و» كتاب أفكار اراسطراطس في مداواة الأمراض «وكان اراسطراطس طبيباً من تلاميذ غورس، وكان من أهل التجربة في الدراسة الطبية، وله كتاب في نفث الدم. المبشر بن فاتك: محاسن الكلم ص٢٩٧، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٩ ـ ١٤٣.

(٣) ذكر نظامي عروضي ما يشبه هذه الرواية وهذه المعالجة للشيخ الرئيس ابن سينا. انظر: نظامي عروضي: جهار مقاله (اربع مقالات) ص١٩٣ ـ ١٩٧ تحقيق محمد بن تاوين.

ويوجد، وليس منه عوض، فركن الملك إلى قوله، وزوج الفتى جاريته فبرئ، فأمر الملك بحمل الطبيب على مركوب من مراكبه، وساق اليه عدة من دوابّه، ووصله بعشرة أرطال من الذهب، وخلع سنية.

وحكى عيسى بن ماسة[١] الطبيب أنه أخبره يوحنا بن ماسويه[٢] أن الرشيد[٣] ـ رحمه الله ـ قال لجبريل بن بختيشوع وهو حاج بمكة: ياجبريل، علمت مرتبتك عندي، قال: ياسيدي، وكيف لا أعلم؟! قال له: دعوت لك والله في الموقف دُعاء كبيرا، ثم التفت إلى بني هاشم[٤] فقال: عسى أنكرتم قولي له؟ فقالوا له: ياسيدنا ذِمِّيّ! فقال: نعم، ولكن صلاح بدني وقوامه به، وصلاح المسلمين بي، فصلاح المسلمين بصلاحه وبقائه، فقالُوا: صَدَقت ياأمير المؤمنين[٥].

قال: وأخبرني يوحنا بن ماسويه أنه اكتسب من صناعة الطب ألف ألف درهم (/) وعاش بعد قوله هذا ثلاث سنين أخر، وكان الواثق[٦] مشغوفا ضَنِينا به، فشرب يوما عنده، فسقاه الساقي شرابا غير صافٍ ولا لذيذ على ماجرت به العادة، وهذا من عادة السقاة إذا قُصِّرَ في برِّهم، فلما شرب القدح الأول قال: ياأمير المؤمنين، أما المَذاقات فقد عرفتها وأعددتها، ومذاقة هذا الشراب خارجة عن طبع المَذاقات كلها، فوجَدَ أمير المؤمنين على السقاة، وقال: تسقون أطبائي وفي مجلسي بمثل هذا الشراب، وأمر ليوحنا بهذا السبب وفي ذلك الوقت بمائة ألف درهم، ودعا بسمانه الخادم، فقال له: احمل إليه المال الساعة، فلما كان وقت العصر سأل سمانه: هل حمل مال

٨٢/ب

---

(١) عيسى بن ماسه: من الأطباء الفضلاء في وقته، وكان أحد المتميزين في هذه الصناعة، وله مجموعة من المصنفات الطبية، روى عنه الرهاوي كثيرا في كتابه هذا. القفطي: اخبار العلماء ص١٦٤، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٢٥٧.

(٢) يوحنا بن ماسويه: كان طبيبا ذكيا فاضلا خبيرا بصناعة الطب، وله تصانيف مشهورة، وكان مبجلا حظيا عند الخلفاء، أخباره كثيرة في كتب التراجم. القفطي: أخبار العلماء ص٢٤٨، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٢٤٦.

(٣) الرشيد: هارون أشهر خلفاء بني العباس تولى الخلافة سن ١٧٠هـ ٧٨٦م وتوفي سنة ١٩٣هـ ٨٠٨م.

(٤) يقصد بهم أهله وعشيرته من بني هاشم.

(٥) ذكر ابن أبي أصيبعة هذه الرواية نقلا عن «أدب الطبيب» للرهاوي. عيون الأنباء ص١٩١، ١٩٢.

(٦) الواثق: هارون بن أبي اسحاق تولى الخلافة سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١م وتوفي سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م.

الطبيب أم لا؟ فقال لا بعد، فقال: يحمل إليه مائتا ألف درهم الساعة، فلما صلّوا العشاء سأل عن حمل المال فقيل له: لم يحمل بعد، فدعا سمانه وقال له: احمل إليه ثلاثمائه ألف درهم، فقال سمانه لخازن بيت المال: احملوا مال يوحنا وإلا لم يبق في بيت المال شيء، فحمل إليه من ساعته[١].

قالَ: وأخبرني يوحنا أيضا عن المعتصم[٢] أنه قال: سلمويه[٣] طبيبي أكبر عندي من قاضِي القضاة، لأن هذا قاض وهو يحكم في مالي، والطبيب عندي يحكم في نفسي، ونفسي أشرف من مالي وملكي. ولما مرض سلمويه الطبيب أمرالمعتصم ولده أن يَعُودَه، فعاده ثم قال: أنا أعلم وأتيقن أن لا أعيش بعده، ولم يعش بعده تمام السنة[٤].

وحكى عن إسرائيل بن زكريا الطيفوري[٥] أنه وَجِدَ على أمير المؤمنين المتوكل[٦] لما احتجم بغير إذنه ولا عن أمره، فافتدى غضبه بثلاثة آلاف دينار، وضيعة تُغِلّ في السنة خمسين ألف درهم، وهبها له، وسَجّل له بها.

قالَ: ورأيت المتوكل وقد عاده يوما آخر وقد غُشِيَ عليه، فصير بيده تحت رأسه مخدة ديباجٍ، ثم قال للوزير: ياعبيدالله[٧] (/) هذه حياتي معلقة بحياته، إن عَدِمته لا أعيش، ثم اعتلّ فوجه اليه بسعيد بن صالح[٨]

٨٣/أ

---

(١) ذكرها ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٤٦. نقلا عن الرهاوي.

(٢) المعتصم: ابواسحاق محمد بن هارون. تولى الخلافة سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م وتوفي سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١

(٣) سلمويه: بن بنان كان طبيبا فاضلا في وقته خدم المعتصم قال إسحاق بن حنين عن أبيه: إن سلمويه كان أعلم أهل زمانه بصناعة الطب. انظر عنه القفطي: اخبار العلماء ص ١٤١، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٣٤.

(٤) ذكر الحكاية ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء ص ٢٣٤ نقلا عن الرهاوي.

(٥) اسرائيل بن زكريا الطيفوري: وهو طبيب الفتح بن خاقان، وكان مقدما في صناعة الطب، جليل القدر عند الخلفاء والملوك كثيري الاحترام له، وكان المتوكل على الله يعتمد عليه كثيرا وله عنده المنزلة الرفيعة. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٢٥.

(٦) المتوكل: جعفر استخلف سنة ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م وقتل سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م.

(٧) عبيد الله بن يحيى بن خاقان من المقدمين في العصر العباسي استوزره المتوكل (ت ٢٦٣ هـ/ ٨٧٦ م). الذهبي: دول الاسلام ج ١ ص ١٢٥، الطبري: تاريخ الامم والملوك ج ١١ ص ٢٤٦، ابن الجوزي: المنتظم ج ٥ ص ٤٥، ابن طباطبا: الفخري ص ٣٢٦.

(٨) لعله سعيد بن صالح أبو احمد الحاجب الذي حارب الزنج على ايام خلافة المعتمد العباسي: الطبري: تاريخ الامم والملوك ج ٩ ص ٤٧٦ ـ ٣/ ٨٨٤٢٢. مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق ج ٤ قسم ١ ص ٥٧ ـ ٦٠.

حاجبه، وموسى بن عبدالملك[1] كاتبه يعودانه[2].

قالَ: ورأيت بَخْتَيْشُوع بن جبريل وقد اعتل فأمر أمير المؤمنين المتوكل المعتز[3] أن يعودَه، وهو إذ ذاك ولي عهد، فعادَه ومعه محمد بن عبدالله بن طاهر[4]، ووصيف التركي[5].

قال: وأخبرني إبراهيم بن محمد ـ المعروف بابن المدبر ـ[6] أن المتوكل أمر الوزير وقال له شِفاهاً: اكتب في ضياع بختيشوع، فإنها ضياعي وملكي، فان محله منا محل أرواحنا من أبداننا. قال: ورأيت إبراهيم بن أيوب الأبرش[7] وقد عالج إسماعيل[8] ـ أخا المعتز ـ وبرىء، فكلمت أمه قبيحة[9] المتوكل أن يجيزه، فقال لها: لم لا تجيزينه؟. ليس عندك ما تعطينه حتى أعطيه أنا مثله، وإبراهيم واقف بين أيديهما، فأمرت قبيحة فأحضرت بدرة دراهم لإبراهيم، وأمر المتوكل بإحضار مثل ذلك، فأحضرت قبيحه بدرة أخرى، فأمر المتوكل باحضار مثلها، فلم يزالا يأمران بإحضار بدرة وبدرة حتى أحضر ست عشرة بدرة، فأومأت[10] قبيحة إلى جاريتها أن تمسك، فقال

---

(١) موسى بن عبدالملك بن هشام الاصبهاني، صاحب ديوان الخراج، كان من جلة الرؤساء وفضلاء الكتاب وأعيانهم، وكان إليه ديوان السواد وغيره في أيام المتوكل، وكان مترسلا شاعرا. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٣٧.

(٢) ذكرها ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء: ص ٢٢٥.

(٣) المعتز: أبوعبدالله الزبير بن المتوكل بويع بالخلافة سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م وتوفي ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م.

(٤) محمد بن عبدالله بن طاهر: تولى شرطة بغداد، ومات سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧ م الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ٩ ص ٣٧٦، ابن العمراني: الانباء في تاريخ الخلفاء ص ١٢٢. وذكر صاحب الفخري أنه كان أميرا على بغداد ص ٢٤٠. الخطيب: تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٢٨.

(٥) وصيف التركي: ولي الحجابة للمعتصم وسيطر مع بغا على كثير من أمور الدولة في عهد عدد من الخلفاء توفي سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧ م. الطبري: تاريخ الامم والملوك ج ٩ ص ٣٧٤. ابن العمراني: الانباء في تاريخ الخلفاء ص ١١٠.

(٦) ابراهيم بن محمد (ابن المدبر): الكاتب، كان كاتبا بليغا وشاعرا فاضلا مترسلا، خدم المتوكل مدة طويلة، وكان في رتبة الوزارة، وتوفي سنة ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م. الكتبي: فوات الوفيات ج ١ ص ٤٥.

(٧) ابراهيم بن أيوب الأبرش: كان طبيب الخليفة المعتز وكان له منه الصلات الدائمة توفي سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨ م. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٤١.

(٨) اسماعيل: بن جعفر بن محمد المتوكل وكان شقيقا للمعتز وأمهما قبيحة.

(٩) قبيحة: من ربات السياسة والدهاء والنفوذ السلطاني، رومية الأصل، سماها المتوكل قبيحَة لجمال صورتها، وقبيحة من أسماء الأضداد توفيت سنة ٢٦٤ هـ/ ٨٧٧ م.

(١٠) وردت «فاومت» والصحيح ما أثبتناه.

لها إبـراهيم سرا: لا تقطعي وأنا أرد عليك، فقالت له: أملأ الله عين الآخر، فقال لها المتوكل: والله لو أعطيته إلى الصباح لأعطيته مثل ذلك، فحملت البدر إلى منزل ابراهيم(١).

قال: وأخـبرني يوحنـا بن ماسـويه أن إسرائيل الكبـير ـ المعـروف بأبي قريش ـ(٢) كان صيدلانيا يجلس على باب قصر الخليفة، وكان دينا صالحا في نفسه، وأن الخيزران(٣) جارية المهدي(٤) وجهت بمائها مع جارية لها إلى طبيب، فخرجت الجارية من القصر فأرت اسرائيل الماء، فقال لها هذا ماءُ امرأةٍ حبلى بغلام، فرجعت جارية الخيزران بالبشارة فقالت لها: ارجعي إليه، واستقصي المسألة عليه، فرجعت فقال لها: ما قلت حق، ولكن لي عليك (/) البشرى، قالت: كم تريد من البشرى؟ فقال لها: جام فالوذج(٥)، وخِلْعَةٌ سنية(٦)، فقالت له: إن كان هذا حقا فقد سقت إلى نفسك خير الدنيا ونعيمها، وانصرفت فلما كان بعد أربعين يوما أحست الخيزُران بالحبل، فوجهت إليه ببـدرة دراهم، وكتمت الخبر عن المهدي، فلما مضت الأيام ولدت موسى(٧) أخا هارون الرشيد، فعند ذلك أعلمت المهدي وقالت له: إن طبيبا على البـاب أخبرني بهذا منذ تسعة أشهر، وبلغ الخبر جورجس بن جبرائيل(٨) فقـال: كذب ومخـرقة. فغضبت له الخيزران، وأمرت فاتخذ له بين

٨٣/ب

(١) انظر ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٤١.

(٢) اسرائيل الكبير (أبو قريش): واسمه عيسى وكان صيدلانيا يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة ويطبب نساء قصر الخليفة ومنهم الخيزران جارية المهدي وأم الرشيد. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء: ص ٢١٥. القفطي: اخبار العلماء ص ٢٨٠

(٣) الخيزران: بنت عطاء من ربات السياسة والنفوذ والسلطان وهي أم موسى الهادي والرشيد واخبارها متفرقة في كتب التراجم والأدب توفيت سنة ١٧٣هـ/ ٧٨٩ م.

(٤) المهـدي: محمـد بن عبـدالله الخليفـة العبـاسي الثـالث تولى الخـلافـة بعد والده المنصور وتوفى سنة ١٦٩ هـ/ ٧٩٥ م.

(٥) جام فالوذج: الجام أو الجامة وهو الوعاء والكلمة فارسية، والفالوذج: نوع من الحلوى يعمل من العسل ولب الحنطة الجواليقي: المعرب ص ٢٩٥.

(٦) وردت «سريه» خطأ.

(٧) موسى: ابن المهدي، وهو الهادي تولى الخلافة بعد والده سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥ م وتوفي سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م.

(٨) جورجس بن جبرائيل: كانت له خبرة بصناعة الطب، ومعرفة بالمداواة وأنواع العلاج، وخدم بصناعة الطب الخليفة المنصور العباسي، وكان حظيا عنده رفيع المنزلة وتوفي سنة ١٥٢ هـ/ ٧٦٩ م. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٨٣.

يديها، وهي قائمة مشدودة الوسط مائة خوان[1] فالوذج، ووجهت بذلك إليه مع مائة ثوب وفرس بسرجه ولجامه. وما مضى بعد ذلك قليل حتى حبلت بأخيه هارون الرشيد، فقال جورجس للمهدي: جرب أنت هذا الطبيب، فوجه اليه بالماء، فلما نظر إليه قال: هذا ماء ابنتي أم موسى وهي حبلى بغلام آخر، فرجعت الرسالة بذلك الى المهدي، وأثبت اليوم عنده فلما مضت الأيام ولدت هارون، فوجه المهدي إلى إسرائيل فأحضره وأقيم بين يديه، فلم يزل يطرح عليه الخلع وبدر الدنانير والدراهم حتى علت على رأسه، وصير هارون وموسى في حجره، وكناه أبا قريش، أي أبا العرب، فقال لجورجس: هذا شيء أنا بنفسي جربته، فصار أبوقريش نظير جرجس بن جبرائيل، بل أكثر منه، حتى تقدمه في المرتبة. و توفى المهدي واستخلف هارون الرشيد، وتوفى جورجس، وصار جبرائيل ابنه تبع أبي قريش في خدمة الرشيد [ومات أبوقريش][2] فخلف اثنين وعشرين ألف دينار مع نعمة سنية[3].

وقالوا: إن في ذلك الوقت ورد ماسويه[4] - أبو يوحنا - مدينة السلام[5]، وكان جبرائيل مع الرشيد، وكان تلميذاً في مارستان[6] جند يسابور[7] ثلاثين سنة، فلما ارتفع جبرائيل قال ماسويه يوما: من ذلك؟ هذا جبريل قد بلغ

(١) خوان: الخوان أعجمي معرب، وقد تكلمت العرب به قديما وهو معروف، وقيل عربي مأخوذ من تخونه، أي نقص حقه، لأنه يؤكل ما عليه فينقص. الجواليقي: المعرب ص١٧٧ - ١٧٨. وهو ما يوضع عليه الطعام ليؤكل، وأصل معناها الطعام أو الوليمة. آدي شير: معجم الألفاظ الفارسية والمعربة ص٥٨.

(٢) ما بين الحاصرتين أثبتناه من ابن أبي أصيبعة ليستقيم المعنى. عيون الانباء ص٢١٦.

(٣) انظر الحكاية في ابن أبي أصيبعة: ن م س ص٢١٥ - ٢١٦ مع شيء من الاختلاف.

(٤) ماسويه: أبويوحنا كان يعمل في دق الادوية في بيمارستان جنديسابور، حتى عرف الأمراض وعلاجها وصار بصيرا بانتقاد الأدوية وبالعلاج كثير التجارب وطبيباً لهارون الرشيد. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٢٤٢.

(٥) مدينة السلام: بغداد، انظر ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٤٥٦.

(٦) مارستان: دار المرضى تصحيف بيمارستان، وهو مركب من بيمار أي مريض ومن ستان أي محل المريض. آدي شير: معجم الالفاظ الفارسية المعربة ص١٤٥.

(٧) جند يسابور: بناها سابور بن أردشير، وأبدى عناية عظيمة بجمع كتب الفلسفة لليونانيين ونقلها الى اللغة الفارسية، وخزن تلك الكتب بها، وتبعه سابور الثاني الذي استقدم الأطباء والفلاسفة اليها، وكانت السريانية هي لغة الطب وعلوم الأوائل بمدرستها. ابن النديم: الفهرست ص٣٤٨، ابن خرداذبه: المسالك والممالك ص١٦٢. ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ١٧٠.

(السِّماك)[1] ونحن في البيمارستان (/) فبلغ ذلك جبرائيل، فتوجه وأخرجه من البيمارستان، فبقي منقطعا به، فصار إلى بغداد ليعتذر إلى جبرائيل ويخضع، فلم يزل على بابه دهرا طويلا فلم يأذن له، ويتراءى له اذا ركب فلم يكلمه، فلما ضاق به الأمر، ولم يبق معه نفقة صار إلى دار الروم[2] التي في الجانب الشرقي، فقال لقَسِّ البيعة:[3] اكرزلي لعله يقع لي شيء وأنصرف، فان أبا عيسى ليس يرضى عني ولا يكلمني، فقال له القَسّ: كنت في البيمارستان ثلاثين سنة، ولست تحسن شيئا من الطب! قال: بلى أنا كَحّال، وأعالج الجراحات، فاتخذ له صندوقا وأعطاه ليداوي[4]، وأجلسه على باب المحرم، على باب الفضل بن الربيع الوزير[5]، فلم يزل يكتسب الخمسة والعشرة الدراهم، والأقل والأكثر إلى أن حسنت حاله قليلا، فاشتكت عين خادم الفضل بن الربيع، وكان يعزه، فوجه إليه جبرائيل بالكَحّالين، فعالجوه بكل صنف من العلاج، فلم ينتفع به، واشتد وجعه حتى طار النوم من رأسه، وأصابه أرق شديد، فخرج من القصر هائماً على وجهه من الضجر، فرأى ماسويه، فقال له: ياشيخ، ماتصنع هاهنا؟ إن كنت تحسن شيئا من الكَحْل عالجني، وإلاّ فقم من هاهنا. فقال: ياسيدي أحسن وأجيد، فقال: داوني، فدخل إليه، وقلب جفنه، وكحله وسكب على رأسه، وسعطه[6]، فنام الخادم

٨٤/أ

---

(١) وردت «الصكاك»، وفي ابن أبي أصيبعة «السها» عيون الأنباء ص٢٤٢، وما أثبتناه هو الصحيح والسِّماك الرامح والأعزل: هما رجلا الأسد، والذي هو من منازل القمر الأعزل. ابن منظور: لسان العرب مادة «س م ك».

(٢) دار الروم: في الجانب الشرقي من بغداد بمحلة النصارى. ليسنر: خطط بغداد في العهود العباسية الأولى ص١٧٢.

(٣) البيعة: كنيسة النصارى. الجواليقي: المعرب ص١٢٩.

(٤) وردت «لبدا» خطأ وما أثبتناه من ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٢٤٢.

(٥) الفضل بن الربيع: أبو العباس بن يونس بن محمد بن أبي عبدالله وَزَرَ للرشيد بعد أن أوغر صدره على البرامكة، ثم من بعده لابنه الأمين توفي سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م. أخباره في الخطيب: تاريخ بغداد ج ١٢ ص٣٤٣، وفي مواضع متفرقة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري، وابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٤ ص٣٧.

(٦) سعطه: السعوط والنشوق في الأنف، اسعطه الدواء أدخله في أنفه. والسَّعوط: اسم الدواء يصب في الأنف، ابن منظور: لسان العرب مادة «س ع ط». عبداللطيف البغدادي: الطب من الكتاب والسنة ص١٩٩، الغساني: حديقة الأزهار ص٤١٨.

وهدأ، فلما أصبح وجه إلى ماسويه بستاف[1] خبز سميذ، وجام[2] حلوى، وجـدي ودجاجة، وديناران وعشرة دراهم، فقال: هذا لك في كل يوم، والديناران والدراهم في كل شهر. فبكى ماسويه فرحا، وتوهم الرسول أنه قد استقله فقال: لا تغتم فإنا نزيدك، فقال: ياسيدي، رضيت منك أن تذر عَلَيَّ هذا، ولا أريد منك الزيادة، فلما رجع الفضل أخبره خادمه بما كان فكان بين مصدق ومكذب، فلم تمض الأيام والليالي حتى اشتكت عين الفضل بن الربيع نفسه، فوجه اليه جبرائيل الكحالين، فلم يزالوا يعالجونه، فلم ينتفع بشيء من ذلك، فأدخل الخادم ماسويه إليه (/) ليلا، فلم يزل ٨٤/ب يكحله إلى ثلث الليل، ثم سقاه حب الأيارج فحركه خمسة مجالس، وأصبح وقد برئت عينه، فحضر جبرائيل، فقال الفضل: يا أبا عيسى، هاهنا رجل طبيب يقال له ماسويه، من أَفْرَهِ الناس بالكَحْل، فقال جبرائيل: ومن هذا؟ [لعله][3] الذي يجلس على الباب؟ قال: نعم، فقال: هذا كان اكّارا[4] لي، فلم يصلح للأُكْر[5] فطردته، وما عالج الطب قط، فإن شئت فأحضره وأنا حاضر، وتوهم جبرائيل حين يدخل يسجد ويقف بين يديه، فأمر فأحضر ماسويه، فدخل وسلم وجلس بحذائه، فقال له جبرائيل: ماسويه أصرت طبيبا؟ فقال له: ألم أزل طبيبا؟، أنا خادم في البيمارستان منذ أربعين سنة، تقول لي هذا القول؟ فانصرف جبرائيل وهو خَجِل، وأجرى الفضل على ماسويه ثلاثمائة درهم في كل شهر وعلوفة دابتين، ونُزُلَ خمس أنفس، ووجه فحمل عياله من جند يسابور ويوحنا معهم صبي حينئذ، فما مضت الأيام والليالي حتى اشتكت عين الرشيد، فقال له الفضل: ياأمير المؤمنين، طبيبي ماسويه ليس له نظير، وخبره بقصته في نفسه، وبقصة غلامه، فأمر الرشيد

---

(١) بستاف: وهي الجونة كما وردت في عيون الأنباء ص٢٤٣.

(٢) جام: هو الوعاء الكبير ويقال له جامه. الجواليقي: المعرب ص٩٥.

(٣) لم ترد «لعله» في الاصل وأثبتناها من عيون الأنباء ص٢٤٣.

(٤) الاكّار: هو الفلاح. ابن منظور: لسان العرب مادة «أ ك ر».

(٥) وردت «للأكارون» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة. ووردت نفس الكلمة في عيون الأنباء «للكروث» وفسرها المحقق بأنها الزراعة ص٢٤٣. والواقع ان الكلمة هي «للكروب»، ومعناها الفلاحة. ابن منظور: لسان العرب مادة «ك ر ب».

فأحضر ماسويه، فقال له: تحسن شيئا من الطب سوى الكَحْل؟ قال له: ياأمير المؤمنين، وكيف لا أحسن وأنا أخدم المرضى في المارستان منذ أربعين سنة؟ فقال: ادن مني، فدنا ونظر الى عينه فقال: الحجام ياأمير المؤمنين، فحَجَمه على ساقيه وكحله، وقطر في عينه فبرىء بعد يومين، فأجرى له ألفي درهم في كل شهر، وعلوفة ومنزلا، وألزمه الخدمة، وصار نظير جبرائيل في الدار، ويحضر بحضوره، ويصل حيث يصل، إلا أن أرزاق جبرائيل كانت في ذلك الوقت خمسة آلاف، ومعونة خمسين ألف درهم، وأنزاله ضعف ما أجرى لماسويه. واعتلت بانو[1] أخت الرشيد، فلم يزل جبرائيل يعالجها بأنواع العلاج فلم تنتفع به، فاغتم الرشيد بعلتها فقال ذات يوم: إن ماسويه الكحال قال لنا: انه خدم في البيمارستان (/) للمرضى أربعين سنة، فليدخل على عليلتنا، فلعل عنده في أمرها حيلة، فأحضر جبرائيل وماسويه، فقال ماسويه لجبرائيل: بماذا عالجتها منذ أول يوم اعتلت إلى هذا اليوم؟ فلم يزل جبرائيل يصف ما عالجها به، فقال ماسويه: أما العلاج فصالح والتدبير مستو، ولكني أحتاج [أن][2] أراها، فأدخل إليها فلما نظر إليها وتأملها، وجس عرقها قال لأمير المؤمنين: طول الله البقاء لك يا أمير المؤمنين، هذه تقضي بعد غد ما بين ثلاث ساعات إلى نصف الليل، فقال جبرائيل: لا بل تعيش وتبرأ، فأمر الرشيد أن يجلس ماسويه في بعض دوره في القصر، فقال: والله لأعرفن ذلك ولأسترنه، فوالله ما رأينا بعلم الشيخ بأسا، فلما حضر الوقت الذي حدده توفيت، فلم يكن للرشيد همة حين وقتها حتى جلس وأحضر ماسويه فساءله وأعجب به، وكان أعجمي اللسان، ولكن كثير التجارب، فصيره نظير جبرائيل بن بختيشوع في الرزق والمعونة والأنزال والمرتبة وغير ذلك، ثم اتخذ ماسويه علماء وحكماء يعلمون ابنه يوحنا، فخرج فاضلا

٨٥/أ

(١) بانو: لفظة فارسية معناها: السيدة المحترمة. عبدالنعيم حسنين: قاموس الفارسية ص ٩٤.

(٢) لم ترد «أن» في الأصل وأثبتناها ليستقيم سياق الجملة.

في أهل عصره في العلم، وكذلك جبرائيل أيضا علم بختيشوع[1] ابنه فخرج أديبا فاضل النفس، فلما توفي الرشيد، وتوفي ماسويه، وأفضت الخلافة إلى المأمون صار يوحنا طبيب المملكة، وأقر الناس أنه ما خدم ولد العباس قبله مثله[2].

فما ذكرته من هذه الأخبار في هذا الباب كفاية في الدلالة على منزلة الأطباء بحسب مراتبهم من صناعة الطب عند الملوك وأفاضل الناس.

---

(١) بختيشوع بن جبرائيل: بلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال، ما لم يبلغه أحد من سائر الأطباء الذين كانوا في عصره، ونقل حنين بن إسحاق له كتبا كثيرة من كتب جالينوس إلى اللغة السريانية والعربية توفي سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩. القفطي: أخبار العلماء ص ٧٢، ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء ص ٢٠١.

(٢) هذه الحكاية بكاملها أوردها ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ وإن كان هناك بعض الاختلاف.

الباب الرابع عشر

نوادر جرت لبعض الأطباء، بعضها من جنس تقدمة المعرفة وهي تحث الطبيب على تعرف طرق الإنذار، وبعضها مستظرفة تحث (/) الطبيب على اختبار تحصيل مستطبه لئلا ينسب الفساد الى الطبيب ٨٥/ب

إن من أعظم آفات الطبيب والمريض جميعا سوء تحصيل المريض ومن يخدمه، إذ كان من الناس من هم قليلو التحصيل في حال صحتهم، لايفهمون ما يخاطبون به، ولا يعون ما يشار به عليهم، فكيف في حال المرض.

فلذلك يجب على الطبيب قبل أن يشير على المريض بمشورة أن يختبر عقله وتحصيله، وعقل خادمه المتولي لخدمته، فإن وثق بجودتهما، أشار بما يراه من الأدوية والتدابير، وإن لم يثق بصحتهما أمسك؛ لئلا يقع التصحيف والاشتباه في أسماء الأدوية، وفي مقاديرها، و في إصلاحها، وفي أوقات استعمالها، فيهلك بذلك المريض، وينساق إلى الطبيب التهمة وسوء الذكر، مع ما يضيع من تعبه، كالذي يعرض لمن بذر بزرا جيّداً نقيا في أرض رديئة، فإن بذره يهلك وتعبه يضيع.

وما ذكرناه من هذا المعنى هو داخل في قول بقراط الذي أمر به الطبيب ألا يقتصر على أن يعمل ما ينبغي أن يعمله الطبيب، من المشورة بمايجب فقط على القوانين التي رسمها له أبقراط وغيره، ويهمل ما يحتاج إليه المريض من الأمور النافعة في علاجه، فإن ذلك غير كاف في علاج المريض، ولا

تصدق حينئذ القوانين، ولا تصح الأحكام إلا مع إحكام جميع تلك الأشياء التي أحدها ما ذكرناه، من تحصيل المريض وخدمه، مع ثقتهم على المريض، ومحبتهم لصلاح حاله.

وهذا قول بقراط بلفظه: قال بقراط «وقد ينبغي لك ألا تقتصر على تَوَخِّي فعل ما ينبغي دون أن يكونَ المريض ومن يحضره كذلك، والأشياء التي من خارج». ولا يشك من يفهم أن قوله: «المريض ومن يحضره» أنه إلى ما قلناه أشار، ولما كانت هذه المشورة التي أشار بها بقراط قد أهملها كثير من (/) المتوسمين بصناعة الطب، إما لجهل بها، أو لتغافل عنها ٨٦/أ بقصد، لتسوغ لهم الحيلة على التكسب، والانتفاع بالعامة، وساعدهم على ذلك تركهم وما يعلمونه من أنواع الخطأ المفسد لمحاسنها الملوك، ومن إليه النظر في مصالح الناس، فإنهم لما أهملوا النظر في هذه الصناعة الجليلة المُصْلِحةِ لنفوس الناس وأجسامهم، اتسعت الحيلة لأهل الشر بها، وقلّت المُبالاة بالفساد الداخل من جهة إفساد الداخلين فيها.

من ذلك ما نشاهده من مشورة الأطباء بغير توقف ولا بحث ولا قانون صناعي على كل من جاءهم من أي أصناف الناس كان، قد جرت عادات كثير من الناس أن يوجهوا بقارورة الماءِ إلى الطبيب مع أَدْوَنِ خدم المنزل، إما صبي أو عجوز أو مملوك أعجمي، وقصدهم بذلك أن يفهم عن الطبيب كل ما يحتاج إليه المريض، بغير شك أن الطبيب لا يمكنه أن يشير بشيء أو يفهم جميع حالات المريض، أفترى ليت شعري من يفهم ذلك: الصبي، أم العجوز، أم الأعجمي؟ فما يتمالك الطبيب أن ينظر إلى القارورة حتى قد بادر بالصفة، وأمر أيضا غلامه بدفعها الى الرسول إن كان ممن يرجى أخذ فضته. فأقسم بالله أن كثيرا من هؤلاء الأطباء لو سأله سائل: ما الذي علمته من العلامات من هذا الماء الذي رأيته؟، ولم وصفت ما وصفته؟ لما وجد عنده جوابا يقنع به السائل له، ولا فيهم أيضا من يتوقف إلى أن يجد من فيه تحصيل؛ لئلا تفوته الفضة، ولا من يخشى من عتب عاتب، ولا من يخاف من لوم لائم، ولذلك قد فشا فيهم الكسل، وسهل عليهم التواني فلا ناظر في علم، ولا قارئ لكتاب، ولا تجد منهم من يسأل

عن تعلم شيء من الصناعة، ولا من يذاكر صاحبه في مسألة، أو في أمر دواء أو غيره، لكنه متى يفرغ من كسب الدراهم يتشاغل بشرب الأقداح الكبار، واللعب بالشطرنج، وأشباه ذلك[1].

٨٦/ب وإذا كان الأمر على ما حكيناه فلذلك يكون الأطباء (/) مسرورين بقلة فهم من يشاورهم، فرحين بسوء تحصيلهم. فأما إن جاءهم أحد يستفهمهم أمر مرض من الأمراض، أو أمر سبب علامة، أو يناظرهم في دواء من الأدوية، أو بعض أجزاء الطب، هربوا من كلامه، واجتهدوا في أن لا يجتمعوا معه في موضع من المواضع، لئلا ينكشف بذلك جهلهم عند العامة، وتفتضح دهمستهم[2]. وكيف لا يهرب[3] هؤلاء الأطباء من الآحاد المناظرين لهم على صناعتهم، وهم يخدمون ألوفا من الناس لا يعرفون من خطئهم شيئا يتصورونه بصورة الصواب، ويعتقدون في أطبائهم أنهم حُذّاق، بسبب صناعة الطب. والسبب في ذلك منع جهلهم وقلة انتقادهم أنهم يجدونهم يتولون لهم، ويكثرون التراداد الى منازلهم، ويرخصون عليهم الأدوية، وكثير منها يأخذونها بغير ثمن، فهم لذلك أفاضل عندهم، ولا يفكرون في أن يهلكوا عند أمراضهم بتدبير هؤلاء الأطباء لهم. وكيف لا يكون بهذا الجهل وسوء العقل والبحث قوم لم يتأدبوا، ولا عرفوا من أمور الدنيا شيئا، إلا مباكرتهم إلى التكسب بالصنائع، وتشاغلهم نهارهم أجمع بالحيلة على جمع الدراهم، ثم إذا انصرفوا إلى منازلهم نعسوا وناموا، كذلك يجري أمرهم طول

(١) هذه شكوى كبار الأطباء في كل زمان، وقد ذكر الرازي ذلك في كتابه «المنصوري في الطب» في مخاريق المشاتين، وهم الأطباء المموهين فقال «إن مخاريق هؤلاء كثيرة يضيق عن ذكرها كتابنا هذا». محنة الطبيب ص٤٨٧، وكذلك هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية الباب الثاني «في الإشارة إلى أسباب دثور صناعة الطب ودرسها وانمحاء محاسنها وطموسها» الورقة ٢١٩ ب الى الورقة ٢٣١ ب. صاعد: التشويق الطبي. الرازي: أخلاق الطبيب ص١٤٢ ـ ١٤٦. ابن رضوان: النافع في كيفية تعلم صناعة الطب الورقة ٢٩ أ. مقالة في التطرق بالطب إلى السعادة. الشيرازي: رسالة في بيان الحاجة إلى الطب من ٥٥ ـ ٧٩ ـ ٨٠. ابن بطلان: رسالة دعوة الأطباء على مذهب كليلة ودمنة الورقة ٤ أ. والاستشهادات كثيرة جدا.

(٢) وردت «دهشمتهم» والصحيح ما أثبتناه. و الدهمسة هي: الستر والتغطية والمداهمة والغش انظر: ابن منظور: لسان العرب مادة «د هـ م س».

(٣) وردت «يهربوا»

زمانهم، أترى من أين يقتني[1] أمثال هؤلاء أدبا وعلما؟[2]، وهل منزلة هؤلاء ومن هم بصورتهم من الأطباء الا بصورة البهائم التي هي سائرة مع طبعها.

ولقد سألني شيخ من أبناء سبعين سنة وفوقها يوما وقد كنت أشرت عليه بأن يغذي مريضا كان له، كنت أعوده بمزورة[3] وهو واقف بين يدي قصاب قد ذبح شاة مسنه هرمة، فقال لي: هل آخذ من هذا اللحم؟ فقلت: ولم تسألني عن ذلك؟ فقال: أردت هل يصلح للمزورة التي أشرت بها، فنظرت إليه متعجبا منه، فقال لي: أراك تنظر إلي ولا تجيبني، قلت: نظري إليك تعجُّبٌ منك، وأنت شيخ لك (/) فوق السبعين سنة، ولا تعلم أن المزورة لا تكون بلحم، ولو صلح أن تكون بلحم هل كان يجوز أن يكون من هذا اللحم، ليس من العجب منك، العجب ممن يدبر مريضا لك، ولم أعد إلى مريضه، خوفا أن يجنى ماهو أعظم من هذا فينسب إليّ. ٨٧/أ

ومثل ذلك أيضا جرى لي مع آخر من السوقة بحلب، كان به إسهال، دفعت إليه سَفُوفا، وأشرت عليه أن يغتذي بمزورة نيرباج[4]، فلما جاءني من الغد[5] شكا وقوف حاله، فأمرته بمعاودة تدبيره بعينه، فأخذ يذم المزورة، ويحلف أنه لا عاودها، فقلت: ولأي سبب؟ فقال: لأنها لم تكن طيبة، فعلمت أنه لم يهتد إلى جودة عملها، لأنه لم يكن خبيرا بالطبيخ، وكان عازبا، فقلت: وما يضرك أن تعرض علي ما عملته؟ قال: دققت الزبيب والحب رمان[6] وعزلتهما، ثم وضعت الماء على النار، وثردت الخبز،

---

(١) وردت «يقنون».

(٢) يقول هبة الله بن يوسف في مجرى حديثه عن جهلة الأطباء «فطائفة تخدع العوام بالتعاظم والتطاول في الملبوس والمركوب والطيب... وطائفة بالتحبب اليهم والتقرب الى قلوبهم.. وطائفة تخدع ذوي اليسار منهم بلزوم أبوابهم ومداخلة حذاقهم وملاطفة جلسائهم وأصحابهم حتى اذا أمكنوا من الدخول عليهم وأنسوا بهم كان أول ما به موافقتهم على شهواتهم ومساعدتهم على أغراضهم..» المقالة الصلاحية الورقة ٢٢٤ ب.

(٣) مزورة: يقول طاش كبرى زاده «علم الأطعمة والمزورات: وهو علم باحث عن كيفية تركيب الأطعمة اللذيذة والنافعة بحسب الأمزجة المخالفة، وموضوعه، وغرضه، وفائدته لا تخفى على المتأمل. مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٢٤.

(٤) مزورة نير باج: لم أعرفها بعد البحث فيما توفر لديّ من مصادر.

(٥) وردت «كالغد».

(٦) حب رمان: معروف وهو شديد القبض والتجفيف. الغساني: المعتمد ص ١٨٨.

وقطعت البصلة وطرحتها مع قليل ملح، وذلك الزبيب والحب رمان على الخبز المثرود، وصببت عليه الماء الحار وغطيته قليلا وأكلته، فما كان طيبا، أحب ألا تصف لي شيئاً آخر مزورة، فاني ما أصبر على عملها.

ولقد حكى الثقات ـ من أفاضِلِ مَنْ بالرَّقّة ـ[1] عن طبيب كان بها يقال له موسى، أنه أمر يوما لعليل شكا إليه مرضا وجده، فأمره أن يحبس ماءه ويجيئه به باكرا، فلما كان في السحر إذا بصائح في باب دار يصيح: يا أباعمرو، أن الحقني! اللّهَ اللهَ فيّ، أغِثْنى، فقال لغلامه: بادر فإن بعض الأهل استقفى وخرج وتبع هو وغلامه، فاذا بذلك الانسان إحليله في يده وهو يصيح ويضج، فقال له موسى الطبيب: يا هذا الرجل ما شأنك؟ قال: قلت لي: احبس الماء ولي من الثلث الأخير حابسه (وها أنا ذا)[2] أموت، فقال له: بادر يا هذا، بل، فلما بال وفرج عنه واستراح (/) قال له: يا هذا، انما قلت تبول في إناه وتحبس ماءك فيه، ليس هكذا. فقال: ما علمت، أجيئك غدا به، فلما كان من الغد جاء بالماء في كوز من خزف. فمن هذه مقادير أفهامهم هل يجوز للطبيب أن يعول على تحصيلهم في أمور أدوية المرض وتدابيرهم؟

٨٧/ب

وأعجب مما ذكرته ما جرى ليهوذا ابن أبي الثايا[3] الطبيب مع امرأة جاءته بماء في قدح، فنظر إليه فأشار بما رأى في الوقت، فانحرفت المرأة الى ورائه قليلا، ثم أخرجت القدح ثانية، فأنكر أمرها ثم قال: أليس قد رأيت هذا وأشرت، فقالت: ليس هذا ذاك، فأشار بما رأى أيضا، ثم انتظرت قليلا وعاوته بالقدح فزاد إنكاره في الأمور، وأخذ في تقصي أمرها فقالت: يا سيدي لا تنكر أمري، فإن لي جماعة من جيراني أعِلاّء، فلما عَلِمُوا أني أريد أن أبكر إلى الطبيب حَمَّلُوني قواريرهم، فلم أطق حملها، فجمعتها كلها في هذه القنينة، [وها أنا][4] ذا أصب في القدح وأريك إيّاه، فلما سمع ذلك

(١) الرقه: مدينة مشهورة على الفرات، معدودة في بلاد الجزيرة. ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ٥٨.

(٢) وردت «وهوذا» وما أثبتناه هو الصحيح.

(٣) يهوذا: لم أجده بعد البحث في المظان.

(٤) وردت «ومنها هو» وما أثبتناه هو ما يستقيم به معنى الجملة.

قال لمن حضر عنده: يلومونني إذا امتنعت من الوصف لكل من جاءني، ولعله أن ينسب ذلك منى الى بخل وأسف، أيجوز للطبيب (مع هذا الذي)[1] يرون أن يصف لكل واحد.

وحكى في الوقت أنه امتحن فهم إنسان جاءه يتشكى في الوقت وجعا به، فأشار عليه بقرص يأخذ يومه ذلك نصفه، ولغده نصفه، وبعد غده نصفه، فسمع ذلك الإنسان قوله ولم ينكر منه شيئا، ومضى فقال: ياقوم كيف أشير على من لا يعلم أن القرص لا يجوز أن يكون له ثلاثة أنصاف.

ومن النوادر التي جرت لبعض الأطباء ببغداد مع بعض الناس أنه جاءَ ذلك الإنسان إلى الطبيب، فشكا إليه أنه يجد مغصاً، فسأله الطبيب أي شيء أكلت؟ فقال: فقال: أكلت خبزا محترقا، فأخرج الطبيب من داوردانه[2] مكحلة وميلا[3]، وتقدم ليكحله فقال له: ياهذا ما الذي ينفع الكحل للمغص، قال: قصدي [أن][4] أعالج عينك، قال: عيني صحيحة لا علة بها، قال له الطبيب: لو كان الأمر كما ذكرت لكنت حين (/) رأيت الخبز محترقا لم تأكله. ٨٨/أ

ومن طريف ما يجري على الأطباء من العامة الجُهّال ـ مع كثرتها وامتناع إحصائها ـ ما حكاه لي من أثق بقوله، أنه جرى بالموصل[5] لرجل من المياسير مع طبيب كان له مال أصلح له طبيبه شربة مطبوخة، ووجه بها إليه في قدح مسدودة، وتقدم إليه أن يشربها نصف الليل، ولا يتحرك بعد شربها، بل ينضجع على فراشه، فتقدم الى جاريته أن تضع القدح في كوة في البيت الذي هو نائم فيه، ليقوم نصف الليل ويشرب الدواء، فاتفق أنه قام وتشاغل ونسي أن يشربها، وعاد الى نومه وأصبح هو يظن أنه قد شربها،

(١) وردت « مع ما هو ذا» وما أثبتناه هو الصحيح.
(٢) هكذا وردت بحثت عنها في المعاجم المعربه ولم أجدها، ولكن يبدو من سياق الكلام أنها الحقيبة أو الصندوق التي يضع فيها الكحال أدواته المختلفة.
(٣) ميل: قول العامة الميل لما تكحل به العين، وهو خطأ، انما هو الملمول، وقال الجوهري ميل الكحل، وميل الجراحة، وميل الطريق. ابن منظور: لسان العرب مادة «مال».
(٤) لم ترد «أن» في الاصل وأثبتناه ليستقيم سياق الجملة.
(٥) الموصل: مدينة كبيرة مشهورة شمالّي العراق. ياقوت: معجم البلدان ج ٥ ص ٢٢٣.

النهار ولم يتم شيئا وجه إلى الطبيب أن الشربة له تعمل شيئا، فما الذي تراه؟ فأمره بالمشي والانتظار، فلما انتصف النهار جاءه الطبيب، فوجده عاتبا عليه، ويقول: إنك قد قصرت في إصلاح الشربة، فحلف له الطبيب أنه لم يقصر فيها، ولكن ادفعوا إليَّ الغلام بالقدح لأوجه فيه ما يحرك فعل الدواء، فلما طلبوا القدح وجدوه والشربة فيه بحالها، فقال: أنسيت شربها؟. فهذه الأشياء وأمثالها مما تدل على قلة التحصيل، وهي توجب على الطبيب التوقي والتحرز، ولذلك ذكرناها هاهنا، فيجب أن يتأدّب بها وبأمثالها عقلاء الأطباء، ولا يستهينوا بها.

الباب الخامس عشر

في أن صناعة الطب لا يصلح أن يُعَلَّمَها كل من التمسها لكن اللائقة بهم في خَلْقِهم وأخلاقهم[1]

وكما أن الخمرة الفائقة في الجودة ـ أيها الحبيب ـ لا يصلح أن تحفظ في أي إناء اتفق، لكن الحافظ (/) عليها لذيذ مذاقها، وصفاء لونها، وطيب رائحتها، وبالجملة سائر حالاتها المحمودة إنما هو إناء موافق محمود، وكذلك الحال في سائر العلوم وأصناف الحكمة، فإنه ليس يصلح أن يودَع في سائر النفوس، لكن في النفوس الموافقة لها، ولأن النفوس في قُواها وأفعالها تتبع أمزجة أبدانها، فلذلك ينبغي للمعلم أن يختبر من المتعلم حالات نفسه قبل أن يعلمه، فإن وجدها موافقه للتعليم أخذ في تعليمه، وإن وجدها غير موافقة رام إصلاحَها، فإن تهيأ صلاحها وإلاّ هان العلم، كالذي يعمله الزارع الحاذق المشفق على الحَبّ، فإنه متى لم يجد الأرض نقية، ولم يطمع في تنقيتها حفظ حَبّه ولم يضيعه. ٨٨/ب

ولأن الأسباب التي تعوق المعلم عن التعليم ـ خاصة لصناعة الطب ـ هي عدة أسباب، والعلم بها ضروري، فلذلك ينبغي أن تضم إلى الأصول التي هي ضامة لها لكي تسهل معرفتها، وهذه الأصول هي ثلاثة: أحدها: خروج مِزاج البدن عن الاعتدال، وأعني بخروج المِزاج عن الاعتدال إلى الخروج

(١) هناك صفات يجب أن يتصف بها من أراد تعلم مهنة الطب، وهي ذاتها نفس الصفات التي يجب أن يتصف بها الطبيب الناجح، وسبق أن أشرنا إليها في مواضع عدة، ولعل أشهر تلك المصادر التي ناقشت شروط طالب الطب وصلاحه هي. ابن رضوان: النافع في كيفية تعلم صناعة الطب. الشيرازي: رسالة في بيان الحاجة إلى الطب. المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ١ المقالة الأولى.

الذي معه تتغير أفعال النفس وأخلاقها. والثاني: إلْفُ العادات المذمومة في مصاحبة الأشرار، ومُؤانسة الجهال، واتّباع أفعالهم، واستحسان أخلاقهم. والثالث: هو اجتماع الأمرين جميعا، وذلك هو أعظم فسادا، وأعسر إصلاحا، وأن يضاف إلى ذلك أن يكون تعلم صناعة الطب خاصة ليس قصده تعلمها لشرفها في نفسها، ولا لحلاوة منافعها لذاته ولجسمه، ولأجسام أبناء نوعه، ولكن قصده بتعلمها[1] إنّما هو لأسباب دنيوية[2] من مال وسلطان أو غير ذلك، فإنه من الأحرى ألّا ينالَ منها كثير مال، ولا يحظى بها رجاه (/) بل لا يؤمن عليه ضِدّ ذلك مما أمل، لأنه دائما يخجل بين العلماء، ويفتضح في أعماله عند الأدباء والرؤساء، وإذا علم منه أنه معرض لما لا يقوم به تيقن علمه كان تحت أخطار تقوده إلى الهلاك، ومن المشهور أن اليسير من علم صناعة الطب تضر ولا تنفع، وذلك لأن أصغر فروعها متشبث بأعظم أصولها، بل مشتبك بجملة أصولها، وليست كسائر الصنائع التي من تَعَلّق منها بأصل أو فروع لم يتعلق ذلك بغيره، فهو لذلك ينتفع وينفع الناس بما يعلمه، ولا يلحقهم مما جهله ضَرَر. ومثال ذلك: صائغ علم من الصياغة عمل خاتم، فهو دائما يعمل خواتيم، ولا يَضُرُّه ولا [يضر][3] غيره جهله بعمل الإسورة والحانات[4] مثلا، فلذلك قال بقراط: (« الصناعة طويلة»). ولذلك يجب أن يكون ملتمس[5] هذه الصناعة من أولاد أهلها، قد عنى أبواه بتقويم مزاجه، وأخذاه بالعادات المحمودة في تدابيره وإصلاح أخلاقه، وبتلقينه وتبصره، ليكون بذلك معدًّا للتعليم بأيسر سعي. فأما ملتمس هذه الصناعة من أبناء أهل الصنائع الأخرى فيكد وما ينجح في تعلمها، لأن النجار والحداد والدباغ والحائك مثلا كل واحد منهم منصرف إلى صناعته، لا خبرة له بصناعة الطب، فيلقن ولده من أصولها ما يُلَقِّنُه

٨٩/أ

(١) وردت «ليعلمها» خطأ.
(٢) وردت «دنيائبة».
(٣) لم ترد «يضر» في الاصل وأثبتناها ليستقيم المعنى.
(٤) هكذا وردت، وليس لها هنا معنى. والخان كلمة فارسية معناها الدكان، أو الحانوت، أو البيت أو الماخور. ولعله يقصد الجامات مفردها جام وهي الكأس، أو الزجاج.
(٥) وردت كلمة «على» بين كلمتي «ملتمس» و «هذه» ولا معنى لوجودها.

الطبيب لولده ليله ونهاره، فإذن المُقَوَّمون الذين قد راضهم آباؤهم من أهل صناعة الطب هم الذين يصلحون لتعلمها، لا كل من التمس تعلمها، كما قال جالينوس، فإنه قال: («كما لا يصلح اتخاذ التمثال من كل حجر، ولا ينتفع بكل كلب في محاربة السباع، كذلك أيضا لا تجد كلَّ إنسان يصلح لقبول صناعة الطب، لكنه ينبغي أن يكون البدن والنفس ملائمين لقبولها»).

(/) وأيضا فقد بين أبقراط كيف ينبغي أن يكون البدن، من ذلك قوله في شكل الأصابع قال: ٨٩/ب

(«شكل الأصابع ممن يُعنَى بصناعة الطب يجب أن يكون الذي فيما بينهما واسعا، وأن يكون الإبهام مقابل السبابة»)[1]. وأما النفس التي لا تليق بقبول الطب فإنه جعل المحنة لها بما أمر به من الأَيْمان فمتى وجد الانسان يمكنه حفظ ما أمر به في كتاب الأَيْمان علم أنه ملائم لقبول الصناعة، ومتى كان ممن لا يمكنه حفظ ما في ذلك الكتاب لم يدن إلى تعلمها، قال جالينوس: («إن أحد الأسباب إلى وضع أبقراط كتاب الأَيْمان هو ما ذكرناه من امتحان الإنسان المريد تعلم صناعة الطب في جسمه ونفسه»)، ولأنا قد قدمنا في الباب الأول من كتابنا هذا أوصاف الجسم المحمود، والنفس الفاضلة، فلذلك نستغنى عن إعادته هاهنا.

وأما السبب الثاني: فهو أن كثيرا من الصناعات لا يكون فيها أشياء كثيرة يمكن أن تضر من يستعملها، وأما صناعة الطب فممكن فيها تلك الأشياء بأعيانها التي ينتفع بها أن تضر أيضا، وإلى الطبيب في أكثر الأمراض التي تخلص المرضى إن شاء أو تقتلهم. ولئلا يدني الطبيب في وقت من الأوقات بسبب منفعة من المنافع ينالها على غير الواجب مكان الأشياء التي ينتفع بها أشياء تضر، تقدم بقراط فعقد في عنقه هذه الأَيْمان، فأحلفه أن يكون دخولهم إلى المرضى طلبا لمنفعتهم لا الإضرار بهم، من ذلك أنه قال بهذا السبب في ذلك الكتاب هذا القول، قال بقراط: («وجميع المنازل التي أدخلها لمنفعة المرضى وأنا بحال خارجة عن كل جور وفساد»). ثم ذكر جالينوس

---

(١) هذه الصفات وأمثالها كثير مما اشترطه القدماء في الطبيب الناجح غير منطقية، وهو ما قاله جالينوس ومن سار على نهجه من الأطباء المسلمين.

٩٠/أ سببا ثالثا لوضع بقراط لكتاب (/) «العهود والأيمان» وهو هذا القول، قال جالينوس: ((«إن الذي قد كان فيها تقدم من معلمي الطب آل اسقلبيوس عهود وأيمان تمنعهم من تعليم صناعة الطب [الا][1] لأحد أجلاء أولادهم، وكانت المواضع التي يتعلم فيها الطب ثلاثة: أحدها في مدينة رودس[2]، والآخر بمدينة «قو»[3]، والثالث بمدينة «قنيدس»[4]، إلاّ أن التعليم الذي كان بمدينة «رودس» وبمدينة قنيدس بادَ بسرعة، لأنه لم يكن لأبنائهم نظر، وذلك لأن الوارثين له كانوا نفرا يسيرا، وأما الذي بمدينة «قو» فثبت منه بقايا يسيرة لثبات الوارثين له، فلما نظر بقراط إلى [أن][5] صناعة الطب قد قربت من التلف بسبب هذه الأجناس الثلاثة ونقصانهم. أحب أن يذيعها في جميع الناس، كيلا تبيد، ولئلا يظن أنه قد أخطأ فيها بينه وبين ربه جعل المتعلمين للطب أبناء له بما عقد في رقابهم من الأيمان»)[6]، وبيان ذلك في قوله في «كتاب الأيمان» هذا القول، قال بقراط ((وأرى أن المعلم لي هذه الصنـاعـة بمنزلة آبائي والجنس المتناسل منه مساو لإخوتي)). قال جالينوس: ((فبعد أن جعل المتعلمين للصناعة أبناء عَلّمَهم إياها من غير أن يكون في ذلك على ذم وخطأ فيها بينه وبين الله تعالى)).

وإذ قد اتضح بما حكيناه عن القدماء كيف كان شرف صناعة الطب في الدهور السالفة، فلنقل بعد ذلك: ما الأسباب التي قد أوجبت في هذا الزمان سقوطها؟

---

(١) لم ترد «الا» في الأصل وأثبتناها لتصحيح النص.

(٢) رودس: جزيرة في البحر من الثغور الشامية افتتحها جنادة بن أبي أمية في خلافة معاوية. البكري: معجم ما استعجم ج ٢ ص ٦٨٥.

(٣) قو: COS جزيرة صغيرة تقع في الجنوب الغربي من الأناضول وكان أشهر رجالها على مدى التاريخ ابقراط الطبيب. Encyclopedia Britannica Vol.6, P.4628.

(٤) قنيدس: CNIDUS مدينة قديمه تقع في منطقة يقال لها Caria تقع في الجنوب الغربي من الأناضول. Op. Cit, vol.5, P 866.

(٥) لم ترد «أن» في الاصل واثبتناها ليستقيم سياق الجملة.

(٦) انظر ما ذكره في هذا الشأن ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٤٣ ـ ٤٤. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٠ ترجمة بقراط، المبشر بن فاتك: محاسن الكلم صص ٤٤ ـ ٤٩.

فنقول: إن لذلك أسبابا نذكر جملتها[1]، أحدها: هو ما قد تداخل الداخل فيها من الطمع والثقة بأنه لا يفتقد عليهم منها علم ولا عمل، فسهلوا على نفوسهم، فتركوا النظر والقراءة والخدمة، ومالوا إلى المَلَق والمَخْرَقة والتغلغل في أنواع الحيل، فضاعت الحقائق (وأقدر)[2] الناس على علاج ذلك الملوك، ومن لهم القدرة على افتقاد ذلك وصلاحه.

٩٠/ب والسبب الثاني (/): استهانة الناس بحقوق الأطباء في ضروب الإكرام والمكافأة، فاحتاج الأطباء أن يحتالوا لهم مع الطب معاشا آخر، من تجارة ودكان وحيلة، فعرض من ذلك استهانة بالصنائع لما حسب ثمرتها، ولما فعلوا ذلك خسوا وأسقطوا الصناعة، فكانا الأمر في ذلك سببه بالشيء الدائر على ذاته بالعكس، أعني أنهم كلما هربوا هانوا، وكلما هانوا هربوا.

والسبب الثالث: دخول من لا يليق بها ـ وليس من أهلها ـ فيها، فلقلة معرفتهم بأصولها وبقدرها وبحقوقها أفسدوا محاسنها، فخَسَّت بهم، ولطمع أهل الشره في صنعتهم[3] انصرفوا إليهم رغبة في استخدامهم مجانا، وأخذ حوائجهم بأيسر ثمن، ولما علم أولئك الأطباء المحتالون أن ذلك يجر إليهم من غير أولئك نفعا، ويوقع في شباكهم المرأة والضعيف والغريب سمحوا لهم ليتخذوهم باب الحيلة وفخا[4] للصيد، فكان ذلك سببا لهلاك الضعفاء، وسقوط أهل هذا الشأن، وتركهم الاهتمام بقراءة أو تعليم، وأيضا فلإِلْفِ أكثر الناس لهذا الطمع صار من خرج عن هذه الطبقة المحتالة، وقصد لتوفية الصناعة حقها، مذموما مسبوبا، إذ لم يؤات الجهال إلى ما يريدونه، والسبب الأعظم الذي قد سهل في هذا الوقت على كل أحد الدخول في صناعة

---

(١) هذه شكاية الأطباء بالحقيقة في كل زمان من تدهور صناعة الطب بسبب من دخل فيها من الممخرقين والجهلاء وجعلها وسيلة لكسب الرزق، وزادت المشكلة بسبب إيمان الناس بهم، واقتناعهم بالقدرة على المعالجة بمخادعتهم وحيلهم انظر الرازي: في مخاريق المشاتين. نص مقتطف من كتابه «المنصوري في الطب» حققه البير زكي اسكندر ضن الرازي ومحنة الطبيب مجلة المشرق ٥٤ سنة ١٩٦٠ م ص ٤٨٧. هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية الباب الثاني «في الإشارة إلى أسباب دثور صناعة الطب الورقة ٢١٩ ب. صاعد: التشويق الطبي. والاستشهادات والكتب كثيرة في ذلك لا مجال لحصرها الآن.

(٢) وردت «واقتف» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

(٣) وردت «ما» بين كلمتي «صنعتهم» و «انصرفوا» وحذفت لاخلالها بالمعنى.

(٤) وردت «وفخو» خطأ.

الـطب، والجَسـارة عليها هو الرأي الذائع المشهور، أن كل ما يفعله الإنسان من الأفعـال المحمـودة والمـذمـومـة فذلك الفعل عن الله تبارك، لا عن الإنسان، فلما سمع الأشرار وأصحاب الحيل أن من سرق أو قتل أو زنى، أو فعل أي فعل كان ذلك منسوبا الى الله تعالى، إذ هو فاعل لذلك[1]، وثق الداخلون في صناعة الطب بذلك، واطمأنوا، فجسر كل أحد على الدخول فيها، والتعرض لسقي الأدوية والفصد[2] والبَزْل[3] وغيرذلك بغير معرفة، لعلمهم بأن الناس عند هلاك من يهلك على أيدي الأطباء (/) ٩١/أ يعذرونهم ويردون ذلك إلى قضاء البارئ.

ولو كان الأمر جارياً على القوانين المتقدمة من قديم في زمان اليونانيين، بأن لا يطلق لأحد الدخول في صناعة الطب الا على ما قدمنا ذكره، إذا دخل فيها داخل لم يؤذن له في التصرف بها إلا بعد محنته بطرق المَحْنِ التي نذكر جُمَلَها في الباب الذي يلي هذا الباب ـ وهو الذي نصف فيه محنة الأطباء ـ لما جَسَرَ على الدخول فيها من لا يصلح لها، وبعد ـ أيضـا ـ محنة الطبيب، ومعرفة ما قرأه، ومقدار خدمته[4] فقد كان يوضع له قانون يعمله مع المرضى، يبين منه صوابه من خطئه، عظيم قدره ونفعه، أنت تعلمه من الباب الذي بعد هذا البـاب، فتـدبـره واكتف في هذا الباب بما قد أثبتناه ففيه كفاية لمن تدبـره.

---

(١) هذا الموضوع يدخل في باب القضاء والقدر، وهو يقصد نسبة أفعال العباد الى الله تعالى، وليس هذا ما نحن بصدده. والله سبحانه يقول: ﴿وهَدَيْناه النَّجْدَيْن﴾ البلد آية (١٠)، وقال تعالى: ﴿إنّا هَدَيناه السَّبيلَ إما شاكِراً وإمَّا كفورا﴾ الإنسان آية (٣).

(٢) الفصد: هو استفراغ كلي يستفرغ الكثرة، والكثرة هي تزايد الأخلاط على تساويها في العروق. ابن سينا: القانون ج ١ ص ٢٠٤. ابن القف: العمدة في الجراحة ج ١، ص ١٦٧.

(٣) البزل عند الأطباء: هو الشق على الاستقساء الزقي، والطبلي كذلك، وذلك بأن ينقر الصفاق تحت السرة بقدر ثلاث أصابع وينقر تحت المراق بيسير ويخرج الماء الأصفر منها بأنبوبته. ابن سينا: القانون ج ٢ ص ٣٩٤، ابن القف: العمدة في الجراحة ج ٢ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٤) يبدو من هذا النص المهم جدا أن الرهاوي قد توفي قبل عام ٣١٩ هـ/ ٩٣١م وهي السنة التي أصدر فيها الخليفة العباسي المقتدر أمره بعدم السماح لأي طبيب بممارسة مهنة الطب إلا بعد امتحانه. يقول القفطي: «وفي سنة تسع عشرة وثلثمائة اتصل بالمقتدر أن رجلا من الأطباء غلط على رجل فمات فأمر بابطيحه محتسبه بمنع جميع الأطباء إلاّ من امتحنه سنان، وكتب له رقعة بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة، وأمر سنانا بامتحانهم، وأن يطلق لكلٍ واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه من الصناعة، وبلغ عددهم في الجانبين من بغداد ثمانمائة ونيِّفاً وستين رجلا، سوى من استغني عن امتحانه باشتهاره بالتقدم في الصناعة..» القفطي: أخبار العلماء ص ١٣٠، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٣٠٢.

الباب السادس عشر

في امتحان الأطباء[1]

وأما بعد ما قدمته من الأقاويل النافعة للأطباء ولسائر الناس، فإني قائل في محنة الطبيب قولاً ليس بدون نفع الأقاويل المتقدمة، وذلك أن محنة الطبيب واجبة لأسباب، أقدَمُها شرف الموضوع لصناعة الطب.

والموضوع هو الإنسان المحتاج إلى استعمال الطب، فإن الغلط من الطبيب

(١) ان امتحان الأطباء لتأهلهم لممارسة مهنة الطب رسم سار عليه الأطباء اليونانيون قديما، فالرهاوي يقول: «ولو كان الأمر جارياً على القوانين المتقدمة من قديم زمان اليونانيين، بأن لا يطلق لأحد الدخول في صناعة الطب إلاّ على ما قدمنا ذكره، إذا دخل فيها داخل لم يؤذن له في التصرف بها إلا بعد محنته». الورقة ٩١ أ. ولذلك فقد صنف جالينوس كتابه الموسوم بـ«كتاب في محنة أفضل الأطباء».

ولقد سبق أن عرفنا القرار الذي أصدره الخليفة العباسي المقتدر سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م بعدم السماح لأي طبيب بممارسة مهنة الطب إلا بعد امتحانه. القفطي: أخبار العلماء ص ١٣٠، وقبل ذلك كان الخليفة المأمون العباسي قد قام بتصفية مجموعة من الصيادلة وباعة الأدوية ببغداد، بسبب تلاعبهم وغشهم في بَيْع الأدوية، القفطي: اخبار العلماء ص ١٢٩.

كما سبق وأن عرفنا أن الأطباء الدجالين والمحتالين قد انتشروا في الدولة الإسلامية في كل زمان وعاني منهم كبار الأطباء ورجال الحسبة وعامة الناس، مما حدا بهؤلاء الأطباء بالحقيقة إلى تصنيف كتب في أدب الطب، وامتحان الأطباء وألقوا المسؤولية في هذه المسألة على عاتق من بيده الأمر في الحكومة الإسلامية لا سيما الخلفاء والملوك ومن تحت أيديهم من محتسبين وشرطة وقضاة. هذه الكتب التي أولت هذه القضية أهمية كبرى منها ما هو مصنف في الطب العام، أو الطب المتخصص بأحد فروع الطب، ومن هذه الكتب ما خصص لهذه القضية بالذات وهي قضية امتحان الأطباء عامة بما فيهم الجرائحيون، والفصادون، والحجامون، والصيادلة، والكحالون وأمثالهم. ومن هذه الكتب ما يأتي:

حنين بن إسحاق: كتاب في امتحان الأطباء. الرازي: أخلاق الطبيب، محنة الطبيب، المنصوري حيث ذكر فيه فصلاً عن المشاتين والمحتالين من الأطباء. ابن رضوان: النافع في كيفية تعلم صناعة الطب. ابن بطلان: رسالة دعوة الأطباء على مذهب صاحب كليلة ودمنة. هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الطبية. صاعد: التشويق الطبي. يوحنا بن ماسويه: كتاب محنة الطبيب. الشيرازي: رسالة في بيان الحاجة الى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم. ابن هبل: كتاب المختارات في الطب ج ١. وحتى ايضا كتب الحسبة أكدت غالبيتها على أهمية امتحان الصيادلة، والأطباء، والفصادين، والجراحين، والمجبرين، والكحّالين. انظر كتب الحسبة التي صنفها ابن الأخوة، والشيزري، وابن بسام.

إذا وقع بالإنسان كان أعظم كثيرا من أغلاط أصحاب الصنائع الأخر، لأن النجّارَ والصائغَ ـ وغيرهما من أهل الصنائع والمهن ـ لا تبلغ مقاديرُ أغلاطهم مقدارَ غلط الطبيب، كما لا تبلغ قدر موضوعاتهم قدر موضوعه، وهو نفس الإنسان وجسمه، وأيضا فإن الصائغ مثلا متى غلط في صناعة الخاتم أمكنه كسره وإعادته وكذلك النجار في عمل السرير، والإسكاف[١] في عمل الخف، فأما غلط الطبيب فليس كذلك، وخاصة إن كان غلطه مهلكا، فاليأس مع الصلاح واقع[٢] (/)، فلذلك وجب تمييز الأطباء بالمحنة، وانتقادهم بالنظر والبحث، ليظهر فضل الأفاضل فتسلم إليهم النفوس، ويظهر جهل المدعين لها فيحذر على النفوس منهم. ٩١/ب

ومن الأسباب الموجبة لمحنة الطبيب صعوبة الصناعة وطولها[٣]، أما صعوبتها فلكثرة أصولها، ومن الأحرى أن تكون فروعها أكثر كثيرا، وأيضا فلاشتباك أصولها وفروعها بعضها ببعض، فلذلك اتسعت الأقاويل فيها، ووضع أهلُها في علمها أصنافا من الكتب، فاستصعب لذلك دَرْكها، وخاصة على أهل الكسل والتواني، وعلى من غلظت قريحته، وقنع منها بالتكسب باسمها، وبالحيل التي قد نصبها الأشرار وأصحاب الحيل للناس، كالشِّباك والأفخاخ لصيد الحيوانات، فلذلك يجب أن يفتش عمن ادّعاها لينظر هل هو من أهلها بالحقيقة ـ لأنه قد أفنى زمانه في درس كتبها، وفي صحبة أهلها، وفي خدمة المرضى، وعانى من أمرها ما يستحق معه أن يوثق معه في تدبير الأبدان والنفوس؟ ـ أو هو ممن ينبغي أن يحذر على النفوس منه[٤]، وأيضا: فإن من أسباب المحنة للأطباء ما يظهر من نفعها للأطباء خاصة، ولسائر الناس عامة، أما للأطباء فلينبه من كان ساهيا، وتحث من كان متشاغلا بغيرها، وتحركه على اقتنائها. وأما لمن كان قاصدا للحيلة فيها

---

(١) الإسكاف: صانع الأحذية.

(٢) انظر ما قاله هبة الله بن يوسف في هذا الموضوع: المقالة الصلاحية الورقة ٢٠٩ أ ـ ب، وانظر أيضا صاعد المتطبب: التشويق الطبي اللوحة ٤٤.

(٣) انظر في هذا. المقالة الصلاحية الباب الأول الفصل الثاني «في الدلالة على صعوبة صناعة الطب، والإشارة إلى أسباب تعذر حصول الكمال فيها» الورقة ٢١٢ أ.

(٤) انظر الرازي: محنة الطبيب ص ٤٩٤.

على الناس فيما تفضحه المحنة، ويظهر خزيه، فيكون بذلك النفع لسائر الناس شاملا عاما، ولولا أن محنة الأطباء واجبة، ونفعها ظاهر، لم يضع القدماء فيها كتباً يحثون بها أهل القدر والسلاطين على الناس وأفاضلهم على تعليمهم أولادهم هذه الصناعة؛ ليقدروا أن يفرقوا بين أهلها والمُدَّعين لها، لكي لا يسلموا نفوسهم إلى من لا يستحق ذلك، كالذي وضعه جالينوس من طرق محنة الأطباء في كتابه الذي ألفه لذلك (١). وقد ألف غير جالينوس (/) في ذلك كتبا لولا أني قد تضمنت إثبات جمل ذلك في باب من هذا الكتاب لقد إرشادي إلى تلك الكتب إعنى من التمس ذلك، وخاصة وقد كتبت أنا رسالة إلى بعض من تولى أمور بلد الرَّقّة بإلزامٍ ألزمنيه في ذلك، وصفت له فيها كيف ينبغي أن يمتحن الطبيب، غير أني أذكر من ذلك هاهنا جُمَلا ليكون ما تضمنته قد وفيت به، وليكون غرضي تاما كاملا(٢).

٩٢/أ

فأقول: أما بعد ما قد وضح من الأسباب الموجبة لامتحان الأطباء فإنه ينبغي أن يُنْظَر كيف ينبغي أن يُمْتَحَن الأطباء.

وأول ما ينبغي أن يمتحن به المدّعي لصناعة الطب هو أن يُسْأل: على رأي أيّ فرقةٍ هو من فرق الأطباء؟ فإن من جوابه يبين: هل يعلم كم أجناس فرق الأطباء أم لا، وما الذي تراه كل فرقة، وما الفروق التي بين

---

(١) ويقصد به كتاب جالينوس المعنون بـ(كتاب في المحنة التي بها يعرف الإنسان أفضل الأطباء) وهو من إخراج حنين بن إسحاق. ونسخه كثيرة موزعة في دور المخطوطات بالعالم. انظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص١٤٦، وفهرس مخطوطات الطب الإسلامي باللغات العربية والتركية والفارسية في مكتبات تركيا. استانبول ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

(٢) يروي القفطي عن كيفية امتحان الأطباء ص١٣١ حين أحضر إليه «شاب حسن البزّة، مليح الوجه ذكي، فنظر إليه سنان، وقال له: على من قرأت؟ قال: على أبي. قال: ومن أبوك؟ قال: الشيخ الذي كان عندك بالأمس. قال نعم الشيخ، وأنت على مذهبه؟ قال: نعم. قال: لا تتجاوز وانصرف مصاحبا» وهذه الطريقة غير مقنعة تماما ويبدو أنها مجاملة للشيخ وابنه إذا صح ما قاله القفطي هنا في وصفه لطريقة الامتحان هذه، فالطريقة غيرمقبولة وتعطينا صورة مشوهة وغير منسجمة تماما مع ما عرضته ووصفته المصادر المختلفة في كيفية امتحان الطبيب، انظر مثال ذلك. الرازي: محنة الطبيب، هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية من الورقة ٢٣٣ أ إلى الورقة ٢٣٨ ب. صاعد: التشويق الطبي اللوحة ٣٨- ٣٩- ٤١- ٤٢. وانظر أيضا ما ذكرته كتب الحسبة في امتحان الأطباء والكحّالين والجرائحيين والمجبرين والصيادلة.

الفرق، ومن ذلك يبين أيضا منه هل علم إلى كم نوع ينقسم كل جنس من أجناس الفرق، وفيما اتفقت الفِرَقُ وفي ماذا اختلفت، ولأن الطبيب لا يسعه جهل ذلك، ولا يجوز له الخروج عنه، فلذلك صنف جميع ذلك الفاضل جالينوس في كتاب عنونه بكتاب «فِرَق الأطباء»[1] وجعله أول ما يُقْرأ من كتبه، ثم إذا وقع الجواب منه بتحصيل، وانفراد برأي أي فرقة من الفرق، إما برأي أصحاب التجارب، وبمذهب من مذاهبهم الخمسة، وإما برأي أصحاب الحِيَل، وإمّا برأي أصحاب القياس. فيجب أن يسأل: لأي أجزاء الصناعة ينتحل؟ إذ كانت الصناعة أعظم مقدارا من أن ينالها الإنسان في مدة عمره، كما قال الجليل بقراط: («العمرُ قصير والصناعة طويلة»)[2] ولذلك يكون من ادَّعىٰ جملتها من الجهل بحيث لا يُحْتاج أن يمتحن ولا يُفَتَّش عن عمله، فأما إذا ادّعى جزءًا منها، فيجب أن يسأل عن أي جزء هو الذي أحكمته، وقرأت كتبه، وخدمت فيه، ولأن لصناعة الطب جزآن، أو لأن أحدَهما علمي والآخر (/) عملي، فلذلك ينبغي أن يعلم هل [3] توفره على أحدهما في الجزء الذي يدعيه من صناعة الطب؟ أم توفره عليهما؟ ولأن صناعة الطب بعد هٰذين الجزءين الكبيرين أجزاء أصغر منهما، ولتلك أجزاء أُخَرُ هي أصغر، يحتاج الطبيب إلى علمها وإحكامها، فلذلك وضع جالينوس في أجزاء الطب مقالة مفردة[4]، ليحكم علم ذلك منتحل هذه الصناعة، فيعلم من ذلك أجزاء الجزء الذي يدعيه من صناعة الطب، ومثالُ ذلك أنّ علاجَ الطبائعيِّ هو جزء علمي، وعلاج العين جزء عملي، وكذلك

٩٢/ب

---

(١) كتاب فِرَق الأطباء: وهو مقالة واحدة نقله حنين بن إسحاق إلى العربية، وهو أول ما يجب أن يقرأه من أراد تعلم صناعة الطب، وغرض جالينوس فيه، أن يصف ما يقوله كل واحد من فرقة أصحاب التجربة، وأصحاب القياس، وأصحاب الحيل في تثبيت ما يدّعي، والاحتجاج له، والردّ على من خالفه. ابن النديم: الفهرست ص٤٠٣، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٤. انظر فهرس مخطوطات الطب الإسلامي، استانبول ص ١٦٧.

(٢) انظر ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٥١.

(٣) وردت «هو» خطأ.

(٤) وهذه المقالة هي «مقالة في أجزاء الطب» يقسم فيها الطب على طرق شتى من القسم والتقسيم. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٤٢.

علاج الجبر، وعلاج الشق، وعلاج جميع أعمال الحَدِيد: من بَطٍّ[1] وكَيّ وبَزْل وحَقْن[2] وفَصْد، وجميع ذلك هي أجزاء عملية مرتبطة بعلم يتقدمها يلزم من ادّعى أحدَها أن يعلم موضوع عمله: أي جزء هو من أجزاء الجسم، ومن ماذا هو مركب، ووضع أجزائه واتصالها، وكم أجناس الأمراض العارضة لذلك الجزء، وكم الأسباب المحدثة لتلك الأمراض، والعلامات الدالة عليها، وأجناس الأدوية الموافقة في أمراض ذلك العضو، وبالجملة يلزمه معرفة سائر التدابير التي تلائم علاج أمراضه وحفظ صحته، وأوقات ذلك، وما أشبهه مما لابد من علمه[3]، فلذلك أجمع يجب أن يمتحن منتحل كل جزء من الصناعة بمساءلته عمايعمه وغيره من أجزاء أخر، إذْ كان لهم بأسرهم أمور تعمهم، ثم يسأل كل واحد منهم عما يخصه عمله.

ومثال ذلك أنه [إذا][4] حضر من يدعي علاج العين، فيجب أن يسأل من أي الأعضاء البسيطة ركبت العين، ولم احتيج إلى جزء جزء من أجزائها في تركيبها، فإنه إن لم يعلم بأي الأجزاء يكون الإبصار، ولا بأي الأجزاء يكون الصون والستر، ولا بأيها يكون الحفظ والتغذية، وبالجملة سائر الأفعال والمنافع، ومتى لم يعلم مزاج عضو عضو من أجزاء العين البسيطة مع ما (/) ذكرنا، وكيف وضع تلك الأجزاء واتصالها لم يعلم أنواع جنس جنس من أجناس أمراضها، وإذا لم يعلم ذلك لم يعلم العلامات الدالة على نوع نوع، وإذا فاته علم العلامات فاته أيضا علم الأسباب، وإذا فاته علم الأسباب لم يعلم الدلالة على نوعٍ نوعٍ، وإذا فاته علم العلامات فاته ماذا يعالج، ولا بماذا يعالج.

٩٣/أ

---

(١) البط: «بط يبط» وهو الشق، وهو على نوعين، طبيعي محمود، وصناعي لا يجوز استعماله إلا بعد نضج المادة وتهيجها للاندفاع. ابن القف: العمدة في الجراحة ج ١ ص ١٩٤.

(٢) الحقن: معالجة فاضلة في نفض الفضول عن الأمعاء وتسكين أوجاع الكُلى والمثانة وأورامها، ومن أمراض القولنج وفي جذب الفضول عن الأعضاء الرئيسية. ابن سينا: القانون ج ١ ص ٢٠٤. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٤٠.

(٣) إن تعلم صناعة الطب كما ذكر الرهاوي ليس بالأمر اليسير لارتباط أجزاء الطب بعضها ببعض، وذلك يستلزم من يريد تعلم أي فرع من فروعه الإلمام بمعارف وفروع أخرى فيه. انظر هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية الباب الأول الفصل الثاني «في الدلالة على صعوبة صناعة الطب والإشارة الى أسباب تعذر حصول الكمال فيها» الورقة ٢١٢ أ. وما بعدها.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة يتطلبها المعنى والسياق.

وبعد ما ذكرناه وإحكام عمله، فيجب أن يعلم معالجها قُوَى الأدوية المفـردة والمـركبة المستعملة في علاج أمراض العين، وما مبلغ قوى الدواء الواحد؛ إذ كانت كل قوة بفعل، فيصير بذلك للدواء الواحد المفرد أفعال مختلفـة، ولـذلك يكون للدواء المركب أفعال أكثر كثيرا من ذلك، وذلك بحسب مافيه من الأدوية المفردة، والكثرة والقلة، ومع أن معالج العين لا يسعـه جهـل شيء من ذلك فإنه مضطر أيضا إلى علم إصلاح الأدوية، المعـدنية منهـا والنباتية والحيوانية، وما منها يصلح بالغسل وما منها يصلح بالحرق، وما منها يصلح بخلط بعضه مع بعض، وبالجملة فهو شديد الحاجة إلى معرفة تراكيب أدوية العين ما عمل منها أشيافاً[1] وما عمل منها كُحْلا، وما عمل منها قَطُورا وضِمادا، وغير ذلك من أدويتها.[2].

وإذا كان معالجا بالحديد لعلل العين المحتاجة إلى ذلك فيلزمه أن يعلم صور الآلات التي يُعالج بها، ولم صورت، واختبر ذلك الشكل، كالمهت[3] المستعمل في قدح العين من الماء النازل إليها، فإنه مع علمه بذلك فقد علم موضع الماء، وكيف يسهـل الثقب بالمهت بقرونه الثلاثة، ونفوذه في الطبقة القرنية وكيف يحدر بتلك القرون الماء، ويستقصى إحداره مما لا يتم ذلك بماله قَرْنان أو أربعة أو أكثر من ذلك، وهكذا ينبغي أن يعلم ذلك في آلة آلة، فليكتف ذو الفطنة بما ذكرته من ذكر هذه الجمل والمسائل (/) وليعلم أن بمثل هذه الطرق يقدر على محنة صنف صنف من أصناف الأطباء. ٩٣/ب

(١) الأشياف: يقول حنين «إن الأدوية المركبة النافعة للعين منها ما يعجن، واليونانيون يسمون هذا الصنف كله شيافا، ومنها ما تكون به العين يابسا، ومنها ما هو رطب الصنعة ويسميه اليونانيون شيافا رطبا. حنين: كتاب العشر مقالات في العين ص ١٩٥ - ١٩٦ بتحقيق ماكس مايرهوف. عرفها الزهراوي «بأنها دساسات تستعمل من الأسفل لاعتقال الطبيعة».

(٢) نجد أن للرازي رأياً آخر في ضرورة معرفة الطبيب للأدوية وتراكيبها وذلك من باب إيمانه بالتخصص، وفصل علم الطب عن الصيدلة، وجعل كل منهما علما قائما بذاته، كما نلاحظ اليوم، فهو يقول: «المعرفة بالأدوية وتمييزها، جيدها ورديئها، وخالصها ومغشوشها، وإن كان ليس بلازم للطبيب ضرورة كما يحسبه جهال الناس فهو أحرى وأزين بها..» الحاوي في الطب ج ٢٢ ص٢.

(٣) المهت: منه ما هو مدور ويستعمل في الماء النازل من العين. ومنه ما هو مجوف ويستخدم لمص الماء النازل في العين. أحمد عيسى بيك: آلات الطب والجراحة والكحالة عن العرب، القاهرة ١٩٢٥ م. ابن سينا: القانون ج ٢ ص ١٤٧.

ومن ذلك أن المُجَبِّرَ يلزمه أن يعلم ما في كل عضو من العظام، وشكل عظم عظم، ووضعه، وبأي صنف من أصناف التركيب هو مقارن لقرينه، أو لقُرنائه من عظام ذلك العضو، وما الذي يحيط بتلك العظام من العضل، ولأي الحركات هي محركة، وكم مبلغ عددها؟ وكيفية أشكالها؟ فإن المُجَبِّرَ إذا فاته معرفة ما ذكرناه عجز عن أمر علاج الجَبْر بحسب ما فاته من ذلك، وكذلك إن جهل صورة شد كل عضو وأنواع رفائِده[1] وأضمدته ولطوخاته[2] لم يتمَّ له علاجه، وكذلك ما سوى ذلك مما ذكرناه، وكذلك القولُ في الفصد، فإنه من أجزاء الطب جزء قد أكثر الناس استعماله، وتعاطاه كل واحد من أهل صناعة الطب، حتى أحداثهم ومن ليس له خبرة بواجباته، قد أعدوا لهم مواضع يقصدهم إليها كل أحد، من صلح له ومن لا يصلح، فيفصدُ كلَّ من أتاه بغير توقف ولا حذر بسبب العوض الحقير. ولو كان (الفاصد)[3] بغير علم يعرف قدر ما يستخرجه من جسم الإنسان من الدم، وعظم نفعه، ويعلم أن قوام بدن الانسان هو بالدم أكثر من سائر أخلاطه، وأن الطبيعة لم تعمل ما عملته من الدم الذي قد استخرجه هو في ساعة واحدة إلا في زمان طويل، وبعمل طويل، لأشفق من إخراجه، ولم يسارع إلى إخراج مثل هذا الجوهر النفيسِ بذلك العوض الخَسِيس، ولأن النفع بالفصد إذا وضع موضعه عظيم جداً، حتى إنه قد يخلص من التلف، ومن الوقوع في أمراض طويلة، فلذلك يجب أن يكون الفاصد عالما بعدة أمور، أولها: هل يفصد الفاصد أم لا؟، والثاني ما المرض الذي يصلح فيه الفصد؟، والثالث: كيف ينبغي أن يكون؟، الرابع: لم يفصد (/) الفاصد؟ ٩٤/أ وهذه الأصول الأربعة هي مسائل يتفرع عنها مسائل كثيرة، ويلزم الفاصد معرفة جملها، ومتى لم يكن عارفا بجملها فينبغي له ألا يفصد أحداً إلّا برأي من هو خبير بها.

---

(١) يقول الزهراوي: الرفائد: هي خرق تثنى على أربع طيات وأكثر، وتوضع على الجراحات أو كسر العظام، أو على نزف الدم من عرق. التصريف لمن عجز عن التأليف.

(٢) اللطوخات: وهي المراهم والأطلية.

(٣) وردت «الفاضل» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.

من ذلك أن الفاصد إذا علم هل يصلح الفصد لمرض أم لا لم يقنعه ذلك دون أن يعلم من حال السنّ والمِزاج والبَلَد، وحال الهواء في الوقت الحاضر، وحال الفصل من السنة، وحال العمل والعادة والتدبير والسحنة، هل يوجب لكل واحد من هذه الأمور الفصد كما أوجب ذلك المرض؟ أم يمنعه؟ ويعلم هذه الأمور بقدر أن يغلب بعضها، ويتبع الأغلب من هذه الفروع.

وأما ما يضطره الأمر إلى علمه من فروع الأصل الثاني، وهو العلم بما الحالة التي توجب الفصد، فإن من فروعها أن يعلم ما الحال الطبيعية للبدن، وما حال كل حال من الحالات غير الطبيعية، وما الحالات منها التي توجب الفصد، وما المقدار الذي ينبغي أن يخرجه الفاصد من الدم، وما يتبع ذلك من فروع هذا الأصل الثاني.

فأما فروع الأصل الثالث فيلزمه أن يعلم منها كيف ينبغي أن يكون الفصد عند شق العرق طولا أم عرضا أم ورابا[1]، وكيف ينبغي أن يخرج الدم؟ أدفعةً؟ أم اثنتين؟ أم ثلاثا؟ وكيف ينبغي أن يدَبّر ويسايس من فصد بحسب مرض مرض. ويجب أن يعلم كيف الدم في لونه؟ وكيف هو في قوامه؟ وكيف هو في رائحته؟ وكيف حركته في خروجه؟ فإنه متى تيقّن علم ما ذكرناه لم يقدر أن يفرق بين ما يخرج من الدم من عرق إلى ما يخرج من شريان، إذ كان ما يخرج من الشريان يخرج بحركة مختلفة، تشبه حركة الشريان في الانبساط والانقباض، ودم الشريان أصفى وأرق وأحمى من دم العروق.

وأما فُروع المسألة الرابعة ـ (/) وهي معرفة كميات الفصد ـ فهي كثيرة ٩٤/ب جداً لتعلُّق هذه الفروع بجميع[2] المسائل المقدم ذكرها، ولئلا يطول هَذا الكتاب والباب، نحن نذكر منها جملا تغني معرفتها عن إحضار الكلّ؛ لأن

---

(١) ورابا ـ أو موربا: يقول ابن القف «وينبغي أن يكون الفصد في العروق المفصلية طولا ان أريد التثنية بعد أيام، ومؤربا ان أريد في اليوم، وعرضا إن أريد في الوقت «العمدة في الجراحة ج ١ ص ١٧٤. ايضا انظر: المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ٢ المقالة ٩ الباب الأول.

(٢) وردت «لجميع».

من علم أجوبة ما نحضره من المسائل الآن، وقام بشرحها، علم بذلك منه أنه يقوم بفروعها.

وأول هذه المسائل التي ينبغي أن يسأل عنها الفاصد ـ العالم بصنعة الفصد بالحقيقة هي هذه المسألة ـ: لم احْتِيج إلى الفَصْد في صناعة الطب؟ ثم لم صار الفصد مخصوصا بعروق وشرايين دون أُخَر؟ ولم صار علم العشرة أشياء المقدم ذكرها ضروريا في استعمال الفصد؟ ولم أمر القدماء بإخراج الدم في بعض الناس من أعلى البدن، وفي بعضهم من ناحية اليسار، وفي بعضهم من ناحية اليمين؟ ثم لم صارت العروق والنوابض التي في الرأس دون التي في البدن تفصد؟ وهي: عرقُ اليافوخ[1]، وعرقُ الجبهة، وعرق الصُّدْغَين[2]، وعرق الأرنَبة وعرق الشفة السفلى، وعرق الشفة العليا، وعرقا اللسان، وعرقا الوداجين[3].

ومما يبين به فضل الفاصد هو أن يعلم لم صار فصدُ هذه العروق تشفي من أمراض بأعيانها، وما هي الأمراض، ولم صار الخطأ إذا وقع بها أحدث مضار مختلفة، وأمراضا متباينة، كالذي يحدث من الخطأ في فصد عرق الجبهة، فإنه يحدث تارة دَوَرانا، وتارة شقيقه[4]، وتارة غِشاوة البصر وضعف الأجفان، وتارة الصمم.

ومثلُ ذلك نجد إذا وقعت ضربة الفاصد لعرقي الصدغين في غير موضعها من الأمراض المختلفة، فإنه إن أصاب الحديدُ العصب بطل بذلك حركة الشفتين، وإن أصاب العظم أورث ورم الوجه، وإن أصاب الليف[5] أضر

---

(١) عرق اليافوخ: وهو عرق الهامة. ابن القف: العمدة في الجراحة ج ١ ص ١٦٩.

(٢) عرق الصدغين: ويسميان بالبازرنكين. ن.م.س ج ١ ص ١٦٩.

(٣) لمعلومات موسعة عن العروق الضوارب وتشريحها. انظر ابن سينا: القانون ج ١ صص ٥٩ ـ ٦٧. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٢٧. مع العلم أن ما ذكره الرهاوي هنا من أسماء العروق الضوارب منها ما يشترك في عرق واحد يمر بعدة مواضع في الرأس والجسم على أن أشهر العروق الضوارب. الشريان الوريدي، الشريان الصاعد وهو المسمى بالسباتيين، والوداجين، والشريان النازل. وانظر ابن سينا: القانون ج ١ ص ٢١٠ ـ ٢١١. ابن القف: العمدة في الجراحة ج ١ ص ١٦٩.

(٤) الشقيقة: هي وجع في أحد جانبي الرأس يهيج... ابن سينا: القانون ج ٢ ص ٤٣.

(٥) الليف: يقصد به ليف العصب السابع الوارد من الزوج الخامس من أزواج العصب الدماغي، وعصب الليف موجود داخل الأذن، ابن سينا: القانون ج ٢ ص ١٤٩.

ذلك بالسمع، فإن أصاب العضل أحدث الخَدَر وقلة (الصلاح)[1] (/). ٩٥/أ

وهكذا ينبغي أن يعلم ما يحدث خطؤه في عرق عرق، وفي أي الأجسام المجاورة للعرق وقعت الضربة، ليعلم بماذا يصلح الخطأ ويتلافاه، وأي المواضع يفصد.

ولو ذهبت إلى ذكر ما يحدث من أصناف المضار عند الخطأ في جملة العروق المفصودة - ومبلغها خمسة عشر زوجا، وثلاثة مفردة - لطال بذلك الكلام، لكنه شديد الاضطرار إلى أن يعلم: لم يفصد هذه الخمسة عشر زوجا؟ وفي أي الأمراض؟ وفي أي المواضع يضرب[2]؟ إذ كانت هي التي يقع الفصد دائما بأكثرها، ويجب أن نعدها لتكون معروفة عند من قصد لمحنة الفِصاد، ليسألهم عن موضع واحد واحد منها، وموضعه، ومبلغ منافعه، ولأنه قد تقدم تعديد الشرايين المفصودة التي في الرأس، وهي من جملة ما يفصد، فلنذكر الآن الباقية وهي: القيفالين، والباسليقين، والإبطيين، والأكحلين، والحبلين، والاسيلميين، والمامصين، والصافنين، والنسائيين[3].

فإذا كان ما قد ذكرناه من هذه المسائل كافيا في هذا الباب فقد ينبغي أن نتبع ذلك بالوصايا التي ذكرها قدماء الأطباء ليستوصي بها الفاصد، وينبغي أن يتفقد عليه، ويجعل بعض محنه، فإن التزمها وثق به وبعلمه، وإن اطَّرحها لم يوثق بعمله.

فأولها: أن يكون خبيرا بمعرفة[4] التشريح، وخاصة تشريح العروق الضوارب[5]، وغير الضوارب[6]، ليعلم من علم التشريح ما حول كل عرق من

(١) وردت (الصياح) وما أثبتناه هو ما يستقيم به معنى الجملة.
(٢) وردت «يجذب» خطأ.
(٣) لمعلومات موسعة عن هذه العروق ومواضعها وكيفية فصدها انظر ابن سينا: القانون ج ١ ص ٢٠٨ - ٢٠٩، الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٢٧. ابن القف: العمدة في الجراحة ج ١ ص ١٦٩. هذا وجميع ما أورده الرهاوي هنا عن علم الفصد شروطه وأوقاته وحالاته وما يشترط في الفصاد انظر عنه: ابن سينا: القانون ج ١ ص ٢٠٤ - ٢١٢، الزهراوي: التصريف لمن عجز عن التأليف المقالة الثلاثون الباب الثاني. ابن القف: العمدة في الجراحة ج ١ ص ١٦٧ - ١٧٥. المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ٢ المقالة ٩ الباب الثاني «في علم الفصد والشرائط التي تشترط على الفاصد».
(٤) وردت «لمعرفة» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.
(٥) العروق الضوارب: وهي العروق النابضة، واحدها شريان ومنبتها من القلب. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٢٧.
(٦) العروق غير الضوارب: وهي التي منبتها الكبد، ويجري فيها دم الكبد. ن. م. س ص ١٢٧.

العظام والغضاريف والأعصاب والأثار والعضل، ويجب أن يكون قد درس كتب التشريح، وكتب الأسْطُقسات، وكتب المِزاج، وكتب الفصد، وأشير بذلك إلى كتب جالينوس خاصة فيما ذكرته، وأن يكون قد شاهد أسلافه يُعانون الفصد، وأن يكون ورعا عن الكسب إلاّ في حقه، وعن النظر إلى ما لا يجوز له النظر (/) إليه إلا لمقدار ما يحتاج إليه عمله، وأن يكون حافظا للأسرار، متعاهدا لحَدِيده[1] بالنقاء والسَّنِّ[2]، لا يفصد في موضع مظلم، ولا موضعٍ ريح، ولا لمملوك إلاّ عن رأي مولاه، ولا لغير بالغ إلا عن إذن والديه، ومتَجَنباً الأغذية المبخرة بُخاراً رديئا، والمضعفة لنور البصر، كأكل البصل، والإكثار من شرب الشراب، متفقدا بعض بدنه من فضوله في أوقات التنقية. ٩٥/ب

فبهذه الأشياء وما جانسها يمتحن الفاصد. وأيضاً من تعاطى الشقّ والبَزْل والكَيّ وسائر أعمال الحديد، فبمثل هذه المسائل يمتحن، وبمثل المسائل له عن الآلات المصنوعة لأعمال العلاج، كالقثاطير[3] وكيف يبول به والمهت (والفامهان)[4] والمرود والفأس[5]وغير ذلك، من آلات الأعمال، ويُسأل عن مواضع الكيِّ لمرضٍ مرضٍ، وأشباه ذلك، فاكتف بما ذكرته، ففيه غنى ومقنع.

وقد تبقّى على ذكرنا ما به يُمْتَحَنُ من ادّعى علم الطبائع[6]، إذ ذلك أشرف

---

(١) الحديد: يقصد به هنا أدوات الفصد المختلفة.

(٢) بحيث تكون أدواته نقية ونظيفة وحادة

(٣) القثاطير: وهي الآلة التي يبول منها، اذا احتبس البول في المثانة بسبب سدة عرضت لها من دم جامد أو من حصاة. المجوسي: كامل الصناعة الطبية ج ٢ ص ٤٨٣، الزهراوي التصريف لمن عجز عن التأليف مخطوط بشير آغا رقم ٥٠٢، المجلد ٢ الورقة ٢٥٣ أ، ومفردها، قثطرة.

(٤) هكذا وردت، ولم أستطع الحصول على ما يشابهها في رسمها في مسميات أدوات الجراحة العربية.

(٥) عن جميع الآلات الجراحية المختلفة انظر الزهراوي: التصريف المقالة الثلاثين ج ٢ الورقة ٢٣٠ ب وحتى اخر المقالة.

(٦) العلم الطبيعي من أقسام الطب، وعلم الآثار العلوية، الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١١٠، ويقول الرازي «الطبيعة تدفع الفضلات من عضو الى عضو، ان كان مجرى انبوبي، فبذلك المجرى، وان لم يكن، ففي الوصول التي بين الأعضاء ولو كانت عظاما مثلا» ويقول أيضا «الطبيعة هي التي تستعمل الدواء، وتوزيع الغذاء على التحقيق والتدقيق... والطبيعة تجاهد العلل وتعاركها وتروم إحالتها، ومتى كانت وافية بالعلة لم يحتج إلى معونة الطبيب» ثم قال: «يستدل على أن الطبيعة تشفي الأمراض وتدفع الأعراض الرديئة عن أبدان الناس والحيوان، وتنمي ما ينمو منها...» الرازي: الفصول ص ١٠٠ ـ ١٠١. ولمعلومات موسعة عن الطبيعة في الإنسان انظر: الرازي: الفصول ص ١٩ ـ ٢٩ ص ٦٦ صص ١٠٠ ـ ١١٥. ابن سينا: القانون ج ١ ص ٤ فصل ٢، الزهراوي: التصريف المقالة الأولى.

أجزاء صناعة الطب، وبكمال ذلك يكمل هذا الباب بعون الله.

فأقول: إن أول ما يُسأل عنه الطبائعيّ من الأطباء: ما المعنى الذي يقع عليه اسم الطبيعة إن كان واحدا؟ وإن كان يقع على أكثر من واحد فكم هي؟ وما هي؟، فإنا نجدك أيّها الطبيعي تسأل دائما عن أفعال الطبيعة، فتقول: كيف طبع هذا المريض؟ وما الذي كان منه؟ وماذا فعل؟، وتقول أيضا: طبع هذا الغذاء، وطبع هذا الدواء.

ومن المعلوم أن من جهل من الأطباء: ما الطبيعة؟ فأحرى أن يجهل قُواها، ولذلك يكون بأفعالها أجهل، ومن جهل أفعالها لم يقدر أن يُنْذِر بشيء منها قبل حدوثه، لأنه لا يعلم العلامات المُنْذِرة بأفعالها، ومن كان كذلك لم يستحق أن يسمى باسم الطبيعة، ولا يجب أن يوثق به في علاج المرضى، ولذلك قال بقراط: («إن الطبيب إذا تقدم فعلم (/)وسبق فأخبر المرضى بالشيء الحاضر مما بهم، وما مضى، وعبر عن المريض كلما قصر عن صفته وثق منه بخبره، وبصر به في أمر المرضى، ودعا ذلك المرضى إلى سكون أنفسهم، [و] الى[1] الاستسلام في بدنه، وكان علاجه لهم على أفضل الوجوه، إذ كان يتقدم فيعلم من العلل الحاضرة ما سيكون من أمرهم»). قال جالينوس («وليس يشكّ أحد أن الذي يعلم أمور المرضى على ما ينبغي هو أولى الناس بأن يثق به المرضى، وليس لمعرفته بأمورهم فقط، لكن لأنه مع ذلك أيضا حَرِيٌّ بأن يستعد للشيء المزمع بأن يحدث بهم قبل وقت حدوثه بزمان طويل[2]، وكما أن الحاذق بتدبير السفن في البحر عندنا ليس

٩٦/أ

(١) وردت «الى».

(٢) يقول هبة الله بن يوسف في هذا المعنى «إنّ الطبيب الحاذق هو الذي يقدر أن يسبق فيستدل من أمور المرضى الحاضرة والسابقة الى ما يكون من أمورهم المستقبلية ويتقدم فينذر بها قبل كونها ويدبر المرضى بحسبها، وعنى بأمور المرضى المستقبلية مثل طول المرض وقصره وسلامة المريض وعطبه وعلى أي جهة يكون ذلك، أببحران أم بغير بحران... ذلك أن الطبيب اذا لم يسبق فيعلم هذه الأشياء وما أشبهها من أمور المرضى المستقبلية لم يمكنه البتة تدبيرهم على الطريق الواجب «المقالة الصلاحية الورقة ٢٣٥ ب ٢٣٦ أ. ويقول الشيرازي «اذا كان الطبيب يخبر عن حال المريض بتقدمة المعرفة بما يحدث بعد مدة من سلامة أو عطب أو بحران جيد أو مرض معاود فهو أهل لأن لا ينكر له فضل «رسالة في بيان الحاجة الى الطب. اللوحة ٨٥، ويقول جالينوس «إن صواب العلاج موصول بتقدم المعرفة، وتقدم المعرفة موصول بصواب العلاج ولهذا تجد ما كتب ابقراط في تقدم المعرفة اكثر مما كتبه في علاج الأمراض لأنه ليس شيء أقبح بالطبيب ولا أضر بالمريض من أن يجهل الطبيب حركات قوة البدن الذي يتولى تدبيره. هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية. الورقة ٢٣٧ ب.

الذي يجهد نفسه في تدبير السفينة اذا عرض للبحر اضطراب، وذلك أنه لا يؤمن عليه أن تغلبه شدة قوة الرياح وحركة البحر، لكن الحاذِق عندنا القادر على أن يعلم كون تلك الحركة قبل وقت حدوثها بمدة طويلة بالمحائل الدالة عليه، فإن وجد مرسى قريبا بادر فأرسى إليه، وإن منعه من ذلك عظم اللُّجّة احتال بكل حيلة لإحراز سفينته، وحياطتها من الآفات وهو في مهلة قبل أن يقع الهول والاضطراب، كذلك أفضل الأطباء من علم ما سيحدث بالمريض فاستعدّ له قبل ذلك بمدة طويلة، وتأهب وهَيّأ ما يحتاج إليه لشيء شيء مما يحدث»)[1] فقد اتضح مما قاله جالينوس، ومما قاله بقراط، أنه لا يتم للطبيب التقدم بالإنذار إلّا من بعد علمه بطبيعة المرض، ولا يتم له ذلك، أو يعلم كم أجناس الأمراض، وأنواع كل جنس وفصوله وعلاماته وأسبابه، ولا يتم له إحكام علم ذلك أو يعلم ما الأمور الطبيعية؟ وكم هي؟ ويقسمها بفصولها، ويخصها بخواصها، لأنه يعلم هذه الأمور الطبيعية بعلم الأمور الخارجة عن الطبيعة، إذ علم الضدين معا من المضاف، فلذلك من

---

(١) أورد الرهاوي فقرتين لابقراط ولجالينوس واستشهد بهما على مدى أهمية معرفة الطبيب لتقدمة المعرفة، وقدرته على ذلك، والواقع أن تقدمة المعرفة تعتبر حقيقة من أهم ما يتصف به الطبيب الناجح، بل إن الطبيب عند المسلمين لم يكن يتسمى بالطب إذا لم تكن لديه القدرة على فهم تقدمة المعرفة للمرضى، وهي قضية حسابية كأنك تقول العلامات الجيدة في هذا المريض هي كذا وكذا، والعلامات السيئة كذا وكذا، ثم تعمل على أن تعرف أيها أقوى فتعرف بذلك على المريض ما له وما عليه، وتخلص من ذلك إلى رأي قريب من الصواب. ولقد كان للرازي اهتمام كبير بمسألة تقدمة المعرفة فهو يقول: «ينبغي أن تحول جميع الأشياء إلى هاهنا، وتكتب له رؤوس بحمرة: الجشاء، والفواق، والعطاس، والسعال، والنفث، والقيء، والبراز، والرعاف، والدموع، والريح الخارجة من أسفل، والقراقر وتمدد الشراسيف والعروق، والحر والبرد في بعض الأعضاء، واللون، والمنامات، وغير ذلك من جميع الأشياء. وبالجملة فكل كلام يدخل في تقدمة المعرفة في أي مرض كان ويجعل له رؤوس بحمرة، ويكتب في مرض مرض عيون ما يحتاج إليه منها في ذلك المرض» محمد كامل حسين: طب الرازي ص١٣٨ عن رسالة في الرازي ج ٢ ص١٨ من مخطوط بودليانا. ورقة ٢ ظهر.
ولا ننسى مدى أهمية تقدمة المعرفة عند أطباء اليونان أصلا، فقد كان لهم فيها مصنفات مثل «كتاب تقدمة المعرفة» لأبقراط. والذي جعله ثلاث مقالات، وضمنه تعريف العلامات التي يقف بها الطبيب على أحوال مرضى في الأزمان الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل. وعرف أنه اذا أخبر بالماضي وثق به المريض فاستسلم له، فتمكن بذلك علاجه عليها بما توجبه الصناعة، وإذا عرف الحاضر قابله بما ينبغي من الأدوية وغيرها وإذا عرف المستقبل استعد له بجميع ما يقابله به قبل أن يهجم عليه بما لا يمهله في أن يتلقاه بما ينبغي عيون الأنباء. ص٥٤، كما أن جالينوس صنف كتابا في تقدمة المعرفة سماه «كتاب نوادر تقدمة المعرفة» عيون الأنباء ص١٤٣.

جهل أحدَهما جهلَ الآخر، وبغير (/) شك انّ المرضَ ضد الصحة، والصحة ٩٦/ب
طبيعية، وكذلك أسبابها وعلاماتها، فالمرض وأسبابه وعلاماته إذَن غير طبيعية،
وليس عمل الطبائعي خاصة شيئا غير حفظ الصحة إذا وجدها لبدن
الإنسان، أو التماسها إذا وجد المرض قد نفاها وأعدمها، ولذلك قال
جالينوس: («إن قصد الطب التماس الصحة، وغايته إحرازها»).

وإذا كان الأمر على هذا فقد بانَ أن من لم يعلم قوى الطبيعة وأفعالها
على الإطلاق لم يكن طبيعيا، لأنه لا يعلم أمزجة أنواع الحيوان والنبات
والجماد، ومن لم يعلم ذلك لم يعلم كيف قوام الحيوان بالنبات[1]، ولا كيف
قوام النبات بالجماد، ولا كيف يستحيل ويغتذي بعضه ببعض، وإذا كان
ذلك عند الطبيعي مجهولا فاحذر أن تكون هذه الأجناس من الأُسْطُقسات،
واستحالة بعض الاستطقسات إلى بعض، وتولد ما تولد من إمتزاجها من
الأجسام، وما يعرض لجواهرها من الأعراض أجهل، واذا جهل ذلك كان
من الواجب أن لا يعلم هذه الأشياء المقدم ذكرها في بدن الإنسان، لأن
الإنسان جزء لهذه الكائنات، والجزئيات المتشابهة الأجزاء أبدا تابعة لكلياتها،
ولما علم معلمنا الفاضل جالينوس أن ذلك واجب ضرورة، وأن أبقراط وسائر
قدماء الأطباء بهذه الأصول تمسكوا، وعليها بنوا كتبهم، وبفروعها تعلقوا في
حفظ الصحة، وفي شفاء الأمراض ـ اللَّذَيْن هما غرض صناعة الطب
ومقصده ـ عمد جالينوس إلى أصلٍ أصلٍ من هذه الأصول الطبيعية التي لا قوام
لعلم حالات بدن الإنسان إلا بعلمها، فميّزها، ووضع في كل أصل منها كتابا،
ونسبه إلى ذلك الأصل، وسماه باسمه، لأنه يشتمل على ذلك الأصل وفروعه، ولم
يزل يفعل في أصلٍ أصلٍ كذلك حتى أتى على أصول الطب بأسرها. ولما رأى
الإسكندرانيون ـ وهم أفاضل علماء من أهل (/) هذه الصناعة، حين كانوا ٩٧/أ
يجتمعون ويجمعون المتعلمين لصناعة الطب ـ أن أحداث زمانهم لا تبلغ بأكثرهم
هممهم إلى قراءة جميع تلك الكتب، وخاصة التي وضعها جالينوس، وأرادوا تقريب

(١) وردت «والنبات» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

صناعة الطب من المتعلمين لها، رتبوا من كتب جالينوس ستة عشر كتابا[1]، وجمعوا هم أيضـا جوامـع لأكثـرهـا، طلبـا منهم للإيجاز والاختصار، وكانوا يقرؤونها في الأشكول، أعني موضعا كان لهم للتعليم.

ولذلك يجب الآنْ على من ادّعى علم طبيعة بدن الإنسان، وأنه قيم بحفظ صحته، وبعلاج أسقامه، أن يكون خبيرا بهذه الكتب على ترتيبها، وأن يكون قد قرأها على أستاذ عالم بها، ومن ادّعى علم ذلك فيجب أن يُبْدَأ معه بالبحث والمساءلة من أولها، وأولها كتاب «فرق الأطباء» لجالينوس، فيسأله عن غرض جالينوس في هذا الكتاب الذي يدعي قراءته، وعن عنوانه، وعن مرتبته، وعن منفعته، وعن قسمته، وعن صحة نسبته، وعن أي أجزاء علم صناعة الطب منه، وأي أنحاء التعاليم سلك فيه، فإنه إن أجاب عن هذه الثمانية الأوجه بالصواب علم منه أنه قد قرأ ذلك الكتاب، وإن لم يعلم ذلك لم يتعب معه في السؤال عما داخل الكتاب، وأحرى وأجدر أن لا يعلم ما بعده من الكتب.

وكـذلـك يجب أن يمتحن من ادعى قراءة باقي الكتب في واحد واحد منها، فلنسم هذه الكتب ونعددها، إذ كانت الضرورة قائدة إلى ذلك.

فنقول: إن أولها كتاب «الفرق» لجالينوس، والثاني: كتابه الذي عنوانه «الصناعة الصغيرة»[2]، والثالث: «كتابه في النبض إلى طوثرن»[3] والرابع: «كتابه إلى أغلوقن»[4] في جمل من علاج الأمراض، ولأن هذه الأربعة تشتمل

---

(١) قال أبو الحسن علي بن رضوان الطبيب المصري، في كتابه «النافع في كيفية تعليم صناعة الطب» «الباب الثامن في اقتصار الاسكندرانيين على عشرين كتابا أربعة من كتب أبقراط، وستة عشر من كتب جالينوس.. الخ» انظر التفصيلات الورقة ٢١ أ ـ ب أ ـ ب ٢٣ أ ب ٢٤ أ ـ ب، ٢٥ أ ـ ب ٢٦ أ وانظر ايضا ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٥٤ ـ ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) كتاب الصناعة الصغيرة: وهو مقالة واحدة نقل حنين بن إسحاق، وغرضه فيها: أن يخبر كيف ينبغي أن ترتب كتبه في قراءتها، كتابا بعد كتاب. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٣، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٤، وقد ورد اسمه عند ابن أبي أصيبعة «كتاب في مراتب قراءة كتبه».

(٣) كتاب الى طوثرن في النبض: مقالة واحدة نقل حنين بن إسحاق وسماه ابن أبي اصيبعة «كتاب النبض الصغير» والكتاب إلى تلميذه طوثرن وسائر المتعلمين، وغرضه فيه أن يصف ما يحتاج المتعلمون إلى علمه من أمر النبض. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٣، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٤.

(٤) كتاب إلى أغلوقن في التأني لشفاء الأمراض: مقالتان من نقل حنين بن إسحاق، وهو في الطب العام، رمى فيه إلى ضرورة معرفة الأمراض ودلائلها قبل مداواتها. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٣، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٤.

على كثير من أصول صناعة الطب رأيت جمعها نافعا جدا على الطريق الذي سلكته في جمعها لي أولا، ثم لبعض الراغبين في علم هذه الصناعة، فجعلتها فصولا بدأت في (/) أول كل فصل من فصول الكتاب الأول بحرف ألف، ٩٧/ب
وفي فصول الكتاب الثاني بحرف باء، وفي فصول الكتاب الثالث بحرف جيم، وفي فصول الكتاب الرابع بحرف دال، لئلا تختلط فصول الكتاب الأول بالثاني، إذ لم أفصلها مقالات، وأيضا: لئلا تختلط بغيرها من جوامع هذه الكتب، فإن الاسكندرانيين قد جمعوها بطريق لهم سلكوه غير هذا وقد جمعها أيضا حنين وثابت[1]، لكي يسهل حفظها، فتكون للمتعلمين أصولا باعثة ومشوقة لهم إلى قراءة الكتب، ولتكون للعلماء ولمن قرأ الأصول مذكرة جعلتها فصولا، فمن أحب أن يمتحن طبيبا بشيء من فصولها فهو يستغني عن كل محنة، لأن كل فصل مسألة بنفسها، ولذلك ذكرتها في هذا الباب.[2].

والكتاب الخامس من كتب جالينوس الستة عشر هو كتاب «الأسطُقسات»[3]، والسادس كتابه في «المِزاج»[4]، والسابع كتابه في «القوى الطبيعية»[5]، والثامن كتابه في «التشريح»[6]، والتاسع كتابه في «منافع

(١) ثابت بن قرة الحَرّاني من النقلة المشاهير في القرن الثالث الهجري، وصاحب مدرسة حران، بل إنه نبغ في علوم كثيرة مثل الطب والرياضيات والفلسفة والفلك وله عشرات المصنفات توفي سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م. القفطي: اخبار العلماء ص ٧٨، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٢٩٥.

(٢) هذا الكتاب رتبه الرهاوي كمذكرة لنفسه من كتب جالينوس الأربعة ذكره ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٣٤٢. ولعله «كتاب الجامع للطب» لمؤلف مجهول. نور عثمانية رقم ٣٥٥٤.

(٣) كتاب الاسطقسات: مقالة واحدة من نقل حنين بن إسحاق والكتاب على رأي ابقراط غرضه فيه أن يبين أن الأجسام التي تقبل الكون والفساد ـ وهي أبدان الانسان والحيوان والنبات ـ إنما تركيبها من الأركان الأربعة التي هي: النار والهواء والماء والأرض. ابن النديم: الفهرست ص٤٠٣ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٥.

(٤) كتاب المِزاج: نقل حنين بن إسحاق وهو ثلاث مقالات، ذكر في المقالتين الأوليين أصناف مزاج الحيوان، وذكر في المقالة الثالثة منه أصناف مِزاج الأدوية. ابن النديم: الفهرست ص٤٠٣، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٥.

(٥) كتاب القوى الطبيعية: وهو من نقل حنين بن إسحاق، ثلاث مقالات، بين فيه أن البدن يدبر بثلاث قوى طبيعية هي القوة الجابلة، والقوة الجابلة المنمية، والقوة الغاذية. ابن النديم: الفهرست ص٤٠٣، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص١٣٦.

(٦) كتاب الخمس مقالات في التشريح: نقله حنين بن إسحاق ابن النديم: الفهرست ص٤٠٣. وسماه ابن أبي أصيبعة «كتاب التشريح الصغير». عيون الأنباء ص١٥٥.

الأعضاء»[1] والعاشر كتابه في «البُحْران»[2]، والحادي عشر كتابه في «أيام البُحْران»[3]، والثاني عشر كتابه في «النبض الكبير»[4] والثالث عشر كتابه في «الأدوية المفردة»[5]، والرابع عشر كتابه في «الأدوية المركبة»[6]، والخامس عشر كتابه في «حُيلة البرء»[7]، والسادس عشر كتابه في «البُرهان»[8]، وقد رأى قوم تقديم بعض هذه [الكتب][9] لأسباب ليس هذا موضع ذكرها.

فمن أراد محنة طبيب فليختبر أمره: هل قرأ هذه الكتب إن كان فاضلا فيلسوفا، أو جُلّها وأكثرها؟ بل لا غِنَى له البته عن علم الخمسة عشر إن

---

(١) كتاب منافع الأعضاء: وهو سبع عشرة مقالة. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٤٠.

(٢) كتاب البُحران: ثلاث مقالات من نقل حنين بن إسحاق وغرضه فيه: أن يصف كيف يصل الإنسان الى أن يتقدم فيعلم هل يكون البُحران أم لا. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٣، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٧.

(٣) كتاب أيام البُحْران: ثلاث مقالات نقل حنين بن إسحاق. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٣، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٧.

(٤) كتاب النبض الكبير: ست عشرة مقالة نقله حبيش بن الأعسم، غرضه فيه أن يبين كم أجناس النبض الأول، وأي الأجناس هي، وكيف ينقسم كل واحد منها إلى أنواعه. ابن النديم الفهرست ص ٤٠٣، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٣٦.

(٥) كتاب الأدوية المفردة: أحدى عشرة مقالة ترجمة حنين بن إسحاق. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٤، ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء ص ١٤١. على أن هذا الكتاب لم يذكره ابن النديم ولا ابن أبي أصيبعة ضمن الكتب التي رتبها الاسكندرانيون على طلبة الطب.

(٦) وهو كتاب تركيب الأدوية: سبع عشرة مقالة من نقل حبيش بن الأعسم. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٤، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٤٣. أيضا لم يذكر ابن النديم وابن أبي أصيبعة هذا الكتاب ضمن الستة عشر كتابا المقررة لطلبة الطب.

(٧) كتاب حيلة البرء: أربع عشرة مقالة من نقل حبيش بن الأعسم وأصلح حنين الست الأولى منها، ويستفاد منه قوانين العلاج على رأي أصحاب القياس في كل واحد من الأمراض. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٣، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٥٦.

(٨) كتاب البرهان: خمس عشرة مقالة وهي ناقصة كما ذكر ذلك حنين، حيث قال «ولم يقع إلى هذه الغاية الى أحد من أهل دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة باليونانية». ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٥، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ١٤٦. وهذا الكتاب أيضا لم يرد عند ابن النديم، وابن أبي أصيبعة ضمن الستة عشر كتابا المشار اليها سابقا.

(٩) وردت «الأدوية» وما أثبتناه هو ما يستقيم به معنى الجملة.

كان طبيبا طبيعيا بالحقيقة، وإنما أفردنا كتاب «البُرْهان» فقط من جملة الستة عشر، لأنه لا يقوم بقراءته، ولا يفهم جل ما فيه، إلا من قد تفلسف وقرأ منطقا وهندسة، وإذا علم منه القيام بفهم أصول صناعة الطب التي تتضمنها هذه الكتب فقد صح أنه عالم بأصوله، ويبقى عليه القيام بالخِدمة، والمحنة له (/) في ذلك هو أن يُسْأل: كيف تركب الأدوية المركبة؟ وأي شيء يدق مع أي شيء؟ وأي شيء يخلط بأي شيء؟ وكيف يُحَبَّب ويُقَرّص ما رسم عمله كذلك، ولم عُجِن بعض المركبات بمياه وبعضها بعسل، ولم عُمِل بعض الحبوب كبارا وبعضها صغارا، ولم عُمِلت بعض الجوارشنات جريشة، وبعضها دقيقة ناعمة، ولِمَ لُتَّ بعض الأدوية بدهن وبعضها لا، وأمثال هذه الأعمال التي يضطر الطبائعي إلى علمها، فإنه متى جهل علم ذلك، وعمل مثلا الحب الكبار صغارا، والجريش من الجوارشنات ناعما أضرَّ ضررا عظيما، ولجهله بذلك أيضا لا يقدر على إصلاح ما أفسده. ٩٨/أ

فهٰذه الأشياء التي ذكرناها في هذا الباب إنما ينبغي أن يمتحن بها من التبس أمره، فإن الحال فيمن ادّعى علم صناعة الطب وليس من أهلها كحالِ الدِّرْهم الزَّيْف الذي لا يمكن صاحبه أن يظهره بين النقاد، ولا ينفعه إلا ليلا، أو على من ضعف بصره عن النقد، فأمّا إن جهل وتجاسر، وأظهره و خلطه بالدراهم الجياد النقية فإنه سريعا ما تظهره النقاد، ويبين فضيحته.

وفيما ذكرته من هذا المثال كفاية لمن أراد أن يمتحن من تزيّا بزيِّ الأطباء وليس منهم، لكنه قد جعل زيه ورتبته كالشبكة للصياد، بما أذكره من ظاهر أمره، فإنها محنة كافية، وذلك بأن ننظر في أفعاله بنفسه وبجسمه وبأفعاله مع غيره، فإن ذلك كاف للدلالة على عقله وفهمه.

فأما في نفسه فهو: هل أخذ لنفسه منذ صباه بالتأدب والتعلم ومجالسة الأدباء والعلماء؟ أم هو متشاغل بالأكل والشرب واللعب بالشطرنج مثلا؟ وغيرها من الأمور الشاغلة عن العلم وقراءة الكتب، وبمصاحبة الجُهّال والسفهاء والرعاع، وهل تراه كثير الدرس للكتب مذاكراً لأهل العلم ومجالسهم، أم همته التجارة والاهتمام بكسب الدراهم وطلب اللّذات من (/) ٩٨/ب

حيث اتجه ذلك، فإن من كان كذلك فلا خير فيه في هذه الصناعة ولا نفع عنده.[1].

وأما في أمر جسمه فإنك تعلم ذلك من أغذيته في أوقاتها وفي توسطها، وفي اتخاذه لنفسه الجيد من الأطعمة والأشربة، ومن تعاهده لجسمه بتنقيته وغسله وإصلاحه وطيبه، فإن من لم يقدر على صلاح جسمه ونفسه فأجدر أن لا يقدر على ذلك في غيره[2].

وأمـا من أفعـاله مع الناس ففي وطأة أخلاقه، وقلة رغبته في التقدم والترؤس، وطلب الغلبة، واستعمال المَحْك واللَّجاج. وأيضا ففي استعماله العدل في معاملاته، وأن يريد للناس ما يريد لنفسه، كثير الرحمة والمعروف لا على طريق البذخ بذلك، والتصيّد به، لكن يريد الخيرات لذات الخير فيما ذكرناه، وأمثاله يجب أن يفرق بين الأفاضل وأبناء العلم وبين أضدادهم، فإن الأفاضل على الأكثر للناس كالغذاء، وأحيانا كالدواء. والجُهّال الأدنياء دائما كالداء، وأحيانا كالسم، فمن وهب الله له سعادة نافعة فقد وجب عليه إخلاص المحبة للواهب له - تبارك - والشكر دائما، جعلنا الله وإيّاكم من الشاكرين النافعين بجوده وإحسانه.

فإذ قد أخذ هذا الباب بحقه فليكمل هاهنا، ولنتبعه بما بعده بمعونة الله تعالى.

---

(١) يقول هبة الله بن يوسف في امتحان الطبيب وتقصي حقيقته ومعرفة حاله: «ثم بعد ذلك ينظر في ماذا أفنى ما مضى من عمره؟ وما همته اذا خلا بنفسه في أوقات فراغه من أشغاله؟ فإن كان ممن أفنى ما مضى من عمـره في لزوم أبـواب الأغنيـاء، وخدمة أهل الدنيا، والطواف معهم، وصحبتهم في أسفارهم، وكانت همته إذا خلا بنفسه مصروفة إلى الاشتغال بالأكل والشرب باللهو والطرب وأنواع اللذات البهيمية، فَلْيُسَأ الظن به ولا نرجو عنده خيرا». المقالة الصلاحية الورقة ٢٣٣ ب.

(٢) يقول الشيرازي: «اذا رأيت الطبيب غير مَعْنِيّ بحفظ صحته، ولا مقتصد في مطاعمه ومناكحه ولا عامد إلى ما يعود بمنافع البدن ومصالحه، فاعلم أنه ممن أنكر الطب وجهله، ولو عرفه لا يستعمله» رسالة في بيان الحاجة إلى الطب اللوحة ٨٩.

الباب السابع عشر

في الوجه الذي به يقدر الملوك على إزالة الفساد الداخل على الأطباء، والمرشد إلى صلاح سائر الناس من جهة الطب، وكيف كان ذلك قديما

وأما على إثر ما تقدم من القول على شرف صناعة الطب وانتقاد أهلها وتمييزهم (/) بالطرق المبينة للمُحِقِّ منهم من المُبْطِل، فإنه يجب أن يذكر 99/أ من الذي يلزمه من الناس إلزام كل واحد من المحقين مرتبته، لئلا يدخل على الناس الفسا ممن يُعْلي[1] بعض المتغطرسين إلى غير مرتبته، وهم[2] المُدَّعُون لها محالا، ليظهر بذلك العدل، ويتبين به الحق، ويكون النفع عاما، والصلاح شاملا. وبالله استعين.

فنقول: إن الخالق تعالى شرّف الإنسان بالجزء الإلٰهي ـ وهو العقل ـ على سائر مافي عالم الكون، لينال بعقله إذا علم العلوم، ورتب الأمور مراتبها على نظام مستقيم الشرف الأعلى والرئاسة الغالية، ولما كان الإنسان مخلوقا من أسطقسات متعادية، وكيفيات متضادة، لم يجز بقاؤه بشخصه مدة بقاء العالم، فأوجبت كلمة الصانع تعالى بقاءه بنوعه، وجعل ذلك بالتناسل. ولم يكن التناسل يتم إلا بما فرقه البارىء تبارك من اللذة بالحركة إليه، ولأن الحكمة أيضا أوجبت بقاء الإنسان بشخصه مدة ما، وكان الإنسان دائما يتحلّل من جسمه ما كان يهلكه بسرعة لولا لطف الخالق ـ تقدست أسماؤه ـ من الغذاء، فلذلك جعل مغتذيا، ولم يكن ليشتاق إلى الغذاء لولا اللذة،

---

(1) وردت «يعدى» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.
(2) وردت في الأصل «وهي».

فلهٰذين السببين العظيمين خُلِقت اللذة في الحيوان، فصار الحيوان بطبعه لأجل اللذة يغتذي ويجامع، ولمّا لم يكن له عقل صار يأخذ من ذلك بطبعه حسب الكفاية تارة، وحسب ما تهيأ أخرى. وبين الحيوان في ذلك اختلاف وتفاضل.

فأما الإنسان الفاضل فلا يأخذ من الغِذاء ولا من الجِماع إلا بحسب حاجته فقط، والمُقَدِّرُ لذلك هو العقل، ولأجل أن الطبعَ يغير باللذات فيزيد من الأمور اللذيذة أكثر من حاجة الجسم في بقائه وصلاحه، والعقل يريه قبح ذلك وفساده، وقعت بينهما محادثة ومناظرة وحرب (/) لا يقدر الإنسان العاقل الفاضل على توسطه وتعديله، (وإطفاء)[1] ناره، إلّا بقوة عظيمة ثالثة، جعلها الباريء تعالى كالآلةِ للحرب، ليقدر بها المحارب على مُقَارعة[2] محاربه، فإن بادر العقل إليها، واستعان بها على محاربة الطبع قهره، وظهرت رئاسته، وقدر على إظهار عدله، وأمكنه وضع الأمور مواضعها، لأن الملك والرئاسة قد حصلت له وحده، والجميل الطبع الذي هو ضده، وهذه الآلة هي القوة الغاضبة، التي جعلت كالسيف للمحارب، فمن قوي على خصمه استعان بها في حربه.

٩٩/ب

ولما كانت حكمة الباريء تعالى واحدة لا اختلاف فيها شابهت بعضها بعضا، ولذلك يوجد في الإنسان من الحكم والنظر مثل ما في العالم بأسره، ولهذه العلة قالت القدماء: إن الإنسان هو العَالَمُ الأصغر، ولذٰلك يجد العاقل من الناس من قدرة الباريء تعالى، ولطفه بخلقه، وجوده عليهم، ما لا يجده الجاهل. فيكون العاقل بذلك في نور ولذة لا تنقطع، ونعمة لا تفارقه، من فردوس الحكمة التي هو دائما منها في مسرة، والجاهل في ظلمات وشقاء، فالعاقل لذلك يعلم أن المَلِك في مُلْكه، والرئيس في رئاسته، والعالم في علمه، لم يميزهم الباريء تعالى من سائر خلقه إلا بقوة وسعادة من عنده، خصهم بها، لنفع البرايا، وصلاح الكلّ، كما ميز العقل من الطبع.

---

(١) وردت «وطفي».
(٢) وردت «مفارقة» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

ولذلك وجب عليهم أن يقوموا للعالم بما نصبوا له، فكما أن العقل إذا خالفه الطبع يستعين على مقاومته بالقوة الغاضبة، لذلك ينبغي للملك أن يستعين بهذه القوة بعينها عند الخلاف عليه، إذا كان سالكا في تدابيره طرق العدل.

وكما أن المحارب لا يصلح له تجريد سيفه إلّا عند الخَوْف من العدو، وكذلك (/) الملك لا يصلح له استعمال الغضب إلّا عند خوفه على فساد ملكه، لأن له قوة نافذة يمكنه بها تدبيره بغير غضب، فإذن أعظم ما احتيج إلى المَلِك فيه هو حِفْظُ مُلْكه، واستجلاب المنافع له ولرعيته، ولا يتم ذلك للملك [إلا أن][1] يكون متيقظا، مستضيئاً بنورالعقل والشريعة، مستمدا الرأي والتدبير من أهلها، وبذلك يظهر شرفه، ويزين ملكه، فيكون أهل العلم والدين مُشَرَّفين أعزاء، وأهل الشر والجهل مرذولين أذِلّاء. ١٠٠/أ

وإذا كان الأمر على ماقلناه فمن البين أن التواني في كثير من الصغائر، وإهمال أمرها ربما أدخل الفساد على الأمور العظام، فإن الحقير من شرر النار ربما أهلك الخطير من المنازل والمدن، فلذلك يجب على القيم برعاية علمه، والمدبر ملكا أو مدينة، أن لا يهمل من مصالحهم حقيرها، فكيف شريفها وعظيمها.

ومن المعلوم أنه لا شيء من المكونات أشرف من نفس الإنسان ومن جسمه، وإذا كانت المنافع لهما بطلت، ولا شيء أنفع من حفظها وإصلاحها، فالملك أولى الناس باختيار من عنده هذه المنافع والمصالح الشاملة والعامة، ليس في نفسه وجسمه (بل)[2] لسائر الناس، وبغير شك إن الحافظ لصحة الأصحاء، والمعالج للمرضى حتى تعود إليهم صحتهم، هم الذين وهب الله تبارك وتعالى لهم من حكمته علما يقدرون به على ذلك، مع إرادته، وهٰؤلاء هم الأطباء.

ولما كان قوم قد تغطرسوا على هذه الصناعة فادعوها بغير معرفة بها. وجب لذلك ـ على الملك خاصة ـ إزالتهم عما عصوه أولا، ثم ثانيا لأجل ما يدخل

---

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في النص وأثبتناه ليستقيم المعنى.
(٢) وردت «ثم» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

على الخاصّ والعام منهم من الضرر، إذا تميز لهم قليل عددهم، فلا يمكن للمرأة والسوقي والغريب تمييزهم عن غيرهم فيجتنبونهم، فلذلك يكون الضرر - بل القتل - منهم شائعا، وهو بالحقيقة، خفي، فالملك إلى دفع هذه البلية (/) عن جنده ورعيته، وعن نفسه أيضا، واجب إذ كان في أحايين قد يصير الملك إلى من لا خبرة عنده بأمور الطب، فربما اضطره الأمر إلى إحضار طبيب لا يعلم بأنه غير موثوق به فيخطىء عليه ويهلك، فيكون إغفاله اعتقاد ذلك في حال صحته سبب هلاكه، وكذلك يتسبب دائما على خواصه وعوامه. ١٠٠/ب

فقد اتضح بما قلناه أن النظر في أمر الطبيب خاصة، وإلزام الأطباء، بعد محنتهم - واختبار أمورهم - واجب على الملوك أولا، ثم على الرؤساء ومن إليهم النظر في مصالح الناس والعلماء وأهل العقول[1]. ولما كان من ذكرناهم بعد الملك هم أكثر مشاهدة للأطباء وغيرهم من المَلِك، ويسمعون من أخبارهم ما لا يسمعه المَلِك، وكان في إنهاء ذلك وشرحه للملك مصلحة للملك أولا - ولهم ولسائر الناس - وجب عليهم تعريف الملك، وحَثُّه على القيام بصلاحه.

ولخطر ما ذكرناه، وشدة الاهتمام به، كان قدماء اليونانيين يسلكون مع الأطباء طرقَ الاحتياط، وشدة التَّفَقُّدِ، فلذلك كان أطباؤهم على شدة حذر وتَوَقٍّ من الخَطأ، ووثوق شاف.

من ذلك ما حكاه عنهم الثقات، وذلك أن الطبيب لم يكن يُمَكَّنُ من الجلوس للطب إلا بعد ماذكرنا جملة من المحنة والاختبار، فإذا كان أطلق له ذلك، فقد كان عمل قدماء الأطباء لهم كرسيا يسمى كرسي الحكمة، لما فيه من المنافع وحسن الشكل، فكان لا يجلس عليه إلا طبيب، وإلى الآن ذلك الكرسي ينصبُه قوم من الأطباء بالشام ويجلسون عليه، فكان قديما

---

(١) يقول هبة الله بن يوسف: إن أهم أسباب دثور صناعة الطب هو إهمال الملوك العناية بها، ويؤكد أن صلاحها يقوم على عدة أمور: أولها وأعظمها: اعتناء الملوك بأمرها، وهذا الاعتناء يتوجه نحو ثلاثة أشياء، أولها: الاعتناء بمعلمها، والثاني: الاعتناء بمتعلمها،... بتدريبهم في مزاولة المرض... وأن تتخير منهم من تُرجَى غايته فيها... ثم أن نتفقد أحوالهم فنميز من ينفع منه وتظهر له مزية على باقيهم، فإن ذلك مما يدعوهم إلى بذل اجتهادهم، ويقضي بشدة حرصهم وتنافسهم على الفضيلة. المقالة الصلاحية الورقة ٢٣٢ أ - ب.

من جلس في ذلك المجلس فقد علم منه أنه مُرْضٍ مُمْتَحَنٌ، وكان الطبيب إذا دخل إلى مريض ليَعُودَه ويَطِبَّه يستدعي أول دخوله عليه ورقاً أبيض، فيكتب فيه. بعد تأمل حال المريض: دخلت إلى المريض الفلاني، في اليوم الفلاني ـ وهو اليوم الأول من مرضه، أو الثاني، أو الثالث، بحسب ما تهيأ ـ فوجدت مرضه المرض الفلاني، والذي (/) دلّني على ذلك الحالات الفلانية ـ من حالات قارورته، ونبضه ـ والعلامة الفلانية والفلانية، فأشرت عليه من الدواء بكذا وكذا، ومن الغذاء بكذا وكذا. ويدع ما كتبه عند أهل المريض. وعند العودة ينظر ما تَغَيّر وحَدَث أثبته على ما ذكرنا، وكذلك في كل دخلة، وإن رأى علامة مُنْذِرة ببُحْرانٍ ذكرها، وإذا وافى البحران بما أنذر به أثبته إلى نهاية حال المريض والمرض، فإن كان المريض برئ أخذ ذلك الدستور إليه، ليكون تذكرة عنده، وأصلا لحالة[1] أخرى إن حدثت بذلك الإنسان، وإن مات المريض، وذكر ذاكر طبيبه بأنه قد غلط عليه حضر الطبيب مع أهل البصيرة، وأظهر ذلك الدستور من عند أهل المريض، وتفقد من حضر من العلماء بصناعة الطب ما ذكره، فإن يكن المرض على ماحكاه، والعلامات هي العلامات الخاصة بذلك المرض، وبمثلها يعلم، وكان العلاج والتدبير موافقين انصرف مشكوراً، وإن كان الأمر بخلاف ذلك نالَه ما يستحقه، ولم يعاود إلى الصناعة إن كان الغلط أوجب القتل[2].

١٠١/أ

وإنما حكيت هذه الحكاية ليعلم القارىء لها كيف كانت العناية بأمر هذه الصناعة، وكيف كان الاحتياط على النفوس، ولعل الله تعالى يسبب للناس صلاحا بما ذكرته، فأكون قد سُقْت إليهم خيراً، وهو المطّلع على سِرِّي وعلى قصدي، وله أسأل أن يوفقني إلى استعمال ما ذكرته من الحق، ويسهل طرق الحق والخير لعباده أجمعين، وليكمل هذا الباب هاهنا بمعونة الله تعالى.

---

(١) وردت «كحال» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.

(٢) وهذا ما كان يتحرّاه ويتقصّاه الأطباء المسلمون انطلاقا مما أوجبته الشريعة الإسلامية، وتمسكا بمذهب القدماء وآدابهم في الطب، وكان الذي يقوم بمراقبة ذلك على الأطباء هم رجال الحِسْبه، يقول ابن الأخوة: «وينبغي إذا دخل الطبيب على المريض، وسأله عن سبب مرضه وعمّا يجد من الألم، ثم يرتب له قانونا من الأشربة وغيره من العقاقير، ثم يكتب نسخة لأولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض...» معالم القربة في أحكام الحسبة ص٢٥٥ ـ ٢٥٦، انظر ايضا: ما قاله الشيزري نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٩٧.

الباب الثامن عشر

في التحذير من خُدَع المُحتالين[1] الذين يتسمون باسم الطب، والفرق بين خدعهم والحيل الطبية(/)

١٠١/ب

ليس غرضي في هذا الباب أيها الحبيب - ذَمَّ الحيلة على الإطلاق، إذ كان معنى هذا الاسم إنما يلطف الإنسان بلطيف فطنة العقل في إصابة ما بَعُد واعْتاص[2] عن غرضه، وبهذا المعنى، أعني طريق الحيلة[3]، قدر الإنسان أن يستخرج دقيق العلوم والصنائع، لأن الموجودات لم يكشفها الباريء - تبارك - بأسرها للانسان لئلا يسقط عن الناس كلفة النظر والبحث[4]، ويذهب تفاضلهم بمعرفة العلوم والمهن، فتسقط المراتب والرئاسات بذلك، وهذا هو سلب نوع الإنسان ما به شُرِّفَ، وعدم حكمته التي بها فضل على

(١) لقد انتشر أصحاب الحِيلة والمَلَق والخِداع وممن تسمى بالطب في أنحاء الدولة الإسلامية في كافة العصور، ولقد ارتبط بهم وفضّلهم العامة من الناس على كبار الأطباء لأسباب يطول شرحها، على أن الحِيلة كانت السبب الأول، وكان ضررهم كبيرا على المجتمع الإسلامي لا سيما أثناء انتشارهم في فترات الانتكاسة السياسية والفكرية في الأنحاء المختلفة من الدولة الاسلامية، عندما يترك لهم الحبل، وعندما يعم الجهل. ونظرا لأهمية الطب، وخطورته في حياة الأمة، وإن لم يكن يعلم ذلك حق علمه إلاّ الأطباء المتمكنون، فقد كانت شكايتهم جميعاً من مثل هٰؤلاء الذي تسموا بالطب في كل زمان. وصنف هؤلاء كتبا عن جهلة الأطباء كشفوا فيها ضررهم على الأمة، وحيلهم وطرق معالجتهم، وكيفية استمالتهم للعامة وجهلة الناس. انظر مثلا: الرازي: في مخاريق المشاتين، من كتابه «المنصوري» ضمن «الرازي ومحنة الطبيب» تحقيق البير زكي اسكندر ص ٤٨٧. صاعد: التشويق الطبي. هبة الله بن يوسف: المقالة الصلاحية الباب الثاني «وو» ٢١٤ ب - ٢٣١ ب الشيرازي: رسالة في بيان الحاجة الى الطب. ابن رضوان: النافع في كيفية تعليم صناعة الطب، والاستشهادات والكتب كثيرة في ذلك.

(٢) اعتاص: أي صعب وخفَي والتوى.

(٣) وردت «للحيلية» خطأ.

(٤) وردت «والبحوث» خطأ.

أنواع الحيوان، فلذلك جعل الله تعالى بعض الأمور ظاهرة جلية، وبعضها خفية، ليتوصل بلطيف حيلة العقل، وتدقيق ذهنه من الأمور الظاهرة إلى معرفة الأمور الباطنة، كالذي فعله أصحاب الرياضات، فإن المهندسين إنما علموا أن الثلاث الزوايا من كل مثلث مساوية القائمتين، من المصادر[1]، التي قدمها إقليدس[2] في أول كتابه في «الأصول»[3] التي علمها ظاهر عندهم، ومن ذلك ترقوا إلى علم حالات المقادير بأسرها، والسطوح والأجسام، وبذلك أمكنهم [معرفة][4] مساحتها، ومن ذلك ترقوا إلى علم مقادير الأقاليم، ومساحة جملة الأرض ثم الأفلاك، وبذلك علموا مواضع ما تهيأ لهم رصده من الكواكب وحركاتها وأبعادها.

وهذا الطريق سلكه أصحاب علم الحساب، في استخراج الجذور وغيرها. كذلك جرى أمر أصحاب علم النجوم، فإنهم قفوا اثار الأمور الطبيعية في كثير من أمورهم، واستعملوا التشبيه والمماثلة والحَدْس، جميع ذلك قصداً لعلم الخَفِيِّ بالظاهر.

وأما أصحاب المِهَن فأمرهم في استعمال الحيل لاستخراج محاسنها ظاهر، حتى إن أكثر الناس يعجبون (/) مما يعمله أصحاب الحركات والخيالات، ١٠٢/أ وما يظهره أصحاب السحر من العجائب التي تدهش كثيرا من الناس، لاستتار أسبابها وعللها عنهم، حتى إن قوما منهم يَظُنّون أن الجن تفعل ذلك، وآخرون يرون أن قوى إلٰهية تخدمهم في ذلك، فهذه الأشياء وأمثالها لم تتم للناس إلّا بلطف حيلة العقل، ألا ترى أن صناعة الطب لم تستخرج محاسن مافيها من العلاج والأعمال إلا بطريق الحيلة، كقَدْحِهم للعين حتى

(١) وردت «المصادرات» خطأ. وما أثبتناه هو الصحيح.

(٢) اقليدس: المهندس النجار الصورى وهو ابن نوقطرس المظهر للهندسة، صنف اقليدس أصول الهندسة، وله يد طولى في علم الهندسة، وكتابه هذا عرف عند اليونان «بالأركان» وسماه المسلمون «الأصول» وهو كتاب جليل القدر عظيم النفع، وله غير هذا الكتاب «كتاب المفروضات» و«كتاب المناظر»، و«كتاب تأليف اللحون» القفطي: اخبار العلماء ص ٤٥.

(٣) كتاب الأصول: انظر الفقرة السابقة.

(٤) لم ترد كلمة «معرفة» في الاصل وأثبتناها ليستقيم المعنى.

يبصر من قد عمي، وكَبَزْلهم الماء من المستسقين[1]، ومن أصحاب العلل المائية، وكاستخراجهم الأخلاط الرديئة المفسدة بأدوية معلومة، وبتقدير معلوم. ولكي يصيبوا الغرض، ويستخرجوا ذلك الخِلْط بعينه، ولأن لذلك طرقاً وقوانين قد تفضل الله بها على نوع الإنسان وضع العلماء في هذه الطرق[2] كتبا ليعلمها من أراد التعرض لذلك، لئلا يسلك غيرها فيُهْلِك الناس، كالذي فعله قدماء الأطباء.

من ذلك ما وضعه الفاضل جالينوس من كتبه التي رتبها ترتيبا طبيعيا، وعلى مذهب التعليم، فبدأ من أول ما ينبغي أن يتعلمه الطبيب وسار على نظام حتى بلغ إلى نهاية ما فيه صناعة الطب، وهو أعوص ما فيها وألطفه وأحسنه، فوضع طرق ذلك، وما استخرج القدماء من الأطباء بتلك الطرق اللطيفة، فوضع جميع ذلك (في)[3] أربع عشرة مقالة، وسمى ذلك الكتاب «حيلة البرء» فأذن بهذه الحيلة وانتفع الناس ، وهي نتائج العقول، وثمرات الفضائل التي يستحق أهلها المدح والتشريف.

وأما من سلك طرق الحيل للوصول إلى كسب الدراهم على غير الواجب، وبلوغه لذاته فقط، فما مثله إلّا كذئب قد ستر نفسه ليفترس ما أمكنه افتراسه، وليس الضرر الداخل على الناس من أصحاب هذه الحيل كالضرر الداخل عليهم من الحيوانات المؤذية، (/) بل أعظم كثيرا، لأن الحيوانات لا تقدر على التقلب من فعل إلى فعل، لُكنّ لكل واحد منها فعلا طبيعيا يخصه، به تكون أذيته، فأما الإنسان الشرير المؤذي الحَيُول فإنه يؤذي بطرق مختلفة، ويتقلب في الأفعال المؤذية بحسب اتساع حيلته، فلذلك هذه الطائفة على نوع الانسان شر من السبع والذئب والنمر والأفعى والعقرب، وغير هذه من المؤذيات. ١٠٢/ب

ولما كانت صناعة الطب أجل المهن قدراً في نفع الانسان، وأهلها السالكون طرقها بالحقيقة هم عند الناس في مرتبة شريفة عالية، يكرمونهم

---

(١) الاستسقاء: مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الأعضاء وتربو فيها وهو ثلاثة: لحمى، وزقي، وطبلي، ابن سينا: القانون ج ٢ ص ٣٨٤. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٣٢.
(٢) وردت «فيها» بين كلمتي «الطرق» و «كتبا» ولا معنى لوجودها فحذفت.
(٣) وردت «من» وما أثبتناه هو الأفضل.

ويجلونهم، وكانت أيضا هذه الصناعة مخصوصة بأقوام خواص، فكانت بذلك مصونة لا يمكن كل من التمسها الدخول فيها. فلما وسع لكل من طلبها الدخول فيها، وكان الناس بطبعهم يحبون نيل المراتب السنية والتشريف والتبجيل ـ ولم يكن ذلك يوجد لمهنة من المهن فوق صناعة الطب ـ طلبها غير أهلها حسداً لهم، ولما لم ينالوا حقيقتها لينالوا بها العلو والمنزلة الرفيعة لسوء أمزجتهم، وغلظ قرائحهم، عَدَلوا إلى الحيلة على الناس بضروب من الخُدَع والدهمسة، ستروها بما أظهروه من الزي واللباس[1] والتصنع، لمشابهة أهل الصناعة بالحقيقة في ألفاظهم وكثير من أمورهم، فكانوا بذلك وبما جملوا به دكاكينهم، وأظهروه من آلاتهم لتصَيُّدَ الناس، كمن نصب الفخاخ، وبسط الشباك لصيد الحَيوانات، ولأن هذه الآفة الداخلة على هذه الصناعة وعلى أهلها، حتى أوقعت في بعضهم الشك، وأكسبتهم سوء الظن بهم من كثير من الناس، لما يرونهم عليه من صونها وتوفيتها حقوقها، نعم حتى إن جهال الناس وأشرارهم يعتقد فيهم البغضة، ويضمرون لهم الشر (/) فلذلك ١٠٣/أ
وصف جالينوس من خُدَع هؤلاء وحيلهم[2] التي يعملونها لينفقوا بها على الناس ما أذكر هاهنا بعضه، ليعلم به جُمَل ما قصدت لذكره فتأمله.

قال جالينوس في كتابه في «نوادر تقدمة المعرفة» هذا القول: («أما بحسب ما يراه كثير من الأطباء يا افيجانس[3] فانه غير ممكن أن يتقدم واحد فينذر بما هو حادث بالمرضى في كل واحد من أمراضهم، وذلك أنه منذ كبر من غايته أن يظن به ما يقدره من غير أن يعنى بمعرفة ذلك حق معرفته ـ لا في الطب فقط، لكن في سائر الصناعات ـ استهين بأحسن ما في الصناعات، وصرفت العناية إلى الأشياء التي تشتهر ويكبر بها الإنسان عند الكثير فقصد قصد معرفة الأقاويل التي تنحو نحو اللَّذة والتمَلُّق والمساعدة بالقِحة والتسليم

(١) انظر في هذا ما قاله هبة الله يوسف: المقالة الصلاحية الورقة ٢٢٤.
(٢) وردت «وخذلهم» خطأ.
(٣) أفيجانس: ذكره ابن أبي أصيبعة في ترجمته لجالينوس حين قال «فأما العلاجات البديعة التي حصلت لجالينوس ونوادره في تقدمة المعرفة التي تفرد بها... فإنا وجدناه قد ذكر من ذلك جملاً في كتاب مفرد كتبه إلى افيجانس ووسم بكتاب «نوادر تقدمة المعرفة» عيون الأنباء ص١٢٧.

في كُلِّ يوم على ذوي اليَسار، والمتسلِّطين في المدن، وتشييع من يريد الشخوص إلى ناحية من النواحي، واستقبالهم إذا قدموا من البلدان، والحيلة لطلب الضحك في المجالس. ومنهم قوم لم يقنعوا بهذه الأشياء فقط، لكنهم راموا أيضا أن يقنعوا العوامّ أنهم يستحقون بشراء لباسهم وكثرة ثمنه، وحسن خواتيمهم وشرائها، وكثرة من معهم من أتباع، وبما لهم من الأواني الفضية»)
فهذا القول كاف في التنبيه على خُدَع هؤلاء بالأقاويل والأفعال، ولو ذهبت إلى إحضار ما قاله جالينوس في ذلك لكثر وطال به الباب.

أما خُدَع صنف آخر من هؤلاء بالأعمال فإنها كثيرة أيضا، وقصدهم في جملتها أن يعملوا أعمالاً تشبه في الظاهر الأعمال الصحيحة، من أعمال الطبّ، ليقنع بها الناس، ويَشْهَدُوا لهم بالحذق في الصناعة، مع ما ينالونه من الكسب (/) وإذا تأمل المتأمل باطن تلك الأعمال وَجَدَها مَخْرَقَةً، وحيلة وباطلا[1] لا حقيقة له، لا في علاج المرضى ولا في حفظ الأصحاء، بل على أكثر الأمر إنّما تكون أعمالهم سببا لمرض الأصحاء، وذلك بما يقدم عليه قوم منهم من شَقٍّ وكَيٍّ، وغيرهما من البطش باليد لأعضاء لا تحتاج إلى ذلك، فيحدثون بالصحيح علة تحتاج [أن][2] تُعالَج وتُدَبَّر مُدّة من الزمان، وربّما آل أمرها إلى الهلاك، وكذلك قال[3]: («يُرَكِّبُ منهم قوم أصنافاً من الأدوية لعلاجِ العَيْن وغيرها من علل الجسم تراكيب من أَكْحال وأقراصٍ وسَفُوفات، يدفعونها إلى المرضى ليستريحوا بها الفائدة، ليست مما يصلح لعللهم، لكنها في الظاهر تشبه الأدوية المركبة بالحقيقة للعلاج. فكم من قد عمي من أكحالهم، وكم من هلك من سفوفاتهم وأقراصهم»).

١٠٣/ب

ولأني لا أرى وصف كيفية أعمالهم وحيلهم؛ لئلّا يتعَلَّمها الأشْرار فأكون من حيث قصدت النفع أوقعت الضرر. وأيضاً: فإني أرجو من له أدنى دين وعقل إذا رآني قد عدلت عن إظهار العيوب، وكشف القبائح يغار من قبحها، ويزهد في دناياها، فيكون ذلك سببا لمصلحته، وانتقاله إلى التعليم

---

(١) وردت «وباطن» وما أثبتناه هو ما يستقيم به المعنى.
(٢) لم ترد «أن» في الاصل وأثبتها ليستقيم معنى الجملة وسياقيها.
(٣) أي جالينوس.

والتأدب، فلذلك تركت كشفها، ولأكون على الوجهتين جميعا مشكورا، ولكني لرغبتي في أن يكون التحذير أبلغ، والحذر أبلغ، فإني [مع عدم][1] كشف كيفيات الحيل في عملها واستعمالها أريد أن أذكر من أسمائها ما به يُلَوِّح المحتالون، وأنني عن علم بها تركتها، ويكون مع ذلك مِفتاحا وبابا يفتح لأهل الفطنة، ليدخلوا إلى معرفتها منه[2]، وليكون لهم بذلك ـ من حيلهم ـ منها أتم حذر، فأقول:

إن أخلاط البدن أربعة، إذا كثرت وانصبّت إلى بعض أعضاء البدن، ولم يمكن لتلك الأعضاء إحالتها بالنضج (/) لتغتذى، أحالتها إحالة لا تصلح للغِـذاء، فتعفنت وأحدثت ضروبا من الأورام والنُّزَل[3] والسِّلَع[4] بحسب جواهـرهـا، ولابد من أن يكون لها ألوان بحسب ألوان الأخلاط الطبيعية والمناسبة لها، والعلاج الصحيح لهذه هو إخراجها من الأعضاء بطرق مختلفـة، من إنضاج وتليين، ليمكن الطبع فتحها، أوليتهيأ للمعالج باليد فتحُها وشَقُّها وبَطّها، وإخراج المواد واستنظافها، فلعلم أهل الحيل المموهة، وهـم الذين يسمون الدستكارية[5]، بذلك احتالوا بلطف حيلة لعمل أجسام تشبه تلك المواد والأجسام التي تكون في النَّزلات والأورام، واحتالوا أيضا في إخفائها في أفواههم وفي أيديهم وبين آلاتهم، ليدركوها، ويظهروا أنهم يستخرجونها إذا شاؤوا، وبعد شَقّ العضو الذي[6] يقصدون لعلاجه، ويعملون الحيلة في إظهار ذلك المستور المشابه للخلط بمصه بآلة لهم تسمى المذوقة، فيخرجون ما يشبه المادّة السوداوية، ويسمون ذلك السورك، ويستخرجون من آخـرين ما يشبـه في قوامـه البلغم والمادة المتغيرة، وكذلك ما يماثل النُّخام[7].

١٠٤/أ

---

(١) وردت «مع ما» وما أثبتناه هو ما يستقيم به معنى الجملة.
(٢) وردت «أن أخبر ذلك» بين كلمتي «منه» و «ليكون» ولا معنى لوجودها فحذفت.
(٣) النُّزَل: واحدها «نُزْلة» وهي ما ينزل بالانسان من أنواع الأمراض. الرازي: مختار الصحاح مادة (نزل).
(٤) السلع: وهي دبيلات بلغمية تحتوي على مواد عفنة، وهي مختلفة المقدار فمنها ما يكون في ابتدائه قدر الحمصة ثم يكبر الى أن يصير بقدر البطيخة. ابن القف: العمدة في الجراحة ج ١ ص ١٥٠.
(٥) الدستكارية: الدست كلمة فارسية لها عدة معان من ضمنها «الحيلة» فيكون المعنى اصحاب الحيل. آدي شير: معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص٦٣.
(٦) وردت «الذين».
(٧) وردت «الخام».

في بياضه، ويسمون ذلك الركاب، ولعلمهم بأن الأورام الصلبة والسِّلَع قد يكون داخلها موادّ صلبة وعصبية، وقد يتكون فيها دود أيضا، وتتكون أورام تشبه السراطين في شكلها، فلذلك احتالوا في عمل ما شابه ذلك وإخفائه، ثم استخراجه بعد الدك من حيث أخفوه كأنه من العضو قد استخرج، وأسموه القدسان، وأما الدود المستخرج من الآذان وغيرها خاصة فاسمه عندهم الهمقان[1]، وأما ما يستخرجونه من أمثال هذه الأشياء بالقيء فيسمونه اللوى، وكذلك أيضا قد يستخرجون من أنوف الصبيان شيئا من جنس الأغذية ويسمونه بلعا.

ولست أحتاج أن أعدد (/) مسمّيات هٰؤلاء لأعمالهم هذه التي يسمونها التحرير، مثل الأروك الذي يستخرج به النواصير[2]، وكرد أروك الذي يظهر من حيلته استخراج مِدّةٍ[3] من أجفان العين في الجرب العارض لها وغيره. ١٠٤/ب

وقد يستعين هٰؤلاء في حيلهم بإعطاء أدوية قد اتخذوها معهم مُخَدِّرة ومنوِّمة، ليُظهر لأهل المريض ومن حضره الراحة للمريض، وسكونه من مرضه، وبُرْأَه بعلاجهم، فيستربحون الفائدة بذلك[4].

وكذلك قد يفعلون في إعطائهم أدوية مسهلة، كالشبرم ولبنه والمازريون[5] وأشباه هذه بغير علم منهم بصلاحها، فيقتلون بذلك عاجلا أو آجلا.

ولست أقول: إن جميع الدستكارية يستعملون ما ذكرته بغير علم، وبطريق المحال، لكني أشرت إلى المموهين منهم، فأما حُذّاقهم الفُرْه[6]

---

(١) الهمقان: لعله يقصد «الهمجان» قيل أنه دود يتفقأ عن ذباب أو بعوض. آدي شير: معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص١٥٧.

(٢) النواصير: من أمراض العين. يعقوب الكشكري: كناش في الطب الورقة ٣٤ ب. وهو أيضا من أمراض المقعدة. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص١٣٣.

(٣) المدَّة: القيح.

(٤) أشار الرازي الى أنواع هذه الخدع المختلفة انظر من كتابه المنصوري «في مخاريق المشاتين» وهذا العنوان حققه البير زكي اسكندر ضمن «الرازي ومحنة الطبيب» بمجلة المشرق المجلد ٥٤، ١٩٦٠م ص٤٨٧.
أما الكلمات والمسميات التي أوردها الرهاوي هنا مثل الماذوقه، السورك، الركاب، القدسان، اللوي، بلعا، الاروك، كرد أروك، فلم أجدها فيما توفر لدى من مصادر طبية.

(٥) المازريون: له أغصان طولها شبر، وورق كورق الزيتون، وهو مر متكاثف، يلذع اللسان وينقي القروح الكثيرة الوسخ. ابن البيطار: الجامع ج ٤ ص١٢٣، الغساني: المعتمد ص٤٦٩.

(٦) الفره: الفراهه الحذق والمهارة. آدي شير: معجم الألفاظ ص١١٩.

أصحاب البطش بالأعمال الصحيحة فإنهم وإن استعملوا حينا شيئاً مما ذكرته لم يستعملوه على الطريق المخرفة، لكن بحيلة طبية نافعة، يكون بها برء المريض عن طريق الوهم[1]، كالذي فعله جالينوس من هٰذه الأعمال بعينها، فكان بها برء المريض، وذلك أن جالينوس حكى أن إنسانا توهم أنه (قد بلع)[2] حية، فعولج بكل دواءٍ فلم ينجح فيه، فلما وقف جالينوس على خبره سأله: هل تعرف لون تلك الحية؟ فقال: هو اللون الفلاني، ومقدارها المقدار الفلاني ، فأمر سرا عن العليل بمن صاد له حية بتلك الصورة وأخفاها بلطيف الحيلة، وسقى المريض دواء قذفه، وشد عينيه حين أخذ يقذف، وسرح الحية المذكورة بالقذف، فحين فض عن عيني المريض قال: هذه هي الحية التي ابتلعتها بعينها، وقد وجدت الراحة، فبرئ برءًا تاماً من توهمه[3].

وقد جرى له ولغيره أمثال ذلك كثيرا مع قوم من أصحاب المالنخوليا وغيرهم، ممن تداخلهم الرعب والفزع من أشياء فذابت أبدانهم، واصفرّت (/) ألوانهم، فلم يقدر فيهم على علامة تدل على مرض، فلما علم من أمرهم أن ذلك لفزعٍ عملت الحيلة لإدخال السرور على قلوبهم فبرئوا، وذٰلك لا يكون بصنف واحدٍ من التدبير والحيلة، لأن منه ما يكون من جهة الأخبار المسموعة والكتب التي ترد منه، ومن جهة المنظورات، وكذلك من باقي الحواسّ، فيحتاج أن يكون الطبيب لذلك ذكيا فطنا لاستخراج السبب، ولمقابلته بالحيلة، كالذي استخرجه جالينوس بسبب ذلك المملوك الذي كان خازنا لمال مولاه، وقد كان بدنه آخذا في الذُّبُول والنقصان، فطال سهره، فشغل ذلك قلب مولاه، فلما بحث جالينوس عن سببه لم يجد علامة لمرض بجسمه فيقضي أمره، فعلم أن سببه خوف الفضيحة من نقصان ذلك المال،

١٠٥/أ

(١) يقصد بالوهم: أي العلاج النفسي.
(٢) وردت «قد بلغ» في الحاشية وأثبتناها ليستقيم المعنى.
(٣) هذا نوع من المعالجة النفسية كما هو معروف في العصر الحديث، وقد روى ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء مجموعة من الحكايات عولج فيها مرضى المالنخوليا من ذلك قصة معالجة هبة الله بن ملكا البغدادي لمريض توهم أنه يحمل على رأسه جرة أينما ذهب وعالجه ابن ملكا بإيهامه بكسر تلك الجرة.
وقد علق ابن أبي أصيبعة على ذلك بقوله «وهذا باب عظيم في المداواة» ص ٣٧٥.

فأعلم مولاه بذلك وقال له: ؛ أظهر له أنه ثقة. وأنه [لن][1]، يُحاسَب، فلما وثق الغلام بأنّه (لن)[2] يحاسب عاد بدنُه وقوى، وبَرِئَ في ثلاثة أيام.

وقد حكى جالينوس في أمثال هذه الحيل النافعة حكايات كثيرة في كتابه في «نوادر تقدمة المعرفة» وفي كتابه في «حيلة البرء» وفي غيرهما من أقاويله، من التمس ذلك وجده، وأما هاهنا ففيما كتبناه في هذا الباب كفاية.

وقد بقي أن أقول قولا نافعا، أختم بذكره هذا الباب، وهو نافع في التفرقة بين الدستكارية الحُذّاق والمتشبهين، فأقول: إنك تجد الصنفين جميعا إذا دخلوا المدن قصدوا إظهار ما يدعونه من أعمالهم بضروب من الحيل، فمنهم من يلاطف سُلْطان ذلك البلد بمعاجين واضحات، حسنة في منظرها وفي فعلها، على ما يدعونه من المنافع التي يرغب كثير من الناس فيها، فيدعي في بعضها أنها تقوي وتجوّد الهضم وتحسن اللون، وفي آخر أنها تحفظ سواد الشعر، وآخر يسوده، وآخر يحرك شهوة الباه، ويزيد في الإنْعاظ[3].

ومن المعلوم أن ما ذكرناه وأمثاله يرغبه كثير من الناس، فبهذه وأشباهها يتوصلون إلى ذوي الرئاسات (/) واليسار، ليتوسطوا بذلك مجالسهم، ويقربوا منهم، ويفاوضوهم ليشهدوا لهم بالتقدم، وخاصة مع ما يسمعون من الدَّعاوي، وأحرى وأجدر إن عملوا عملا من أعمال اليد بحضرة بعضهم، كالبطش بخنزير[4] يقلع، أو قدح عين، أو بَزْل ماء، أو ما جانس ذلك، فإنهم بذلك تتم لهم الحيلة على باقي من في البلد، وأيضا فإن لهم أقاويل ينادون بها في المدن يسمونها التقربة، فإذا ترتب لواحد منهم مع من في البلد من السلطان أو القاضي، ومن له التقدم، بما تقدم ذكره من الملاطفة والحيلة، استعار حينئذ منه مركوبا، ونادى بقوة قلب وثقة بتلك التقربة، وأكثر ما ينتفعون بالتقربة في المدن الصغار، لأنها عليهم أسهل مراما، وأقرب مأخذاً،

١٠٥/ب

---

(١) لم ترد «لن» في الأصل وأثبتناها ليستقيم المعنى.
(٢) وردت «لا» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق المجملة.
(٣) الإنعاظ: يقال غلم الفحل، وشبق، وأنعظ ذكره. قدامة ابن جعفر: جواهر الألفاظ ص ٤٣٤.
(٤) الخنازير: الخنازير ورم شبيه بالسلع غير أنها ليست متبرئة كتبرُّؤ السلع عن العضو، بل هي متعلقة باللحم وأكثر حدوثها في اللحوم الغددية لا سيما في الرقبة. ابن القف: العمدة في الجراحة ج ١ ص ١٥٠

ولذلك صار أكثرهم يسلك هذه الحيلة وهذه التقربة من العلاج وغيره، مما يدعيه لنفسه، وليس تنكشف هذه الحيلة وتظهر إلّا عند الأعمال، فإن كثيرا منهم مع ما يعمل أعماله، فيشق ويقدح ويسقي أدوية، وغير ذلك من البطش، ويستربح الفائدة ويخاف كشف عيوب أعماله وفضيحته من تحريك[1] عين، أو روح[2]، [أو][3] هلاك بعض المُعالَجين يبادر إلى الهرب، فهو في كل يوم في ضيعة أو مدينة، لأنه لا يقدر [أن][4] يقيم في مدينة واحدة[5] منذ زمان طويل، فيكشف عليه ما يهلكه أيضا، فإن كثيرا منهم يضيف إلى بدعته من أعمال الطب دعاوي أخر، يسرق بها عقول النساء، ومن يطمع فيه من قروي[6] وبدوي وغيرهما (.....)[7] ممن لا تحصيل له، فيستلبون منهم ما يتهيأ لهم اختطافه.

وهذه الدعاوي هي أصناف، فمنهم من يدّعي العزائم والرُّقَى[8] وكتب الكتب التي يهيمون بها، ويعقدون ويحلون، ويجلبون الغائب، ويسمون هذه الكتب: سراميط[9]، ومنهم من يدعي أنه يخرج الكنوز بصنوف من الدك، ترك شرحها أولى، وكثير من هذه الحيل لا أطيل بذكرها.

وهؤلاء هم الذين يجب امتحان دعاويهم، واختبار أمرهم والحذر منهم قبل (/) أن تمكنهم الفرصة، لأنهم يصيرون أنفسهم كالذئاب، ويدورون السكك والشوارع، ويطلبون خلو المنازل من رجالها، فيستعرضون ذلك لأعمالهم الشنيعة. ١٠٦/أ

---

(١) وردت «تكريك» وما أثبتناه هو الصحيح.

(٢) روح: وهو الروح النوري الذي يأتي الى العينين بواسطة العصب البصري، أو ما يُسمّى «القوة المبصرة». حنين: كتاب العشر مقالات في العين صص ٩٨ ـ ١٠٠.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة اقتضاها السياق.

(٤) لم ترد «أن» في الاصل واثبتها ليستقيم المعنى.

(٥) وردت «واحد».

(٦) وردت «قرياتي».

(٧) ما بين الحاصرتين كلمة «ولا» حذفت لاخلالها بالجملة.

(٨) العزائم والرقى: المعنى واحد وهي معروفة. انظر كبرى زاده: مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٤٢.

(٩) سراميط: لم أعرف لها معنى.

فعلى من إليه حفظ العوام والرّعايا، وبالجملة سائر من في مدينته، أن يحفظها من هٰؤلاء الذئاب واللصوص، الذين قد استتروا عن عيون الناس بظاهـر زيهم، وعظيم دعواهم. والمقدم ذكره من الأشياء التي يمتحن بها المـدعون لهذه الصناعة هي في هؤلاء نافعة جداً من بلاياهم، وبها يقدر السلطان على التفرقة بينهم وبين الحُذّاق من الدستكارية إن أحب ذلك هو أو غيره.

الباب التاسع عشر

في العادات المَذمومة التي قد اعتادها كثير من الناس فهي تضر بالمرضى والأطباء

ولما كان الطبع يميلُ إلى اللذات، وكانت اللّذات كثيرة أصنافها، مختلفة أنواعها، صار الطبع يحب اجتماع أصنافها له، ويؤثر أن لا يفوته نوع من أنواعها، ولذلك وقعت الألفة بين الناس، والمحبة بين المتصادقين، لأجل ما يجده أحدهما عند صاحبه من اللّذة واللّذات. ولما كان أهل المروءة واليسار، وأصحاب الرئاسات، قد وهب لهم من سعادات الدنيا ما حرمه من سواهم من الناس، وكانت تلك السعادات أعظم اللّذات عند الطبع وأجلها قدراً، طلبت لذلك من فاته تلك السعادات للوصول إليها بضروب من الحيل والخُدَع، سلك كل من التمس المال من أهل اليسار والمرتبة من السلطان طرقا توصلهم إلى ذلك، فمن هٰؤلاء من التمس تلك السعادات بالعلوم والآداب والصنائع الجليلة القدر، العظيمة النفع، وهٰؤلاء هم الذين يلتمسون سعادةً ما بسعادةٍ هي أشرف منها، لأن سعادة العلم والأدب هي للنفس، وسعادة المال وما (/) جانسه للجسم، وكما أن النفس أشرف من الجسم، ١٠٦/ب كذلك سعادة النفس أشرف من سعادة الجسم.

وأما طالبو السعادات الدنيوية بغير العلم والأدب ـ كطالبي المال وغيره من المقتنيات الجسمانية كالمهن والصنائع ـ فهم طالبو سعادة بها جانسها، إذا كان ذلك كذلك فقد بقي من القسمة طلب شيءٍ شريف، وسعادة نافعة بها ليس هو بشريف ولا نافع.

والطالبون للشيء الشريف بالشيءِ الحقيرِ هم الذين يداخِلُون أهل المروءة واليسار والرؤساء باللعب واللهو، والأمور المضحكة، وأصناف الحيل المقدم ذكرها في الباب الذي قبل هذا، لينالوا من رتبهم وأموالهم ما يحبونه، ولذلك نجد كثيرا من الأطباء يداخلون المياسير، وكثيرا من السلاطين بلعب الشطرنج والنَّرْد[1]. وقوماً يداخلون قوادا وأعاجم بما يعرفونه من لغتهم، لكي يأنسوا بهم، وقوماً يساعدون المياسير والرؤساء بتبليغهم وإيصالهم إلى لذاتهم وشهواتهم في ضروب من الأمور الضارة لهم في حال الصحة وحال المرض، فلذلك يكون هٰؤلاء مقدمين عندهم، موثوقا بآرائهم، مسموعة أقاويلهم[2]. وبغير شك أنه إذا مرض أحد هٰؤلاء المياسير فإنه لا يأنس إلا بمن قد ألفه واعتاده من هٰؤلاء المحتالين. ولأن ذلك الطبيب يجب أن يؤثر أثرا يصل إليه منه فائدة رابحة فهو يبادر إلى فصد ذلك المريض، وإلى سقيه دواء مسهلا بغير علمٍ منه بما أتاه، لأنه لا يعلم أن للأمراض أوقاتا أربعة، فإن الاستفراغ لا يصلح أن يكون في أيِّها اتفق، ولأنه لا يعلم أيضا أن أخلاطَ الأبدان لا يصلح استفراغها إلّا بعد نضجها، وبعد إصلاح الطرق لنفوذها، وبعد معرفة أشياء كثيرة قد تقدم القول فيها بما يغني عن إعادته، فلذلك يكون ما أقدَم عليه ذلك الطبيب من الفصد أو الاستفراغ بالدواء لمريضه وصاحبه سببا لزيادة مرضه، ووقوعه في مكروه هو أعظم (/) من المرض، وربما كان سائقه - بجهله وحيلته - إلى تَلَفِه، ولأجل إفراط أنس المريض بطبيبه ذلك لا يهمه فيما دبره به، ولو بان له الضرر، وظهرت له الزيادة، لكن تدبيره له تتابع يوما بعد يوم، والمريض في زيادة من سوء الحال، إلى أن يعظم جهد المريض، فتكثر عليه الأقاويل، ويشير عليه وعلى أهله وعوّاده وأصدقائه بإحضار طبيب موثوق به، يعرف مرضه ويقوم بعلاجه، فبغير شك أن ذلك يدعوهم إلى إحضار طبيب آخر، ولا يقنعهم أيضا أن يكون

١٠٧/أ

(١) النرد: معروف شيء يلعب به، فارسي معرب، وهو النردشير. ابن منظور: لسان العرب ج ٣ ص ٤٢١.

(٢) انظر ما قاله هبة الله بن يوسف في كيفية دخول اهل الحيلة والخداع ممن تسموا بالطب إلى عامة الناس وجهلتهم والأغنياء. المقالة الصلاحية الورقة ٢٢٤ ب، ٢٢٥ آ.

مُرْتَهنا[1]، لكن أفضل من في بلدهم، فعند حضور الطبيب ونظره إلى المريض لتفقده لجميع ما أمكنه من حالاته، ومساءلته لمن يصلح عن جيمع ما دبر به، وما جرى من أمره ووجوده، لجميع ذلك قد جرى على غير نظام ولا ترتيب، وقد وصل المريض من المرض وسوء الحال إلى فساد يَعْسرُ عليها إصلاحُه، أو لعلّهُ لا يمكنهُ ذلك.

فحينئذ يفكر ذلك الطبيب فيما قد انساق إليه من وجوه المكروه، وذلك أنه يصادف المريض لطول مرضه وكثرة ما قد سقاه طبيبه الأول من الأدوية قد عظم ضَجَرُه وضَجَر من يخدمه، من كثرة التعب والمؤونة التي قد كانوا التزموا لذلك الطبيب الأول، ولأدويته وتدابيره، ولعمري إن الفائدة من جميع ذلك لم تكن إلا لذلك الطبيب، وأيضا فإن جميع ما كان المريض وأهله يتكلفونه من ذلك مع الطبيب الأول كانوا فيه بنشاط، لأن المريض في ابتداء مرضه، ثم لما تطاول الأمر، وساءت حال المريض، وعلموا أن جميع ما تعبوه وأنفقوه ضائع، صاروا يحذرون على أكثر الحالات من الطبيب الثاني وإن لم يكن عندهم بصورة ذلك، فهم يَتَوقّون الإقدام على دوائه بسرعة، ويتوقفون بالجملة في جميع ما كانوا يعملونه من مصالح المريض، وتوفية الطبيب حقه، انتظارا لما يكون من أثره، لئلا يجري أمره كما جرى مع الأول. فلعلم (/) ١٠٧/ب الطبيب الثاني[2] الفاضل بهذه البلايا التي قد انساقت إليه، وما يقع فيه من التعب والتهم، ولو برىء المريض بعد التعب الشديد لقد كان في قحة ذلك الطبيب الأول ما يحمله على أن يقول: إن البرء إنما حصل له بتدبير الأول فيكون ما عمله الثاني تحت الشك، وأما إن مات المريض فقد كان ما انساق إليه من البلاء الشديد أعظم، لأن ذلك الطبيب الأول يكون قد فاز بالفائدة، وتخلص من الورطة التي كان فيها، والتي كان يخشاها فيما بعد، من سوء الذكر وغيره، ووقع ذلك الطبيب الثاني في جميع ذلك، وتَجَشّم[3] به، ولعل من له من الحساد والأعداء يجدون الفرصة من التشنيع عليه بأنه

---

(١) مُرتهناً: مُلْزماً برهان. ابن منظور: لسان العرب مادة «ر هـ ن».
(٢) وردت «الأول» وما أثبتناه هو الصحيح.
(٣) وردت «تيشم» خطأ وما أثبتناه هو الصحيح، وتجشمه: أي تكلفه.

أخطأ عليه وقتله، ويقول أيضا الأول: لو كانوا تركوني وتدبيري لقد كان برئ، ومع جميع ذلك يذهب تعب الثاني، وإن كان أعطى أدوية من عنده لم يحصل على شيء من ثمنها، فلجميع هذه الأسباب يرى الطبيب أن الصوابَ له ـ وخاصة إن رأى أن المريض لا برء له ـ أن لا يعودَ إلى ذلك المريض، فإذا هو انصرف من عنده ولم يعد جاءته الرسل، لتعلق قلب المريض وأهله به، فحينئذ يقع في المكروه الرائج، لأنه إن كان ذلك المريض سلطانا أو من حاشيته أخذ قهرا، وربما سيق إلى حتفه، وإن كان المريض من متقدمي البلد ومشايخه لم يتهيأ له الامتناع عليه، لئلا يتسبب عليه أنواع المكاره، بذم ذلك الشيخ وأصدقائه له، فاذا تتابع عليه مثل ذلك الذم مرة بعد مرة لم يمكنه المقام معهم في بلدهم، هذا إن سلم من رائج المكاره. وإن كان ذلك المريض من أشرار الناس كان الفزع أشد وأروع[1]، لأن الأشرار لا يفكرون فيما يأتون به من القبيح، ولا يتَوَقَّوْن أن يعملوه، وإن كان ذلك المريض من ضعفاء الناس وفقرائهم قيل عنه: إنه لم يُعْنَ به لفقره، لأنه لا يرجو منه فائدة.

١٠٨/أ فتأمل (/) أيها الحبيب هذه البلايا الرديئة، والمكاره العظيمة التي تنساق وتتسبب على الأطباء، وخاصة الأفاضل، من سوء عادات الناس وتدابيرهم الرديئة لنفوسهم، وكيف تسببت أيضا على المريض فأهلكته، بل كيف يتسبب أمثالها على الصحيح حتى تمرضه وتهلكه.

وإنما كان مبدأ جميع ذلك إلى طمأنينة إلى غير الثقة، والقبول منه، والانبساط إليه، وإلى ملقه وحلاوة حديثه، ومسارعته في الخدمة، وإظهاره النصيحة والمحبة، وإنما كان جميع ذلك حيلة لفائدة ينالها، فلذلك يجب على عقلاء الناس أن لا يركنوا إلى ظواهر الناس، وألا يثقوا[2] [بـ]ـكل[3] من داخلهم، كما لا ينبغي لهم أن يأكلوا الطعام من يد كل أحد، ولو كان حسنا حلوا لذيذا، فإن الحيلة في مثل ذلك تتم، والسم في لذاذته حقا.

---

(١) وردت «وأروح» خطأ.

(٢) وردت «يوثقون».

(٣) وردت «كل» وزيادة الباء لاستقامة المعنى.

وأيضا فلو سلم الملوك والرؤساء من الأمور المُتْلِفة من اتباع الأشرار لما أمنوا - من جهلهم وشرهم - سوءَ الذكر.

فإذَن قد وجب مما قد اتضح أن لا يركن العاقلُ من الناس في حالِ صحته إلّا إلى طبيب فاضلٍ ثقة، يكون له عدة. وكما أن صاحب السيف أكثر وأوفر ما يصون سيفه المُرهَف سائر زمانه ليوم الحاجة، كذلك ينبغي للإنسان أن يصون ذلك الطبيب الفاضل بأوجه الصون لوقت الحاجة إليه، وعلى أنه لا غنى له عنه في وقت من الأوقات، إذ كان لحفظ صحته أحوج منه إلى علاج مرضه، إذ زمان الصحة أطول من زمان المرض، والصحة أشرف، وما كان أدومَ وأشرفَ فتدبيرُه ينبغي أن يكون أكثرَ وأوفرَ. فأما من حَقَر سيفه ورذَله، ولم يصنه، فإنه عند حاجته إليه يجده صَدِئاً كالاًّ[1]، لا ينتفع به، ولذلك يتمكن منه عدوه فيهلكه، فإذا كان الأمر على ما قلناه فقد اتَّضَح عذر الطبيب في هَرَبه من هذه الآفات، ولم يلمه على صونه لنفسه ولصناعته إلا جاهل غبي.

(١) كالّ: أي غير حاد.

الباب العشرون[1]

فيما ينبغي للطبيب أن يَدّخره ويُعدّه من وقت صحته لوقت مرضه، ومن زمان شبابهِ إلى زمان شيخوخته[2] (/)

١٠٩/ب

. . . فضيلة[3] الإنسان على سائر الحيوان، ووجب لفضله أن يجتهد في إصابة منافعه ومصالحه، وإعدادها أكثر مما يفعله الحيوان، فإن وجد من هو ناقص العقل قليل الأدب والفضيلة، فلا أقل من أن يتخذ له مصالحه ويعدها، كما يعمل أحقر الحيوان، وأصغر المواشي، أعني النمل، ولا بأس بأن يتعلم العاجز منه، فإنه على صغر جسمه، وقلة قوته، يعد (لنفسه)[4] ـ من بعد إحكام بيوته ـ في زمان الصيف للشتاء قوتا كثيرا، ويخدم قوته في بيوتـه، من تكسير ما كان حبا لما يخاف نباته، ونشر ما قد نَدِيَ في الشمس، وما أشبه ذلك، فإن تَفَقُّدَ هذه الأعمال من الحيوان تحرك العاقل إلى اتّخاذ مصالحه في أوقات إمكانها قبل فوتها، ويبعثه أيضا على فكره بعقله في تعرف عللها، ومن ذلك يترقّى إلى حكمة العلة الأولى التي هي فوق كل حكمة، وعند نوره وَجُوده يسكن العقل حينئذ الذي يمده بالفضائل، وهو فوق كل جود.

---

(١) سقطت ورقة من أصل المخطوط وتحمل رقم «١٠٨ ب و١٠٩ أ» وتشتمل هذه الورقة على ما يبدو من آخر الوجه «١٠٨ أ» على خاتمة الباب التاسع عشر، وذلك واضح مما كتب تحت نهاية السطر الأخير، وهو تبيان لأول الوجه «١٠٨ ب» وهذه العبارة هي «وفيما ذكرناه» وقد تعودنا من المؤلف على هذه العبارة كدليل على خاتمة كل باب. ومعنى ذلك أن جل هذه الورقة تشتمل على مقدمة الباب العشرين وقد أشرنا إلى ذلك في المقدمة أثناء الحديث عن وصف المخطوط.

(٢) عنوان هذا الباب مثبت في مقدمة الكتاب الورقة ٣ ب. وقد أثبتناه هنا كما ورد فيها.

(٣) هذه بداية الباب العشرين كما وردت في المخطوط بعد سقوط ١٠٨ ب، ١٠٩ أ.

(٤) وردت «له» وما أثبتناه هو الأفضل.

واذا كان العقل هو أتم المخلوقات، وأكمل المكونات، فعلى العاقل من الناس أن يتبع أوامره، وينتهي عما نهاه لأن البارئ - تعالى - جعله السراج لخلقه، فبه يستضيئون، وبنوره يهتدون إلى توحيد وجوده، وحكمته وشرائعه، وبالجملة إلى جميع ما يصلحهم في دنياهم وآخرتهم. فواجب إذن - إذ كان العاقل يجد جميع حالات الجسم تتغير وتنتقل من محمود إلى مذموم، كالذي نجد من ضعف القوة عند الشيخوخة بعد قوة الشباب، ومن سوء حال المرض بعد حال الصحة، ومن قبح الفقر بعد جمال اليسار، ومن كثرة الحاجة مع العيلة بعد قلتها، ومن الوحدة، ونظائر هذه الانتقالات وماجانسها، مثل الفاقة إلى مصالح الشتاء وما يرد من برده، بعد الغنى عن ذلك بحر الصيف، فلذلك وأمثاله ينبغي للعقلاء كافة أن يعدوا مصالحهم، ويدخروا منافعهم من صيفهم (/) لشتائهم، ومن صحتهم لوقت مرضهم، ومن وقت شبابهم لوقت شيخوختهم. وإذا كان ذلك واجبا على سائر الناس، نافعا لهم بأسرهم، فذلك للطبيب أنفع، وعليه الاهتمام بذلك أوجب[1]، لأن المقصود في ذلك من سائر الناس إنما يدخل الضرر عليه وعلى عائلته فقط، فأما الطبيب فإنه إذا عدم مصالحه عدم صواب رأيه، ليقسم فكره لطلب حاجته، فدخل من ذلك الضرر على تدبيره للأصحاء والمرضى، فلذلك ينبغي لمن احتاج إلى تدبيره أن يعينه على مصالحه، ويجتهد في كفايته، لتكون نفسه هادئة ساكنة، وعقله منصرفا إلى مصالح الناس، ولأجل ذلك ينبغي للطبيب أن لا يدبّر صحيحا ولا مريضا إلا بعد خُلُوّ فكره، وإعطائه لنفسه وجسمه

١١٠/أ

(١) لقد أكد جميع حذّاق الأطباء من المسلمين أهمية عناية الطبيب بنفسه، في صحته ونظافة جسمه، وملبسه، وطيبه، وتنظيم وقته، ما بين الدرس والتدريس والاستذكار والاستطباب وتنظيم شؤون حياته كافة والتزامه بجميع آداب الطب الخلقية والعلمية التي أكدها الإسلام وقدماء الأطباء، ولقد ذكر لنا علي بن رضوان الطبيب المصري سيرته طوال حياته فيقول: «وكنت منذ السنة الثانية والثلاثين إلى يومي هذا أعمل تذكرة لي وأغيرها في كل سنة إلى أن قررتها على هذا التقرير الذي أستقبل به السنة الستين في ذلك، أتصرف في كل يوم في صناعتي بمقدار ما يغني من الرياضة التي تحفظ صحة البدن، وأغتذي بعد الاستراحة من الرياضة غذاء أقصد به حفظ الصحة. . . وأتعرف ما يمكنني تعرفه من الأمور المزمعة، وآخذ له أهبته، وأجعل ثيابي مزينة بشعار الأخيار والنظافة وطيب الرائحة. .» ثم أتى ابن رضوان على وصف كيفية حياته اليومية في تعامله مع الناس ومعالجتهم، ثم استذكاره ومداومته للتحصيل. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص ٥٦١ - ٥٦٢، وانظر: سيرة ابن سينا ص ٤٣٧ - ٤٤٦، وسيرة عبداللطيف البغدادي ص ٦٨٩.

ما يحتاجان إليه من مصالحهما، فأما لنفسه فسكونها هو بما قدمناه من الأمن من الفاقة والأمور المفزعة، وأما جسمه فبأن تكون سائر حواسه قد أخذت بحظها النافع لها من محسوساتها، وذلك بأن لا يكون جائعا، ولا عطشاناً، وقد استعمل من الطيب ما يوافقه، ولا يشتاق معه إلى ما يشمه من الطيب في منازل الناس، ومثل ذلك القول في باقي حواسّه لتكون بذلك نفسه مسرورة، وعقله صافيا، وحواسّه نقية من كل كدر، فيصفو له بذلك رأيه، وتصح مشورته، إذ كان قد اتضح لك بما قيل ـ أيها الطبيب السعيد ـ وجوب حفظ مصالحك، وإعدادك لجميع منافعك، كوجوب ذلك على مدَبِّري السفينة، من إعداد مراسيها، وقلوعها، وحبالها، ورجالها، وتيقظهم قبل سيرهم، وقبل هجوم هول الريح عليهم، فقد لزمك أن تعلم ما تعده لنفسك ولغيرك مِمّن تريد حفظه وعلاجه، إذ كانت الأمور النافعة في ذلك لا يمكن اتّخاذها بأسرها في وقت الحاجة إليها، كما لا (/) يمكن عمل الدِّرْياق وقت حاجة المَلْسوع[1] إليه، فالواجب أن تكون الدرياقات وغيرها من الأدوية معدة للمرضى، والأغذية والأشربة وغيرها من المصالح معدة للأصحاء والمرضى. ١١٠/ب

ففيما ذكرته من هذه الأمثلة الجزئية الدالة على المعاني الكلية كفاية لذوي الفطن والقرائح، فأما من لم يكتف بهذه الجُمَل فالتمس تشخيص جميع ما بعده فإن ذلك ممتنع لأجل اختلاف أمزجة المحتاجين، ولكني أُحدّثُهُ في تعريفه أنواع تلك الجمل التي لم يكتف بها، فإنها أبسط، وهي جامعة لما التمسه من علم الأشخاص، فأقول:

إن جميع ما ينبغي أن يُدَّخَر ويُقْتَنى قبل فَوْت وجوده نوعان:

أحدهما: محنة جميع مصالح النفس وآدابها، وذلك مأخوذ من معدنين، أحدهما الكتب الشرعية، فإنها جامعة لآداب النفوس، ومصالح الأخلاق، ومأمنة للإنسان، فعليك بها أولا، وخذ نفسك وولدك بحفظها بعد درسها على العلماء بها، ثم تأمل لغتها وتدبّر معانيها، فإنك تظفر بما أنا حاثٌّ لك عليه من آداب النفس.

---

(١) المَلْسوع: أي من لسَعَته العَقرب.

والنوع الثاني: هو الشامل لجميع مصالح الجسم، وما يقَوِّمُ عضواً عضواً من أعضائه. ومعرفة ذلك مأخوذ من علم صناعة الطب، ووصولك إلى ذلك يتم بدرس كتبها على أهلها، في حال الشبيبة وزمان الحَداثة، ثم الخدمة لهم في أعمال الصناعة، لتقتنيها قنية صحيحة، فإنه منها ترقى إلى صلاح نفسك أيضا إن كان قد فاتتك الدربة الشافية بكتب الشرائع، ولأن أهلها لما علموا أن الانسان مؤلف من شيئين، هما: النفس، والجسم، وأرادوا إصلاح الإنسان أثبتوا في كتبهم من مصالح الجسم ومصالح النفس والأخلاق أيضاً. ولذلك لما رمت في هذا الكتاب جميع ما ذكروه في مواضع متفرقة من آداب النفس وتقويم الأخلاق مع (/) مصالح الجسم قفوت أثرهم، وسرت في طريقهم، لكي ينساق القليلُ الرياضة بما قالوه في طرقهم، وتسلك سبلهم، فتصل بذلك إلى علمهم، فإن يكن ممن يترقى على نظام وقد شوَّقه ما قرأه من هذه الجمل، إلى معرفة أصولها، ومن أين هي مأخوذة، فإني أرشدك إلى ذلك من حيث أنت طبيعي فعليك، من كتب معلمنا جالينوس، بكتابه «في الأخلاق» وهو[1] أربع مقالات، وبمقالته «في أن قوى النفس تابعة لِمزاج البدن» وبمقالته «في تعرف المرء عيوبَ نفسه»[2] وبمقالته «في أن الأخيار ينتفعون بأعدائهم»[3]، وبما شاكل هذه المعاني من أقاويله. ‏١١١/أ

وأما إن علوت منزلة الأطباء، وأردت أن تكون طبيبا فاضلا فعليك بمقالته التي يبين فيها أن الطبيب الفاضل فيلسوف، ثم بكتابه «في آراء أبقراط وفلاطن»، ثم بكتابه «في البُرهان»، فإنك تبلغ المراد من آداب النفس ومصالحها، ولست أقول لك: إنك لا تجد هذه الآداب فقط، (لأن)[4] جميع

(١) وردت «وهي».

(٢) كتاب في تعرف الإنسان عيوب نفسه: مقالتان، من نقل حنين بن إسحاق الذي قال: إنه لم يجد منه باليونانية إلا مقالة واحدة. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص١٤٧. وذكر ابن النديم أن الذي ترجمة هو توما وأصلحه حنين. الفهرست ص٤٠٥.

(٣) وردت «بما عداهم» خطأ. واسم الكتاب «مقالة في أن أخيار الناس قد ينتفعون بأعدائهم» ن. م. س ص١٤٧. وسماه ابن النديم «كتاب انتفاع الأخيار بأعدائهم» نقله الى العربية حبيش الأعسم. الفهرست ص٤٠٥.

(٤) وردت «لكن» وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة ومعناها.

أهل العقول في الملل المختلفة والأمم السالفة قد قالوا في ذلك أقاويل كثيرة، وضعوا أصولها وفروعها لأنها عقلية، وإنما أرشدتك من كتب الآداب إلى كتب معلميك، وخاصة منهم إلى جالينوس؛ إذ كنت طبيبا، وبكتب هذا الفاضل تعنى، فلك بها غِنًى عن غيرها.

ومن كتبه أيضا تعلم ما تعده لجسمك من مصالحه، ان كنت قد تنبهت إلى ذلك مما أوجب لك في الباب الأول من كتابي هذا، فإن أول كتبه التي تعلم ما لابد لك من علمه من حفظ الصحة هو كتابه في «تدبير الأصحاء» وله من جزئيات ذلك مقالات نقف عليها من ذلك الكتاب. ومن كتابه في «مراتب قراءة كتبه»[1]، ومن مقالته «في الحث على تعلم صناعة الطب»[2]، ومن مقالته «في أجزاء الطب» ومن غير (/) هذه من أقاويله. ١١١/ب

ومن قراءتك لأقاويله هذه تعلم أن بقاءك بنوعك لا يتم إلّا بالزوجة لتنسل، والزوجة والنسل لا يتم بقاؤهم إلّا بمثل ما به تبقى بشخصك، من قوت وكسوة ومنزل، وسائر ما به يتم البقاء، ويحفظ الصحة، وبغير شك أنه يجب أن تعنى باكتساب جميع ذلك، وحفظه لوقت الحاجة إليه، ولاكتساب ذلك طريقان: أحدهما بمباشرتك الأعمال التي منها يقتني، وتوصل إليه بجسمك، كالذي يعمله ملتمس ذلك من الأرض ليعد له من الحبوب قوتا، ومن القطن مثلا كسوة وما أشبه ذلك، وذلك لا يتم إلا بفلاحتها، والعناية بتنقيتها، وسائر مصالحها وزراعتها وسقيها، وما لا يتم له غرض إلّا به من أعمالها، فبذلك يكسب قوتاً وستراً، له ولمن سواه.

ومن كان من الأطباء يحتاج أن يعاني تدابير أهل المدن، ويعدو على عيادة مرضاهم[3] ـ مع كثرتهم وترفهم ـ فبغير شك أنه لا يمكنه اقتناء مصالحه لجسمه، ولا بمعاناة صناعة أخرى غير صناعة الطب، فيكتسب منها أقواته،

---

(١) كتاب في مراتب قراءة كتبه: مقالة واحدة، وغرضه فيها أن يخبر كيف ينبغي أن ترتب كتبه في قراءتها كتابا بعد كتاب. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص١٣٤.

(٢) كتاب الحث على تعلم الطب: وهو مقالة واحدة من نقل حبيش الأعسم. ابن النديم: الفهرست ص٤٠٥.

(٣) وردت «مرضاتهم».

لأنه بذلك ينقطع عن علمه وصناعته، فيصير ضارا قتالا أكثر من ضرر الأمراض.

فقد بقى ـ إذن ـ أن يكون للطبيب مادة يكتسبها من جهة صناعته، وممن يدبرهم بها في حفظ صحة أصحائهم، وفي معالجة مرضاهم.

ومن المعلوم أن من الناس فقراء، ومنهم مياسير، وقد أوجب المنعم ـ تبارك وتعالى ـ على أهل النعم الإحسان والإفضال على الفقراء والمساكين، بما غرس في قلوبهم وعقولهم من العدل والرحمة، فلذلك يجب على الموسر الذي قد أسبغ الله عليه نعمه، وعلى الطبيب الذي قد شرّفه الله بفضل علمه أن يستعملا العدل مع الفقراء والضعفاء ليكون نفعُ صناعة الطب عاما شاملا للقويّ والضعيف[1].

١١٢/أ ووجه العدل وابتداؤه ينبغي أن يكون (/) من الطبيب أولا، وذلك بأن يروض نفسه، ويأخذها دائما باستعمال الأخلاق المحمودة، والأفعال المَرْضِيَّة، من الرحمة والرأفة والرفق، والعفة، والقناعة، والشجاعة والسخاء، والصدق، وكتمان السر، وجميع ما جانس ذلك من فضائل النفس وآدابها، مع الاجتهاد في اقْتناء صناعته ودرس كتبها، والمعاناة لأعمالها، وبذلها للناس كافة، ولا يُفَرِّق في ذلك بين صديقه وعدوه، ولا بين موافقه ومخالفه.

وأما وجه العدل من الموسر فهو أن يستعمل النصفة مع طبيبه، وإذا كان يعلم أن اجتهاده في إصابة المال وسائر مصالحه إنما هو لأجل حاجته، وحاجة عائلته إليه، ويعلم أيضا أن الطبيب محتاج إلى مثل ذلك، وقد انتفع الموسر بما يملكه الطبيب من صناعة في نفسه ونفوس أهله، فمن الواجب ـ إذن ـ أن يقوم الموسر للطبيب بمصالحه، من قوته وكسوته ودراهمه، التي بها يصل إلى مصالح نفسه وجسمه، ومتى لم يستعمل المُوسر ما ذكرناه من العدل اضطر الأمر الطبيب إلى أن يستعين على إجابة مصالحه من أوجه أخر، فإن تشاغل بصناعة أخرى ليكتسب منها وبها الدراهم عدل عن صناعة الطب،

---

(١) يقول الشيرازي في صفات الطبيب الناجح «... يحضر النادي ويلبي المنادي، ويجيب الداعي، ويواسي المعدوم... وإذا جشم لمداواة مريض سارع إليه، وواظب عليه أميرا كان أو فقيرا، موسرا كان أو معسرا...» رسالة في بيان الحاجة الى الطب اللوحة ٧٨.

فَقلّ فهمه وعلمه بها، ودخل الضرر على الموسر والضعيف في نفوسهما وأجسامهما، وإن التمس كسب الدراهم من الضعفاء، وتعذّر ذلك من جهتهم لفقرهم، ثم امتنع عليهم، كان في ذلك إضرار بهم.

فتأمل أيها الموسر ما يدخل على الضعيف والطبيب وعليك في نفسك من الضرر الذي لا يتلافى من استعمال الشُّحِّ والجور، واحذره فإن هلاك النفوس مقرون [به][1]، واحذر أيها الطبيب من الشحّ بصناعتك (. . . .)[2] شُحَّ ذوي اليسار بِمالِهِمْ (/) عليك وعلى ضعفائهم، فإن مالَهم ينفذُ، ومالك باقٍ ما بقيت، فلذلك يكون يسارك وعِزّك والحاجةُ إليك مُبَقًّى دائماً عليك، فاحذر من استعمال الجور فإنه عن جنبتي العدل، فإن أصبت المال ومصالحك فلا تفرط في ذلك فتستعمل التبذير، بل صُن الدرهم واحفظه لوقت حاجتك إليه، إذ كنت إنما تصل إلى مصالحك به، فانك إن احتجت في وقت الشيخوخة، أو وقت المرض إليه، ولم تجده مذخورا عندك، ثم التمسته من الناس - وخاصة من أشحائهم - حل بك ما هو أعظم من ألم الشح [و][3] الشيخوخة والمرض. ففي الخروج عن الاعتدال إلى التبذير من المضارّ ما ذكرته، وحسبك به بلاء، وأما الخروج عن العدل إلى الضغط والشح على النفس والأهل بما كسبته أيضا أيها الطبيب من الدراهم ففيه من المضار ما لا يحصى كثرة، فأولها، أنك تكون فقيراً من مصالحك أنت وأهلك وولدك مدة حياتك، ومَنْ تخلّف له مالك وما تعبت فيه فإنه يصفك بشحك، ويذمك دائما. وأيضا: فإنك متى كنت للمال جامعاً عرضت نفسك للمكاره، بل للتلف، إذا كان طالبوه كثيرا، فلعلمهم بشحك عليه يهلكونك مع أخذه، فصن نفسك وجسمك بلزوم العدل واستعمال الاعتدال في تكسبك للمال، وفي نفقته، بل في سائر أفعالك، تنجُ بذلك من الآثام وتكون منزلتك منزلة الكرام. والله بجوده وكرمه يبلغنا واياك أفضل الرتب الشريفة عنده وهو حسبنا وحده.

١١٢/ب

(١) ورد ما بين الحاصرتين مطموسا في الأصل، وما أثبتناه هو ما يستقيم به سياق الجملة.

(٢) وردت «أن» ما بين الحاصرتين فحذفت لاخلالها بالمعنى.

(٣) ما بين الحاصرتين لم يرد في الاصل وأثبتناه ليستقيم سياق الجملة.

تم الكتاب بمعونة الله تعالى وحسن توفيقه، وله الحمد دائما سرمدا.

كتبـه لنفسه ـ ولمن شاء الله تعالى بعده ـ العبد الراجي رحمة ربه وغفرانه عبدالله بن المكين (/) عبدالله بن عبدالسلام بن ربيع الإسرائيلي اللّاوي، عفا الله عنه وعن والديه وعمن ترحم عليه، وذلك في مدة عشرين يوما في ساعـات متفرقة منها، آخرها ليلة الجمعة ثانية عشرة شعبان، سنة ثمان وأربعين وسـبـعـمائـة ١١٣/أ



○ كشاف الأعلام والمصطلحات *
○ قائمة المصادر والمراجع
○ صفحة محتويات الكتاب

*اتبع في هذا الكشاف مايلي:-

١- الأخذ بنظام "الكشاف القاموسي" فجمعت أسماء الأعلام، والقبائل، والأماكن والبلدان، والمصطلحات في ترتيب هجائي واحد تيسيرا على الباحثين.

٢- عدم الاعتداد بأداة التعريف (ال) في الترتيب العام.

٣- الاعتداد بلفظ (ابن) و (أبو).

٤- استخدام الرمز (=) بمعنى "انظر" للإحالة من مدخل غير مستعمل إلى آخر مستعمل.



كشاف الأعلام والمصطلحات

(ا)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

الطبيب

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(م)

(ن)

(هـ)



قائمة المصادر والمراجع

أولا ـ الكتـــب المخطوطة :

ـ ابن بطلان ، المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) ،
«رسالة دعوة الأطباء على مذهب صاحب كليلة ودمنه»
مصور ميكروفيلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة رقم ١٩٤/١ مجاميع .

ـ ابن الجزار ، أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد (ت ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)
«كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة»
مخطوط آيا صوفيا رقم ٣٥٦٤ ، مكتبة السليمانية باستانبول .

ـ ابن جميع ، هبة الله بن زين بن حسن بن افرائيم الاسرائيلي (ت ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م) .
«المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الطبية» .
مصور ميكروفيلم بمركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى رقم ١٧٩/٨ مجاميع .

ـ ابن رضوان ، علي بن رضوان بن جعفر المصري (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)
«النافع في كيفية تعليم صناعة الطب»
ميكروفيلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة رقم ١٣٥ طب .

ـ الزهراوي ، خلف بن عباس (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)
«التصريف لمن عجز عن التأليف»
مخطوط بشير آغا رقم ٥٠٢ ، مكتبة السليمانية في استانبول .

ـ الشيرازي : محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي (٧١٠هـ/ ١٣١١م)
«رسالة في بيان الحاجة إلى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم»
مصور ميكروفيلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة رقم ٢٣٦ طب .

- **صاعد ، أبو العلاء صاعد بن الحسن المتطبب (ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)**
«التشويق الطبي»
مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ١٨ مجاميع طب

- **الكشكري ، يعقوب (عاش في أوائل القرن الرابع للهجرة)**
«كناش في الطب».
مخطوط آياصوفيا رقم ٣٧١٦، مكتبة السليمانية استانبول.

- **المجوسي ، على بن العباس (ت ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م)**
«كامل الصناعة الطبية».
مخطوط رقم ٦٣٧٥، مكتبة جامعة استانبول ـ القسم العربي.

ثانيا ـ الكتب المطبوعة :

- **الآمدي، سيف الدين علي بن محمد (ت ٦٣١ هـ).**
المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين/ تحقيق حسن محمود الشافعي. ـ القاهرة: [د. ن]، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- **ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨ هـ).**
عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ تحقيق نزار رضا. ـ بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م.

- **ابن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ).**
الكامل في التاريخ . ـ بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

- **ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٩ هـ).**
معالم القربة في أحكام الحسبة/ تحقيق محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعي. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م.

- **الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت قبل ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م).**
تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام. - بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م.

- **أورو سيوس، بول**
تاريخ العالم/ تحقيق عبدالرحمن بدوي. - ط ١. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢.

- **بالنثيا، آ. ج..**
تاريخ الفكر الأندلسي/ ترجمة حسين مؤنس. - ط ١. - القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

- **بدوي، عبدالرحمن (محقق).**
رسائل فلسفية للكندي والفارابي وابن باجة وابن عربي. - ط ٣. - بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٣.

- **براون، إدوارد جي.**
الطب العربي: محاضرات ألقيت في كلية الأطباء الملكية في لندن ١٩١٩ - ١٩٢٠ / ترجمة داود سليمان على. - بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٤.

- ابن بسام، **محمد بن أحمد.**
نهاية الرتبة في طلب الحسبة/ تحقيق حسام الدين السامرائي. - بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٦٨.

- **البغدادي، عبدالقاهر بن ظاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ).**
الفرق بين الفرق/ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. - بيروت: دار المعرفة، د. ت.

- **البغدادي، عبداللطيف (ت ٦٢٩ هـ).**
الطب من الكتاب والسنة/ تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي. - بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦.

- **ابن البيطار، عبدالله بن أحمد الأندلسي المالقي (ت ٦٤٦ هـ).**
الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. - بغداد: مكتبة المثنى، [د. ت].

- **بيك، أحمد عيسى.**
آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب. - القاهرة: [د. ن]، ١٩٢٥.

- **البيهقي، علي بن زيد (ت ٥٦٥ هـ).**
تاريخ حكماء الإسلام/ تحقيق محمد كرد علي. - دمشق: المجمع العلمي، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ (مطبعة مفيد الجديدة).

- **تراث الإنسانية**: سلسلة تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الانسانية. - القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، [د. ت].

- **الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ).**
الحيوان/ تحقيق عبدالسلام هارون. - بيروت: دار الجيل؛ دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.

- **الجرجاني، علي بن محمد الحسيني (ت ٨١٦ هـ).**
التعريفات. - بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٨.

- **الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد (ت ٥٤٠ هـ).**
المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم/ تحقيق أحمد محمد شاكر. - ط٢. - القاهرة: دار الكتب، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩.

- **حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٧ هـ).**
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. - بغداد: مكتبة المثنى، [د. ت].

- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ).
الفصل في الملل والأهواء والنحل . - بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠.

- حسنين، عبدالمنعم محمد.
قاموس الفارسية: فارسي - عربي. - ط١. - القاهرة: دار الكتاب المصري؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- الحلواني، محمد علي.
القانون في الطب لابن سينا أو اكسيومية العلوم الطبية. - تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، ١٩٨٦.

- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تحقيق إحسان عباس. - بيروت: دار صادر، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧.

- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧ هـ).
مفاتيح العلوم. - القاهرة: دار النهضة العربية، [د. ت]

- دائرة المعارف الاسلامية/ ترجمة محمد ثابت الفندي... [و آ خ]. - القاهرة: [د. ن]، ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ -.

- ابن دحية الكلبي، عمر بن الحسن بن علي (ت ٦٣٣ هـ).
النبراس في تاريخ بني العباس. - بغداد: دار المعارف، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦.

- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ).
دول الاسلام. - حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٣٧ هـ.

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (ت ٦٦٦هـ).
مختار الصحاح. - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠١ هـ/١٩٨١.

- **الرازي، محمد بن زكريا (ت ٣١١ هـ).**
- أخلاق الطبيب/ تحقيق عبداللطيف محمد العبد. - ط١. - القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧.
- الحاوي في الطب. - ج ٢٢. - حيدر آباد الدكن. - دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١.

- **سارتون، جورج**
تاريخ العلم/ ترجمة إبراهيم بيومي مدكور... [و آخ]. - ط٣. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦.

- **سيديو، ل. أ**
خلاصة تاريخ العرب. - ط٢. - بيروت: دار الآثار للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ.

- **ابن سينا، الحسين بن علي (ت ٤٢٨ هـ).**
- الرسالة الألواحية/ تحقيق محمد سويسي. - تونس: الجامعة التونسية، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥.
- الشفاء/ تحقيق جورج قنواتي، سعيد زايد، مراجعة إبراهيم مدكور. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥.
- القانون في الطب. - بغداد: مكتبة المثنى، [د. ت].

- **الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨ هـ).**
الملل والنحل. - بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠. (على هامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم).

- **شير، السيد آدي.**
معجم الألفاظ الفارسية المعربة. - بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٠.

- **الشيزري، عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله (نحو ٥٩٠ هـ).**
نهاية الرتبة في طلب الحسبة/ تحقيق السيد الباز العريني. - بيروت: دار الثقافة، [د.ت].

ـ الصابي، هلال بن المحسن (ت ٤٤٨ هـ).
تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء. ـ بيروت: [د. ن]، ١٩٠٤.

ـ صاعد الأندلسي، أبوالقاسم صاعد بن أحمد بن عبدالرحمن (ت ٤٦٢ هـ).
طبقات الأمم/ تحقيق حياة العيد بوعلوان. ـ ط١. ـ بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٥.

ـ ابن طباطبا، محمد بن علي (ت ٧٠٩ هـ).
الفخري في الآداب السلطانية. ـ بيروت: دار الطباعة والنشر، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠.

ـ الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ).
تاريخ الأمم والملوك/ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم. ـ بيروت: دار سويدان، [د. ت].

ـ أبوعمران القرطبي، موسى بن ميمون بن يوسف (ت ٦٠١ هـ).
شرح أسماء العقار/ تحقيق ماكس مايرهوف. ـ [د. م: د. ن: د. ت].

ـ ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠ هـ).
الأنباء في تاريخ الخلفاء/ تحقيق قاسم السامرائي. ـ الرياض: دار العلوم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢.

ـ الغزالي، محمد بن محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ).
تهافت الفلاسفة/ تحقيق سليمان دنيا. ـ ط ٦. ـ القاهرة: دار المعارف، [د. ت].

ـ الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان (ت ٣٣٩ هـ).
رسالة في العقل. ـ بيروت: دار المشرق، ١٩٨٣.

ـ الفارسي، كمال الدين أبو الحسن (من علماء القرن ٨ هـ).
تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر/ تحقيق مصطفى حجازي، مراجعة

محمود مختار. ـ ج ١. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

ـ **قدامة بن جعفر، أبوالفرج (ت ٣٣٧ هـ).**
جواهر الألفاظ/ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. ـ بيروت: دارالكتاب العلمية، [د.ت].

ـ **ابن القف، يعقوب بن اسحاق المتطبب (ت ٦٨٥ هـ).**
العمدة في الجراحة. ـ ط ١. ـ حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧.

ـ **القفطي، علي بن يوسف بن إبراهيم (ت ٦٤٦ هـ).**
إخبار العلماء بأخبار الحكماء. ـ بيروت: دار الآثار للطباعة والنشر، [د.ت].

ـ **ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١ هـ).**
زاد المعاد في هدي خير العباد/ تحقيق شعيب الأرناؤوط، عبدالقادر الأرناؤوط. ـ ط ٣. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢.

ـ **الكرملي، انستاس ماري.**
النقود العربية وعلم النميات: رسائل في النقود للبلاذري والمقريزي والذهبي. ـ بيروت: محمد أمين دمج، [د.ت].

ـ **لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبدالله عنان (ت ٧٧٦ هـ).**
الإحاطة في أخبار غرناطة/ تحقيق محمد عبدالله عنان. ـ ط ٢. ـ القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣.

ـ **لوبون، غوستاف.**
اليهود في تاريخ الحضارات الأولى/ ترجمة عادل زعيتر. ـ القاهرة: عيسى البابي الحلبي، [د.ت].

- **المبشر بن فاتك، الأمير أبو الوفا (نحو ٥٠٠ هـ).**
مختار الحكم ومحاسن الكلم/ تحقيق عبدالرحمن بدوي. ـ ط ٢. ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠.

- **المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ).**
مروج الذهب ومعادن الجوهر. ـ بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- **[ابن مسكويه، أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ)]؟**
العيون والحدائق في أخبار الحقائق/ تحقيق نبيلة عبدالمنعم داود. ـ ج ٤. ـ النجف: مطبعة النعمان، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢.

- **المظفر الرسولي، يوسف بن عمر بن علي (ت ٦٩٤ هـ).**
المعتمد في الأدوية المفردة. ـ بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢.

- **ابن ملكا، هبة الله بن علي (ت ٥٤٧ هـ).**
المعتبر في الحمكة. ـ ط ١. ـ حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٨هـ.

- **ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ).**
لسان العرب. ـ بيروت: دار صادر، [د.ت].

- **الموسوعة العربية الميسرة/** اشراف محمد شفيق غربال. ـ القاهرة: دار الشعب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٥.

- **ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٤٣٨ هـ).**
الفهرست. ـ بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨.

- **نظيف، مصطفى.**
الحسن بن الهيثم: بحوثه وكشوفه البصرية. ـ ج ١. ـ القاهرة: مطبعة نوري، ١٣٦١ هـ/ ١٩٤٢.

- ابن هبل، علي بن أحمد بن علي (ت ٦١٠ هـ).
المختارات في الطب. ـ ج ٢. ـ حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦٢ هـ.

- ولز، هـ. ج.
معالم تاريخ الإنسانية/ ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد. ـ مج٢: تاريخ الإغريق والرومان. ـ ط ٣. ـ القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٩.

- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ).
معجم البلدان. ـ بيروت: دار صادر، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧.

ثالثا ـ الدوريات:

- بزرجمهر ابن البختكان (٦٠٢ م).
حكم بزرجمهر. ـ مجلة المشرق، س ٦ (١٩٠٣). ص ٢٠٥.

- الرازي، محمد بن زكريا (ت ٣١١ هـ).
- برء الساعة/ تحقيق كيك. ـ مجلة المشرق، س ٦ (١٩٠٣).
- محنة الطبيب/ تحقيق البير زكي اسكندر. ـ مجلة المشرق، مج ٥٤ (١٩٦٠).
- المرشد أو الفصول/ تحقيق البير زكي اسكندر. ـ مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٧، ج ١.



فهرس محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com